

الأستاذ جمال التمار في دمشق
للأستاذ عيسى بن بكر رشيد



طبعة خاصة
مكتبة الجوامع

فريضة شقيقة في حال دخول التركة بعد فريضة
وليس بعد فريضة الوفاة
أو

فريضة شقيقة في حال دخول التركة بعد فريضة

موت الميراث من الفريضة
وغيره:

فريضة الشقيقة

في التعريف

بالأشياء الأربعة للشاخرين

الذين

أما في حال دخول التركة بعد فريضة الوفاة

موت الميراث من الفريضة

موت الميراث من الفريضة

الأستاذ عيسى بن بكر رشيد



الأعمال التاريخية
الدكتور يحيى بو عزيز

فريضة منسية في حال دهور التركة بركة فلسطينية
واستبدلناهم على أوطانها

أو

تكملة في فلسطينية

محمد الصالح بن العنزي

وليده

روضته النسيئة

في التعريف

بالأشياء الأربعة المتأخرين

تأليف

الشيخ محمد بن صالح الأنصاري الشافعي

الطبعة 901 هـ

مراجعة وتحقيق

الدكتور يحيى بو عزيز

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين

بمناسبة الذكرى الخامسة والخمسين لاندلاع الثورة التحريرية المباركة



محفوظ جميع الحقوق

طبعة خاصة

2009

ردمك: 978-9947-912-02-7

رقم الإيداع: 2009-5318

عالم المعرفة

للنشر والتوزيع

الجزائر

فَرِيَّةٌ مَنِيَّةٌ فِي عَمَالٍ دَهْوُلِ التَّرَكِ بَلَدِ قَسْطَنِينَ
وَاسْتِيْلَانُهُمْ عَلَى وَطَانِهِمَا

أَوْ

بَيْتُ قَسْطَنِينَ

مُحَمَّدُ الصَّاحِبُ بْنُ الْعَنْتَرِي

مَرَامَةُ وَتَقْرِيمُ وَتَعْلِيْفُهُ

د. بَحْثِي بُو عَزْزِي

جَامِعَةُ وَفَرَات

تمت بحمد الله تعالى
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٥
هـ الموافق ١٩٧٤ م
بمدينة الرياض

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد المحسن بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد المحسن بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

تمت بحمد الله تعالى
في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٥
هـ الموافق ١٩٧٤ م
بمدينة الرياض

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مقدمة وتمهيد

حظيت مدينة قسنطينة وبابليتها ، باهتمام عدد لا بأس به من الكتاب والمثقفين الذين حاولوا أن يؤرخوا لأحداثها السياسية والعسكرية ، ويدونوا أخبارها القديمة والحديثة ، خاصة العهد التركي . ومن بين هؤلاء أربعة ألفوا كلهم باللغة العربية ، وفي وقت واحد تقريباً ، وهو منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وهم :

— الشيخ الحاج أحمد بن المبارك بن العطار الميلي القسنطيني الذي ألف : « كتاب تاريخ قسنطينة » وتحدث فيه بإيجاز عن ماضي المدينة قبل الإسلام ، وأحداث الكاهنة مع الفاتحين المسلمين ، وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن بعض الهجومات التي تعرضت لها قسنطينة وبابليتها مثل :

هجوم السلطان أبي عنان المريني عليها وعلى عنابة في منتصف القرنين 8 هـ و 14 م .

وهجوم مراد باي التونسي على قسنطينة عام 1112 هـ (1700 م)

وهجوم حمودة باشا بعده كذلك في القرن 18 م .

وهجوم الشريف باللاحرش الدرقاوي عام 1219 هـ (1805 م)

كما تحدث عن أسباب إنشاء حصن المنصورة ولخص بعد ذلك أحداث البايات : حسين قليان ، وحسين بوجنك ، وحسين باي زرق عينو ، وأحمد باي جد الحاج أحمد باي ، وصالح باي . وأورد ترجمة للشيخ فتح الله ، وذكر بعض أخبار ثورة الباي أحمد القبائلي . وقد قام السيد دورنو بترجمة هذا الكتاب إلى الفرنسية ونشره في المجلة الإفريقية عام 1913⁽¹⁾ كما قام نور الدين عبد القادر بتحقيقه ونشره بالعربية عام 1952 .

— والشيخ صالح بن العتري الذي ألف كتاباً عن بايات قسنطينة ستعرض له فيما

بعد بشيء من التفصيل لأنه موضوع هذه الدراسة .

(1) Durnon : kitab tarikh qasantina. par el-hadj el-mohar. revue africaine (R.A.P) (1913) pp. 256-305

- والشيخ محمد البابوري الذي ألف كتابا عن تاريخ قسطنطينة بطلب من شربونو ، عام 1848 حسب رواية فايست⁽²⁾ ولم نطلع عليه .

- والمترجم المستشرق ليبري : limbry الذي ألف كتابا بالعربية كذلك . عن تاريخ قسطنطينة وذكر دُورنو عام 1929 أنه ما يزال محفوظاً بأرشفيف البلدية⁽³⁾ .

من هو صالح بن العتري ؟ .

صالح بن العتري هو ابن محمد بن العتري الذي كان يعمل خوجة لدى الحاج أحمد باي ، وأمر بقتله عام 1837 ، أثناء زحف القوات الفرنسية على مدينة قسطنطينة خلال الحملة الثانية ، وذلك بوشاية وتخريض من الباش حاصه علي بن عيسى كما سيأتي توضيح ذلك فيما بعد .

ولم يتحدث أحد عن تاريخ ميلاده ، ولا عن تاريخ وفاته . ويبدو أنه ولد بين عامي 1790 و 1800 م ، وتوفي بعد عام 1870 لأنه في هذا العام أنجز كتابه الثاني : سنين القحط والمسغبة ببلد قسطنطينة وذلك بطلب من الضابط أدليو رئيس المكتب العربي بالمدينة⁽⁴⁾ .

كيف تم تأليف كتابه ومتى ؟

في شهر أوت 1843 تم تعيين الضابط بواسوني : le capitaine boissennet على رأس المكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية في مدينة قسطنطينة ، من طرف الجنرال بارقي دهلبي : le general baraguay d'hillier فاختار للعمل معه في مكتبه صالح بن العتري ككاتب ، ولا ندرى بالضبط سبب اختياره ، ولكن يبدو أن سعة ثقافته وإطلاعه من جهة ، وحفده على الحاج أحمد باي قاتل أبيه من جهة أخرى ، من ضمن أسباب ترشيحه واختياره لذلك المنصب ، وتلك الوظيفة .

2) E. Vayssiere : Histoire de constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837. R.N.M.S.A.C. (constantine — 1867) pp. 241-255.

3) C. Saint-calbre : Constantine et quelques Auteurs Arabe. R.A.F. (1913) pp. 70 - 95.

4) حقه ونشره ربيع بونار تحت عنوان مجامع قسطنطينة (الجزء 1974) ص 76 .

ولما كان الضابط يواسوني مستشرقاً يحسن العربية ، ويهتم على ما يبدو بالتراث ، وله رغبة في الاطلاع الواسع على ماضي قسنطينة ، وبابليكيها في عهد الأتراك ، فقد كلف كاتبه صالح بن العتري بأن يؤلف له كتاباً عن ذلك ، ووضع له منهجاً وخطة ، فشرع في العمل دون أن يذكر متى ، ولكن يبدو أنه أواخر عام 1843 ، وانتهى منه أواخر عام 1846 ، على ما يبدو لأنه توقف عند أحداث زيارة ورحيل الدوك دومال للمدينة في شهري جوان وجويلية 1846 ، وقد سماه في المقدمة : « غريدة متينة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها » وفي الخاتمة : « تاريخ قسنطينة » . وطبعه له عام 1846 . حسب رواية فابيت⁽⁵⁾ وعام 1852 حسب رواية دورنو ، الذي قام بترجمته إلى الفرنسية عام 1929 ونشره في مجلة مجموعة ملاحظات ومذكرات الجمعية الأثرية القسنطينية⁽⁶⁾

أسلوب الكتاب ومحتواه :

كتب العتري كتابه بأسلوب بسيط ، ولغة متواضعة يفهمها الجميع ولكنه أكثر من الأخطاء اللغوية ، وقواعد الرسم ، والنحو ، إذ يرفع المفعول ويجره ، وينصب الفاعل ، ويجمع بين الاسم الظاهر والضمير ، في الفاعل ، على لغة « أكلوه البراغيث » ويأتي بالضاء المشالة بدونها ، وهكذا .

أما محتوى الكتاب فهو عبارة عن سرد مختصر لتاريخ بابات قسنطينة بأسلوب الحوليات ، استعرض فيه الأحداث السياسية والعسكرية والتنظيمات الإدارية لبعض البابات ، واهتم بصورة خاصة بالحروب التي نشبت بين البابليك وتونس ، خلال القرنين 17 و 18 م .

وهناك مجموعة من الملاحظات يمكن إيجازها فيما يلي :

5) Premiere essai d'une histoire de constantine (constantine Felix guende imprimeur et Lithographe. Place du palais 1846)

6) Dournon: constantine sous les Turcs d'apres salah el auri. R.N.M.S.A.C. constantine 1928—1929) pp 61-178.

أولاً : بدأ العتري التأريخ لبابليك فسططينة بعام 1050 هـ الموافق لعام 1640 - 1641 م ، الذي اعتبره التأريخ الحقيقي لدخول الأتراك إلى مدينة فسططينة . وأول باي أرخ له هو الباي فرحات ابتداء من عام 1052 هـ (1642 - 1643 م) وأهل فترة قرن وسبعة وعشرين عاما كاملة من تاريخ البابليك ، وقد يكون معذورا بالنسبة للفترة الغامضة الممتدة بين 1514 و 1567 م ، والتي لا يعرف حكامها وولاتها من الأتراك ، ولكن الفترة التالية لها من 1567 إلى 1647 م ، غير معذور في إهمالها لأن البابليك تكون بصفة رسمية عام 1565 م من طرف البايبرباي حسن باشا بن خير الدين ، وحكمه البايات الخمسة : رمضان تشولاق باي (1567-1574 م) وجعفر باي (1574-1588 م) ومحمد بن فرحات باي (1588-1608 م) وحسن باي (1608-1622 م) ومراد باي (1622-1647 م) ومن غير شك أن عدم معرفته لأحداثها هو الذي دفعه لإهمالها تماماً .

ومعلوم أن هناك خلافا بين الباحثين والمؤرخين حول التأريخ الحقيقي لبداية دخول الأتراك إلى مدينة فسططينة واستقرارهم بها وكل البابليك ، ففايسيت جعله عام 1517⁽⁷⁾ وميرسي جعله بين عام 1519 و 1522 م⁽⁸⁾ ودافيتي جعله عام 1522 م⁽⁹⁾ وليمري جعله عام 1526 م⁽¹⁰⁾ والعتري جعله عام 1050 هـ (1640 م) كما سبق . ونحن نرجع . عام 1514 م الذي تمكن فيه خروج وخير الدين من اقتكاك مدينة جيجل من الجتوين والاستقرار بها قبل انتفاهما إلى مدينة الجزائر .

وقد بذل فايسيت جهودا مشكورة في استقراء الكتب ، والمخطوطات ، والرسائل والأختام وغيرها ، من أجل تحديد هذا التاريخ ، وملء الفجوة التي أحدثها العتري في كتابه ، وتمكن من جمع روايات كثيرة وقارنها ببعضها البعض ، ووضع دراسة لا بأس بها لهذه الفترة ، ولأحداث البايات الذين حكموا خلالها ، وذلك في الجزء الأول من دراسته بمجلد عام 1867 ، في مجلة مجموعة الملاحظات والمذكرات للجمعية الأثرية القسطنطينية⁽¹¹⁾ .

7) Vaysettes : IBID (1867) pp: 276-284.

8) Ernest mercier: histoire de constantine (constantine - marie et biron 1903) p. 191

9) Davity: description general de l'Afrique (ED. 1660) p. 205.

10) CH. Feraud: R.A.F (1866) p. 191

11) Vaysettes: IBID (1867) pp.241 - 352.

وعليه اعتمدنا نحن في وضع موجز تاريخي عن هذه الفترة كذلك ، صدرنا بها كتاب العتري ، وأزلنا ذلك البتر ، وتلك الفجوة في انتظار دراسات أخرى جادة ، وعميقة وشاملة .

ثانياً : ليس هناك توازن في تاريخ العتري ، فكثير من الباهات اكتفى فقط بذكر سنة توليتهم ، وسنة انتهائها . ولا يقل عددهم عن سبعة عشر باها ، والأغلبية أوجز لهم بصفحة ونصف الصفحة والصفحتين ، مثل : علي خوجة ، وحسين بوكمية ، وبوحنك ، وزرق عينو ، وأحمد باي ، وإبراهيم بوصبع ، وعثمان باي ، وحسين باي ، وصالح باي ، ولكنه توسع بصورة خاصة في الحديث عن الحاج أحمد باي آخر الباهات ، وعن أحداث الفرنسيين خلال ذلك . واستغرق منه ذلك ما يقرب من ثلثي الكتاب ، وبالضبط 36 ورقة من جملة 59 ورقة والتي هي كل الكتاب وصله . وقد اتسم تأريخه لأحداث الحاج أحمد باي بالاضطراب والتناقض ، ولم يلتزم التسلسل التاريخي ، فقدم وآخر ، وأكثر من هذا اشد تحامله عليه وعلى الأتراك بصفة عامة ، بكيفية مفرطة ، لا يمر لها إلا الرغبة في التقرب أكثر من الفرنسيين ، أو ضغط الضابط بواسوني عليه ، كما سنوضح فيما بعد .

ثالثاً : لم يذكر العتري المصادر التي اعتمدها إطلاقاً ، ماعدا بعض الروايات الشفهية التي أشار إليها في المقدمة . وهنا يتساءل المرء من أين له كل تلك الأخبار ، وذلك الحشد من المعلومات التي أوردتها ؟ . فإذا كانت حوادث الحاج أحمد باي والفرنسيين معاصرة له وعاشها بنفسه ، فإن أحداث القرنين السابع عشر والثامن عشر بعيدة عنه ، ولا بد أنه طالع عدة مصادر ومخطوطات ، وقرأ عدة كتب ورسائل ، لم يفتن للإشارة إليها ، ولا شك أن دار القفون زاخرة بعدة مصادر ، نرجح أنه اطلع عليها أو بعضها خاصة وأن حمودة بن الشيخ القفون كان موظفاً مثله ، وعين شيخ البلد منذ احتلال المدينة عام 1837 . هذا إلى جانب عائلات أخرى علمية يحتمل أن يكون قد استفاد من تراثها ويحتمل كذلك أن يكون هو نفسه يملك عدة مصادر .

رابعاً : أورد العتري في آخر كتابه نص الاتفاق الذي أبرم بين الحاج أحمد باي ، وأعيان مدينة قسنطينة ، عام 1830 ، بعد عودته من الجزائر العاصمة ، وقصيدة شعرية في مدح

قسطية ، وأخرى من الشعر الملحون في وصف الحرب التي اندلعت بين البايليك ، وتونس ، فقصتها عن الكتاب ، وجعلها ملاحق ، وأضفنا إليها ملحقات رابعة أورده الناصح للكتاب ، المكى بن على بن العمور ، في صدر الكتاب ، هو عبارة عن قائمة لبايات قسطنطين بالترتيب ، والحكام الفرنسيين بعدهم حتى عام 1846 م . وفصلنا عن تأخير ، كما فعل دوريو . وكذلك أضفنا ملحقات آخر لخصاص فيه أحداث الحاج أحمد باي في حال أولاد سلطان ، وبهاية حياته ومطافه حتى وفاته إتماماً للمائدة .

خامساً . كل العاوين التي بالكتاب من وصفا عن تسهلاً للقارىء . أما المؤلف والناصر للكتاب فقد اكتمل فقط بكتابة البايات أو مفتاح المقرات بالخط العريض إشارة إلى ذلك على ما يبدو . وكذا فهرس الموضوعات ، وقائمة المراجع ذات الصلة بالموضوع وفترة المدخل ، إلى عام 1643 فمن وضعا نحن .

سادساً . السحة الخطية التي قما عراجتها ، والتعليق عليها ، من نسخ المكى بن على بن العمور ، وليس لها أي تاريخ ، وعدد أوراقها إحدى وستون (61) ورقة من حجم 21 x 14 ، مسطرة أفقياً وعرضياً ، عدد أسطر كل منها 32 سطراً وطول السطر المكتوب سبعة صانتيما في الثلثين الأولين ، وتسعة صانتيما في الثلث الباقي . غير مرقمة ولكنها مجهزة ومخلدة بسر عريض من الورق النقي ، والمعلف باللون الأحمر الصفحتان الأولى والثانية كتبت عليهما قائمة أسماء البايات ، والحكام الفرنسيين بعدهم والصفحة الثالثة سُجل عليها الناصح ملحوظة عدم تسجيده كلام جده في دم أهل قسطنطين لعدم وجود الورق . والصفحات السبع الأخيرة ، سُجل عليها اتفاق الحاج أحمد باي وأعيان قسطنطين ، والقصيدتان الشعريتان .

سابعاً : في هذه السحة نفس بسيط يمثل في بيان السح لجزء الأحمر من حياة أحمد باي حد الحاج أحمد باي ، والجزء الأول من حياة صاح باي ، وعندما عدنا إلى نص الترجمة الفرنسية للسيد دوريو ، وجدنا ذلك النص ، واعتماداً على ما كتبه السيد فابيسيت لاستدراك ذلك النص في الهامش ، لأنه أوسع وأشمل وأولى مما في النص الأصلي المترجم .

ثامناً : نحامل المعترى كثيراً على الحاج أحمد باي بصفة خاصة ، والأترك بصفة عامة ، وذلك لثلاثة اعتبارات على ما يبدو :

١) لأن الحاج أحمد باي قتل أمه ، أو تسبب في قتله لمجرد وثابة ، عاتب لخص
أبها كاذبة من طرف الباشا حامية على من عيسى ، معادها ومحبها أن محمد ابن
العترى ، لما ذهب رسولاً من قبل حاج أحمد باي ، إلى السوك دوعور ، واناريشان
دامريون ، قائد القوات العرسية في الدرعاك حرب صفة ، في أكتوبر 1837 م ، يسمى
رشوة مهما ليشيع بين الناس ، أن القوات العرسية كثيرة العدد والعدد ، ولا قبل لقوات
الحاج أحمد بمواجهها ، وبدت تحطم معوياتهم ، ويدفعهم إلى الاستسلام دون قتال
واقنع الحاج أحمد بهذه الوشاية ، واعفل كانه ورسوله محمد ابن العترى ، وبعد ثمانية
أيام مات مسموماً ، كما ذكر ابنه بعده ، صالح ابن العترى

٢) لربما يكون رئيسه الصديق يوسف هو من أملى عليه هذا الموقف وحرصه
على نبيه مادام هو الذي اقترح عليه تأليف الكتاب نفسه ، ووضع به خطة ومبدأ ،
لم يكن باستطاعته أن يعصى له أمراً أو يخالفه ، لأنه ولي نعمته ، والهدف هو إبراز
مساوىء هذا الرجل المعلوم والمعاند ، ومساوىء الأتراك وحكمهم بصفة عامة ، وإبراز
محاسن الإدارة العرسية الجديدة حتى يتقبلها الناس ويرضوا بها دون مشاكل وصعوبات
٣) وهناك احتمال ثالث حدّ وحيه ، هو أن صالح بن العترى تطوع بإرادته بتباعد
هذا الموقف ونسائه حتى يتقرب أكثر من سيده وولي نعمته بواسطته ويصل رضاه ،
ورضى كل الإداريين العرسيين فيقولونه في وطنيته ، ويشتمونه بعظمتهم وروعيتهم ، وفي
كتابه ما يبرر هذا من خلال الأمثلة والشواهد التي ستعرضها فيما يلي .

فمن الحاج أحمد باي قال العترى إنه في البدايه لما تعين حكم بالعدل . . . ومن بعد
ذلك تبقى حاج أحمد باي في البلاد هذا الوقت أحكامه بالعدل والسيادة وعلى عطف
الشريعة والرشاد . وقد رآل الطنم والخور ، وذهب أصحاب العمى والمخور . وذكر
أنه ذهب إلى الحرائر العاصمة حاملاً الدوش قبل الأوان ، حتى يحصل على صيت وسمعة
ومكانة أكثر من غيره ، وليستأذن من الداي حين في التحصن من حصومه ، فحصل
على موافقته وقام بقتل كل من الأخويين - أولاد بن زكري ، وأولاد بن محمود ، وأولاد
بن الأبيض ، والشيخ الرواوي ، واستمر على هذه الوصية المرصية أربع سنوات كاملة

وبعد الاحتلال العرسي لمدينة الخرائر عام 1830 ، وعودة الحاج أحمد من هناك ،
ثار صده أتراك البابليك برعامة محمود بن شاكرك ، وعسكروا بالخامة ، وبكى أعيان
قسطية والشيخ بن العمون ، وقصوا إلى جابه ، وساعدوه على الدخول إلى المدينة
والقضاء على رعاء الفتنه والنحلص منهم بالقتل .

وتصرع بعد ذلك لتحصين أسوار المدينة ، وأبوابها استعدادا للأخطار العرسية
المترفعة ، وحصد عدة هرق من قبائل رولاوة ، وواحده نمرد الباى السابق إبراهيم الكريمتى
اللاجيء في المدينة ، وذلك في أحواز سطيف ، ولاحقه إلى المصايب العليا والصحراء
عندما اسحب إليها ، وقصى هناك ما يقرب من أربعة شهور

وعندما عاد إلى قسطية « صرب سكة الدراهم ونفش عديم سكة قسطية ونمهد
له الوطن ، وصارت أحواله مستقيمة ، وناق في سيرة طيبة ، وأحوال مرصبة جيدة ،
بصف المعلوم ، ويفهر الظائم العيشوم ومهما يشكل عليه أمر (كذا) ويعرم على
قصائه إلا ويشاور أهل العقول فيرشدونه ، ولا زال على هذا المنوال برهة من الزمن .
ولما توغل وتمهل له الوطن ، وانقادت له الرعية صارت أحواله غير مرصبة ، انعكست
حقيقته وتبدلت سيرته » .

وبعد أن استعرض العتري قصة الحاج عمار بن رفوطة ، وأحداث عناية مع إبراهيم
الكريمتى ، ويوسف المملوك ، عاد مرة أخرى للتعريض ، والبل من الحاج أحمد باي
بأمثلة وشواهد فقال : « وأما حاج أحمد باي ما يحصل بيده إلا ديوب العباد ، ولا
اتصلت بيده تلك البلاد ، وكان من سابق زمانه أنه ما يعمل شيئا إلا بمشورة الناس
الكبار ، وأصحاب العقول الفصلاء الأخبار ، فيسهل عليه كل شيء صعب ، ويدبوا
إليه البعيد والقريب .. وصار حاج أحمد باي من بعد قصة عناية أموره باقصة عمر
معتادة . ففي عام 1247 هـ (1830 م) قصد الحصنة فلما وصل إليها استولى على أوراق
باسها بالظلم والخور ، وشتت فيهم بالبعي والفجور ، ثم رحل وقصد بلد المدينة .
تراه استظهر إليهم بالصيحة وعاملهم بظاهر المدد ، وحسن السريرة . فحينئذ استأنسوا
لقدمه وتقدموا إليه بالهدايا من الأموال والخيول المسومات ، وطلبوا منه أن يرجع
بأيا عليهم ... ورجع ولد يومرراق في بلد المدينة باي . وكان حاج أحمد باي بالحنلة
مع ناس ذلك الوطن والخدمة . حتى قصى حوائجه ومن بعد ذلك جدعهم وربط

مائة رجل من كبارهم فرغهم مربوطين وفرّ هارباً من وطهم فلما وصل إلى قسطنطينية قتل ذلك الناس كلهم وهدمهم عن آخرهم ، وقد اشتهر ظلمه ، وكثر حوره وبغيه ، وصار يقتل الناس ظلماً وعدواناً ، ويخدع بالأمان فقتل ستين فارساً من أولاد منته في يوم واحد ، ومائة رجل من أولاد أعمر بالحصّة في يوم واحد .

وفي عام 1251 هـ (1835 م) غزا إحدى مناطق الأوراس وعثقل ستين رجلاً من أولاد سعيد ، وقطع لهم أيديهم اليمنى ، وأرسلها إلى قسطنطينية ، وفي عام 1836 م كتب أعيان مدينة قسطنطينية رسالة إلى يوسف المملوك ، حسب رواية العنبري طبعاً ، بهابة التي كان يحكمها تحت سيطرة الفرنسيين ، وطلبوا منه أن ينش هجوماً على قسطنطينية ، ووعدوه بأن يساعدوه على اقتحامها واحتلالها . ومن هؤلاء حسب رواية العنبري دائماً : أحمد الشريف شيخ ربهه ، وفرحات بن سعيد ، والأحضر بن سليمان من دائرة واد بوصلاح ، وأولاد بن بللس ، وأولاد فاهت ، ومحمد بن سجون من الرمول ، وأولاد مقورة بن عاشور ، وفرحات بن عولي من أولاد عبد النور ، ومحمود بن الطيب العباسي من أولاد عبد النور كذلك ، والبعض من مشايخ أمية . وعندما فشلت الخطة وانهزمت الحملة الفرنسية الأولى على قسطنطينية كتب هؤلاء الأعيان رسالة اعتذار إلى يوسف المملوك وهم الشيخ بن المصون ، ومحمد النحاوي قائد الدار ، والحاج المكي بن رهوطة ، وعمر القشي ، وعلي بن حنوح ، والحسين بن سليمان التاجر ، والمرباط العربي ، ومحمد بن العنبري الذي تولى بمسه كتابة الرسالة كما ذكر ذلك في كتابه

وعندما عاد الحاج أحمد إلى قسطنطينية بعد انسحاب الفرنسيين ، واكتشف خيوط المؤامرة ، اعتقل المرباط العربي ، والحسين بن سليمان التاجر ، ونجىء على قتلهم ظلماً وعاداً ، ورغم أنهم من أصحاب الفساد وأنهم كانوا اتفقوا وأرادوا أن يدخل الفرنسيين إلى البلاد . وقد تدخل الشيخ بن المصون لديه ، وحذره من مغبة استمراره في قتل الناس ، فتوقف عن ذلك مدة من الزمن . وهذا لرعا هو السبب الذي جعل باقي أفراد حطة التآمر بسجون من القتل ، ومهم محمد بن العنبري كاتب الرسالة . ويحتمل أن تكون آثار هذه المؤامرة هي التي شجعت الحاج أحمد باي على قتله في العام الموالي .

فهي خلال استعدادات المرسيين لإغار الحملة العسكرية الثابتة على مدينة قسطنطينة خلال حريف 1837 ، أحد الخاج أحمد باي يسعد هو الآخر وظهر عدة كتائب وأرسلها إلى جهات فامة لتعرض القوات المرسية وتبوشها بقيادة الآغا بهملاوى وبوربان العلمى ، وأرسل إليه المرسيون اليهودى ولد بوجاج ، ليحتبروه ويحرضوا عليه شروطهم وحرث بينه وبينهم عدة مرجعات انتهت كلها بالفشل وذكر العترى هنا « أن ولد مرانصة والمارشال المذكور يتكلمون معه بطريق الرينة المراسونية وهو يتكلم معهم العادة العربية فلم يتح شيء » .

« هذه إحدى أساليب العترى في التعريض بالخاج أحمد باي ، والبيل منه ، كما وجد الفرصة لذلك . وتحاوره حتى إلى الخط من الخس العربي المسلم ككل وهو منه كل رلك من أجل إرار حقه ، والقرب أكثر من أسباده المرسيين

وحتى يؤكد الخاج أحمد من مدى قوة وصحامة الحملة المرسية ، والتعرف على إمكانياتها المادية والبشرية ، أرسل كانه الخوجة محمد بن العترى رسولا من قبله إلى قائد الحملة المرسية الدكتور دومور ، والمارشال داريمون ، يتفاوض معهما ويبلغ شروطه إليهما ، ويتعرف عن قرب ، ودون وساطة اليهود ، على شروطهما وعروضهما للصلح ، إن كانت هناك شروط للصلح وليس للاستسلام

وعندما وصل محمد بن العترى إليهما استقبلاه وسماهما ، وسمع هو منهما وكاتب عروض الخاج أحمد باي للصلح تتلخص في استحباب المرسيين من فامة ، والدرعان ، وعبابه ولكن المرسيين رفضوا ذلك وصمموا على استعمال القوة لاحتلال قسطنطينة ، فعاد العترى بتلك الأخبار إلى الخاج أحمد باي ، وأنبهه بأن القوات المرسية كثيرة العدد والعدد ، فاقنع بما جاء به من الأخبار ، وكفقه بأن يذهب إلى قسطنطينة ليبيع العادة هناك هذه الأخبار ، حتى يفتنوا كذلك ، ويشاركوا معه في اتخاذ قرار مناسب للموقف .

أما من جهة ابن الجحاوى قائد الدار فإنه صدق كلام العترى ، واقنع بمخطورة الموقف . وأما الناش حاميه على بن عيسى ، فإنه استنكر رواياته واتهمه بأخذ رشوة من المرسيين لبشيع تلك الأخبار حتى يهرم الناس فيتكاسلوا عن المقاومة ، ويستسلموا

دون قتال للعربيين . وقام بإرسال رسالة إلى الخاج أحمد باي في الموضوع ، فداحله الشك وقام باعتقال محمد بن العتري في الحبس بعد أن عاد إليه . وبعد ثمانية أيام مات مسموما . وهنا قال ابنه صالح بن العتري : « ولما مات رحمه الله تعالى ترك أولاداً منهم العبد الفقير إلى رب الأرباب ، محمد الصالح الناصح لهذا الكتاب ، وإني الآن كاتب بالبيرو بالقرب . وكان الدي ولأبي القبطان بوسنة المتولي أمور العرب . وأنا أقول إن أي نكلم الحق ونصح حاح أحمد باي كما ظهر له قبل صمغ كلام الشياطين ولما بلغه كلامهم مكر به وقتله وهذا ظلم عظيم وأنا لا أنساه أبداً ، وأخدم الدولة بنية صالحة لما علمت من حب أي لها لأنه لو عاش لكاد أول من صارع إلى خدمتها بنصح وجد ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة » .

وعندما صاقت الأمور بالخاج أحمد باي واشتدت ملاحقة القوات العرسية وأهواها ، له وأحد يتقل من مكان إلى آخر في جبال الأوراس والحصنة ، شبه العتري بناس عرابطة في آخر أيامهم . وقال معرضاً به : « لكن صار له مثل ما صار إلى ناس عرابطة حين جاء إليهم الإسيانيون . وكانوا ناسها دائماً مشتعلون بالنهر ، والطرب ، فحين برل عليهم جاءهم الدير وقال لهم تيقصوا وأوقصوا على أنفسكم ، فإن الإسيانيول استولى عليهم ، فقالوا حتى مكملوا هذا الشعل ، ثم جاء إليهم مرة ثانية وقال لهم وصل إلى أبواب مدينتكم ، فقالوا له أيضاً حتى مكملوا الشعل الآخر ، فما زالوا يفرغوا من شعل ويدخلوا في شعل آخر حتى دخل عليهم الإسيانيول واستولى على وطنهم . كذلك حاح أحمد باي صار يتفر من وطن إلى آخر حتى وصل إلى جبل أولاد سلطان ، وصار له ما صار من الشتيت وأهوان ، حتى برل ولد سلطان فراسة على ذلك الجبل كما منذكره آتيا » .

تباهى العتري بقدم السوك دوماً إلى قسطنطينية كحاكم جديد عليها ، وعلى الإقليم بكامله أواخر عام 1843 ، وأشاد بمخضاله ، وحصل مترجمه جورج طوماس إسماعيل أوربان ، ووصف رحلته إلى بانه وبسكرة في مطلع عام 1844 م وملاحظته لبحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان . ومما قاله عن جبال أولاد سلطان ومساكنها : « وهو جبل حصين لكثرة شعبه ، وتصعب طرقاته ، وشجاعة ناسه . وكانوا في زمن الترك لا تنالهم الأحكام ، ولا يعطون مطالب الدليلك بالتمام » . واستدرك بعد ذلك ليعود إلى الحديث

والتعريض بالحاج أحمد باي قائلاً : « وكان حاج أحمد في هذا الوقت يارل عندهم بخيامه وحریمه فلما برل عليهم ولد السلطان المذكور نراه صعد إلى جبلهم بالعساكر والسرصور ، وحمل جيوش العرب من وراء الجبل ، ودوروا له الفتى من كل جهة ، فاهزموا أولاد سلطان هریمه كبره ، واهزم حاج أحمد باي معهم وصاع له ررق كبير ، ومال كثير ، وما نجا إلا نفسه ومات المعص من حریمه في ذلك الهریمه ، وما حل به ذلك . الا من قلة عطفه لما أن جعل رأيه في يد غير العقلاء ، صار به هكذا أو أكثر من ذلك ولو اتبع كلام الناس العقلاء أول الرمان لم نجر عليه هذا الانتحار ، ولكن الأمر مقدر ، ولا ينفع الحذر من القدر » .

وعندما غادر الدوك دوماق قسطنطية في رورته الثانية عام 1846 م استأذن منه كل من علي بن باحمد والأحضر بن وان ، والبوروني ، وبواخراس بن فانة ، وأحمد ولد مفران ، وأحمد ولد أحمد بن محمد حلیمه بحانة ، ومحمد الشادلي قاضي قسطنطية ، والشيخ الحاج محمد بن الخروني ، في أن يصاحبه لزيارة باريس ، فقبل ، ولحقوه معاً بعد وعادوا بمملون ويسبحون بمصائل فرنسا ، وسامتها .

وقد أسى العتري كتابه بخاتمة لخص فيها النتيجة التي أراد هو ، أو طُلب منه ، أن يصل إليها ، وهي عقد معاهدة بين الحكيم التركي ، والعربي ، وإبراز مساويء الأتراك ومحاسن العربيين ، وتشخيص عذر الحاج أحمد باي ، فقال وهو مخاطب قاريء كتابه : « إنك إذا تأملت ذلك حق التأمل ، وجدت بين الدولتين في الأحكام والسياسة فرق كبيراً وذلك لأن الأتراك في بدء أمرهم حتى لم يتمكنوا من الوطن كل التمكن عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحداً ، وحيث تمكنوا صاروا يظلمون الناس ويسمكون دماءهم وبأخذون أموالهم بغير حق ويعذبون ولا يوفون ، ويؤمسون ويعذبون ، كما يعلم ذلك مما تقدم . ولم يزل يظلمهم يرداد حتى تم وجاور الخد ، في ولاية الحاج أحمد باي بن محمد الشريف الذي أحدث قسطنطية رمان ولايته ، فإنه بدع في الظلم وسمك الدماء وأخذ أموال الناس بالباطل العاية وأما عذره وعدم الوفاء بوعدده ، فأمر معلوم عند كل الناس حتى صار لا يأمنه أحد ولو حلف الأيمان المملطة كما يعلم فعله مما تقدم . ومن جملة عذره والرجوع عن الوفاء بوعدده أنه لما أخذ العربيون الجزائر ورجع هو إلى قسطنطية وخاف من قيام الناس عليه وعزله جمع العلماء وأرباب دولته ، وكبراء البلد ، وأعيانهم ،

وقال لهم ما تقولون في أمري ؟ فقالوا له إذا أردت تنفي حاكما وبإهلك أن تفعل شروطا وهي : أن تربل الظلم على الرعية والمعدم السابقة ، ولا تأخذ منهم الزكاة ، والعشور ، لأن الظلم السابق كان سببه الحرائر وهي الآن أحدث فأحاطهم إلى ذلك ، وقبل شروطهم وكتبوا في ذلك كتابا ووضعوا فيه حوائجهم شاهدة عليهم وهم : الحاج أحمد بن محمد ومصطفى بن باش قارري قاضي الحمية وأحمد العاسي قاضي المالكية ، ومحمد العربي بن عيسى ناظر الأوقاف ، والشبح العربي بن الحاج ومصطفى الخليفة وبن ابهاوي قائد الدار ، ومحمد بن العربي قائد الرماله . « وبقي على ذلك مدة قبيلة ثم شرع في نقص الشروط حتى أطلبها كلها ، وتمرد في الأحكام حتى إنه لما تكلم معه في ذلك بعض العلماء القاعدين معه للشروط المتقدمة وساء عن نفسه هم بقتله وبقي على ظلمه وصاق الأمر بالناس ، حتى تمسوا الناس ولاية العراسيس وكان الأمر كذلك »

وبعد أن استعرض العنري محاسن العراسيس حتم كتابه بالفقرة التالية التي تكشف عن مصلحته في التحير والنحي وقال : « وهذا فرق كبير بين الدولتين ، فإن ظلم الترك ليس مخصوصا بمحل بل هو عام في أرضهم الأصلية ، وفي غيرها ، مما تحت أيديهم كما يعلم ذلك من سافر إليهم ، وشاهد أحكامهم بخلاف العراسيس ، فإن أرضه الأصلية أهلها في عاية العافية ، بسبب العدل بينهم وعدم الظلم ، فسار هذا في كل محل تحت أيديهم ، ومن لم يعلم ذلك يسأل العارفين » (12) .

ثامناً ورغم كل ما سبق فإن كتاب صالح بن العنري ، ميفي وسيطل وثيفة مهمة ، وأساسية بالنسبة لتاريخ فلسطين وباباتها ، وبإليكها وبالنسبة لبعض الأحداث العامة التي تحصل بالجزائر ، وعلاقتها بتونس .

وبما أنه معقود تماما حتى في المكتبات العامة ، فقد رأينا إعادة طبعه من جديد في إصدار إحياء التراث ، وإثراء المكتبة التاريخية الحديثة ، وسارعا إلى مراجعته ، ووضع التعليقات ، والتوضيحات المطلوبة على ما عمص منه أو كان غاية في الاختصار

(12) أعدت هذه الفقرات من كتاب العنري وسجلتها القارئ عندما يطلعه ويراجع فيها بعد

وروصعاه عداوين داخلية ، وقدما له بتمهيد عن العرة التي أهداها مؤلف ، وفهرسائه ،
ورودناه بقائمة من المراجع ذات النصلة بموضوعه بعميقا للعائدة ، وذلك في فترة لا تزيد
على ثلاثة أشهر من 1/15 إلى 10/4/1985 م⁽¹³⁾

وإذا كان لابد من الشكر فإن أول من يستحق ذلك هو الأخ الرميل الأستاذ مارك
بجاح الذي وضع تحت تصرف مخطوط صالغ من العسرى مما أثر فيها رعه قراءته
ومراجعته ، ونهجه ، ثم الأخ العاصل عبد الحميد أمير مدير القسم الثقافي بإداعه وهران
المهوية ، وكانه فاسمي الهاشمي ، اللذان أعرا صرته عن الآلة الكانه بدون تأخير مما
سمح بتفديده إلى النصح دون تأخير كذلك بهصل إلى القارىء والباحث في أقرب فرصة
ممكنة ، بعد غياب دام حوالي 140 عاما تقريبا .
واقفه الموفق .

د . يحيى بوهزير
جامعة وهران

وهران - حي الصادقية
الأربعاء 19 رجب 1405 هـ
10 أبريل 1985 م

13 - بعد أن سبنا من إعداد هذه الدراسة مطبع وحلال بدارت مسجيد يوم 21 ، 22 و 23 ربيع 1985 لإلقاء محاضره عن
طبه اسم التاريخ وأساقفته خلفه من الشاعر الذي سبني محمد بن جعفر كتاب العسرى ، ناقشه كديوم بفرساي بضمه
من ثلاث سورب بضمه م بصره بعد ، ولا سبنا ان عمله بمرشد العرة ، صورا ، وقد اتصلت بالباحث بضمه وحدثت عن
جهوده في ذلك

مدخل

بايلىك قسنطية على عهد الأتراك

1837 - 1514

الموقع الجغرافي والشكل التضاريسي والمظهر البشري

يشمل الشرق لمصري ، الرفعة الخمرية الواسعة التي كانت تمثل نابيت الشرق ، أو نابيت قسنطية ، والتي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء مسكرة ووادي سوف ، في حوض ربيع ، ويمر عبر جنوبا ، ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم وبوغة وبرج حمرة (البويرة) ، وسفوح جبال حرقرة غربا . ويحتوي هذا الإقليم على جبال اليبان وحوض وادي الصومام ، وجبال البور ، ومسطبة ، وعانة ، وسوق أهراس ، وعلى سهول العبا المسطبة وكنه جبال الأوراس ، والتماشة ، وسه ، وجبال الحصنة ، وحوضها ، وجبال الرب ولبيدان ، ووادي سوف في حوض وادي ربيع ، ووادي الصحراء الشمالية الشرقية وعلى رأسها مسكرة ، ونقرت ، وورقلة ، بل وحتى وادي ميراب بوادي الشبكة .

والشرق المصري نصف عامة جلي في معظمه ، من حيث مظهر التضاريس ، لمحي في وسطه مسست جبال الأطلس الشمالية البنية ، والجنوبية الصحراوية عند كنه جبال الأوراس ، وليس فيه من الأحواض والسهول سوى حوض وادي الصومام ، والسهول العبا لمسطبة ، التي تمثل الجزء الشرقي من إقليم مهابات العبا الخرائطة إلى جانب مسطبات تسة ، وحوض وادي سوف ، ووادي ربيع ، وسهول عانة وسككدة . تاله تسة لا تأس بها من الرطوبة في الشتاء لارتفاعه ، وقره من جهة البحر الشمالية الوسطية ، وذلك في القسم الشمالي ، أما الجوف الصحراوي فالخفاف أهم ظاهرة فيه ، ويعتمد على المياه الجوفية أكثر من غيرها . وتسة كثافة السكان فيه عالية عبر التاريخ إذا ما قورن بوسط البلاد وعمرها ، وذلك لظروف تاريخية ، وطبيعية كذلك . والحياة الاقتصادية فيه تعتمد على الزراعة وتربية المواشي أساساً ثم النشاط التجاري ، والصناعات اليدوية ، التي كانت تدر على أصحاب مردودها لا تأس به في العرى

العمرانية الكبيرة وعلى رأسها مدينة قسنطينة⁽¹⁾.

وفي عهد الأتراك كانت حدود الهبيك على الشكل التالي

من الشمال البحر ابتداء من طريقة شرق العالة إلى حدود مدينة بجاية التي لم تكن هي وحوض وادي الساحل العربي يدخلان ضمنه .

ومن الشرق الحدود التونسية التي تبدأ من طريقة على البحر وتمتد إلى الجنوب عبر تبسة حتى واحات وادي سوف .

ومن الغرب جبال البيان ، وقرى بني مصور ، وسفوح جبال جرجرة الشرقية والخبوية ، إلى برج حمرة ، وقرنتي : سيدي محرس وسيدي عيسى ، اللذين تفصلانه على بايليك التيطري في الجنوب العربي .

ومن الجنوب الصحراء الكبرى عبر المأهولة جنوب واحات وادي سوف ، ونصرت ، ورغلة ، ومزاب .

وبحكمه نائب عن الباشا بالخرائر العاصمة يحمل لقب الباي ، وقسم إداريا إلى أربعة أقسام على كل منها حاكم مستقل عن الآخر يخضع مباشرة للباي بقسطنطينة وهي : القسم الشرقي ويشمل مواطني الحماشة ، ووادي رباتي ، وعامر الشراقة ، ومن أبرز زعمائه الأحرار كبار الحماشة .

والقسم الشمالي الذي يمتد من عاية إلى بجاية ، ومن أبرز زعمائه أولاد بن عاشور في فرجوة ، وأولاد بن عز الدين في الزواغة .

والقسم الغربي ويمتد من سطيف إلى جبال البيان وقرى بني مصور ورووعة ، ومن أبرز زعمائه أولاد مقران بقلعة بني عباس ومجانة .

والقسم الجنوبي وأهم زعمائه الدواودة ، وأولاد بن عاية

(1) من عدد الموضوع نظر مقال : «عالة الانتصاف والاحتجاج بالجنوع الغربي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر»
عدد 80 (خريف - مارس أبريل 1984) من 159 إلى 186 . ولقد أفضته في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ المغرب
وحصاره الذي انعقد في مركز الأندلس بحرب مدينة وهران أيام 26 و 27 و 28 نوفمبر 1983 تحت إشراف ورعاية جامعة
وهران .

وسكان البايك من العرب ، والقبائل ، والشاوية ، تربط بينهم العقيدة الدينية والدة ، والعادات والتقاليد ، والمصير المشترك كذلك ويحكمهم قواد وشيوخ يختصون للباي مباشرة أو بعض حلفائه ، الذين يساعدونهم الكتاب والكنة المحلية في رمالانهم . ويبلغ عددهم حوالي 35 شيخا ، وقائدا وحاكما منهم :

- 1 — شيخ الحنانشة ونحته 12 قبيلة .
- 2 — شيخ العرب بالراب (بسكرة) ونحته 11 قبيلة من البدو الرحل
- 3 — قائد الحراكه أو القائد العواسي الذي يقيم بمدينة فسطاطية لأهميته ، ونحته 32 قبيلة صغيرة تشمل معظم سكان الشاوية .
- 4 — قائد الحنانشة .
- 5 — قائد الرمول ، وهي قبائل عسكرية ، ونحته حوالي 20 قبيلة
- 6 — قائد الأوراس ونحته 12 قبيلة .
- 7 — قائد عامر الشراقة ونحته 6 قبائل .
- 8 — شيخ الدبر أو أولاد يحيى بن طالب في جهات تبسة .
- 9 — شيخ بلزمة ونحته 13 قبيلة .
- 10 — قائد أولاد إبراهيم ونحته 11 قبيلة .
- 11 — قائد سكيكدة ونحته 9 قبائل .
- 12 — قائد رارديرا ونحته عدد كبير من سكان القبائل
- 13 — شيخ فرجوه ونحته 6 قبائل .
- 14 — شيخ الزواغة ونحته 4 قبائل .
- 15 — قائد أولاد عبد النور ونحته 31 قبيلة .
- 16 — قائد أولاد التلاغمة .
- 17 — قائد عامر الغرابة ونحته 5 قبائل .
- 18 — شيخ فصرالطير بريجة .
- 19 — شيخ أولاد مفران بمجانة ونحته 13 قبيلة .
- 20 — قائد أولاد دراج في الحضرة .
- 21 — قائد تبسة .

22 — قائد ميلة .

23 — قائد مسيلة .

24 — قائد زمورة²⁾ .

ويمكن أن تلخص فيما يلي أوجه البعث الإدارية في مدينة قسطنطينة وإقليمها التي تطورت مرور الزمن طوعا ودفع حياء في درسه فإيست التي اعتمدت بدورها على عدة مصادر ومخطوطات محلية أخرى .

الجهاز الإداري للبايليك :

يألف إدارات باييك قسطنطينة من أجهزة إدارية متعددة في المدينة والأصريف يمكن أن نميز منها الأجهزة التالية :

أولاً : ديوان الأوجاق :

ويألف من رجال اصريف أو أعضاء الحكومة الذين يعيّنون بالدي ، ويشتركونه في إدارة الباييك ، ويعتقدون بالسلطات العليا إلى حايه ، ويعيّنون به بصفه مباشرة ، ويشتركون معه في اتخاذ القرارات ، وهم :

1) الخليفة وهو مسئول عن شؤون الأوطان أو أماليم الباييك ، ويجمع له القواد ، ورجال الميشتب المنظمين ويعظم عمية استخلاص الضرائب ويتولى إحصاء السكان بحكومة الباييك ، ويذهب مرتين في العام إلى الخرائير العاصمة في الربيع والخريف ، يحمل الدوش إلى الناس ، وذلك عند عدم دهاب باي بصفه

2) قائد لدر وهو بمثابة شح السدية حانياً ، أعما متقاعد ، مكلف بالإدارة وشرعه لمدينة ، ويتولى رجال اميليشيا برواتهم الشهرية وتحت مسئوليته إلى القسم الأكبر من أملاك الباييك وعقاراته ، ويحارب الخوب ، وأئمة المساجد ، ووعاظها ، والمعصاة ، والمغاني ، الذين عليه أن يدفعهم أحورهم ، وأوراقهم المستحقة وإليه يعود أمر حفظ الأمن بالمدينة .

2) E Vayssettes Histoire de Constantinople sous la domination Turque de 1517 à 1837 Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de La province de constantine (constantine , 1867) pp 264-267

3. العاد أو المقتصد . وهو صاحب السلطة على كل المصالح المالية ، والإعاق ، وجمع الضرائب ، وإعداد أموال الدوش التي ترسل إلى العاصمة .

4. قائد الدائرة أو آغا الدائرة . وهو أحد رؤساء مرسان المحرر . يدير فرق الصوم غير المنظمة في الأرباب . ويتولى توفير ما تحتاج إليه ، ويخرج مع الباي لمعاينة القبائل العاصمة .

5. الباش كاتب ، أو الكاتب العام . يحرر ويصحح الرقيات ورسائل الباي وكل ما يتصل بشؤون السياسة للباييك ، ويحدد له دفتر يحمل فيه كل أموال الباييك كالنفود ، والأحصه ، والعمال ، وقطعان الأعمام ، ويخرج مرة على مرة للمراقبة ، ويتعم رسائل الداي ، ويستقبل رسائل الآخرين الواردة على الباييك ويحرر رسائل الموطعين في الباييك ، ويخصص له كتاب يتولون تحرير محاضر المحسات المصدة بالعدانة والمراسلات العامة بين الباي ، والمعلماء ، والقواد .

6. الباش سبار . وهو مسئول عن قافلة البريد ، ويحمل معه رسائل الباي ، إلى الباشا بالخراتير العاصمة ، ويعود برسائل الباشا إليه . ويصحب الخليفة إلى العاصمة عندما يحمل الدوش إلى الباشا .

7. باش سايس ، أو قائد الرمالة . مسئول عن حيوانات الباييك ، وحمايتها ورعايتها والاعتناء بها .

8. باش شاوش . مكلف بتنفيذ الأوامر الموجهة إلى الأتراك ، وتوضع تحت مبطرته كتيبة من اخود الإنكشاريين وقرقة من مرسان الصبايحية الكراغلة ، وقوات أخرى من المحرر لتدعيمها .

9. شاوش الكرسي . وهما من الأتراك ، ويتوليان وظيفة الخلد ، ويسيران أمام الباي عندما يخرج ، ويتوسطان بينه وبين بعض المسؤولين الأجانب في مسائل السلم ، وتمتين الروابط ، ويقضيان لسان في الاجتماعات العامة سلامة وتحياته . ويقومان بجلد من يأمر الباي بجلبدهم .

ثانياً الموظفون الذين لا يتصل بهم الباي مباشرة

- 1 . آغا الصبايحية . وهو مسئول عن الصبايحية ، واشواش الذين يقومون بدور المساعدين .
- 2 . شاوش محلة الشتاء . مكلف بتوزيع ما يحتاج إليه جمود المحلة من المؤن والأعدية ، والخيام ، والأحشاش التي يتوصل بها من قائد الدر مباشرة
- 3 . باشا العلم . وهو الذي يحمل النعم أمام الباي عندما يخرج في مهمة سواء في السلم أم الحرب .
- 4 . باش الطيل . وهو رئيس الطول التي تصرب وتدفق في حالات الحرب والسلم كذلك ، للنعير وغيره .
- 5 . باش المكحل . وهو رئيس حرس الباي الخاص ، ويحمل أسلحه الذي في الحملات العامة ، ويحكم مرسان الحرس الدائم لباي
- 6 . باش حرباجي . يسحر لحراسة قوافل المحلة التي يستخلص الصرايب من الناس . ويتكلف بإعداد الأحصنة والخيول لحمل هذه الصرايب في كل مرحلة من مراحل هذه العملية . ويحمل أمتعة الباي عند سفره .
- 7 . باش مانا . وهو مسئول عن إعداد وتقديم العال ، والأحصنة ، لنفاذ التي يقودها الباي للقيام بعارة معاجة .
- 8 . قائد موهر باشا ، أو حوكة الخيل . وهو مسئول عن نشيط سير البغال والأحصنة ويصحب الخليفة إلى مدينة الحراتر عندما يحمل الدوش في الربيع ويتكلف بإرسال أمتعة القافة من عاصمة الحراتر إلى عاصمة الباهليث في عودتها .
- 9 . باش سراج . وهو مسئول عن اصطلات الباي في عاصمة الباهليث .

ثالثاً موظفو قصر الباي :

- 1 . قائد المنصورة . ويمثل وظيفة مفتصد قصر الباي الخاص .
- 2 . باش الفراش : ويتكلف بفراش قاعات القصر .
- 3 . قائد الخيرة . ويتكلف بحيرة الباي وتزويدها بالأموال اللازمة وتعهدها .

- 4 - قائد السيولة ويحمل مصبة الناي في الأمطار ، والحرارة
- 5 - قائد السبسي ويتكلف بعبودية الباي ، ويعتد به حشيشه الدخان
- 6 - قائد الطاسة ويتكلف بحمل أدوات شرب لقهوه من القصة خلال سفر الباي .
- 7 - باش قهوجي ويقوم بإعداد لقهوه وتعدبها لباي ومقبوه بالعصر
- 8 - قائد السرية وهو الوكيل الأول من الذي ، ويكون حصبا أسود ، ويدعى آغا الطواشي .

رابعاً : موظفو المدينة الذين يتصرفون لقائد الدار

- 1 - أمين الخبازين .
- 2 - أمين القصة .
- 3 - قائد الباب ويكون مسئولاً عن السلع التي تدخل إلى أسواق المدينة بلجدره ويستخلص من أصحابها الضرائب والمكوس المعتبرة وفي العادة يكون له كاتب خاص ، وعدد من المعلنين ، والمساعدين .
- 4 - قائد السوق أو مفتش الأسواق :
- 5 - قائد الرمل وهو مسئول عن تنظيف الشوارع والأسواق والحرب
- 6 - قائد القصة ويسمى في الحرائر العاصمة بالمرور ، وهو مسئول عن شرطه المدينة في الليل ، ويخرج مع جميع العيال لمراقبة والعيش والتفقد
- 7 - الراح في الأسواق والساحات العامة تتبع الناس أوامر قائد الدار ، والذي ، والخيمة ، خاصة قصايا الإعدام ، ويصاحبه شوش الناي
- 8 - باش الحمام : وهو مسئول عن العمال ، ويتولى تجهيزها عند القيام بحملة ما
- 9 - وكيل بيت المال ومن مسئولياته إعانة الفقراء والمساكين والتصرف في الموارث التي لا صاحب لها ، وحفر القبور ، وحماية المقابر ، ويضع الناي دائماً تحت تصرفه منعا من نال من الحرية العامة لمواجهة هذه المشاكل⁽³⁾

3) E. Vayssières histoire de constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 recueil des notices et mémoires de la société de la province de constantine (constantine 1867) pp 241 — 256.

الجهاز الشرعي والديني بقسطنطينة :

يوحد بمدينة قسطنطينة معن ، وقاصر ، ملكي لعموم الدس ، وقاصر حصي للأترك والكراعنة ، وعدلان ، وناظر للأوقاف الإسلامية ، يؤلفون جميعاً المجلس الشرعي الإسلامي الذي يجتمع كل يوم جمعة لسطر في القصر ، ولعدوى شعبة ، ويرأسه أباي ، أو قائد الدار .

ومدينة قسطنطينة أكثر من مائة جامع ، ومسجد ، وراوية ، وكتاب يحصل بها أئمة ، ووعاظ ، ومرشدون ، ومؤدبون ، وقبوض ، وحراب ، ومعلمون بقرآن الكريم ، ومدرسون للعموم لدينية ، ولأدبية ، ويوحد بها أمير الركب الذي يقود فافلة جمع إلى بيت الله الحرام كل عام . وكانت هذه الوظيفة في أيدي عائلة أولاد عبد مؤمن ثم انتقلت إلى عائلة أولاد بن العمون⁽⁴⁾ .

مداخل الباهليك ، وموظفوها

تعتمد بحرية الباهليك على الموارد الثلاثة التالية :

أولاً الصرائف كالحكر على الأراضي ، والعشور على الحبوب ، وصرائف النس ، والعمامات القدية على القبائل البعيدة ، دراهم وعمرها .

ثانياً عوائد أراضي الباهليك ، وبمسكانه المحصنة ، كالمزارع ، والأحواش ، ولأراضي المؤجرة لعمامه وسعرن ، وأراضي الأوقاف

ثالثاً عوائد التوب والعمومات ، وحجر ، وصرائف أخرى غير عادية

ومن ضمن موظفي الإدارة المالية في الباهليك :

- 1 — قائد العشور ويتكلف بتحديد صرائف حبوب الحرت
- 2 — قائد المخابري ويتكلف بتحديد صرائف أراضي الباهليك
- 3 — قائد عرب الجمال : ويتكلف بحراسة جمال الباهليك .
- 4 — قائد عرب البقر ويتكلف بحراسة أبقار الباهليك .
- 5 — قائد عرب الخيل ويتكلف بحراسة قطعان الصم سامحه للباهليك

6 باش حرباخي ، أو قائد امهور باشا أو حوجة الحمل كذلك⁵⁾

قوات البابليك العسكرية :

تتألف قوات البابليك من حوالي 49 ألف رجل مواعن هكذا
22000 من المشاة .

23000 من الفرسان الخيالة

ويتمنون إلى ثلاث نواب : الميشيا والرمون ، ودائرة المخرن

— حدود الميشيا يخدمون من الأتراك ، وبعض الكرغنة ، ومهمتهم الخدمة في النوبة
(انسكر) والمشي مع بحنة الدوش ، ومع قواصل العرب في الحروب
ومن أشهر النوبات في البابليك :

— نوبة قسطنطين وعدد أفرادها 73 عسكرياً .

— نوبة حماة وعدد أفرادها 71 عسكرياً .

— نوبة بسكرة وعدد أفرادها 72 عسكرياً .

— نوبة بجاية وعدد أفرادها 44 عسكرياً .

— نوبة تبة ، وعدد أفرادها 29 عسكرياً .

— نوبة جهيل ، وعدد أفرادها 29 عسكرياً .

— نوبة برج حمرة (بومرة) وعدد أفرادها 15 عسكرياً

— حدود الرمول أو رجال الرماله ويجندون من قبائل المخرن ويمسكرون عادة في
عين مينة بين قسطنطين وباتنة ويرأسها قائد يعرف بقائد الرمال

— حدود الدائرة وهم رجال حرب ومرسان ، يتفوقون من كل القبائل ويرأسهم
رجل يحمل لقب : أعما الدائرة ، ويقوم بمدينة قسطنطين ويبلغ عدد أفرادها حوالي ألف
فارس يمسكرون في عدة أماكن منها :

— دائرة الوادي في وادي بوسلا بين عين الحشبه وحميد

— دائرة السراوية في السرا جنوب ميلة .

— دائرة وادي زياتي في قرقة .

— دائرة قطية .

وعندما نذهب النخبة إلى الخرائط العاصمة لحمل صرائب الدبوش تمر على المراكز التالية التي تأخذ في كل منها قسماً من الراحة ، وتعرف بالقفاق ، وهي : شر البقيرات ، ودراع العبول ، وركاب ، ومجار الحمار ، وسطيف ، وعين تاعروط ، وسيدى مبارك ، ودراع لحر ، ومجانة ، وبني منصور ، والدهوس ، وحمرة ، وبني هبي ، ودراع البرال ، والحوش ، ومتيجة ، والجزائر العاصمة .¹⁴⁹

بداية حكم الأتراك في قسنطينة وإقليمها :

في ربيع عام 1514 تعاون حير الدين ، وعروج ، التركيان ، ورفاقهما ، وشرعوا مدينة جيجل من الخسويين الإيضايين الذين اتخذوها مركزاً لهم لصيد المرحان في الشرق الجزائري ، وحاولوا أن يستخلصوا نخابة فلم ينجحوا ، وفي الوقت نفسه صابتهم الأمير الحفصي بتونس فغفلوا فاعدتهم البحرية من خلق الوادي إلى جيجل ، وهناك استنجد بهم سكان مدينة الجزائر عام 1516 فلبوا الرعدة ، واتجهوا إليها بقواتهم البرية والبحرية ، وغرکروا بها ، وقصوا على المعارضين لهم ، وذهب عروج إلى تونس لمعاينة أميرها الريناني الذي تعاون مع الإسبان ومن هناك أخذ طريقه إلى تلمسان ليلحقه سكانها عام 1517 ، ولكن الإسبان تمكنوا من قتل أخيه إسحاق في قلعة بني راشد ، وقتلوه هو عدرا في المالح بعد أن قر من تلمسان نتيجة لعدم سكانها به وذلك عام 1518 م

وبقي مركز أخيه حير الدين بالعاصمة معرضاً للخطر فاتفق مع كبار سكانها على إخاق الجزائر بالخلافة العثمانية في العام نفسه وأرسلوا وفداً إلى السلطان سليم الأول

في مصر ليحبره بذلك قبل ، وأرسل قطعان التولية لخير الدين باهراي عليها ، وألحق
جدي انكشاري ، وكمية من الأسلحة ، فقام خير الدين بتنظيم الإدارة واستقر هو
بالعاصمة ، وعين نائباً عنه في الناحية العربية يدعي محمد بن علي اتحد شرشال مركزاً
له ، وعين أحمد بن القاصي نائباً عنه في الناحية الشرقية اتحد دللس مركزاً له .

وفي عام 1521 م نشبت مشاكل بينه وبين أحمد ولد القاصي أمير كوكو ، فاضطر
أن يسحب من الخرائر ويعود إلى حيحل مركزه الأول ، ليستأنف مشاطه البحري
ويرقب الأمور من هناك عن كثب . فجدد صلاته بالسكان ورعماة العائلات الكبرى
واهتم بأمر المراكز العمرانية المهمة بالمنطقة الشرقية كمواطن استراتيجي ليركز سلطته
ويوسعها .

وعلى أساس هذه السياسة عرا مدينة القل في العام نفسه 1521 وسيطر عليها وركز
مها حامية عسكرية من 200 حدي انكشاري ، وعرا مدينتي : عانة وقسطنية في العام
الموالي 1522 م ، وركز بالأولى حامية من 1500 حدي ، وفي الثانية 600 حدي
انكشاري برأسها صباط يحملون لقب قائد العسكر . وكان اسم قائد حامية قسطنية
يوسف . وأعطى الحرية لكل قائد في سلوك السياسة التي يراها تجاه السكان ، وحثهم
على تحسين علاقاتهم ونتميها معهم لضمان تمويه حمايتهم العسكرية بتلك المدن ، خاصة
قسطنية التي يصعب تمويهها من البحر ، ولا بد من تمويهها برأ من الأسواق المحلية
ولذلك ربط القائد يوسف صلات حجة مع الشيخ العمود شيخ اللد الذي مكه من
الاتصال والتعاون مع أولاد يعقوب بن علي الهلالين الذين يتحكمون في منطقة واسعة
بقسطنية من عانة شرقاً إلى سلف عرا ، وإلى تغرت جنوباً ، وتعهدوا فعلاً بتزويدهم
بأمون مقابل الحصول منه على البارود بكميات كافية

وبعد أن عاد خير الدين إلى الخرائر العاصمة عام 1525 م وحرر قلعة البيون عام
1529 ، وهرم حملة اندري دوربا الخوي في شرشال عام 1531 م ، عرا تونس وفتحها
عام 1533 م ، ولكن شارلوكان الإسباني استجاب لطلب الملك الحمصي الضعيف وشن
حملة على تونس في العام الموالي 1534 م ، واضطر خير الدين أن يسحب منها برا إلى
عانة ، ومن هناك ركب البحر إلى الخرائر العاصمة ، ثم إلى ماهون بالبيار ، وحنف
وراءه بعانة حسن أعما ساردو على رأس قوات أخرى وطلب منه أن يقودها إلى الخرائر
برأ عبر قسطنية :

وعندما وصل إليها وأراد الدخول للراحة معه التمسكان من ذلك ، وبدخل الشيخ
يعقوب ، ولقائه يوسف ، وأقنعوه بالتمركز خارجها ، وبعهدوا بترويضه بكل ما يحتاج
من مؤن ، وبعض التعويضات بعد ، فأخذ يربطه إلى حيحل حيث أخذ المراكب بحراً
إلى العاصمة .

وقد عاب الحامية التركية قسطنطينية مشاكل كثيرة بسب الصراع الذي كان قائماً
بين الحاشنة ، وأولاد يعقوب على السلطة والنفوذ ، والخطوة ، واصبر القائد يوسف أن
يستجد بأولاد يعقوب في الحبوب ليضع حداً لمحاولات حاشنة ورغم المضاعفات التي
حسبت في سهل مضاف ، فقد توصل كبار القوم من نظريين إلى الاتفاق على أن
يسمى حاشنة في شرق مدينة ، ويتوحد في حرب ، والعص دحجها وكان لهذا
الاتفاق أن داحس في وضع عدلة ، أسس لترويض الحاميات التركية بالمؤن المطلوبة
سهولة ويسر

وعندما عين حسن أغا ساردو قسطنطينية العنابية ، حلفه حسن فورصو في
مصب البهرياني على الخرائر ، وقرر تركه عدة حاميات بركة في أماكن استراتيجية
بالعلم فستعينه ما بين عامي 1540 - 1541 ، ومنها صور ، وبرج بوعمرج ،
واسيلة ، والبيرة ، وهم يعين بوعمرج من عاشور فتح العرب على رأس الدواودة ،
شرق قسطنطينية ، وعبد العزيز من فقه سي عباس حلفه على محام عام 1542 ، فقام
بتوسيع مملكته إلى الزاب ، وبسكرة وأحصنها لسطنته .

وعندما عين حسن بن خير الدين مصعب البهرياني لأول مرة عام 1544 إلى 1552 ،
كف حليفه محام عبد العزيز لمحاربة أحمد بن مصطفى الذي كان مديراً عبد الأثر ،
فهي بالأمر ووسع نفوذه وسيطرته حتى إلى البنا عرماً وسكرة حنونا ، وريوات
حرة الشرقية عرماً ، ومصايف حراصة شمالاً بالناور ، وقد وافق حسن بن خير الدين
على أن يعرض أولاد يعقوب بن علي سيطرتهم على المنطقة الممتدة بين قسطنطينية والعلمة ،
والأحرر شوح الحاشنة سيطرتهم على شرق قسطنطينية ، وعبد العزيز سيطرته على أسطقة
العربية من مطيف إلى البيرة .

وما نوي صاح رئيس مصعب البهرياني في أعوام 1552 - 1556 ، عرا الحبوب

القسطنطيني ، وسيطر على ورفنة وتمرت وقصى على إمارة بني جلاب في تمرت ، وكان من حسن ما ساعده في ذلك شيخ العرب بوعكار ، وعبد العزيز حليقة بحانة الذي طلب منه أن يخصص له المنطقة الممتدة من بسكرة إلى المسيلة فرفض صالح راييس ذلك ، فأظهر عبد العزيز تدمره ومعارضته التي انتهت بإعلان عصيانه فيما بعد ، ومحاولته التحالف مع أحمد ولد القاصي الذي كان حصصا وعدوا له ، ولم يكف هذا فقام بمهاجمه ومحاصرة الخاميات الركية في رمورة ، والرج ، والمسيلة ، والنويرة ، وشنت الحرب بينه وبين صالح راييس ، وابنه محمد بن صالح راييس ، وشوا عليه حربا شعواء طوال ثلاث سنوات ، من 1552 - 1554 ، وحصلت معارك طاحنة راح ضحيتها عدد كبير من الطرفين وتم تدعيم الخاميات الركية المشر إليها بعد أن كانت قد انسحبت من أماكنها بسبب فتاوة الحروب ، والمعارك ⁽⁷⁾ وتمكن صالح راييس عام 1555 من اقتناك مدينة بحاية من الأسبان وتحريرها ، ووضع بها حامية عسكرية من 600 رجل بقيادة صاهد تركي .

وبعد عودة حسن بن خير الدين إلى الجزائر على رأس السبيث في نفوم 1557 - 1561 تفاوض مع ولد القاصي ، أمير كوكو ، وتزوج منه لقربه منه ، وحاول أن يتفاوض مع عبد العزيز حليقة بحانه ولقنة فرفض ، وشنت الحرب بينهما وقتل عبد العزيز كما قتل أخوه الفصل منه على عهد صالح راييس ، وحنقه أخوه أحمد أمقران الذي منحه العائلة بعده اسمه أولاد مقران أو المقرانيون .

تفاوض أحمد أمقران مع حسن بن خير الدين ومن شروعه لتصبح عام 1559 تنقسمت سلطته على الريان ولقنة الغربية لواءى الساحل

وفي الولاية الثالثة حسن بن خير الدين التي بدأها عام 1562 ، جلب معه السطون العثماني أن يساعد بحاية الإسبان في وهران ، وعمران مالقة في جربة ومالقة ، فكتب إلى

رعماء قسطنطين وقيمها رسائل يحثهم فيها على الاستعداد وتجهيد الناس ، وقاد الحملة الأولى على وهران في أبريل 1563 م بمعية أحمد أمقران الذي قاد 12 ألف رجل من مملكة بالييان ، وكذلك قائد حامية قسطنطين الذي قتل أمام أسوار وهران خلال المعارك والمشادات ، وتولا استدعاء السبعا العثماني له على عجل ، لم فتح الباييت⁽¹⁾ .

تكوين باييك قسطنطين :

ومن أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة قرر حسن بن حم الدين تقسيم الخرائر إلى ثلاثة أقسام كل منها يحمل اسم باييت ، هي باييت العرب وباييت النبطي وباييت الشرق أو باييت قسطنطين ، هذا إلى جانب باييت الخرائر العاصمة ، في الوسط الذي يحمل اسم دار السلطان كذلك ، ويحكم كل باييت نائب عن الباشا بالخرائط يحمل لقب الباي ، بمساعدة مجلس ديوان صغير ، وعدد من الأعوان وفي السنة نفسها عين حسن بن حم الدين على باييت العرب ، المدعو بوحديجة ، ومعه في مدينة مارونة ، أما باييت قسطنطين فتم تعيين باي عيه إلا بعد عامين من هذا التاريخ أي عام 1567 ، وهو المدعو رمضان نشولاق باي . ندى بفي في مصره حتى عام 1574 م كما سيأتي .

رمضان نشولاق باي 1567 - 1574 :

عنه الباييرباي محمد بن صالح رايس في هذا المنصب ، وذلك في ظروف صعبة ، ومشاكل معقدة في الإقليم . وحسب رواية هابيت فإن تعيين رمضان نشولاق باي في هذا المنصب تم حسب الكيفية التالية :

في عام 975 هـ (1567 م) حصل اتفاق بين سكان مدينة قسطنطين على تكوين وفد وإرساله إلى الباشا بالخرائط العاصمة ليشرح له أوضاع المدينة المتدهورة ، وتألف هذا الوفد من الشيخ عبد الكريم الففون ، والمعنى عبد اللطيف الصباح ، وعدد من الشخصيات المعروفة ، وسافروا واستقبلهم الباشا محمد بن صالح رايس الذي حلف حسن

بن خير الدين ، وسمع شكواهم وتظلماتهم وبينا هم بمدينة الخرائر سمحوا بقيام سكان مدينة قسطنطين بثورة ، وهجومهم على الحامية التركية بها ، وقتلهم للحاكم التركي ، فحاصروا أن يسلط الباشا عقابه عليهم ، فعزوا ليلاً إلى بلاد القبائل وعندما علم الباشا هروبهم أمر من لاحقهم وأعادهم إلى العاصمة وسحبهم بعض الوقت ثم أطلق سراحهم ، وصحبهم معهم في حمته التأديبية على مدينة قسطنطين وفتح له السكان أبواب المدينة دون قتال فدخلها وفحص على رعماء القننة وقتلهم ، وسجن عدداً آخر من الموروثين ، وباعهم عبيداً ، وأعاد للمدينة أسما واستقرارها ، وبعد ذلك قام بتعيين رمضان تشولاق بايا على المدينة والبايلىث ، وفعل راجما إلى العاصمة ليحل هو الآخر ويعين بدله الملح على المرطاس بالمرباي على نهاية الجزائر كلها .

وفي عام 1570 ذهب الملح على لمهاجمة الإسبان في تونس وصحب معه الفائد رمضان تشولاق باي ، وفي سنة أن يعاقب الأمير الحمصي مولاي أحمد الذي أحلص في تعاونه مع الإسبان ، واصطدم بقوات هذا الأمير الحمصي في باجة وهرمه ، واصطر أن يهر إلى حلق الوادي ، فعاد الملح على إلى الخرائر ، وعاد رمضان تشولاق باي إلى قسطنطين .

وحلال هذه الفترة قام بعض العصاة باحتطاف الشيخ عبد الكريم الفصون ، والمعني عبد اللطيف المصاح ، وصهره مرور الشرفة ، وقائد جيش المدينة ، بيما كانوا يتمسحون خارج المدينة ، ويبدو أن ذلك كان وفق خطة ومؤامرة مبركة ، وتدخل أحد الرعماء دوى الخطوة والمكانة ويدعى الرئيس العباسي ، فأطلق سراحهم بعد أن قدم للمحتظفين مجموعة رؤوس أغنام كفدية .

وفي عام 1572 اندلعت بقسطنطين ثورة أخرى واستعمل الباي رمضان تشولاق قسوة وشدة في القصاص عليها ، وفي العام الموالي تكدت الثورة وعمت معظم البايلىث واصطر تشولاق باي أن يستدع بقوات بحرن الدواودة ، والبايلىرى عرب أحمد بعد أن ثار الحاشنة في شرق البايلىث ، وأولاد مفران في غربه ونوسط أحمد بن بوعكا الدواودي لدى الحاشنة فأقبحهم بوضع حد للثورة والتمرد ، ولكن انقرايين رفضوا هذه الوساطة رغم أن بوعكار صهر لهم وفي وسط هذه الاضطرابات شارك سكان البايلىك في الهجوم على تونس بقصد تحريرها من الإسبان . وفي عام 1574 عرا البصاري مدينة عانة

واحتلوها ، هرب منها الشيخ سيدى حليلة بن سيدى عيسى إلى قسطنطينة ، وتوفي بها
وبني علي قبره مسجد قرب باب انقطرة . وفي العام نفسه دعي رمضان تشولاقي باي
إلى الجزائر ، وعوض بجعفر باي⁹ .

جعفر باي 1574 - 1588 :

سلط سياسة حكيمة فوثق صلته بالعائلات الكبيرة ذات النفوذ والمكانة في المدينة
والبابليك ، ورود الطبع على بعدد من الجود الانكشاريين ومرسان الفخريين خلال حملته
صد سلطان المغرب عام 1576 . وفعل الشيء نفسه مع حسن قريبانو في حملته صد
الإسبان . وفي عام 1580 ذهب إلى الجزائر العاصمة ليقدم ثباته إلى الباشا الجديد جعفر
باشا الذي يحمل نفس اسمه ، وصحب معه عدداً من رعماء البابليك وعلى رأسهم أمير
بني عباس الذي حمل معه إلى الباشا هدايا كثيرة ومتنوعة منها ستة آلاف روبل أو
ما يعادل 2400 ريال إسباني ، و 400 جملاً ، و 1000 حروف¹⁰

وفي عام 1582 حصل طاعون في قسطنطينة ، وإقليمها ، ومات خلق كثير ومرت
السنوات دون أن يعرف ما جرى خلالها إذ لم نحدثنا المصادر على ذلك وفي عام 1588
استدعى جعفر باي إلى منصب آخر ، وحلعه محمد بن فرحات في منصب الباي على
بابليك قسطنطينة الذي دام حكمه عشرين عاماً تقريباً .

محمد بن فرحات باي 1588 - 1600 م :

لم يكن من أصل تركي وإنما هو من سلاء مدينة قسطنطينة حلف جعفر باي الذي
استدعى إلى القسطنطينية ، سلك سياسة سلمية بنفسها فيما يخص التقرب من القبائل
وزعمائها ، ويبدو أن طيته هذه فسرته القبائل بالصعف فرفضت أن تدفع له الضرائب
المطلوبة منها في الأوقات المناسبة ، وعجز هو عن دفع أجور جنود الميليشيا ، وتوفر
نفقات الحروب والمروءات التي كان يقوم بها صد العصاة والمتحدين ، وكان ذلك من
المشاكل والصعوبات التي عاينها خلال حكمه

9) Berbrugger : IBID.p.101 voysettes. IBID.p.111.

10) Voysettes / IBID.p.111

وعندما تولى حيدر باشا السلطة في أعوام 1589 - 1592 ، طلب من البايات و الباييكات ، أن يستعملوا نفوذهم لدى القبائل حتى تدفع ما عليها من الضرائب في أقرب مدة . فقام الباي محمد بن مرحات بتذكير الشيوخ والخلعاء ، والرعماء ، بهذه التعليمات فامتثل البعض لها ، ورفضها آخرون ومنهم رعماء أولاد مفران بمحانة ، الذين أحابوا بإعلان الحرب عليه ، فصدى لمواجهتهم واستجد بالباشا في العاصمة الذي أنجده وأرغمت قواتها المقرابين على دفع حوائر الحرب مع الاحتفاظ بامتيازاتهم القديمة .

وقد تواصلت المفاوضات بين الباي محمد بن مرحات ، ومقرابين الذين منوا صلاتهم بابن القاضي أمير كوكو ، ونخالفوا ، وأخذوا يهددون أبواب مدينة الجزائر العاصمة ، مثلما هددوا باي قسنطينة في الناحية الشرقية .

وحدد الباشا باخراثر العاصمة قوات كافية قادها الأعا مصطفى ولاحق المتعربين إلى سموح جان حرخرة وأطراف اليبان ، وفي عام 1596 أبرمت هدنة مؤقتة سرعان ما انقضت من طرف الباشا مصطفى (1596 - 1599) وقام الباي محمد بن مرحات بالرحيل من الشرق ، والأعا مصطفى من الوسط ، ضد قوات عمر بنقاصي ، ولم تنته هذه الحروب إلا بعد أن رحل مصطفى باشا وعوضه في منصبه حيدر باشا للمرة الثالثة .

وعندما أبرم السلطان العثماني محمد الثالث معاهدة الامتيازات مع الملك الفرنسي هنري الرابع عام 1597 ، تم الاعتراف بامتيازات التجار الفرنسيين في الجزائر فعصب الديوان ، ورفض قبول ذلك ، وأمر الباشا حيدر باي قسنطينة محمد بن مرحات بتعطيل وتهديم الباستيون الفرنسي في ساحل القالة ، ولما سمع السلطان العثماني عصب على الباشا حيدر وعمره ، وعوضه بالباشا محمد فوضة الذي قام حيدر باعتقاله وقتله ، فثار عليه الحدود الانكشاريون وأرغموه على التحلي عن منصبه لمصطفى فوضة شقيق الصعية .

وبمجرد أن تسلم مصطفى فوضة منصبه ، أمر باي قسنطينة محمد بن مرحات بالتحلي عن تهديم الباستيون الفرنسي ، والتوقف عن ذلك امتثالاً لأوامر السلطان العثماني .

وفي حلال عامي 1602 - 1603 حصل وباء الطاعون في قسنطينة وقتل حلقا كثيراً ثم حصل قحط وجفاف تواصل مدة تسع سنوات كاملة ، أدى إلى حصول مجاعات حادة خلعت ضحايا كثيرة .

وفي عام 1607 م أعار دوق الطوسكان كونتا بل بيكولميني : Connetable Piccolemini على مدينة عناية بعمارة بحرية من 14 مراكباً ، وحاصر الحامية التركية بالقصبة فأخذها الباي محمد بن فرحات من قسطنطينية ، وحارب المعمرين وجرح خلال المعارك ومات ، وتمكن الأعداء من غم وأسر عدد كبير من الرجال والنساء ثم انسحبوا ، وقام قائد عسكر الباي ، رجب بن حسين بأمر إعادة النظام إلى المدينة ، وإصلاح أوصاعها ، ثم عاد إلى قسطنطينية ليستقبل الباي الجديد حسن باي⁽¹⁾ .

حسن باي 1600 - 1622 م :

في عهد هذا الباي تم إبرام معاهدة صبط الحدود مع نيابة تونس عام 1614 م ، وتوفي قائد الجيش رجب بن حسين ، وفي عام 1617 وقع اتفاق بين الخرائر ومرسيليا لتبادل الأسرى فأحلف الفرنسيون وعددهم وأرسلوا عدداً من الأسرى الأتراك لا يتفق مع عدد الأسرى الفرنسيين فعصب السكان ، ورفضوا السماح للأسرى الفرنسيين بركوب البواخر ، وعزم الرئيس على تنظيم حملة عسكرية ضد الباسنيون الفرنسي في القالة وعناية ، ولكن السلطان العثماني عارض هذه السياسة وعزل الباشا باخرائر وبقي حسن باي في منصبه حتى حدث وباء الطاعون عام 1622 بفسطاطية ، فمات به هو وعمره ، وخلفه مراد باي .

مراد باي 1622 - 1647 م :

اهتم بحفظ الأمن والنظام في الباهليك كما اهتم بأمن الرعايا الفرنسيين في مراكب صيد المرجان ، مثلما فعل سلفه استجابة لرغبة السلطان ، وأوامر الباشا باخرائر . وعندما قام التونسيون بحرق معاهدة صبط الحدود التي أبرمت عام 1614 وجهت الخرائر حملة عسكرية ضد تونس ، اشترك فيها مراد باي بقوات الباهليك وحاصروا معركة ستارة قرب

مدينة الكاف في 17 ماي 1628 ، وأرغموا التونسيين على إبرام اتفاق لصبط الحدود بين
على ما يلي :

أولاً : يقضى مجرى وادي صراط هو الحد الفاصل بين البلدين في المناطق الخنوية .
ثانياً : يقوم التونسيون بتهديم المراكز العسكرية التي أسسوها في المناطق المتنازع
عليها .

ثالثاً : يتواصل تحديد الحدود هكذا بين البلدين من وادي ملاف ابتداء من نقطة
الأحدرش إلى الكرش فقلوب الثمان ، ورأس جبل الحافة ، ومن هالك إلى البحر .
رابعاً : الذين يعبرون الحدود من أي من البلدين ، لا يتم الإعلان عنهم من طرف
الدولة ، ويعتبرون متحدين عن بلدهم ، ويعتبرون من اختصاص البلد الذي اختاروا
الاستقرار فيه⁽¹²⁾ .

وعندما تم إبرام معاهدة ساسون نابولون في 17 سبتمبر 1628 بين الجزائر وفرنسا ،
نصت على ما يلي فيما يخص بابليك قسنطينة .

- إعادة فتح الباستون الفرنسي .
- إنشاء مركز تجاري فرنسي دائم في هابة .
- إنشاء قلعة صغيرة في كل من رأس رور ، والقالة .
- حرية التجارة وضمانيها بالنسبة للفرنسيين .
- حق البواخر الفرنسية في الرسو في أي ميناء جزائري متى دامت الأخطار .

واستعمل ساسون نابولون هذه المعاهدة لثبر الشعب ، والاضطرابات في البابليك ،
ليستعملها لمصالحه التجارية ، وخاصة المشاكل ذات الصلة بمركز طرقة التونسي الذي
يستعمله الحويون ، والذي حاول أن يحتله انطلاقا من مراكز القالة بالجزائر ، وانتهى

(12) Vaysses IBID.p 351 — 372 berbregger revue africaine I.TV () pp 406 et suivante et M. ronsseau
Annales tunisiennes () pp.45

الأمر بقتله يوم 11 ماي 1633 م. (13)

وفي عام 1629 سمح لعدد من الكراغنة المقيمين بعامة ، بالعودة إلى الخرائر العاصمة فقاموا بثورة دموية بالقصبة ، وصحروا حرقاً بها أتى على حوالي 500 مرل و 600 شخص قتل ، وتمكن هؤلاء البولداش من عزل حسن باشا ، وتعويضه بيوسف باشا عام 1633 م (14) .

وفي عام 1634 م حدث وباء الطاعون في الباهليك ، وأدى إلى كارثة كبيرة إذ توفي في قسطنطينة وحدها ثلاثة عشاء كبار ، هم بركات بن بعمان ، وعبد الطيف المصباح ، وبركات بن عبد المؤمن . وبعد عامين من هذا التاريخ توفي قائد جيش قسطنطينة المشهور محمد بن حسين الذي كان قد حلف في المنصب باسمه رجب بن حسين

وعندما تولى علي باشا الحاكم بالخرائط حلفا ليوسف باشا عام 1637 - 1639 ، أعلن الحرب على فرنسا ، وأمر الرئيس والقائد علي بنشيني بنش حملة على المؤسسات الفرنسية في القالة وعامة عند الأمر واحتلها بدون صعوبة عام 1637 م وأمر 317 شخصا قادهم إلى الجزائر العاصمة (15) .

ثورة ابن الصخري :

لم يكن مراد باي يجهل الدسائس التي يحكيها الأحاسب ، والمتعاونون المحليون معهم في باهليكه ، ولذلك تجدد لمقاومتهم سوء في منطقة القالة ، وعامة ، أم في الحباشة بالشرق ، أو الدواودة في الجنوب ، وكان أحطر ما واحهه ثورة ابن الصخري شيخ العرب في جنوب الباهليك ، التي امتدت بعد ذلك لتشمل كل الباهليك

وفي يوم 17 جوان 1637 م استدعى مراد باي إلى معسكره قرب مدينة قسطنطينة محمد الصخري بوعكار ، مع كبار عرشه ، وأوقفهم وحاكمهم بواسطة مجلس الديوان

(3) انظر كتابا علاقات الخرائر الخارجية مع تونس وممالك أوروبا 1500 - 1830 ، ١٠ خرائر ديوان المصوغات الخامسة 1985)

(14) المصدر نفسه .

(15) المصدر نفسه كذلك

فحكم على محمد بن الصخرى وابنه وستة من كبار قومه بالإعدام ، وأعلمهم في الحال
بنتيجة تعاونهم مع الأعداء . وكان ذلك سبباً في اندلاع ثورة عارمة عمت كل بايليك
الشرق ، ترعّمها ابن القليل أحمد الصخرى ، وقرص حصاراً شديداً على مدينة قسطنطينة ،
وحرب كل الحقول المهاجرة لها والمساكن ، وقتل الكثير من الناس ، وشنت معارك كثيرة
في مختلف أنحاء البايليك وسالت الدماء أنهاراً واندم الأوس ، واحتل الطعام ، وامت
العوصى كل الأقليم ، ونعصر الباي مراد هزيمة ساحقة في معركة سهل فيجل قرب
سطنبول ، واضطر أن يمر بنفسه رعم الوحدات الكثيرة التي أرسلها له الباشا بالعاصمة
مرتين اثنتين بقيادة كل من القائد يوسف والقائد شعبان .

وفي عام 1638 جاءت وحدات أخرى إلى الباي مراد قادها الأعما يحيى ، وهاجم
الثوار ، والمتمردين في انعامشة ، وغيرها ، وحصل الشيء نفسه في العام الموالي ولكن
الثورة لم تنته ، فتوسط الأعما يحيى بشيخ أولاد حرام ، ليصلح ذات البين ونم الاتفاق
على أن يدمع الدواودة والخصاشنة صربية البرمة على أن تعاد مراكز صيد المرجان الصربية
لعملها على أساس أنها مصدر مهم للنشاط التجاري الخارجي في البايليك⁽¹⁶⁾ .

وعندما تولى جمال يوسف باشا السلطة عام 1640 - 1642 م أمضى مع دوكوكيل
de coquel اتفاقاً لتنظيم العلاقات بين فرنسا والحرائر ، ولكن الكاردينال ريشيليو رفضه
وأعلم على أساس ألا فائدة من المؤسسات الفرنسية في القالة وعماية ، والتي تناس وتدار
بواسطة المفاوض ليون طوماس بيكي . ولذلك عزم جمال باشا على رهارة البايليك بنفسه
لمعالجة المشاكل على الطبيعة وفي عين المكان نفسه ، فراسل الرعماء الذهبين والشخصيات
المرموقة ومنهم سي محمد الساسي المعاني ليتطلع رأيهم ، ثم أبحر هو إلى مدينة عماية
على رأس قوات معتبرة عام 1641 ، وأمر قوات أخرى أن تلحق به إلى قسطنطينة عن
طريق البر . وعندما وصل إلى هناك ، اجتمع بالباي مراد ، وكبار رجاله ، وتدارس
معهم الأمور والأوصاع بالبايليك ، وغرب إليه العلماء ورجال الدين ، واستشارهم في
كثير من القضايا وعالج أمور الحدود الانكشاريين الذين كانوا يتسبون

في المعوصى والاضطرابات خاصة فيما يتعلق بمحهم وروايتهم الشهيرة ، وصلاتهم
بجمهور السكان .

وبعد أن انتهى من علاج مشاكل مدينة قسطنطينة وأحوارها قاد حملة إلى الجنوب وسافر
معه في هذه الحملة رعماء أولاد مفران ، ورعماء عائلة خملأوى الديبون ، وعندما
وصلوا إلى مدينة بكرة استقبلهم السكان بحفاوة وفرحوا بمقدمهم ، وتعهد مراد باي
الأمر عن كتب واتفق مع كل رعماء الأعراس والقبائل هناك على أن يدفعوا الصرية
السوية باستمرار ويبرودوه بالقوم متى طلب ذلك ، وعاد من رحلته مرهوا فرحاً عام
1642 م (17) .

ثورة أولاد عبد المومن بقسنطينة :

كان أولاد عبد المومن مدينة قسطنطينة من الصفوف القوية ، أصحاب المكنة
والخبرة ، والسطوة ، والنفوذ ، لسواب طوبى ، وهناك أيضا عائلة ابن العمود التي
كانت نراحمهم المكانة ، والنفوذ الديني ، والسياسي ، والاجتماعي وفي يوم 12 أكتوبر
1642 م ثار أولاد عبد المومن ، وحملوا السلاح ضد اخوة الأتراك الانكشاريين الذين
أهانوهم واعتدوا عليهم ودامت المعارك يومين كامدين في شوارع المدينة ، وقتل خلق
كثير من الجانبين خاصة من أولاد عبد المومن الذين قتل منهم 24 شخصاً ، واضطروا
أن يختصروا محهم في الحامية وأعنفوا الأبواب ، ولارموا مارهم ، وحاصروهم اخوة
الأتراك ، فتدخل شيخ البلد وشيخ الإسلام ، ولقاصي ، ندى أعما السوية (قائد
الانكشاريين) وتم الاتفاق على أن يسحب اخوة الأتراك إلى ثكناتهم ، ويقبض الحامية
من الجانبين .

ثورة أولاد مفران بمجانة :

وفي مطلع عام 1643 ثار المقرانيون بدورهم كذلك في البيان ، ومنطقة سطيف

فانجحت إليهم الكتائب برئاسة الأعيا يحيى من الحرائر والقائد يوسف من قسطنطينية ،
والقائد مراد من النبطري ، والقائد شعبان من رمورة ، وشنت المعارك وتعددت
ولم تنته إلا بعد أن تعهد الداي بإلغاء بعض أنواع الضرائب المفروضة على الناس ،
وحرية التجارة بين الحرائر والمطقة ، وفي السوات التالية حدثت اضطرابات كثيرة
في جهات عديدة من الباليك ، وانتشرت المجاعة والجفاف ، وأمراض الطاعون جعلت
الأسعار وكثرت الأهوال والكوارث فاضطرب البالد وعمت الموصى ، والقلاقل ،
ومعجز الباي مراد عن ضبط الأمور وإعادة الأمن إلى مصابه ، وأثرت فيه الأحداث ،
والمشاكل العويصة فسقط مريضاً وتوفي عام 1647 م فاقترح القسطنطيون على الباشا
بالحرائر أن يخلفه ابنه فرحات فوافق على ذلك ⁽¹⁸⁾ وعينه ، وبه ابتدأ صالح بن
العتري كتابه الذي سوره فيما يلي مع التعليقات التي سردها عنه ، والتوصيحات
المختلفة الضرورية ، وما أكرها لأن ابن العتري لم يكن مضبوطاً لا في المعلومات ،
ولا في التواريخ ، ولا في الأحكام .





محمد الصالح بن العتري

فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة
واستيلائهم على أوطانها
أو
تاريخ قسنطينة



الحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله (كذا) سيدنا

محمد وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

الحمد لله الواحد الأحد ، الذي لم يتحد صاحبة ولا ولد ، مالك الملك بقدرته ،
ومكون الأكوان بإرادته ، ومرسل الرسل لإرشاد عبده ، سبحانه جل وعلا في
ممكناته ، لا رب غيره ، ولا معبود سواه ، وإليه يرجع الأمر كله .

ولما كانت الأخبار السابقة والآثار السالفة يحتاج كل لبيب الحادق إليها وينسب الدكي
الماهم عطايتها ، اقتضى الحال لذلك ترجمة لطيفة وبليدة مستحقة ظريفة لمن أرادها
من دوى العفول الراجحة ، وجلساء السلاطين والملوك الفاحرة ، فألرمت نفسي لقرع
هذا الباب واستعملت فكري فيما رعبوه مني أولئك الأحياب وسميتها : هريدة مبيسة
في حال دخول الترك بلد قسطنطين واستلائهم على أوطانها ، وذكر شيئا مستعاداً (كذا)
من سيرة باباتها إلى انقضاء دولتهم ، واحتواء الفراسيس على مملكتهم .⁽¹⁾

وسأل الله سبحانه وتعالى العفو عن زلة اللسان ، والتجاوز عما يحظر من المعصيات
بالحيان ، والصفح عما تكه الصدور ، وإلى الله عاقبة الأمور

حكى عن الناس المتقدمين (الراسخين في الأعمار المسنين أن الترك لما تملكوا
بالحرائر — وتوغلوا فيها توغل البحر الراح ، وذلك من بعد الخروب والأقان مدة طويلة
وبرهة من الزمان . ومن بعد تملكهم بها ، ونمهيدها أوطانها تراهم قدموا إلى قسطنطين
لأجل أن يستولوا عليها ، ويحتوا على أوطانها ، وكانت ذلك الوقت هي في حكم صاحب
ولاية تونس ، فحين وصلوها وبرلوا بطرفها ، راموا دخولها من غير حرب ولا قتال ،
فلم يتج لهم شيء ، من ذلك أمال ، إلا من بعد المقاتلة الكبيرة والمحصرة

1) Salah el. anri. premiere essai d'une histoire de constantine. farida moumssa (la perle agreable) texte arabe

(constantine frita grande imprimeur et lithographe place de palais 1846) 2ème édition 1852 7

الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى

الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى
الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى

الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى
الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى

الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى
الملكوت لعمري انتم امر منكم جميع واطلوا
مسنون قد وقع في ايديكم كثير الى من ليرى

الطويلة . ولما طالَّت تلك المحاصرة ، واشتدت من الجانبين المقاتلة ، وقع الخلاف بين أهل البلد ، فبعضهم يقول سلموها (كذا) ونستريحوا (كذا) من العاد ، وبعضهم يقول لا سلموها (كذا) بلادنا ، وفي تسليمها أمر قبيح علينا .

فلما كثر الكلام بينهم ، ونعاقم الأمر لديهم فابلهم سيدى الشيخ بن العكون واحتج عليهم بالدليل القاطع ، وأشار عليهم بالرأى المصيب الدافع ، قائلاً : هؤلاء الترك قدموا من حصرة السلطان العثماني ، وهم من أبناء جسدنا ونحت حكمه ، إذ لا يلقى بنا مقاتلتهم ، ولا يسعا معهم ، وربما تلحقنا الضرورة من السلطان المذكور من أجل مقاتلتنا لهم ، ومنعنا من دخولهم .

فبعد ذلك أَدْعَى له الصف الآخر وانقاد ، واتفقوا (كذا) كل الناس وفتحوا أبواب البلاد ، هذا الوقت دخلوا (كذا) الترك في قسطنطينة ونكلموا مع ناسها قائلين نحن كما قدمنا من حصرة الدولة العثمانية إلى الجزائر منتحباها ومهددا أوطانها ، وحكما جارٍ فيهم بالعدل والكمال وما نأخذوا من وطنها إلا الشيء الخلال ، الذى هو مثل الركاة (كذا) الواجب إحراجه من الأموال ، والنعم والمرروعات ، على نمط الشريعة والطريقة المستقيمة القويمة ، ثم قدمنا إلى قسطنطينة كذلك يكون حكما بالعدل كما هو هناك ، ونعملوا حاكم الذى تختارونه منكم ، يكون كبيراً عليكم ، ومتولى أمركم ، فحينئذ نأسوا أهل البلاد بكلامهم واطمأنوا لحابهم ، ورجعوا حاكم (كذا) من البلديّة ، الذين هم في ذلك الوظيفة أهلية .

وكان الخبر وصل إلى الناشا بالجزائر ، وتحقق بدخول الترك في قسطنطينة على الوجه المذكور الصابر ، فكتب جوابين أحدهما إلى السيد الشيخ بن العكون حصوصاً والآخر إلى ناس قسطنطينة عموماً .

صورة الجواب الأول :

الحمد لله ، إلى مقام العالم المشهور الخیر الصور معدن العصل المصون ، سيدى الشيخ بن العكون ، أما بعد السلام عليكم ، والسؤال الكثير عنكم ، ومن أئنا (كذا)

إليكم ، واتسب إلى جباهكم ، فقد بلغنا أنت مررت إلى ناس قسطنطينة بالتدبير المديد ،
والرأى الصائب الرشيد ، فكان في ذلك حق دمايتهم ، وروال الخلاف والمخرج بهم
محراك الله بأحسن الحراء ، وصاعف لك الخير والثناء ، وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا ،
من كوكبك تسمى في الخير والصلاح ، وترشد العباد للفلاح والنجاح ، وثم يلتمس منكم
دعاء الخير في كل حطب ، ورماد كل ركب ، وكس ببال من أولادك الترك والسلام
كتب بأمر الباشا بالجزائر .

وصورة الجواب إلى ناس البلاد :

الحمد لله مكتوبا هذا يتصل بيد ناس قسطنطينة الخاصة والعامة ، السلام عليكم
والسؤال عنكم . وبعد فإيكم عظم مليح (كذا) وتديروا لائفاً صحيح (كذا) من
كوكبكم سلمتم بلد قسطنطينة إلى الترك من عمر ارتباب ولا شك ، مراعاة (كذا) للدولة
العناية ، وطاعة لتلك المحصرة العلية وأثرتم العامة على الفتنة . وحق الدماء ، واجتباب
المشفقة ، فعم ما صعم ، وحر ما عستم ، إذ نحن وأنت في حكم الدولة المذكورة ، وفي
طاعة تلك المحصرة المبرورة ، وعليكم باتباع سيدي الشيخ ابن العكوف ، والانقياد إلى
رأيه المصوب ، وما أنتم إلا أولادنا وإليها والسلام . كتب بأمر الباشا بالجزائر .

وأما الترك أسسوا برحاً خارج البلاد يسكنون فيه ، وكل الترك الذين بأنوا (كذا)
من الجزائر يتمون إليه . وكان دخول الترك في قسطنطينة عام ألف وخمسين⁽¹⁾ بعد أن
مضت من ولاية يوسف باشا عامين (كذا) ونصف .

ولما ملكوا (كذا) الترك قسطنطينة بقوا أهل البلاد في أشد ما يكون من الخوف
والشر ، سبعة أعوام ، وأهل الوطن خارجون عن الطاعة . فلما كان عام سبعة وخمسين
وألف⁽²⁾ اجتمعوا (كذا) أهل البلاد وأرسلوا إلى ناس الوطن فأتوهم (كذا) أكابر

(1) مبرية للوطن عام 1640 م

(2) مبرية للوطن عام 1667 م .

الوطن ، واجتمعوا مع الترك الموجود في قسنطينة ، وقالوا يكتبوا (كذا) إلى الباشا بالخرائط يجعل لنا حاكماً ، فاتفقوا الجميع (كذا) وكتبوا إلى حاضرة الباشا ، وخبروه بأن أمرهم لا يستقيم إلا بحاكم عادل ، وأن أهل البادية إذا وجدوا حاكماً يدخلون كلهم تحت طاعته . فلما وصل كتاب أهل قسنطينة إلى حاضرة الباشا رد لهم الجواب ، وقال لهم اختاروا من يصلح بكم فردده . عليكم فلم يجدوا أهل البلاد رجلاً أحسن من سي فرحات .

فرحات باي 1647 - 1653 :

كان ذا عقل ودار كبيرة ، فاتفقوا عليه ، وخبروا حاضرة الباشا به فكتب له الأمر ، وأرسل له القمطان ، وفوص له الأمر ، وأعانه بما يحتاج إليه فدخلوا الناس (كذا) تحت طاعته ، وأدعوا لحكمه ، وأذهب الله الفتى ، والعلاء وكثر الزرق ومرت العافية ولم يبق واحد من الرعية إلا ودخل تحت الطاعة⁽³⁾ . وجمع أموالاً من الركات (كذا) والمشور وحملها وتوجه بها إلى الجزائر في عام ثلاثة وستين وألف⁽⁴⁾ ومشوا معه ناس من أكابر الوطن ، وأشرف البلاد ، فلما وصلوا إلى الجزائر لاقوه أصحاب الدولة وأكرموا وعظموا وقبلوا هديته ورفعوا مركزه ، وبقي في الجزائر ثمانية أيام فلما أراد الرجوع طلب من الباشا أن يصرحه ويرجع باي آخر في قسنطينة واعتذر له بأنه حصل له مرض ولم يقدر على القيام بأمر المملكة فلم يرض الباشا بهرله ، ولا الأكابر الذين قدموا معه من قسنطينة ، بل قالوا له إذا لم يقبل هو فابيه ، فقال لهم الباشا ، وما اسم ابيه فقالوا اسمه فرحات محمد ، فقال لوزيره اكتب الأمر إليه وابيه باي ، وأبوه يقوم

(3) بدأ فرحات باي عهده بإعادة الأمور إلى ضالتها في البليدة ، ووضع حداً للاضطرابات والفلاقل التي مزقتها طيلة عشر سنوات تقريباً ، وذلك بفضل القوات التي وجهها تحت تصرفه باشا الجزائر فظهر كل الخصوم والأعداء ، وأرضعهم على الخضوع والاعتراف بسلطته ، وعظم حقلته من القمعون التي وقعت إلى جانبه منذ البداية وحلت الناس على طاعته ، انظر : كتابات المصنف نفسه

(1648) ص 254 - 261 .

(4) المجلد الرابع عام 1653 م .

بأمره وتخرّج القفطان ، فأرسلوا إليه ولاقاهم في حمرة ، ولبس القفطان هالك⁽⁵⁾ .

محمد باي بن فرحات 1653 - 1666 م :

وتولى محمد باي رحمه الله بن فرحات المذكور عام ثلاثة وستين وألف⁽⁶⁾ فمكث في ولايته زمان (كذا) وعزل⁽⁷⁾ .

رجم باي 1666 - 1674 م :

ومن بعده تولى رجم⁽⁸⁾ وهو عم محمد باي بن فرحات فكان رجم باي سيرته مليحة واقف في حقوق الناس ، وهو الذي با (كذا) في قسطنطينة جامع يسمى بجامع رجة الصوف ، وعزل⁽⁹⁾ .

(5) بعد أن لبس ابنه محمد القفطان القوي في برج حمرة (البويرة) عاد منه إلى قسطنطينة وبقي يسير الحكم إلى جانب أكثر من عشر سنوات معزرا محكما ، ممنوعا فككتا . وحافظ على الأمن في قسطنطينة حتى توفي يوم 29 ربيع الأول 1075 هـ (1664 م) وحلّ من ورثه ابنه محمد باي ، وروجه عزرا باي التي أنست في مدينة الجزائر الذي تمسك بها .
دار حمرة بحوز جامع ككناوة . والتحدث بعدها بغيره ، لاهب قسطنطينة ، الذي يحسنون الدوش ، فينبون بها ثمانية أيام المقررا لقسطنطينة ثم يعرفون إلى قسطنطينة ، انظر : ظهيت . المصدر نفسه .

(6) لما تولى عام 1653 م مارس السلطة الفعلية بعد موت أبيه ، وحصل في عهده وفاة بطر في قسطنطينة مسير من شهر رمضان إلى ذي القعدة عام 1073 هـ (1663) ونفى على حقل كثر منهم الشيخ عبد الكريم في القرون الذي مات يوم 27 ذو الحجة وعينه ابنه محمد في منصب شيخ الإسلام . انظر ظهيت . المصدر نفسه من 262 - 264 .

(7) لم يوضح ظهيت ، ولا القنري سبب عزله .

(8) حكى ساه القنري رجم باليم ، وذكر ظهيت أنه يسمى حكما ، ويسمى أيضا رجب بالباء وجره في ذلك فهو ويبدو أن رجب بالباء أصبح بكثرة شيوع هذا الاسم بعد الأثره سنة إلى الشهر القنري رجم .

(9) حكم البلاد وأدارها بعد ومهارة ونزوح من روجة أخيه الراسل فرحات ، المدعوا حمزة باي صاحبة الدار للشار إليها سابقا بالجزائر العاصمة . وهي بنت القائد أحمد بن رمضان ، شقيق شبل بن علي عشتي ، القائد والرائس البحري المشهور . أمدها منه إلى قسطنطينة حيث عاشت معه ثلاث سنوات ثم طلب في مزوجه بالخليفة في عهدي الأولى 1079 هـ (4 نوفمبر 1668 م) على أيدي عاتمة بن شردال لأسباب غير معروفة ، وقيل إنه جرحه من زوجها الذي وأصل إمارة البليديت بعدها ست سنوات أخرى إلى أن عزل وحوض بحوز الذي . فاستمر بعد ذلك عاتمة آخر حتى توفي في ذي الحجة عام 1084 هـ (9 - 18 مارس 1674 م) . انظر : ظهيت ، المصدر نفسه من 264 - 267 .

خير الدين باي 1674 - 1676 م :

ومن بعده خير الدين باي رحمه الله تولى عام أربعة وثماني وألف⁽¹⁰⁾ . فمكث
رمان (كندا) في ولايته ومات⁽¹¹⁾ . وجميع ما ذكرنا كتبهم عرب ، ومن بعدهم تولى
الترك .

دالي باي 1676 - 1679 م :

عأول من تولى دالي باي رحمه الله في عام سبعة وثماني وألف⁽¹²⁾ . وكان رجلاً قتالاً
يأخذ أموال الناس بالباطل ، فاشتكوا به ناس قسطنطينية إلى الباشا باخراثر فقتله⁽¹³⁾ .

باش آغا باي 1679 - 1680 م :

ومن بعده تولى باش آغا باي رحمه الله عام تسعين وألف⁽¹⁴⁾ فمكث في ولايته تسع
سنين ، ومات⁽¹⁵⁾ .

(10) الموافق لعام 1674 . وقد بنى في الحكم حوالي أربع سنوات ، ولم يذكر المصادر معلومات مهمة عنه ومن أعماله ، وهو
آخر ملوك العرب

(11) هكذا ذكر العتري ، أما تاليس فقد ذكر أنه عرب في أبريل 1676 (ص 1087) وحرص بدالي باي من الأتراك ولم يذكر
سبب حركه . انظر المصدر نفسه ، ص 267 - 268 .

(12) الموافق لعام 1676 م شهر أبريل . وهو من قوم المنيب هركيه وينسب من رتبة العتري أنه قتال وشجاع اللدواء ،
وعرب ، ولد لشككي من السكان إلى الباشا بالخاصة فقتل رحيم وعنه وأمر بإعدامه ، فأعدم في الحال ، وحرص بانيه عمر
بن عبد الرحمن القدير باش آغا
انظر : تاليس ص 268 - 269 .

(13) حول وأعدم عام 1680 هـ الموافق لعام 1679 م .

(14) الموافق لعام 1679 م ، اسمه عمر ، وشهر باش آغا . وهو من دالي باي السابق الذي اسمه عبد الرحمن ولهذا يقال له عمر
بن عبد الرحمن كما وجد ذلك في رسالة أحمد رزوقي بن سيدي محمد بن يحيى بطابع آخر رمضان ، 1091 (17 - 26 ربيع 1680)
تقلاً عن تاليس ، حكم باش آغا هذا تسع سنوات ومع ذلك لا يذكر المصادر أحداثاً كثيرة عنه ماعداً تجديد مستشفيات الشيخ
عبد الكريم القفون كإمام للجامع الكبير ، وأمر بتركيب ، انظر : تاليس ص 268 - 269

(15) تولى باش آغا في شوال 1079 هـ (17 - 18 رجب 1680 م) ، وعقله سيدي شهاب .

شعبان باي 1688 - 1692 م :

ومن بعده تولى شعبان باي رحمه الله عام تسعة وتسعين وألف⁽¹⁶⁾

علي خوجة باي 1692 - 1700 م :

ومن بعده تولى علي خوجة باي رحمه الله عام أربعة ومائة وألف⁽¹⁷⁾ ، وكان مديح
(كدا) أحكامه بالعدل ، وسيرته مرصية ، وفي عام اثني عشر ومائة وألف⁽¹⁸⁾ قدم
مراد باي صاحب ولاية تونس بعرض كبير ، وقصد إلى قسطنطينة فرل بموضع يسمى
الملعب ، قريبا من البلاد وحاصرها نحو ثلاثة أشهر فلم يتحصل بيده شيء فارتحل وقصد
إلى الجزائر وكانوا ناس قسطنطينة في مدة حصارهم حبروا الباشا بالجزائر وطلبوا نصرته
إليهم فلما وصل الخبر تفرق وتفرق وصار بشيء في أمره ويدير . وأما مراد باي المذكور
لما وصل إلى المحارر الأحمر قريبا من سطيف وكان بينه وبين سطيف مرحلة تنفاه هناك
عرصي الجزائر فرل كل عرضي في مكانه وصاروا قبالة بعضهم وكان مع مراد باي
نحو سبعمائة خباء والذي مع باشا الجزائر نحو مائة خباء فاستجمعهم مراد باي وقال
اليوم ستريحوا وعدا في الصباح بأحدوهم وبقتلوا الباشا الذي هو أميرهم ثم سبروا إلى
الجزائر وسئلوا على ملكها من غير تعب وكان باشا الجزائر وعسكره برل بهم خوف
عظيم وتيقنوا أنهم صاروا في الهلاك فبقوا يحموا ويذبوا وقالوا إن صربا وإن هربا كذلك
يموتوا فاتفقوا أنهم يهجموا على عرصي تونس فلما عسعس الليل وبام كل ذي ديل ،

16 (الموافق لعام 1688 م وقد اعلم جميع لمرال الدوش وبكتر أعداد جنود الزمالة العسكرية في حرمس والذي الرمال بين من
سجارة ، وقسطنطينة ، والذي بعمرسون برعي لطلعان حبروات الدليلت قنابله ، ندائي وقد ستميل كل الوسائل لتوفير أموال الدوش ،
وجمعي لإيجاء بات العاصمة وفي آخر حياته ثلر أولاد هو عون في بالرمه ، وهاجروا اجور مدية قسطنطينة ، فوجه إليهم القائد
رجبه ، وأدبهم ، ووضع حدا لظورهم ولظلمهم .

حكم شعبان باي أربع سنوات ثم فرل عام 1692 وحرمس بطل خوجة باي انظر فائده

المصدر نفسه ، ص 270 - 273 .

17 (الموافق لعام 1692 م

18 (الموافق لعام 1700 - 1701 م

قام باشا الجزائر هو وعسكره عن آخره وتقدموا إلى محلة مراد باي فهاجموا عليه بهجمة واحدة وهم بائمون ودخلوا عليهم بصرب السيوف من كل جهة (كذا) هوقعت صجة عظيمة وهزيمة كبيرة في محلة نوس ومات من عسكرها نحو السبعة آلاف رقية وقر الباقي وتفرقوا في الوطن سبياً وهرب مراد باي ولم يثبت خوفاً يتمكنوا به وركب على حصان اسمه كحيل فلم يتعثر به من المحار الأحمر إلى مرج كحيل فسقط من تحتة ميتاً وهذه المسافة قدر مسيرة أربعة أيام ولذلك صاروا الآن يسموه هذا الموضع بمرج كحيل وفي يوم العتة مات عل باي⁽¹⁹⁾ .

أحمد خوجة باي بن فرحات 1700 - 1703 م :

ونولى أحمد خوجة باي رحمه الله وهو ولد أحمد بن فرحات باي عام اثني عشر ومائة وألف⁽²⁰⁾ وهو أخو محمد باي بن فرحات ، وربطه الناشا هي السحر أهاما ثم قتله .

(19) هذه رواية العنري وأصلها غيب ، أما حسن حسني عبد الوهاب فقد ذكر أن سبب هجوم مراد باي على الجزائر هو ردها له عديده كان له أرسنها إلى حاكمها ، فاستشاط غضبا وطم بثلث الفاعرة وذكر كذلك أن مراد باي لم يمت وإنما انسحب إلى القروان مدحورا وحرب معانها اغليله ولم يترك بها سوى مساجد وبعض الروايا . ولت عبد الحار يمت في البلاد صادا حتى ظنك به إبراهيم الشريف بموافاة كبار الخد ، وقبل يرد من الباب العالي . وعمل غيب عن شربون ، رواية عبد الحمير التونسي في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (أواخر القرن 18 م) الذي ذكر بأن مراد باي عندما حرم على عرو غرار طلب من حيل باي حاكم طرابلس أن يصفه طلي فرجه ولكنه لم من الخد في فسطحه بعد أن فشل مراد باي في التخليص ، رغم أنه ظن من فطانتا وأموالا كثرة وذكر عبد الحمير كذلك بأن مراد باي أسر من الباي على حروجه وروحه ، وصار الكبر من فطانتا طرقتي وحاول أن يدمها وسبه للصحف على السكان حتى يقتلوا له القدي ظم بنجح ، وانتهى في الأخير إلى تلك الحربة المرة وقتل يوم 18 ربيع الثاني 1112 هـ (3 أكتوبر 1700 م) واستولى غرارون على كل أمواله ودخائره وأسرو عددا من جنوده وقتل باي فسطحه في معركة معها . نظر غيب المصدر منه ص 274 - 280 حسن حسني عبد الوهاب خلاصه تاريخ تونس ط (تونس 3 1373 هـ) 145 146 وكذلك A. Roussier : annales tunisiennes pp 82 p 76 et suiv 1851 en 1721 - 1825 . (paru de la maille 1834) P 132

(20) الموافق لعام 1700 (هو بن فرحات باي ، وشقيق محمد باي ، وحيد رجب باي ، أسسه بحري ويتنسى إلى أسرة بوي منها ثلاثة رجال منصب الباي في البليديت ، وهو ربيعهم ، حكم حوالي عام ونصف ثم أسر ثلاث بسجنه ، وإعدامه ، فأعدم وعطله إبراهيم باي الفليح عام 1703 م نظر غيب المصدر نفسه ، ص 281

إبراهيم باي الملح 1783 - 1787 م :

ومن بعده تولى إبراهيم باي الملح عام 1114 هـ (21) رحمه الله وكان رجلاً عادلاً (كدا) حسن الوجه لكنه يأخذ أموال الناس بالباطل وفي سنة تسعة عشر ومائة وألف (22) جاء مصطفى باشا ، ومشى إلى تونس وبرل عليها مدة أربعة أشهر وتكلم مع عسكرها ، ووعدوه بالدخول في طاعته وأمرهم أن يربطوا باي تونس فربطوه ، ولما طبعوه في الكلام الذي تكلم معهم لم يوفهم به فانقلبوا عليه وقتلوه ورحل مكرها ولم يدخل إلى تونس ، فلما وصل إلى الخرائر ، وجد باشا آخر فعد في موضعه فهرب إلى روية سيدي علي بن مبارك في عماله الخرائر ، وبقي هناك حتى مات وكذلت إبراهيم باي الملح هرب (23) .

حمودة باي 1787 م :

ومن بعده تولى حمودة باي رحمه الله عام تسعة عشر ومائة وألف (24) وهو عرني من أهل البلاد .

(21) المواقف لعام 1703 م .

(22) المواقف لعام 1707 و 1708 م

(23) إبراهيم الملح يطلق عليه اسم من عبد الله كدلت أميره مسيحي أسم . وأسلم وحسن إسلامه ، فصنف بالعبودية والنشاط ولكنه كان يصادر أموال الناس بدون صبر ، ولا رحمه . وفي عام 1705 م انقلب الخرب بين خرائر وتونس فصاد الباي مصطفى نفسه فواته بين تونس ، وصحب معه إبراهيم باي الملح ومصطفي إبراهيم الشريف في مدينة الكاف وهموه ، وأسروه هو وأخوه محمد ومصطفى سرحهم إلى تونس ، وعرضوا على الحصار في بوعروس ، وسرعان في المفاوضات مع الباي الجديد حسين بن علي ، وطالب ، وبخمس يوم 2 سبتمبر 1705 ، وقد سمح وبسط باب خرائر وباي قسطنطين أن يستعدوا بموحيهم بحاله أن يطرح منهم الفاتل الثالثة ، خاصة بعد أن سمع في مضاربة فائدة لموس فادد من عاين . وعندما وصل إلى الخرائر وجد هناك انقلاباً جديداً فالتحق إلى روية علي بن مبارك في القنينة ، وانضم إليه ، وانضم إلى حمودة باي . وبرز من ورائه عائلته لولاد بن الأبيض المشهورة في قسطنطين ، وكانت ميران موجودة عندما كتب فاهيب كتابه من باب قسطنطين . اعظم فاهيب فصر عنه من

وكذلك حسن حسني عبد الوهاب ، المصير نفسه من 146 - 150

(24) المواقف لعام 1707 م ، ولم يذكر المصادر شيئاً من أعماله هو وأهاليات الخمسة الذين حاربوا بعده لعابه (21) م . ويبدو أن هناك عدة فلافل واضطرابات لأن تولدت لهايات لم يبق أي واحد منهم في حكمه أكثر من عام ما عدا علي بن صالح باي وحتى فاهيب لم يذكر لهم شيئاً

علي باي بن حمودة 1700 م :

ومن بعده تولى علي باي بن حمودة رحمه الله عام عشرين ومائة وألف (25) وهو عربي أيضا .

حسين شاوش باي 1700 م :

ومن بعده تولى حسين شاوش رحمه الله عام واحد وعشرين ومائة وألف (26) .

عبد الرحمن باي بن فرحات 1700 م :

ومن بعده تولى الرحمن باي رحمه الله بن فرحات عام اثنين وعشرين ومائة وألف (27) .

حسين دنغزلي باي 1710 م :

ومن بعده تولى عبد دنغزلي باي رحمه الله اسمه حسين وهو تركي في العام 1122 المذكور (28) .

علي بن صالح باي 1710 - 1713 م :

ومن بعد تولى علي باي بن صالح رحمه الله عام 1122 (29) .

25 (المواقف لعام 1700 م .

26 (المواقف لعام 1700 م .

27 (المواقف لعام 1700 م .

28 (المواقف لعام 1710 م .

29 (المواقف لعام 1710 م . ولد في في حكمه حتى عام 1713 لمدة أربع سنوات . لم تقل عن إدارة البابليك بإرادته ودفع إلى الحج ، وعندما عاد قصد إلى أولاد خلوف بمهات بجاية ، واشتد برأوية سيدي أحمد بن علي حتى توفي . وخلف ورثته ثلاث بنات زوجها لشخصيات مرموقة من عائلة أولاد مهران بجاية . انظر تقيت . لصدر نفسه ص 286 - 288 وكذلك المجلة الإفريقية . جلد عام 1865 . ص 124 .

قليان حسين باي المدعو بوكمية 1713 - 1736 م :

وبعد تولي حسين باي بوكمية رحمه الله وهو قليان حسين ، عام خمسة وعشرين ومائة وألف⁽³⁰⁾ وهو رجل ملبح له شجاعة ومشى إلى توس فأخذها وقتل صاحب ولايتها ، والسبب في ذلك أن أصحاب مملكة توس وقع بينهم انتحاصد على الولاية وكل واحد منهم يدعيها لنفسه فمر واحد منهم إلى الباشا بالخرائط واستعاض به فقبل كلامه الباشا المذكور ، وجهر له عساكر وبعث معه الباي بوكمية وأرسل إليه جواباً قائلاً له فراه قادم إليك أخو صاحب ولاية توس ويده عساكر من عددا فلارم أنت نظم ما استطعت من عساكرك واعمل معه كل جهد بالتأويل ، وكس له مصاحباً في الإقامة والرحيل . فلما وصل ذلك الجواب إلى الباي بوكمية قام على ساق واحد ونظم عساكر واحد ، ثم تقدموا جميعاً للسر بالمرم والاحتياط فاصدروا إلى توس بذلك العساكر والأجناد ، وكان الخبر وصل إلى صاحب ولاية توس فراه بهم في الحال ورتب عساكر وأعمال وحرّج هو معهم وبرل بساحية القيروان وبقي مقبلاً هناك لأجل مطاردة العرصي القادم إليه من الخرائر فلما وصل إليه الباي بوكمية وقابله بالعساكر الخرائرية ، ثم نشأت من الحروب العظيمة والمقاتلة الشبعة فاهرم عرصي توس⁽³¹⁾ وهرب صاحب ولايتها إلى مدينة القيروان ولاقاه الباي والامتحان ، فحيث تقدم بوكمية هو وصاحبه ودخلوا إلى توس من غير حرب ولا قتال ، ولا معارضة ، ولا نكال فاستولوا على خرائرها واعتموا دحائرها ، وتولى

30 م بدأ في العام 1713 م وكان قليان حسين رجلاً حارماً شجاعاً ، وهو من ساعده على الغاء في الحكم 23 عاماً وضع حد لكل المقاتل والاضطراب في طابقت . وفي عامي 1725 ذهب إلى احداث والأوراس لمحج الصرايب . وتبدل الأحوال ، ومرقبة لأمر من كتب وتمكر الرجاء الفرنسي يسون *prisonniers* من الانتهاج في مملكة بالشمس حصل بدخل دولاب *de slave* الموظف الفرنسي في الشركة الإفرنجية ببناه . ورافقه إلى عين تارفا ، ومدهاسر ، وأم الأصاب ووادي سركا ، ثم عادته ، والتحق ببناه بالخرائط العاصمه عبر فسطاطه لطر *prisonniers et pesfontaines voyage dans les regences*

de tunis et d'alger (d'arrou de la maille 1838) p 289. vayssettes IBID pp 288 295

31 المقصود بالعرصي . هو الحملة العسكرية ، والجيش العسكري

مريد إلى المملكة ونال مرغوبه وبقيته (32).

وأما باي تونس فتلاشوا حوفاً ، وتفرقوا غرباً وشرقاً ، فعند ذاك نادى مبادئ الأمان ألا فارجمعوا لا حرج عليكم ولا امتحان ثم إن صاحب ولاية تونس اخذ به عقد شروطاً مع بوكية والترم بأدائها إلى الخرائر في أوقات معلومة وأرملة معهومة (33).

وأما الباي فقد أخذ من عهد صاحب ولاية تونس معاملته وعباً من ذلك الدخائر ما حب خاطره ، ورحل من تونس محبته وعساكره فلما وصل إلى قسطنطينة كانت له المرتبة الشهيرة وصار يرتب الأحمال ويخرج إلى الوطن يستخلص لخراج من الأموال ، وانقادت له الرعية والعمال وكان حكمه بالعدل والكمال ، وسهرته على أحسن حال ، ومن هذا الوارد من كلام الحكماء أصحاب الموارد : العدل مادام عمر ، والعظم مهما كان مر . ومن ذلك أيضاً الملك بستان ، ونمرة نتيجته العدل والإحسان

ويرجع الكلام إلى الباي بوكية لما طالت ولايته وبدت قوته تراه طلب الإذن من

(32) ثبت عند الحرب عام 1735 . ومن نسبها لخلخال باي تونس حسين بن علي مع حبيبه علي بابا وأندلاع الحرب بينهما ، وخبره الأخير إلى الخرائر واستأذنه بالباي الذي من حوفاً ورخص أن يملكه ، واكتفى بأن قيل أن يدفع له حسين بن علي حربه سنوية يبلغها عشرة آلاف مكييل ، ولكن الباي التونسي رفض عام 1735 دفع هذا مبلغ ، فصرر الباي حده علي بابا ، فجهده فوات للسيطرة على عرش تونس . انظر : فليجيت . المصدر نفسه ص 290 - 302 .

(33) بعد أن قرر إبراهيم باشا دهم علي باشا ضد حبه حسين بن علي كلف جيشاً كبيراً من المشاة والفرسان ، ووصل 3000 عسكري من المشاة تحت قيادة الخراساني ، وألف فارس تحت قيادة علي بابا التونسي ، وكلف باي قسطنطينة بوكية بمساعدة باي تونس بقوته ، وعندما علم باي تونس حسين بن علي بهذه الاستعدادات استعد هو الآخر عسكرياً ، وعرض علي الباي بواسطة بوكية دفع مبلغ 50 ألف قرش ضريبة سنوية مقابل الكف عن فرجه علي بلاده ، فلم يعلق الفرس ، وبواحب القومان في نهاية ربيع الأول 1148 هـ (19 ثوت 1735 م) في واد ملجان بسجته ، وحرب بينهما عدة مفاوضات مدة 16 يوماً وفي يوم 16 ربيع الثاني 1148 هـ (4 سبتمبر 1735) حرب بينهما المعركة المصيدة وهرم حسين بن علي ، وحرب (وصلت كل مرة ودخائره وعساكره في أيدي الباي بوكية ، وعلى باشا التونسي ، وفاز بوكية فتصيب علي باشا على عرش تونس يوم 7 سبتمبر 1735 ، وبقي بوكية وحبيبه عشرة أيام ثم عاد إلى المقر ومعه 35 حصاناً محملة بالعتود والأموال التي تمهد بدفعها علي باشا وكان بوكية الشخص المرموق في هذه الحرب كرجل عسكري فذو . وذكر فليجيت بأنه بولاه في تم انتصار الخرائرين . انظر فليجيت المصدر نفسه ص 290 - 302 وكذلك حسين بن علي عبد القهاب المصدر نفسه ص 150 - 151

الباشا بالحرائر لأجل أن يمشى إليه بقصد زيارته ، والوقوف إلى حضرته ، فأعطاه الإذن في مطلوبه ، ووفى له بمرعوبه ، فحيث سهر وعناء من ذلك الأموال بالريادة لتكون له الحرمة والرياسة ثم تقدم إلى الحرائر في موكب عظيم ومهرجان عظيم⁽³⁴⁾ فلما وصل إلى الباشا وحل في حضرته تأدب وأعطاه حق سلطته ، ثم سلم له ذلك الأموال (كدا) الذي بيده مصرح به واستكثر من حموه ، وأقام في صياحته ثمانية أيام في استراحة وعزم وإكرام ومن بعد ذلك خرج الإذن من عند الباشا المذكور تسريح الباي بوكمية ورجوعه إلى قسطنطينة فارحاً مسروراً وهذا هو المسمى عندهم بالدوش ، وهي كلمة عجمية ، ومن بعد وصوله في قسطنطينة عاش يوماً عيشة هية إلى أن احترمه المية واحتوت عليه الذهبية فصارت رحمة الله عليه ، وكانت مدة ولايته خمسة عشر عاماً (كدا)⁽³⁵⁾ .

حسين باي المدعو بوحنت 1736 - 1754 م .

ومن بعده ترجع باي آخر واسمه بوحنت باي رحمه الله تركي كان سيرته بسيرة الباي الذي قبله ، ومهد الله تعالى رماه الوطن والبلاد وأصلح الله به الرعية والبلاد لكن وقع في رماه أمر يستراب ، حتى صار مثل (كدا) فيقولون عام الدوشمان الكذاب وذلك أن الباشا بالحرائر وقع الصربيين وبين باش أعما القنولي أمور العرب ونصب عليه ولم يقدر على قتله جهار (كدا) فجعل له حيل وأفكار (كدا) وأظهر له وجه المصادقة والإسرار قائلاً له إن صاحب ولاية تونس نصب علياً وم يوحيا (كدا) بشروطنا ، ولكن تمشى إلى باي قسطنطينة نجتمعوا حدوداً ونظموا عساكر من هناك وتعمرون على عمالة تونس نرهبون بذلك صاحب ولايتها أم أن يتقاد بذلك هو المراد ، وإلا ابرلوا بقربه حتى يلحق إليكم مدد العسكر ، وآلة الحرب مماثل لكلامه باش أعما المذكور ، وانفصل

34 (كان ذلك في ربيع عام 1735 م .

35 (حسب رواية المتري هذه التي تقدم بها ، يكون باي قبيل حسين بوكمية قد حكم أربعة عشر عاماً فقط ، وبول عام 1727 م . وهذا غير صحيح على ما يبدو لأن بوكمية حكم 23 عاماً كاملة ، وبول عام 1749 م الموافق لعام 1736 م . عن عمر يناهز 70 عاماً .

من الخرائر بالعرم والعمور فكان في ذلك حثفه وأفعه وحلوله في رسمه . وأما الباشا بالخرائر فإنه كتب جوابا وأرسله إلى الباي بوحك حفية قائلاً في ذلك الجواب يكون في عدم الباي بوحك ولأرم عليه يقصى الشيء الذي تأمر به (كذا) . وهو أن باشا أعما صهر عه العساد وخرج عن الماهية وتبين منه العساد . ولم يمكن قتله على رؤوس الأشهاد ، وترايا كنعاه وأكرمناه بالمشي والعرو على عمالة توس فبوصوله إليك أصعبى (كذا) لقوله ، واقصى (كذا) ما يأمر بك به وأسرعوا بخروجكم ، وحين تصيروا في أثناء حريقكم اقتله حفية ودسه تحت التراب دسة ، وحين تقصى فيه حاجتك ارجع على أعقابك ، وارفض الشيء الذي كان به أمرك والسلام بأمر الباشا بالخرائر

ثم يرجع الكلام إلى باش أعما أنه لما وصل إلى الباي بوحك وأخبره بالأمر الذي جاء بقضائه ، فامتل ، وبادر ، ورتب له فرسان وعساكر ، وبعد تنظيم أشغالهم وقضاء حوائجهم ، انصلوا من قسطنطينة لغروهم ، ولما صاروا في أثناء الطريق مكرهه الباي وحك وسفاه كائن الحريق مرق به حومه غريق فأصبح تحت التراب لا بشا بعد أن كان مسورا فانكا ، فحينئذ رجع الباي المذكور إلى قسطنطينة وعاش زمانا حتى أدركته المنية رحمة الله عليه (36) .

حسين باي زرق عيو 1754 - 1756 م :

ومن بعده تولى زرق عيو عام 1149 هـ (37) واسمه حسن وهو تركي به شعاعة

(36) حافظ الباي بوحك على القسم سرب طوبه . وأسس مسجد سيدي نصر الخليل مصطفى . وأسس من ياله في بناء شعبان 1156 هـ (أكتوبر 1743 م) وحفر أن يحفر للمدينة مظهر عساريا جيلا فيما يخص بناء القلاية . والأحواش . ونظم الأريج والأرفه . وعمل معسكر قزاقه من حوص وبنى القمال بل أراضي بهجرب . وحلوا حسن بن علي التوسني اللاحي . بالقدوان أن يستجد به ليعينه على استعادة عزمه عزم . وفام بإبرام معاهدة دفاع وعزم مع علي باشا التوسني الخالس على العرش . وفي عهد بوحك ثلر أولاد سايه صاليم . تولى بوحك عام 1167 هـ (1753 - 1754 م) بعد أن حكم 17 عام ودفن في مسجد سيدي نصر . انظر : طبعيت من 302 - 310 وكذلك : شريونو

Cherbonneau les inscriptions arabes de la province de constantin. annuaire de la societe archeologique annor 1856 - 1857 . pp103 et 119

37 ، المواقيع لعام 1736 م وهو خطأ كما ذكرنا تصد به القمري لأن الباي زرق عيو تولى الحكم عام 1167 هـ الموافق لعام 1754 م . وكان زرق عيو هذا عبيد الباي بوحك ، واشترك في غزو توس مع تركية ولعب دورا بارزا في حكم المدينة بحزم وجد ، ودعم سياسة قسطنطينة وحشد أجهزتها على سحق ملام وشجع الصانع .

وهية ، وكان حصر مع الباي بوكمية في قصبة تونس ، وفي مدة ولايته زاد في ترتيب وظائف المحاربة ، وأسس مدارسهم بالسوية ، فمن ذلك أنه :

— رتب كتابا يكتبون أسرارهم ، وبعضهم يكتبون شكايات الناس ومدحهم الباهليك .
— وحليفة تركي وهو المتكلف ببدال الذي يمشي من عند باي قسطنطين إلى الجزائر .
يوضع في الخربة . ويتسمى بالباشي ، وهو لعدة عجمية ، يمشي في كل عام مرتين مرة في فصل الربيع ، ومرة في فصل الخريف ، ولكن في الزمان المتأخر صاروا يسمونه بدوش الخليفة غير الدوش المتقدم ذكره .

— وأعوان ترك وهم المتولين (كذا) أمور الصابحية الترك .

— وشواش ترك وهم المتولين أمور العساكر .

— وأغا العرب وهو الذي يسمع كلام العرب ، وشكاياتهم ، ويوصله (كذا) إلى الباي المذكور في الوقت الذي يكون الباي متصدى للحكم . فإنه يتلقى الشكايات بنفسه ويرد بلسانه .

— وقائد الدار هو الذي يكون على يده ما يلزم العساكر من الأوراق والحجبة وغير ذلك من لوازم الأحوال . وحين يخرج الباي إلى الوطن يبقى هو المصروف (كذا) في البلاد .

— والسراج وهو الذي يكون على يده حيل الباهليك في المدحول والمخرج .

— والمختب وهو المتولي أسعار البلاد من الأمور الموروثة والملكية

— وصاحب الشرطة هو المتولي عسمة البلاد في الليل ويحرسها من النصوص ، وهو الذي يقابل الباي في كل صباح قبل كل أحد ويحبره بجميع ما يقع في الليل . فهؤلاء أصحاب الوظائف في المدينة وأما المحاربة ناس من البادية معهم :

— قائد الرماله وهو المتولي القوم متاع العرب ، وحين يخرج الباي إلى الوطن يمشي معه هو وفرومه .

— وثم قائد الصم وهو الذي يكون بيده كل مدحول البقر التي هو الباهليك .

— وقائد الإبل وهو الذي يكون بيده مدحول كل الإبل متاع الباهليك

فهذا ترتيب الباي ررق عين ، وكل من يأتي من الباي يري في الوظائف وحرق عادات (كذا) .

وبعد تربيته للوظائف المذكورين ، تصدى لأمر البلاد وشرع فيما يصلح بأحوال البلاد . فجعل ضوابط في صممه ، وغوانين في كل ضيعة ثم صار يخرج إلى الوطن لأجل استخلاص حقوق البايليك ، ولا زال هذه السيرة موصوف ، وبكمال العدل والخير مألوف . ومن هذا الخبر ظهرت قوة الترك في قسنطينة .

وأما صاحب ولاية تونس الذي كان هرب إلى القيروان ، فإنه مكث هناك زمان ولما اشتد به الحال وضاق به الرحب والمآل . فك قديمه من ذلك المكان والتجأ إلى الباشا بالجزائر ، مستغيثا به وطالبا للأمان ، فلما وصل إلى باي قسنطينة أكرمه وأحسن إليه كل الإحسان ، وحين وصل الخبر إلى الباشا بقدمه تخم في شأنه وتفكر في أموره ، وأمره باستقراره عند باي قسنطينة في الأمان مع زيادة الإكرام والإحسان . فترأ الأمر الباشا امتثل ، ولما محمود به الدهر محتمل وبقي في حمولة مرغبا طالع سحوده ومتظرا للأخبار وتداول الأهم فباخذ بالتأثر .

وكان صاحب مملكته تونس حين سمع بفرار ابن عمه من القيروان ، واستقر عند باي قسنطينة في الإكرام والإحسان ، تخبر ونعم من أحله وأهله أنه سيكون له شأن ويقف في صره وكان من بعد زمان دارت الأملاك ، وتكونت الأكوان ، فوقع بين الجزائر وتونس الدوهمان .

هذا الوقت جاء الأمر من عند الباشا بالجزائر إلى الباي ررق عين قائلا له إن صاحب ولاية تونس بكل وظهر في شروطه الخلل . فوجب أن يحصلوا معه الدوهمان ، ولارم نمشي أنت وابن عمه المستقر عندك وتقابلوه بالاعتان . إما يوفي بملزوماته وإلا يحمل به ما حل بأوائله من قبله . فلما وصل هذا الأمر إلى الباي المذكور قام على ساق الحد ، بالعزم والعزم ، ورتب عساكر وجنود ، وسظم آلة الحرب من مدافع ، وكور ، وبارود ، فلما قصي وطره كان مدد العساكر من الجزائر وصله ، فحينئذ تقدم هو وصاحبه واستمتعوا سفرهم بالعزم والاجتهاد قاصدين إلى تونس بالحد والأجساد (38) ولما وصلوا

(38) الذي قرر إعلان الحرب حل تونس هو الذي بها على عام 1755 م بعد أن رفض باي تونس دفع الجزية السنوية المطلوبة منه ، وكلف باي قسنطينة ررق عين بذلك ، وحشد للأمر الفرنسي قلاصم عدة قسنطينة على باي بن حسين باي من حال قوات التحصين بها مدينة تونس يوم 9 ذو الحجة 1168 هـ (31 أوت 1756 م) وغطوا على باشا وابنه محمد باي أكبر أبناء حسين بن علي على العرش .

مدينة الكاف الذي عمدة مدينة تونس وأساسها ، فكانوا متين يوما وهم مقيمون عليها بالحرب العظيم ، والقتال العقيم فما طالت إقامتهم وبدأ الضعف في قوتهم ، كان الباشا بالجزائر مدعهم بزيادة العساكر ، فحين وصل ذلك المدد إليهم فتح الله بالنصر عليهم ، ودخلوا مدينة الكاف من بعد الحروب المديدة ، والمقاتلة الشديدة ، موقع الختل في مدينة تونس ، وتلاشوا باسمها ، وهربوا ، البعض من أقارب صاحب ولايتها ، فلما وصلوا إلى الباي ررق عيو طلبوا منه الأمان ليكفوا له أدنة وأعوان فأمهم وقابلهم بالإحسان ، فصد ذلك تقدموا بين يديه ، وفتحوا له الطريق ، وسهلوا عليه كل صعب وصيق ، وجلبوا إليه شيوخ ذلك الأوحان ، وصاروا معه أصدقاء وأعوان ، فلما وصلوا إلى مدينة تونس تصعب عليه الحال ، وصاق بهم الرحب والمآل فراحهم دبروا في الحيلة ومحموا في تحصيل التهمة ، فجعلوا مراقي وسلم ، وداروا بمدينة تونس كدوار السوار بالمعصم ، وصعدوا مع ذلك المراق فوق الأصوار (كدا) وكان ذلك آخر الليل قرب النهار ، فمات في ذلك الهجمة من العساكر بظاها ، واندخلت مدينة تونس في حبيها . ومات صاحب ولايتها وصار الهب والسلب في أرافها ، واستولى الباي ررق عيو ورفقه على حرائها ودحائرها وركضوا الخيول بالبشائر إلى الباشا بالجزائر فصرح بذلك البشائر الذي رقت إليه واعتم بتلك العينة التي حقت لديه .

وأما الباي ررق عيو فإنه رجع رفيقه الذي جاء معه في قسطنطينة وولاه مملكة تونس وبرت العافية العميمة ، ورتبوا العمال وأمسوا الأحوال وجردوا عفيفة الشروط ، وأثبتوها إثباتا صوط⁽³⁹⁾ ثم إن الباي المذكور من بعد قضاء أوطاره عيو (كدا) من ذلك الأموال والدخائر وما حب خاطره ، ورحل من مدينة تونس راجعا إلى قسطنطينة ،

(39) كان حسن باي من علي قد دعا بأولاده إلى القصور بعد أن تغلب عليه من علي باشا مدعهم من جزائر كما مر ، وبلى هناك بفترة عدة سنوات حتى استشهد جنوب القصور عام 1153 هـ (1740 م) ثم أرسلوا القلعة إلى الجزائر ، واستقر هناك منهم عدده الجزائر ومما محمود وعبد واستقر الثالث ويسمى علي باي في قسطنطينة ، وأكرمته الباي بوجناك ومن بعده ررق عيو ، وعندما تفرغ جزو تونس حشد هؤلاء الأبناء في تلك القلوب الجزائرية ، وساروا معها إلى تونس حيث تم قتل علي باشا وابنه ، ونصب محمد باي في مكانه ووقف إلى جانبه أخوه علي باي فظهر ظهيرة النصر منه من 310 322 حسن حسن عبد الوهاب النصر منه من 151 - 154 وكذلك A.drevoulx les archives du conseil du France .

ل سلطنة وشهرة عظيمة فلما صار في أثناء طريقة أصابته في جسده أكلة أذهبت روحه بالعجلة . فحين وصل إلى قسطنطينة أدركته الموت بسبب ذلك المصيبة رحمة الله عليه ومات عام ألف ومائة وسبعين⁽⁴⁰⁾ .

أحمد باي القلي 1756 - 1771 م :

ومن بعده تولى أحمد باي رحمه الله . هو جد حاح أحمد باي ، وكانت ولايته في العام المذكور⁽⁴¹⁾ وهو تركي صاحب ديانة . وله في الحروب شجاعة . وهو الذي كان لتحق مدد الصاكر إلى باي ررق عيى حين كان في الحرب مع مدينة الكاف . فوافق وصوله بذلك المدد دخول مدينة الكاف ولذلك رجعه الباشا من بعد الباي ررق حين وكانت⁽⁴²⁾ .

40) بعد أن عاد ررق عيى من عزوة توس ، مرض في الطريق وعندما وصل إلى قسطنطينة توفي في الشهر الأول لعام 1170 هـ الموافق لينايا عام ، 1756 م .

41) المقصود بذلك السنة عام 1170 هـ الموافق لعام 1756 م

42) يدعى أن الناصح بكتاب المعترى أسطى وبرك جانب من سورة أحمد القلي ، وانتقل منك إلى الحديث من سورة صايع باي ولهذا سيجز هنا للمعلومات هي أوردتها فليست في دراسته . يذكر أن أحمد القلي كان ألقا على مدينة قتل عدة سنوات قبل أن يصاحب ررق عيى في محنة عن الكاف ولوس ، وبذلك لقب بالقلي ، حارب عدة قبائل خاصة حتى خارج حدود البايك داخل باشليك الجزائر إلى طلبة بحال مرمره . وهو أهل القضاة ، ولولاد سلطان بالأوراس ، وكان من ضمن من قتل له خلال هذه المعارك الأما فوعيس ، وشيخ العرب الحاج بن فانه ، وشيخ بلطمة مرحاب بن علي من عائلة القفاة الشريف بن منصور ، وبقياسم بن مزاج رجب الزمالة ، وكريش بن سلامة قائد فرقة .

تذكر أحمد القلي من غير المصدا ، ووطد الأس في البديت ومرض عدة المدة على الجميع ، وشجع الفلاحين على غراسة الحضر والأشجار والخمر ، وهو وشجر منطقة بفسه بكيمه مكتبة ، وغير مكان الزمالة ونقل معسكرها إلى طبت الجملة على بين طريق باينة ، وشرع في بناء برج القسطنطينة ، وأحبه السكان واستحسنوا حكمه وعهده الذي دام خمسة عشر عاما وتولى عام 1183 هـ الموافق لعام 1771 ، وعلمه صايع باي تظير طاهيات المصدر عنه من 323 - 329 . وقد رجعت إلى الترجمة الفرنسية ووجدنا أن ما سماه الناصح عن كتابه شيء قليل ، ولا يختلف عن المعلومات هي أوردتها فليست ولخصناها هنا ولا نزيد على نصف صفحة . انظر :

صالح باي 1771 - 1792 م :

وأنقر بيابها⁽⁴³⁾ فكان فيها مفعة للعباد ومصلحة ، وحصا للبلاد وأسس المساحد
لنديانات ، وأجرى لنصحاء والقليل الصدقات فذلك كانت أحواله في عاية الاستقامة
والرعية ضائعة إليه ومقادة . وقد أعطاه الله من صلبه كثيرا من الأولاد ، ومنك الأملاك
في كل البلاد ، وعم الخير كل العباد . وكان صالح باي المذكور يخرج إلى الوطن بخلص
مطالبه بالتمام في مدة قليلة من الأيام . وهو الذي أسس مرسى مكبكية وشهرها ، وصاروا
كل الأحاس بأحدون الوستقديا . وقد انجرت له من تلك المرسى فوائد عديدة ودحائر
م . حصنة وتمهدت كل الأوطان في عصره ، وبنا من الخيرات ما لم ياله (كدا)
واحد . النابات قلة ومن بعده . وداس كل الأوطان العامرة والمقراء ، وكان وصل
إلى نقرت نقضاء (كدا) وحس الصحراء لم يصلوا إليها النابات السابقين (كدا) ولا
أدركوها المتحررين (كدا) إلا صالح باي وصنعا وقام عديها سبعين يوما حتى طوعها .
ونحصل بيده الفوائد الكثيرة منها ورجع إلى مسطبة من بعد اعتناقه بذلك العبيمة ،
وعاش في زمانه عيشة محصية وأحواله سديدة مرصية . ولما قرب أحده وحات وفاته
تبدلت سيرته وانعكست حقيقته ، وصار يظلم ناس الزاوية حتى أقصى به ذلك إلى
الملاك والهاوية . هذا الوقت جاء الخبر من الخرائر بموت الباشا الذي كان رجع صالح
باي ، ورجع النابات الذي فيه ، وتولى باشا آخر معا كان من أيام قلائل إلا وقد أمر
بعرن صالح باي وانتقاله إلى الخرائر بأولاده وأهله ، ورجع باي آخر وبمنه من الخرائر

(43) إن الناصح "خطا" ترك قسم الأخير من سورة الباي أحمد قنبل وقسم الأول من سورة صالح باي ، ولذلك فإننا أهدنا
دراسة موجزة له العهد على غلبت ، ومحمدي ، ورجع لندى ، وفوريون ، وأنتها في العاش كلها بغيرها ما من نص المصري
ولد صالح باي في مدينة أرمو بتركي في شب حربة ايا المصري من أب تركي اسمه مصطفى وذلك عام 1739 م تقريبا
وعاش سنواته الأولى بصفه عادية . وفي عام 1755 تسبب في مقتل أحد أفرادها خطأ ، فنجبر إلى الفرار حتى ابتغى العتاب ،
واستغل في إحدى مناهي مديته الخرائر ، وحرف على الكثير من الأثراك في مجلس الأوجاق . وسكنه ذلك من الانتحالي بفرقة
المهنية العسكرية للفصل بـ من أن يرسل إلى مديته قسطنطين لدعم فرقة الحركة العسكرية بـ كذلك . فبرزت شخصيته وشجاعته
وشترك في حدة الباي روي عمو صه تونس وأبدي مطرة وشجاعته في الحرب ثاربت انتباه أحمد قنبل ففرقه إليه وروجه ابته -

ثم لما أصبح بابا على رأس البابليك ، حبه فلما على عرش المراكمة بالأوراس عام 1762 م لمدة ثلاث سنوات . وعندما تولى عليه الباى في قسنطينة استدعاه صهره أحمد القلى ، وحينه خليفة عام 1765 لمدة ست سنوات . وفي عام 1771 تولى أحمد القلى ، حين صاغ بابى في مكانه على رأس البابليك واستمر في منصبه قرابة ربع قرن بعدة صيف عام 1792 م

كثير صاغ بابى أعمالا كثيرة عسكرية ، اقتصادية ، وعمرية وثقافية واجتماعية ، كان لها آثار بارزة في حياة السكان ، والبابليك بصفة عامة .

في بداية عهد تولى أولاد نابل وشكوا عصا الطاعة في وجه الذي بالمعينة قلا ، حلفا عسكريا صدهم ، واقتحم الخلفه ، وبوسعادة وقت بالكثير منهم وأديهم ، وعاقبهم حتى أودعوا . وفي خلال عهده مر على القصر لتسوية ، بأراضي ومول جنوب قسنطينة وحسب به وعاقب بعض القضاة من أولاد رابح ، الذين كانوا يتحتم منسكرة للسرقة والتهب . وكان ذلك حوالي عام 1772 م .

وحسب وحسب به وبين حسن باشا من الباى بوجت ، فحاول أن يحصله وفر إلى تلمسان والتحق بالباى محمد بن عثمان الكبير حاكم بابليك وهران في معسكر ، وحينه به وطلب منه أن يمسى لاستخدام أسرته ، فدخل لدى الباى محمد عثمان باشا واستقدم له أسرته ، ووطئه بميثاقه لمدة عشرين عاما بقرية ، حتى تمكن من العودة إلى قسنطينة على رأس البابليك وقام بفعل عزيمة صاغ بابى لدى كل صهره لإقناعهم بوضع الخروج طه إحدى طاعت بن قلا .

وفي عام 1773 غزا صاغ بابى أولاد صومر وضمهم لقرى رحينه ، وألفوا ، والأحواض ، والبيلا ، وعاقب القضاة ضد داي الجزائر ، وقتل مائة رجل ، وأرسل رؤوسهم إلى قسنطينة لعلق على الجدران والأبواب

وفي عام 1775 حل صاغ بابى الدنوش إلى المعينة ، واشترك هناك في طغمة حملة الصابط الإسباني أوربي ، وحسب من الحصار والخراب ، وطبق استراتيجية جيدة كان لها دور فعال في إبطال نظرية الفكرة بالحيلة الإسبانية رغم ضخامة عددها وأعداد حدودها ومراكب البحرية ، وعندما عاد إلى قسنطينة أسس في سنة نفسها مسجد ومدرسة سدى السكان

وفي عام 1776 م هاجم صاغ بابى أولاد بن عاشور فرحوة ، وكرر حملاته صدهم لعدة عام 1781 بسبب حسابهم واستعصم عن الاعتراف بسلطة البابليك ودمج الضرائب .

وكان للحملة العسكرية هذه آثار جيدة فركب الجميع إلى الحدود لسنوات طويلة . وفي عام 1783 اقتحم بعض القبائل التونسية حدود الجزائر في منطقة تبسة ، ودخلت إلى الجزائر طرة أمام قوات على بابى ، واعتزلت الجزائر موطنها لها ، وقتل صاغ بابى رغبها ، وكتب حمودة باشا وطالبه بدفع تعويضات مالية لتلك القبائل التي اعتزلت الجزائر وطنا لها وحده مبلغ 40 ألف سكين لذلك ، وعندما وصل رسوله إليه في نهاية نوفمبر 1783 م رفض الاقتراح ، وكتب الذي محمد عثمان باشا واحتج عليه على صاغ بابى ، ولما لم يوافق إلى المزمع لإعاجيه ، تلك القبائل وحقها ، ونكر صاغ بابى كان بالمرصاد له فغالب مطبة المتابعة وعقد من الحرب وكتب صاغ بابى وأرسل إليه المطالب ، واتفق معه على دفع تعويضات بمبلغ 25 ألف سكين وذلك في جوان 1784 م . وبقي الأمر معلقا بين الطرفين لغاية مطلع عام 1787 ثم هاجر عدد من سكان قسنطينة لجدة إلى تونس ، وانهم

صاح باي حمودة باشا بحربهم على ذلك وألف جيشا من ستة آلاف رجل لرد روس . وحصل مثله حمودة باشا وجد معه
الآلاف تركي وكرد علي ، وحلفا من الأتراك ، غير أنه نجح من معه الأمر ، وحصل الدخول في مفاوضات مع لوجان الجوز
ووافق على دفع مبيعات من حقل طرب . مرصا لأن المنطقة كانوا يقدونه كذلك بالمعروف على بلاده

وفي عام 1788 م قاد صاح باي حملة كبيرة إلى الجنوب المصري القسطنطيني لمحاربة شيخ الدولة محمد الدباغ ، وشجع
تقرب فرحات بن حلاب ، لرصدها دفع الصرب للبلد . وفي طريقه إلى قنوت مر على واحات طولة ، وبوشرون ،
ولبنا ، والرافضة وسيدى حبل (سيدى حبل) وادى جدى ، ودفع له سكانها الصرب للطلوبه ومن هناك واصل طريقه
إلى الرمان وادى ربح ، وحرص الحصار على قنوت حواي سيدى بونا حتى أخرج شيخها على الاسلام وفتح أبواب المدينة
له وقبل دفع الصرب للطلوبه منه ، وغرامة الخلفة وعصافها وأمنيا .

وقد تعددت حلات صاح باي على الجنوب أربع مرات ، واستعمل خلالها القوة والديبلوماسية ليشمل إليه رجال الصوف
من قاه ، ولأولاد برحكار وسرع نفس نظام نظم نياه لسفي أنشطر النحل ، والمصروف

وفي عام 1789 م سى عشرة حواي جميع سيدى مصر بالسفينة ، ومسجداً بجانب وأهم بالمسلم وأمر إلى العبداء ، ورجال
الدين ، والنفهاء أمثال الممنى المحمي الشيخ عبد القادر الراندى ، والقاضي المحمي الشيخ شهاب بن حنول ، والقاضي المالكي
الشيخ العاصي . وتغربت لسطبه في عهده على حمة صاجد كبرى ، وسجن مسجداً صغيراً ، وثلاث عشرة دابة ، إلى جانب
الكتائب القوية الكثيرة . وأولى اهتمامه بالتعليم الدينى ، ونحوه ، وعصر للطلوبه والنفهاء والرفاع ، والأنسة أجور سوية
قاره من أموال الأوقاف الإسلامية التي أقيم برحانيا وصديا . وعبر وكلاء وعصر لندك . واستحدث في كل مقوم فاهة للصلاة
، هذا للوصوة . وأخرى للمعربس ، وأربع غرف لسكنى الطلبة الفقراء وحده عشر سنوياً للخرج وإبقاء التعليم ، ووضع خطوط
وحرية للنسب بطلون بالآداب العامة ومنها الطرق

وعظم القصد بالبلد لفرامى ، والعصامي ، والخطارى ، وأهم بالمعربس والإدارة منجم عرسه الرمان ، وعلاحة لمر ، وبالق
أشجار الفواكه ، واستحدثت شبكة من قنوات لرى لإيصال المياه إلى المروجات لسطبه خاصة بالخدمة وسيوس ، وأخذ نصفه
بربعة مودجه حرمه الرعى المعروف باسم سيدى محمد طرب ، وأمر باستصلاح مستنقعات صغار وادى سيوس لاستصلاحها
في الزراعة

وحصل جود الرمال إلى سهل من منه على طريق باشا ، وأسكنهم هناك ، ومنكهم أرضى حصص في حرم كرسه وبرج القصب ،
وأمرهم باستصلاحها ، وزراعتها ، وبمارسه بربه الخيون با لصاغ إدارة التاليف . وهذا من حسن الاعراض التي دفعه إلى إتمام
سواء برح القصب الذى شرع أحمد القفل ليه في تشييده . ومن حسن مهم جود الرمال في سهل من مليله ، مراقبه أعمال خرت ،
والصا ، وجمع المحصول ، واستغلال الشعور لطف مغيرات والمصالح للاختار في الأسواق ، وروود جود الرماله لمحاتهم العداية

أهم صاح باي بالصناعة ، وشجع أصحابها على اختلاص مهيم وحرفهم وأصبح لسطبه في عهده نجح بالورث المختلفة
والأسواق المزدهرة الفارة ، فهناك 20 سوقا وسوقه و 21 مساحاً (بحر لخرى) و 7 مروجات لصناعة القصب ، و 3 مروجات
لحرم السلع ، و 3 لمران لصنع الخمر ، و 21 مطحنة للمحروب بها 9 داخل للمدينة والبال خارجها . تطحن 484 كيساً من

الذئبق ، ومن ضمن المصوغات ندر دهره بقمطينه في هذه الفترة : الحبوب ، والتحاش ، والحداثة ، والخل ، والسج ، والخشب ، وأقوات الطين ، واللبانة والأقوات الخفيفة ، والطينية ، والحلقة ، وغيرها .

شجع صاخ باي التجارة الداخلية والخارجية ونحوه فسطينه إلى ملهى للفضول التجارية الكبرى القديمة من طرابلس ، ودمش ، وبوس ، وبسكرة ، والخرقة والمغرب الأقصى . وكان البحر بها يضم 200 رجل وريادة تشيخ بصالح البهيت المختلفة الزراعية والحيوانية ، والصاغة ، إلى مختلف الجهات الإغريقية والشرق العربي ، وأهم كذلك بالتجارة الخارجية فأصبح مواني عديدة ، ولقدالة ، وسكينة وسطورة ، ولقل ، هي تعد إلى البحر والمراكب التجارية الأوربية ، من إيطاليا ، وفرنسا ، وعموم للفرس التجاري ضيق بصالحهم الأجنبي وشغري بصالح البهيت . وقد وضع لما صاخ باي وكلاء مراقبة هذه التجارة الخارجية واستغلالي ضريبة الجمارك على البضائع التجارية الصغيرة والوردية .

وأصبح نظام جباية الضرائب ، وقسم البهيت إلى قسمين : شرق ، وغرب ، يحصل بيها راي الحمام ، ويشرف على كل بيها قائد بحري الذي يخضع بدوره لثالث القدر بقمطينة ، ويقاضي مقابل قيامه بعمل ، ضريبة الزمام مقابل قيامه بمحيطين في العلم إحداث في الحريف مراقبة أعمال الحرب ، والأخرى بعد الحصاد لاستغلاله ضريبة البحري التي لفرب ب 5 و 12 صاعا لصحا ، ومطها شعرا ، مع عشر شيكات من شين كلف للحيوانات

كذلك أهم صاخ باي بإصلاح حصر القنطرة ، واستخدم مهندسا إسبانيا من ماضون بالنيار يدعى دون بارثولوميو don bartholomeo وكله عديته ونفرض ما يمكن عمله لإصلاحه ودعمه . ولم الاتفاق على استعمال المواد المحلية بدلا من المستعملة التي تكتب بلفات باعطة ، وشرع هذا المهندس في الإصرابات لتطوره لذلك ، غير أن صاخ باي حزن لم فعل ، وبوقت العمل في الجسر إلى ما بعد .

م جعل صاخ باي عسرا مدينة فسطينة ، ونجملها ، فحصل على سيدي الككاي دس إلى جواره مناره الخاصة لرب الجامع ومدرسه وأنشأ دكاكين عديدة في سوق الجملة الذي أصبح يعرف بعد ذلك بسوق العصر . وأقبل بها مجموعة من الفنادق والدكاكين خارج باب الجليل فبالة كنية حتى .

حصص لليهود ، المنظمة المصنوعة بين باب القنطرة وجامع القنطرة التي كانت مهيورة ليناويا مارشم ودكاكينهم ، فاجتمعوا بها ، وقصص وجودهم بحومة باب الخاية ، وسيدي الككاي ، وظهرت إلى الوجود حومة رجة الصوف ، والشارع الرئيسي لمتد بين باب القنطرة وباب الوادي

في أواخر أيام نفوذ سيرة صاخ باي ، وسوكة ، تجاه شمس فأخذ يظلمهم دون عذر ، وبغرض عليم الضرائب المرفعة ، ولا يراعى أوضاعهم وندروهم بعبث والاختصاص ، بل وحتى السياسة . فظهر ضدهم ماضون وحشوم كثيرون ماضوه المدا ومهم الشيخ محمد الغرب ، والشيخ أحمد الرومي ، وبورناد بن زكري ، والشيخ سيدي عبد من الحاشية ، وعدد آخر من الجماعة . وشكوا إلى الداي حسن باشا بالعاصمة فقام بعزله في دي سنة عام 1206 هـ الموافق لشهر أوت 1792 م وعرضه بإبراهيم باي بوصيخ كما سبيل ، وهي صاخ رايي يمكن العودة إلى المصادر التالية

أ) ناصر الدين سميدي - دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الجزائر 1984) ص 59 - 80 ، 347 - 355

ب) أحمد توميل المادي - مذكرات الحاج أحمد الشريف الزحار طبع أشرف بجر (الجزائر 1974) ص 25 - 63

ج) حسن حسي عبد الوهاب - خلاصة تاريخ بوس - (بوس 1373 هـ) ص (156 - 160)

د) فليست - المصور نفسه (1868) ص 329 - 375 . و 379 - 392 .

إبراهيم باي بوصبع 17 أوت 1792 م :

واسمه إبراهيم باي بوصبع رحمه الله ، وكان صالح باي حين وصله الخبر بعمره وانتقاله إلى الجزائر بأولاده وأهله ، تعيرت له الأحوال وما حب العزل ولا الانتقال ، فاستغاث وطلب الانتصار من ناس البلاد ، فالتقوا إليه بطون أن ذلك وقع له من بعض الأضداد ، فلما تبين لهم الخبر الصحيح ، وتحققوا أن الأمر جاء من عبد الباشا صريح ، تراهم سلوا أيديهم منه ، وفكوا أقدامهم عنه ، وباقى هو وحده حيران ، ومهموماً كثير الأحران ، فلما وصل بوصبع المذكور إلى قسطنطينة واستولى على مملكتها ، تراء اجتمع مع صالح باي وتعاهدوا على أن لا تكون بينهما خدعة وانصلوا على أن صالح باي ينتقل إلى الجزائر بأهله وأولاده ، ويرفع جميع أرزاقه من غير معارض له في ذلك . وكان صالح باي أصغر في نفسه الخدعة فلما كان في الليلة الرابعة هجم صالح باي في الليل ودخل على الباي بوصبع وقتله في فراشه وقتل جميع خدامه الذين أتوا معه من الجزائر وهم مائة أنف بالعدد ، وما عجا بهم أحد . وصارت فتنة عظيمة بين صالح باي وناس قسطنطينة آل الأمر إلى أن وقع القتال بالبارود من الجانبين ، فسد ذلك اتفقوا كبار البلاد وعلمائهم وكتبوا إلى الباشا بالجزائر وأحبروه بكل شيء فلما وصل الخبر إلى الباشا المذكور عصب واستعاض وبعث باي آخر بالمور ، قرع على اسمه حسين وحرصه على قتل صالح باي ولا يمهله طرفة عين فلما وصل إلى قسطنطينة اجتهدوا وسعى في الخيلة حتى تمكن بصالح باي وقتله وبسبب هذه الجريمة صارت عادة جارية بموت البايات المتأخرين . وكانت مدة ولاية صالح باي اثنين وعشرين عاماً . وأما بوصبع المذكور فإنه مكث ثلاثة أيام لاغير 449 .

449 (مصب إبراهيم بوصبع بنا يوم 28 من ذي الحجة 1206 هـ الموافق ليوم 21 أوت 1792 ، وفي هذه في محرم 1207 هـ الموافق يوم 21 أوت 1792 هجم عليه صالح باي ورفقه وقتلوه هو ورجال الدين جاء بهم من الجزائر ، وعاد صالح باي إلى السلطة مرة ثانية ولكن لمدة عشرة أيام فقط .

فقد حصر من قلعة مرمية السابق حسين بن حسن بوشنك الذي كان مصب بميناء منذ عشرين عاماً وقام بقتل صالح باي في محرم 1207 هـ ، الموافق لأول يوم من شهر 1792 .

وقد سلب جثة إلى أسرته ، فدفنته في مدرسة سيدي الكلال ، وعطف ورايه أولاد كثيرين تمكن واحد منهم أن يهوى منصب أبيه دنياً على قسطنطينة وهو حسين بن صالح باي عام 1806 م لمدة عشرين سنة فاهبت المصدر نفسه (1868) من

حسين باي بن حسن بوحنك 1792 - 1795 م :

ومن بعده ولاية حسين باي رحمه الله في سنة اثني عشر ومائة (457). هو المقدم ذكره وهو ابن الباي بوحنك المذكور في السابق ، وكان حسين باي المذكور ولد في قسنطينة ونشأ فيها ، وكانت بينه وبين صالح باي مودة ومصادقة فدخلوا بينهم الوشات (كدا) حتى وقع بينهم الصد والشقات ففر حسين المذكور إلى الجزائر وبقي هناك مستوطناً إلى أن وقعت تلك العارطة من صالح باي ، كان الباشا محم في عقله أنه ما يأخذ بثأره إلا ضده فيقتله وقتل صالح باي كما ذكرنا أولاً ، ثم شرع في قتل خدامه وكل من تبعه في ذلك الفتنة ومن بعد ذلك ما صبح شيئاً قط من كون الوطن منهيء والرعية طائعة من قبله . ومن بعد زمان قليل أصابه مرض حتى تعطلت أحكامه فأمر الباشا بقتله فمات من حبه سنة اثني عشرة ومائة وتسع (458) .

مصطفى باي الوزناجي 1795 - 1798 م :

ومن بعده تولى وزناجي باي رحمه الله في السنة المذكورة (459) واسمه مصطفى وهو

(45) هذا التاريخ الذي لورمه التاسع هو صحيح وهو واضح كذلك وسبق . والصحيح هو سنة 1207 هـ الموافق لعام 1792
استقال إليه عصوم صالح باي ولزيم منه وعن محمد الشريف وقد أخذ باي حبيبه ، ورضوان قائد الدار ، وكان يشغل المنصب
منه في عهد صالح باي ، ومن جنود ومن سام ، كل منها بائش كاتب ، ومن ركزي باي سيار ، وعن في منصب بائش سلس
أهوايا آخرين من العائلة حسدا . ولي تومر تيمه تسيب مرض في رجته حلقه عن ركوب الحصان ، وتول إليه تسيب في علمه
كذلك ، فأمر الذي بال حسن بركه وإعداده ، ودفع في مسجد سيدي محضر بجانب أبيه وسيدني ولده حسونة إلى جانبها
كذلك عام 1799 م انظر تسيب المصنف عنه من 453 - 458 وكذلك شربوب المصنف عنه من 123

(46) الموافق لعام 1795 أهم عمل قام به هذا الباي هو تجهيد البحر القنطرة الذي بدأ صالح باي المحاولة فيه كما ذكرنا
(47) عام 1209 الموافق لعام 1795 م وكان يحرى صناعة البارود ، وتولى منصب الباي في المنية يانليك القنطرة لمدة عشرين
عاماً وعندما عهد الذي بالها على قسنطينة صاحب معه حاج حبيبه وعينه بائش كاتب وعن انظير حبيبه ، ومن لزمي ، أما
الدار ، ورضوان قائد الدار ، وآخرين في منصب أخرى حبيبه . ورغم كبر سنه فإنه قام بعدة غزوات ضد الصلابة في المناطق
الجبلية القوية ، وحاجم القنطرة أو القنطرة في الحدود . وصار منهم قطعانهم ، وعدد عدداً من منازلهم ووصل حتى إلى مدينة
القنطرة على الحدود ، وحاجم أهل ورند بلس ، وصل لهم مثل ما فعل بالقنطرة ، واعتقل رئيسهم الشيخ الأكل ، وعاد إلى
قسنطينة ومن هناك انجبه إلى الجنوب وحاجم أولاد بوعود في سهل ونة وحاصر القنطرة والقرى في جبل مستوية ثمانيه نصف
شهر ، وقتل الكثير منهم ، وشرذ الباقين وبعد ذلك غزا أولاد محم في الأوريس ، وأنعم عدداً من رجال أولاد عززارة القويين
للنوار . وغزا أولاد موسى من قبيلة حشاش قرب باتنة ، وصار قطعانهم وأهلك كثيراً من رجالهم . وغرض على الجميع احترام
السلطة ، وحكمهم بعد من حديد ، وغرض سلطة الأتراك على كل قبيلته .

تركى في الحرائر له شجاعة ورهبة وكان متولعا بالخروج إلى الوطن ، ويغزى ، (كدا) على الجبال الشمع ولا يبالى بمن هو قريب أو باني . ومن هذا الوقت صاروا الترك يأخذون الخور ، ويبدوا الحقوق المشروطة ويبدى (كدا) مهم العجور . وباجمعة أنه من حين موت الباشا الذى اسمه باب محمد⁽⁴⁸⁾ ومات صالح باي ، تبدلت أحكام الترك وانقلبت حقائقهم وصار صميمهم لا يوافق (كدا) كثيرهم ويد (كدا) القصر في ملكهم ، ومن ذلك كلام الحكماء ، وإشارة العقلاء : الدولة بستان ، وثمرته العدل والإحسان ، فمكها مسدد ، وسبطانها قدير . ويرجع الكلام إلى وردجى باي أنه عاش زمانا ، وأمر الباشا بقتله من غير سبب فمات من حبه سنة ألف ومائتين واثنى⁽⁴⁹⁾ عشرة رحمه الله .

حاج مصطفى انفليز باي 1798-1803 م

ومن بعده تولى انطير باي رحمه الله في السنة المذكورة⁽⁵⁰⁾ اسمه حاج مصطفى وهو

(48) بقصد به الداي محمد عثمان باب الذى حكم ربيع فرد من 1766 إلى 1791 م

(49) الموافق عام 1798 م . والسبب في عزله وقته عكر ما رهم القترى هو تأمر النجار الفرنسي صده فقد كان يرفض بيع الخوب إلى الشركة الإنجليزى بالقتال لانتقال لحيات الداي محمد عثمان باب . وبعد بولي عبد الداي تجادل النجار الفرنسيون واختصموا عدة ظروف فوليه مصدة ، ولكن الفصل الفرنسى عاد يرد صاحب انبرى Jean bon saint andre من إنتاج الداي الجديد حسن باب بعل الباي التورماحي . وإعداده شعاً ومروحة بحبته حاج مصطفى انطير عام 1798 . انظر فاهيت المصدر نفسه (1800) ص 439 - 443 .

(50) عام 1212 هـ - الموافق لعام 1798 م . وبعد أن تم حبه ألف عزم على الشكل التالي

محمد بن صالح راس خيفة ، رضوان قائد الدر محمد بن جلول ، وكوشوك على باش كاتب ، محمد بن مرتضى أغا الدار ، ثم بقاسم البوكى ، ثم دحمان بن ركزى ، وعين كلا من أحمد عاب ، ومحمد شاكر ، وفردة مصطفى ، سراسا برغو كلهم فيما بعد إلى منصب الباي . وسبب اسمه بانطير وجعله في أسر الإنجليز ، وبخاذه في بلادهم 10 إلى 12 عام ، وقبل لكون طباعه تشبه طباع الإنجليز في برودة الدم ، وعكر ، والحدوح ، والحق أنذر البليك بحرم وجد ، واعتل لأسر الداي بالطامسة فقطع العلاقات مع عرب بعد أن غزا بابون الأول مصر ، فأرسل إبراهيم شاه إلى عتبه العمل ليشل الفرنسى العامل في الحركة التجارى الفرنسى هناك . واتقاه إلى فلسطين حيث وضع في السجن بفار فرنسى ببولي لكنه الصداقة ، وأمر بتخريب مركز الشرطة الإنجليزى الفرنسية بالقتال . واستمر الوضع هكذا إلى أن تم إبرام معاهدة السلم بين الداي مصطفى باشا وديبرا فاعمل Dubois tharville عام 1802 ورغم أن داي مصطفى انفليز لم يشترك في غزوات عتارح فسطاطه لضعف صحته إلا أنه -

تركى قديم في قسطنطينية وهو رجل عاقل متوصف بأوصاف العرب ، وكان يخدم مع صالح باي ، وفي زمن انقليز المذكور رخاء كبير في كل الأشياء إلى أن صار الصاع من القمح في زمانه يسوى (كذا) فربك وهو الصاع الذى يسوى في هذا الزمن (51) عشرون فربك . وكانت ولايته تشبه زمان رمان ولاية صالح باي في الرخاء والعافية ، وطمع الوطن ، وكان سبب انقضاء ولايته هو أن واحدا من أولاده اشتهر بالفسق والفساد ، وانجرت اديته إلى مأس البلاد فلما شاع أمر فساد ونهب قبح صنيعه أمر الباشا بعزله . وانتقاله إلى الجزائر بأولاده وأهله وكان السبب في حياته وعدم قتله كانت مصادقة ومودة بينه وبين وزراء الباشا فتشعروا به وعزل في سنة ألف ومائتين وثمانية مائة (52) .

عصمان باي 1803 - 1804 م :

ومن بعده ولاية عصمان باي رحمه الله في السنة المذكورة (53) وهو قرعلى من أولاد قار محمد كانوا أوائل بابات في وهران ، وكان عصمان باي المذكور رجل حرم في أموره

« وجه حملات ضد أولاد عل بن يحيى التومسي في مكنانت ، القاري والمشرقي ، هناك الحملة الأولى بالتقسيم لفرق أما الدارة وحمل هو وابنه ، وفاد الحملة الثانية من عمار بن شريف وتعرض هو الآخر لفرقة قتله وطرد عددا من رجاله ، وحددت سلطة الباي أولاد سي يحيى بن طالب برعاية شيخهم يوسف الشجاع والمغرب حل القور والحصن ، وهم مجرورون لهم في السكن فأغاروا على اكنانت وطغوا لهم شيخهم أحمد بن بو عزيز ، وأخاه ، وأرسلوا رؤوسهم إلى قسنطينة فهذهت الأحوال انظر طليع النصر سنة (1809) ص 463 - 470 . وكذلك :

A. devaux les archives du consulat general de France à alger . pp. 132 et 142

(51) يحيى عام 1846 وهو التاريخ الذى تم فيه طبع كتابه

(52) الموافق لعام 1803 م وقد وضع في إقامته حجر مدته لم ير إلى يومنا . والحق بخسرة باشا وكان سببا في اندلاع الحرب بين الجزائر وتونس في عهد الباي عبد علي

(53) عام 1218 لعام 1803 م هو من محمد بن عثمان الكبير باي وهران ، حلف أباه على بابيت وهران خمس سنوات . وفي عام 1799 عزل ، ونفي إلى الطينة لمدة عامين ثم أعيد منه رعين على بابيت الشرق قسنطينة ولكن الثاني خطبه ، وير كوجوك على ، باشا كليب ، وحاج أحمد الأحمس قائد الدار ، ومن شملت في إمرهم ألف الفيلة ، وأبناء بن تركي باش سيار وباش شلوش

وطبعه بكره الترك من أهل ظلمهم . ويحب العرب لصحبهم ، وكانت سيرته مليحة مع أهل الوطن ، والبلاد وحكمه بالعدل والساداد . لكر في رمان ولايته ظهر الشريف بواد رهور ، وبعد رمان جاء الشريف المذكور ، وجاء معه كل القبائل كالخراد المنشتر من كون الشريف طمعهم بكلامه . وعزهم بحفطته واعترائه قائلا لهم امشوا معي إلى قسطنطينة كي مدخلوها فعموا أرواقها ، وسكوا ديارها ، فما وصلوا إلى قسطنطينة نكلموا مع ناسها ، قائلا يا أهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدما معه في جنود كبيرة ، وجيوش عريضة لا تقدرنا على مقاتلتنا ولا تنجوا إن مررتم منا فإن أسلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم بمقاتلتكم وندخلوا بلادكم بفوتنا . فأجابوهم ناس البلاد قائلا يا معشر القبائل المعترين نحن لا نسموا في بلادنا ونقاتلوكم حتى يهرموكم (كذا) أو يموتوا بأحما معد ذلك هجموا القبائل هجمة شديدة واشتروا من كل جانب وجبهة (كذا) حتى وصلوا إلى أبواب البلاد وهم يصيحون الجهاد ، الجهاد ، فاصرمت نار الحرب وصار النار كالنبل وتراكت الأحرار والوہل .

وكان سيدى الشيخ بن المكون هو الواقف في البلاد عند هذه المصيبة وتمادى القتال من الحاميين يوم وليلة ، ثم حج الله بالصر القوى واهرموا ذلك القبائل أصحاب العنة والبي ، وولوا هاريين على أعقابهم لم (بدر) أوهم ما حل بأحمرهم وانفرست آلاف من موتى وأضعاف ذلك جرحى .

وأما عصمان باي كان ذلك الوقت في المهلة باحية سطيف يستحسن مطالب المصيف فلما وصلوا إليه ذلك الأخبار جاء مسرعا عوار ، فوجد الأمر قد وقع ، ومضى وانقطع ، يلزمه أنه يخبر الباشا بشأن قدوم الشريف إلى قسطنطينة ، وبما حل به وبجيوشه من القتل والهرجة ، فلما وصل الخبر إلى الباشا ونحقق بكل ما كان رد الجواب إلى عصمان باي قائلا له أنت باي ذلك الأوطان وهذا الشريف ظهر في حكم عمائلك هو اوجب عليك غشى إليه بمسك وتآخذ منه ثارك ، واقصده أيما كان فاقته أو اطرده من ذلك الأوطان فلما اتصل يد عصمان باي ذلك الجواب وعلم ما تصمه ذلك الخطاب بهن وبادر في الحال وشرع في ترتيب العساكر وتنظيم الأحوال ، ثم تقدم بذلك الطام قاصدا إلى الشريف المذكور . وكان في ذلك الوقت هو مستقر في وادى رهور من كونه موضع

حصين لكثرة أشجاره وعظم جباله وتشعب طرقاته لما وصل قريبا منه محم ودبر في عقله بأن بقي المحنة والأنفال في مكانها ، وحرد الخيوش والعساكر بأسرها ورفع أنه الحرب من مدافع وغيره ، وقصده إلى الشريف بمسه ، فلما انفصل من محته وصار في أثناء طريقه وقع عليه القن من أمامه ومن خلفه وكانوا القنائل ناس ذلك الوطن جعلوا من ورائه أمكار وحديعة وقطعوا الطرق بينه وبين أخلة . فلما أراد عصمان باي الرجوع على أعقابهم لم يجد سبيلا ولا مسلكا لرجوعه وانقطع بعساكره وحيوده وصار في الهلاك والموت ، وتحقق بعدم الحياة ، ووقعه في الخسران فلما شاهدوهم القنائل في حالة العرق ، وحدثت بهم الدماء والفق ، يادروا إليهم في الحال وقتلوا الباي المذكور من غير إسهال ، وقتلوا من ذلك العساكر والخيوش رعم أنفسهم وما يحيى (كذا) إلا القليل منهم ، واستولوا القنائل على ذلك الأبطال وحتوا على تلك الخرائن وما فهم من السلاح والأموال .

فلما وصل الخبر إلى فلسطين بوقوع ذلك المصيبة العظيمة والداهية الشيمة ارتفعت الأصوات بالبكا والصراخ وصحبت العباد بالحبيب والصياح ، وقد احتشروا مصيبتا موت الأمير ، وماء العباد ، وحوفا من رجوع الشريف إلى البلاد ، فعد ذلك احتشروا أهل الرأي والمشورة وهم سيدى الشيخ ، والعلماء ، وديوان البوة ، وكتبوا إلى الباشا بالخرائن وجرؤه بموت الباي وماء العساكر ونشيت الخرائن والأبطال ، وحوهم من رجوع الشريف إلى البلاد في الحال ، فلما وصل ذلك الخواب إلى الباشا بالخرائن ، وتحقق بموت الباي ، وماء العساكر ، تعلق وتغير وحكم في عقده أنه يمضى إلى الشريف بمسه ، فأشاروا عليه ببعض ورائه بيهلان ذلك ، فجع رأيهم وأصمى لكلامهم ثم أنه رجع باي آخر تركي وألزمه يمضى إلى الشريف بالعجل من غير مهلة ولا وجل . وكتب الباشا المذكور جوابين : أحدهما إلى سيدى الشيخ بن المكون ، والآخر إلى ناس البلد كافة خاصة وعامة ، وأرسل ذلك الجوابين مع الباي الجديد ، واسمه عبد الله باي رحمه الله مات عصمان باي في سنة ألف ومائتين وتسعة عشر (154) وكانت مدة ولايته عامين ونصف

(54) مرافق لعام 1804 م . ولم يقم عثمان باي إلا بفرقة واحدة ضد جهاتته . والفرقة على الحدود التونسية ، ومصادر مبه عظماء حيوانات صخره م يسق لأى باي أن صادر مثلها ، من حال وأصل وأغار وأصنع . انظر فاهب المصنف سنة (1869) من 470 - 479 ، وعن نورة بلخروش هذه انظر المصادر التالية محمد بن يوسف الزباني دليل الخوان وأنيس السهراني في أخبار مدينة وهران لقدم وتطبق المهدي البوعبدل (الجزائر 1978) 293 ص . وكذلك

عهد الله باي 1804 - 1806 م :

وأما عبد الله باي المذكور فإنه حين وصل إلى قسطنطينة تلقوه ناس البلاد فمرحوا به وكان في وصوله استراحة وهناء العباد ، فاستكثروا هو من حرمهم وناولهم الخواصين الذي أرسل الباشا إليهم .

مصنن جواب سيدي الشيخ العكون :

الحمد لله ، إلى العالم الأشهر ، الخير الأنور ، مأوى القديسين وملجأ الصعفاء والمساكين ، العارف بجميع العلوم والفنون ، سيدي الشيخ بن العكون السلام على مقامكم الربيع وشخصكم الرائق البديع ، ورحمة الله تعالى وبركاته ما دام العبدك وحركاته أما بعد فرانا استكثروا (كذا) حرك من شأن وقوفك وصيانتك للبلاد ، وصحتك وحماتك للعباد ، فإن ذلك منك معروف ، وأنت بكمال الإحسان موصوف ، إذ حرك معا سابق ، فبالأحرى أن يكون بالرهادة لاحق ثم يلتصص منكم الدعاء الصالح الخالب لنا ولكم كل المانع والمصالح وما أنت إلا حبيبنا وصديقنا ، وإلينا والسلام .

كتب بأمر الباشا بالحرائر

ومصنن جواب ناس البلاد :

إلى العتماء الأبرار وأكابر ناس قسطنطينة الأحيار ، من الخاصة والعامة ، أما بعد السلام عليكم والسؤال الكثير عنكم وعن أحوالكم فقد كنتم خيرتمونا بموت عصمان باي وهناء العساكر وتشنيت الحرائر والأعمال ، وحوفا من رجوع الشريف إليكم فاعلموا بما أولادنا وأحبابنا ، أن كل ذلك تقرر في علمنا ، والآل بعمدكم ويكون متحقق عدمكم إن كان مات الباي فرانا رجعا باي آخر أحسن منه ، وإن كان صاع العسكر فإن البحر ما زال

« Le capitaine sander rang tableau des établissements français année 1840 p.360 et suivant Berbrogger les epoques militaires de la grande babylie R.A.F.T 3.P 17 ET 209. wainiosierstazy la domination :turque p.304 charles ferard: un cherif en 1804. akhbar (mai 1813) l'omel etkebir et collo R.A.F.T 3p.202 l'univers pittoresque T 7.PP 254 et suivantes

بوله عساكر ، وإذا تشبثوا الخرائث فإنه عدنا من تعميرهم بطائر ولا نجمعوا من رجوع الشريف إليكم فرنا بس مكه ، وكوبو ، هذين مصممين ثم سكتو من حيركم ونفر بإحسانكم من كوكم وفهم وفوق حد ولا حيد حتى دفعه لعدو عن البلاد معه الصبيغ يستعد ونم بوصيكه أن مكبو ، حالا وحدة مع سدي شبح من مكبو فإنه عصمتكم في مهمكم ومرشدكم في نواث وهدا مات بكم وأنتم أحباب وأولاد والسلام . كتب الباشا بالجزائر .

— هذه الورقة استظروا كل الناس ، ، حتى عبيد الخرافة لم يواس ، أما الشريف فإنه أحد من ذلك الخرائث الخط الخويل ومصفي في حالة حار سل فلم يبق له في ذلك الوطن أثر ولم يظهر له غير .

وأما عند الله باي فإنه مكث في قسطنطينة زمان عليل ، وخرج راحته لأجل أن يبي ، الأوطان من كوكهم خيروا من أجل موت الذي عصبه . وكان ذلك رأس من عند الله مدد العساكر والمال لتكون له القوة ، ويستعمله رجل ، وبأي في لوص يدور مدة عشرة من الشهور وعمل بكل الاجتهاد حتى برت لعاقبه في لوص والبلاد بكن بعد ذلك أرسل الله القحط على الخاض والعام ، حتى صاب ، انعاد بأكون خوم بعضهم من شدة الجوع وانقطاع الطعام واستمر ذلك مدة منه كاميه ثم غشي (كذا) الله تعالى ورالت تلك الجماعة الواجعة ، وبأي زمانه وقعت الميرة^(٩٩) بين الخرائث ونوبس ، وكان عند الله باي صاحب حرب وبقدام ، فلا أن امرأته بشر كة في الأحكام وذلك أمر فصح

(95) يقصد بالميرة ، الحرب من الكلمة الفرنسية La guerre ، أما هذه الحرب فقد ن حرج مصطفى باي بدمه إلى الناس حرب إلى نوبس فاحتضه بمودة باي ، قبل خروجه إلى تونس ، فحصل معه اتفاق بطله منه إلى الخرائث هي الزمان والأصناف ، والشهاسي ، وبعدها طلب داي الجزائر منه دفع ذلك بالتمرد . بعد عليه دفع الصالح المنع ، وحدث به الحرب مستغلا اتفاقه لتعير ماى إليه الذي أعطاه مستأرا بمجونه وبعده أن بعده إلى مصر باي على قسطنطينة وبعده عند الذي حمد باي بالأمر مستعد هو الآخر وأمر بحارته بالتمرد على التركيب الشوسية في البحر فاستمروا على حوالى حالة ترك كصحت على حرفة باشا حتى حصل دفع ما عليه من الأتاوات عن هذه الحرب . انظر حسن حسني عبد الوهاب . مصدر هذه من 159 158 يوفق عدي . مذكرات عبد الأشراف . ص 95 101 . انظر القهاب . اختلاف الزمان ١ يونيو ١٩6٦ .

عبد العرب والأعجام ، فبهذا السبب عرله الباشا وأمر بقتله فمات عام اثني عشرمائة
واحدى وعشرين⁽⁵⁶⁾ .

حسين باي ولد صالح باي 1806 - 1807 م

من بعده تولى حسين باي رحمه الله في العام المذكور⁽⁵⁷⁾ قرعل وهو ولد صالح باي
الذي تقدم ذكره وكان في أول ولايته خرجت عمارة العميرة من تونس ، فلما وصلت
قريبا من قسطنطينة خرج إليها الباي المذكور بعمارة قليلة فتقابلوا الصدين (كدا) وشأ
الحرب بين الفتين هوجت المريمة على باش قسطنطينة وهرب إلى ناحية جهلة ، فحينئذ
تقدمت عمارة تونس وبرلت مقابلة للبلاد ، هوجوا ناسها على ساق الخد والاجتهاد ،
وكانت عمارة تونس ثلاثين يوما وهي مقيمة بالحروب والقتال مع ناس قسطنطينة ،
ونمادى القتال في الليل والنهار يرمى المدفع من الخانيين وطال الحصار

وأما الباي المذكور حين كان هرب تراه خير الباشا بشأن عمارة تونس البارلة بطرف
قسطنطينة وبمحاصرتها بالقوة والجنود المقيمة . فلما وصله الخبر وتقرر عنده ذلك الأثر ،
أنشأ عمارتين من مرسان وعسكر ببعث عمارة العسكر في البحر وبعث عمارة المرسان
في البر ، وأمرهما باش أعما المتولى أمور العرب من كونه هو المنعين دائما للحرب وكان
الباشا المذكور كتب جوابا إلى باش قسطنطينة وأخبره بخروج العمارتين ليجمع هو أمره .

56 ، في هذه الظروف هي المعركة فيها العلاقات مع تونس ، فطفت العلاقات بين المرفق وعرب وفام الداي أحمد باش بإسطاء
مراكش الدالة للإتحاف لمصطافوا به المرحى بدلا من الفرنسيين ، فأنز سكان الباهليك من ذلك لأن النشاط التجاري كان حيويا
مع الفرنسيين أكثر من الإتحاف حل ما يبدو . فأحسن الباي عبد الله بذلك وبحرف من عدم استجابتهم لتجهيد في حمة تونس
وكتب الداي في مرفق بذلك وبذلك بأن روجه التبرك بـ حسن باي قرب منه في موقفه وبحرفه ، وشاع بين الناس أنها
تدخل في إدارة الباهليك وتتحكم في سياسة روجها وسفركه . وعندما وصلت رسالته وأخبره إلى الداي بالخرار فكتب عليه
وأمر بحرقه وحلته بالصف ألف حدة ، وإعيلته سدا هو وروجه ، وبعد ذلك عام 1806 وكان عبد الله باي قبل مشرب الحرب
مع تونس اشتمل بأمر أنز بالاحرس وحلص منه معركة فرطه بأحور سطيف عام 1806 وفازهم ألف ثالر آخر هو محمد
بن عبد الله له صلة باللاحري . انظر : طيبيت . ص 479 - 482 .

57 (عام 1221 هـ (الموافق لعام 1806 م) .

فما كان أيام قلائل إلا وقد وصلوا (كذا) تلك العمارتين وقابلوا عمارة نوس بطرف قسطنطين فركبوا آلة حربهم وصارت بينهم مقتلة عظيمة ثم بعد ثلاثة أيام كانت المهرجة على عمارة نوس ما أعظمها هزيمة من موت عساكرهم واعتناء الناس أرراقهم من كل نوع شيء متكاثر وباتت قسطنطين في حكم الحرائر ثم إن باش أعة وباهي قسطنطين خبروا الباشا بشأن هزيمة عرصي نوس ونشبت فملهم واعتناء الناس من أرراقهم فاستبشروا بذلك الخبر وهرح ، ورال عمامه واستراح (كذا) وبعث إلى باش أعا وباهي قسطنطين بعثاق الخيول وهدايا قيمة إحساناً لهم ومكافأة (كذا) لصحبهم وحسن صيغهم وأمرهم بمشئون عمارة قوية من عسكر وجيوش عروسية ، ويمشئون إلى نوس بالمحلة ويمادهم بانتشار العرصة مما كان منهم إلا الامتثال ، فتراهم يهضوا في الخال واجتهدوا اجتهد الكمال ورتبوا من العرسان والعساكر عمارتين ، وقدموا بهما إلى نوس دون من وصاروا يطلون الأرض ويمشئون مساهتين إلى أن وصلوا عرصي التوانسة وتقابلوا مع بعضهم فأوقدوا نار حربهم واشتر القتال بينهم مدة أيام وليالي متواليين فكانت المهرجة على عرصي الحرائرين ولوا هاريين وعلى أعفاهم مهزمين ، ولما حلت بهم ذلك العضيحة كان باش أعه صاحب حيلة فتراه مكر بباي قسطنطين وكتب جواباً إلى الباش بالحرائر حمية وحبره بأن باي قسطنطين هو الذي هرب بحيوشه حتى صارت تلك المهرجة ، ولولا هروبه لكان النصر مما ، واستشهد بعض أصدقائه وواقوه على مكره وافتراه فلما وصل إلى الباش ذلك الخواب ، وتحقق بما فيه من الخطاب تقلق وتحير ، واستعاض وأمر بقتل حسين باي قتل محققاً رحمة الله عليه وكانت موته عام ألف ومائتين وثلاثة عشر (154).

50 (فاد الجيش التونسي حينئذ كاهية وتأخر الداي في إرسال جنده على وجه السرعة لكونه كان مشغولاً بالقضاء على نرد سكان قلية بجبال جرجرة ، وحينما بلغه خبر حصار التونسيين لقسطنطين أسرع في إرسال النجدة التي فككت من الإحسان بالجيش التونسي وإخلاء هزيمة ماحقة به ، واستوت على كل ما لديه من لقود والدمار ونهب الكثير ، واهبط 600 جندي تونسي بالجيش الجزائري بأمرهم وكان عدد الجيش التونسي حينئذ ألف رجل . ويقال بأن هذا أعظم تنصلر حقه بهليك الشرق على أرض الجزائر ضد التونسيين . وبعد هذا الانتصار جدد الأوسر من الجزائر بالرجوع على نوس ضد الباشا حسين باي والباش أعه 18 ألف رجل إلى نوس في شهر سويله 1807 واستطاعوا بالجيش التونسي الذي كان يقوده يوسف صاحب الطابع في داي صراط غرب منبه الكاف ، وحرب معارك كثيرة طوال ثلاثة أيام ، وهرم في الجزائريين ونشرو ولم ينج منهم إلا عدد قليل من الأتراك وقيل إن سبب هذا الانتصار هو تعاون بعض الجزائريين مع التونسيين وازدحامهم بالأحرار الناصه هم في الحرب .

علي باي بن يوسف 1007 - 1000 م :

ومن بعده تولى علي باي رحمه الله في تلك السنة (997) وهو تركي من عسكر الجزائر له شجاعة ومهابة دائما حكمه يكون مستويا بين الترك والعرب حلفاء لعمدة من البايات وكان علي باي المذكور حين رجعه الباشا شرط عليه أن لا يد يمشي إلى تونس ويأخذ الثأر ، فالتزم بذلك وشرع في ترتيب ما يحسنه وتوجيه ما يحتاج إليه ويلزمه ، فلما كان في الوقت الذي يلزم فيه المشي حرج باش أعيا من الجزائر وبيده عمارة منظمة من كل شيء فلما وصل إلى باي قسطنطينة تلقاه بعسكر وجنود كثيرة ، وكانوا قد اتفقوا على الرحيل والإقدام إلى ذلك السيل ، وإذا بذلك العاكر دخلهم الوجع ومارحهم الخيلة والمثل فتكلموا بينهم واتفقوا على قتل أمرائهم ، ورعموا أنهم يرجعون

- ومن هؤلاء قائد عسكرة مصطفى بن عيوش الذي أحد رعايا من ذلك واستعمل الباشا أثناء تلك الحملة هي أشار إليها المعري ، والتي كانت السبب في نهاية المطاف لحسن باي كما حصل لأنه صاح باي فيه . وذلك عام 1225 هـ وليس 1213 كما ذكر المعري وهو أن الساج هو الذي أخطأ في ذلك . ويومئذ ذلك عام 1007 م . انظر طه حسين (1069) ص 482 - 483 وكذلك

Dersou de la malie l'algerie p.42 et suivantes . a roussieu allas tunisiennes p.252 et suivantes

39) اسم قائد القوات التي قدمت من مدينة الجزائر ، حسن أنه ، وكان هناك شيوخ عديم يدعي بوتروش وبسي أحمد الساوش . يعيش في قسطنطينة خلال هذه الفترة . وكان يصل بدار القاي في الجزائر العاصمة . ويطلب بالقبيل لكونه عاش بهمال القبائل عدة سنوات . وفي عام 1002 هـ تم بالمشاركة في مؤامرة لقتل القاي مصطفى ، فتم من الجزائر . ورر عليه بجليه ، وحصل ، والقتل . وأخيراً سطر في قسطنطينة بحور تلك الاكسريين في رجة الحمال . وتغرب من الحدود الأكرالا ، وأحد بدير مؤامرة لقتل الباي والاستيلاء على منصبه ، وذهب خروج إلى معسكر القسطنطينة يحمل فرسوف لثلاثة حسب أنه القادم من الجزائر بموته . ولما سطر لميوس هناك عالج المدينة ، وقدم القاي وحسن أنه إلى داخل المدينة للاستعداد للرحيل إلى تونس ، فذهب هو إلى معسكر الخيول ينادي الرمال في القسطنطينة وروس . ويكلم مع بعض منهم ، ورحمهم أنهم جاءوا إلى حرمهم وحصلهم ، وذكرهم بالفرجة السطة التي حصل لهاي حسن وخنوده ، فقال من سخرتهم وذهبوا على القسطنطينة والحمد . وأعدت مجموعات منهم بجامع الدكاكين في المدينة وذهب وبسري ، وفي يوم الجمعة ذهب الباي والأما للصلاة ، وصاح بقطعة ، والدةوة بتحليل القصر ، قبل انطلاق القوات بحر تونس ، فأخذ أحمد الشوش القبائل والمأمرون معه مؤامرة . وحاصروا المسجد ، وحاصروا المصلى داخله ، وقتلوا حسن أنفا هناك بينا فر الباي إلى منزل سي القسطنطينة للفرار للمسجد في حي غدير بفرجة ، واستجار بالنساء ليهنوه ، وبكى القسطنطينة اكتشفوه ، وفي رواية أخرى . حرب إلى منزل باب الفروج وحية عند مصون صهر مصطفى حرجه . واكتشفه أحمد الشوش وتمنون مع صهره مصطفى حرجه ، فأخرجوه بجهد . وذهبوا به وأصروه وعاش بقية أيامه في قسطنطينة عندما يعيش على صفقات الخسري . انظر طه حسين 482 - 496 وكذلك

Cherbonneau : revue orientale (octobre - 1852) p.398.

أميرا من تلقاء أنفسهم ، فتراهم يصبوا خدائع وأمكار (كذا) وقتلوا باش أعما وعلي باي ومن بعد موته قدموا واحد تركي من كتائهم واتفقوا بأن يكون هو أميرهم ، وكان التركي الذي اتفقوا عليه اسمه أحمد شاوش

أحمد شاوش القبائلي 1808 م :

فلما رجعه واستولى على تلك الخرائص احتوى ، نراه مرق الأموال على ذلك العسكر من سكة الصوب ، والدنانير ، ولا زال في كل يوم يبدل الأموال بالمرط مدة ولايته وهي خمسة عشر يوماً (47) فقط ، وكان يحدث في ذلك الأيام مع العساكر وطلبتهم بمشور معه إلى الخرائص لأجل أن يقتل الباشا ويحكمه في رصه فيستولى هو على مملكته . وكانوا يأس قسطنطين كتبوا جواباً إلى الباشا بالخرائص وحيروه بموت باش أعما وعلي باي ، وبكل ذلك الوقائع (كذا) فلما وصل إليه ذلك الخبر استعاض ونحير ، وأرسل جواباً مختصراً

مضمن ذلك الجواب :

الحمد لله جواباً هذا يتصل بيد أجبائنا وأولادنا أوهم سيدي الشيع بن المكون ثم العلماء ثم كبار الديوان ثم ناس البلاد ، السلام عليكم والرحمة والبركة في حالتي السكون والحركة . أما بعد فقد اتصل بطرفنا جوابكم ، وخرتمونا فيه بموت باش أعما وعلي باي وقتلوهم أصحاب الفساد والبغي . ولكن بعلبكم ويكون منحقق عدهم (كذا) أن ذلك العساكر حين طهر فسادهم وانعدمت نتيجتهم فلا حرج فيهم ولا حاجة لي بهم . وإلى قد أهدرت دمهم ماديروهم واقتلوهم واقطعوا أثرهم والسلام وكتب بأمر الباشا بالجزائر .

فلما وصل ذلك الجواب إلى ناس البلاد وعلموا بما فيه من الخطاب نكلموا أجمعين بلسان واحد قائلين نحن ما نرصدوا بقاء هذا العسكر لأن عقوبة الله شديدة ، ومن قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً ، فاستصموا الأمر في هذه الكلفة وعمحروا عن تحصينهم من تلك الورطة فتراهم التجأوا إلى سيدي الشيع بن المكون وطلبوا منه التدبير والرأي المصون فأشار عليهم بالقول الواضح والرأي المصيب الجاهج قائلًا لهم تعملوا كل الجهد في قتل ذلك التركي الذي هو شق العصا وجاور الحد ، ورجع باي من تلقاء

نفسه وبأشر تصييع الخزائن بيده ، فلارم من قتله لأنه صاحب فساد وقتة ، وهو المصرم
لأر هذه الحيرة ومن بعد أن تقتلوه مكتبوا جوابا إلى الباشا بالجزائر نستعطفوه وبطلبوه
بأن يعموا على هذا العساكر ويسامحهم ، ويكون قتل ذلك التركي وهو أحمد شاوش
هداء لهم ، فعند ذلك بعثوا إلى كبار العساكر وأحبروهم بالخواب الذي جاء بقتلهم
وإهدار دمهم ، تلاشت عقولهم ، ونزل الرعب فيهم من شدة الخوف كادت ترهق
أرواحهم فأجابه سيدي الشيخ المكون بكلام هين لا تحربوا فإننا لا نسلموا فيكم
ولكن نطلبوا عليكم تقتلوا أحمد شاوش ويكون في قتل حياتكم . وإن أبيهم فلا تلوموا
علينا إذ لا بقدرنا على مخالفة سلطاننا . فهبوا ذلك التركي في الحين وقتلوا أحمد شاوش
في لحظة عين ، فحينئذ اجتمعوا أكابر البلاد وسيدي الشيخ بن العقون وعمال الوطن
وكتبوا جوابا إلى الباشا قائدين له عن أولادك ولي طاعتك فطلبوا فضلك وابتسموا
إحسانا بأن تعفوا عن هذا العساكر ونسامحهم فإنهم يدموا على صمهم واستدركوا
رلتهم بقتل كبيرهم عدت هو عقوبتهم وبمكر أن ذلك الفتنة وقعت من أفراد لا من
الكل . وعين طلبا إحسانا ورجوا عفوك ، والسلام من المذكورين أعلاه . ولما وصل
ذلك الخواب إلى الباشا بالجزائر استحبه وعما على (كذا) ذلك العساكر ورجع بأي
آخر في سنة ثلاثة وعشرين مائتين وألف (١٩٠٠) .

٥٥) بعد أن لم إحصاء على بأي تولى أحمد الشاوش السلطة ، وجدت في مدينة تونس كبره وتعرض السكان للمصادرات والنهب
والسرقة ومن سجن القصة حصن بشارية مثل مصطفى بن حاشور فلاح مريحوه ، ومحمد بن القربة فلاح حرب المر وذهب
أحمد الشاوش إلى معسكر الجيوش برادى الرمال وسلمهم لهم الأموال وورعها على الناس . وكان عمره حل الشكل الحال
أحمد طوبال خليفة ، جلس من جلوس باش كلب ، الشيخ الطاهر الوريسي بنى المالكية ، مصطفى بن باش ناروي بنى الخليفة
سي أحمد بن الحسن طاسي للمالكية ، الشيخ حج الله طاسي الخليفة . وجد الأعيان على إلى غاية وقتل في الطريق قبل وصوله
إلى . وبعد هذا عزم أحمد الشاوش على الذهاب بصفه إلى مظهر العاصمة لاستعراض العدا والموصول منه على تميز رسمي وعين
الحبس الذي سببه في غاية واختار أعضاء من الأتراك المطيعين له وهم الباش آغا والخزاجي والباش شاوش ، ووكيل المخرج ،
وطلب من الرمال أن يصاحبه إلى العاصمة ، وفي يوم السبت أقيم آغا القاهرة ، والباش حبر بن القندور . وعندما وصل إلى
بو القلوب معسكر هناك حتى توجهه قوام - أولاد بوضلاح ، والصرانوي ، والزناي ، والقلاخه ، وبني عبد القور ، والرسول ،
بصاحبه بن العاصمة . وكان عليه قد مر إلى المظهر وأمر العدا باستعداده ومقتل على بأي ، محبس باب عزود ، وأمر

أحمد طيال باي 1808 - 1811 م :

واسمه أحمد طيال باي رحمه الله ، وهو تركي قديم في فلسطين وكان أحمد باي طيال المذكور رجل عاقل سميرته مليحة ، مع أهل الوطن وله شفاعته على الرعية وفي زمانه وقع الصلح بين الخراتر وتونس . عاش زمانا وأمر الباشا بقتله من عمر صبي ، فمات سنة ستة وعشرين ومائة وألف⁽⁶¹⁾ وكانت مدة ولايته عامين ونصف .

٦٠ باي الشطري أن ينحدر بفرقة إلى طيال لاختصاصه إذا ما قدم وكذب رسائل إلى أحمد طيال فسطيه مثل أنه قومه ، وتبيح البلد ، والعمارة ، وحرد الباشا المملوك مع أحمد الشاتري ، وطلب منهم محاربة الخراتر فمضى . وأعلن ضم طيال إلى أحمد طيال باي على الباشا ، ووصف عنه الرسائل إلى مصر في اليوم مساء اليوم الذي وصل فيه إليه أحمد الشاتري . وفي صباح اليوم التالي شرع أحمد الشاتري في التحرك ، وأحد العرب حول المعسكر يرمون بوابهم ويهتفون بحمد الباشا ، فالتصوا بهم واكتفوا لهم بأنهم مثلهم لا يتطردون فثار عليه وحمله وحججه . ونفذوا رسائل الباشا بالقبضه وأبى في طاعة . وعند ذلك انضم أحمد شاتري راجعا إلى القاهرة وانضم مع أصحابه على العودة إلى فلسطين فالتصوا وعسكروا في وادي الرمال بمعسكر الشتاء ، والعرب بلا عفره من بعد ، وعندما نظروا من المدينة وجدوا أنها مغلقة في وجهه . فحسروا في عبيد الفلاحين . ساء ذهب الأغا حبه إلى المدينة مع جماعة من القوم وأحرقوا أحمد طيال بالخاله الصبي فلي عليه أحمد الشاتري ، وفي حين أرسلوا شواشا اعطفوه وأحرقوه وعلقوا رأسه على باب المدينة . ولم يرد أنهم حكمه على 15 يوما ودفن في مصر القورباخي قرب كاتبة على . ولقد الناس باي راسو ، وباي شراحو ، وباي زوخو . انظر : قيسيت ص 497 - 509 .

61) تولى أمر الباشا في ظروف صعبة جدا لأن مصره حلقه ، ورجال العرب مضطربون مصرطون وإخالة العسكرية مهروزة ، والسكان مشوشون . ومع ذلك حاج أحمد طيال الأمور بحكمة وحزم ، ونحصى على رعيته الفتنة بأمر من الباشا أحمد باشا ، ونظم العرب ، وضم إليه رجالا ذوي خبرة وعقل ونعم بالحربة ، وجمع الأموال الضرورية والقلاية ، ووجه عينه إلى الخراتر العاصمة لحمل الباشا عام 1225 (17 على 1810 م) .

ول عهد هذه تمت مفاوضات مع باي تونس . ولم تتوصل إلى إبرام صلح بين الباشا وبين باي تونس أن يدفع مبالغ مالية اعطفوه منه كالمادة

وحكم أحمد طيال الباشا بحكمه وحصل ورواه عنه حماد ونصف . ثم سقط عليه اليهودي داود باكري وألقاه بأن يبيع له كسبا من القمح خلافا لأوامر الباشا ، حاج على فأمر بخرقه ولفظ رأسه ، فمات في الحال ، وعين بديله محمد بن باي عام 1226 م (1811 م) . انظر قيسيت . ص 509 - 511

محمد نعمان ہای 1311 - 1314 م :

ومن بعده تولى نعمان باي رحمه الله في تلك السنة (٤٤٢) واسمه محمد ، وهو تركي قديم في قسطنطينة وهو رجل عاقل ، وفي زمانه العافية موجودة في الوطن ، والبلاد ، وكان باشا أعيا المتولى . أحكام الحرب بالخرائط هو بالصد معه فما زال يسعى في هلاكه حتى قطع حبه وجاء الأمر من عند الباشا بقتله . مات رحمه الله عليه في عام تسعة وعشرين ومائتين وألف .

(62) عام 1226 هـ الموافق لعام 1811 م ولد كان يسمي بـاي هـنا حفيد لـعبد الله بـاي ، وصهر البـاي رزق هـيو ، سـفك سـيـامـه سـمـعه في البـابـت ، ووطـد الأسـ وطلب من الأوجـال الإذن له بأن يصطـط على بوسـ حتى يـرجـع نـفـع الصـرـائب المـفـرـوضـه عليـا وحـامـت المـفـرـوضـه عـندئذ بـنـكـي الرهـس هـمـيو من أسـر فرقة بوسـه عليـا 30 مـدـصاً ، وقادها إلى مـيدـه خـزائن صـحـل الداي في عـلـان المـحـرـب صـد بوسـ ، عـيـر أن رـسـولاً عـتـابـا حـصـر بـل المـحـرـر لإصـلاح ذلـب الرقـ بين الداي ، وهدد خـزائن باحـارها عـاصـبه إذا رـفـضـت إقـول الصـلـح فأرسل الداي حـاج على رـسـولاً بـي بوسـ بـطـلب من حـمـودـة باشا إقـول دفع الصـرـائب كالمـعـادـه ورهـط صـلـات حـصـه ، ولـمـحـرـب بـصـر الكـاف ، وحـمل الرنـجـاع مـسـطـاط بوسـ لا يـرـيد على الصـف كـا اتـمـن على ذلـك سـابـقاً رفقـى حـمـودـة باشا ذلـك ، وأطـلب المـحـرـب بين الداي في شـهـر جـوـمـهـه 1813 وولد الرهـس هـمـيو لـقـبـات البـهـريـه ، وأبـا الخـزائن وبـصـال بـاي القـبـات البـهـريـه إلى هـنـاك وانضم حـمـودـة باشا نـورـه بـاي وحرر المـسـجـوع واستعان بالمـفـرـسـين في بـدـعـه غـزواته بالأـسـفـحـه والدخائر والرـجـال ولـمـحـرـب القـبـات المـحـرـريـه لـصـحـوبـات عـدا ، وكـتب الداي بـصـال الباشا باخـرـار وأبـلـغه ذلـك وحرر مـحـاولـات للـصـلـح لم تـنـجـح ، وعـندئذ حـاجـم خـزائن بوسـه الكـاف وانـبـرـموا ، ومات شـمـ رحـال بـكـتـوـو وانـسـحبوا ، وغـالب الأبا عـنداً من الشـيـوخ المـحـرـب بـهـمـه بـواظفهم مع حـمـودـة باشا ، وفـلـح حـوالي 260 شـخـصاً ، وفي 15 شـوال 1227 هـ (16 مـاي 1812) أُرسل بـصـال بـاي بين الداي عـمر عـدا بـا بـه كـمـتـل في 200 مـحـبـ دـعـي ، و 125 مـوجـر ، ومـوسـي ، وحـائـكـين بـسـكـريـن ، ومـحـمـودـين نـمـر ، ومـحـمـودـين كـمـكـسي ، وقـتـين رـهـبـوا ، و 19 حـمـودـة ، وبـطـلاً ، وطـزبـه من الشـوـانـي ، المـلـوـرة عـا سـائـل (مـط) فـرحـب بـا المـدـاي وأجـابـه مـرسـالـه شـكـر وكـتب هـنـاك حـزـرـات بين بـصـال بـاي وباشا أنه خـزائن ، عـمر آخـه ، عـصـو الدايون الذي شاركة في احمـله المـسـكـريـه على بوسـ ، وأمر الباشا أنه على الداي فـقـر حـول بـصـال بـاي وحـمـيـضـه مـحـمـد شـاكـر واستعمل احمـله حتى لا يفرم بـسـر صـدـه ، واستـعـداده للمـشـاركـه بـقواته في مـعـرـكـه نـورـه سـكـان بوسـعـادـه وأولـاد مـاضـي عام 1229 هـ (حـاتـفي 1814) الذين هـاجـموا أولـاد سـلاـب ، والمـدـبـوره ، وأصـبـحوا يـدبـون بـابـت القـيـطـري وبعـدا ومـل بـصـال بـاي إلى مـكـان خـزائن لم الإصـاق على مـهاجـمـه المـصـاد في ثلاثـه مـحـبـر أولـاد مـاضـي ، وأولـاد سـيدى إبراهيم في الداي شمال بوسـعـادـه ، وبـطـر لـكـرة الرهاج والشـيـوخ اصـطـرب القـبـات لم تـنـجـح في احمـله عـمـالاً ، وهـنـاك وحـد بـصـال بـاي بـهـه في إحدى الصـحـبات مـحـاصـر في حـيـثـه ، وقـبـض عـبـه الشـوـانـي وأحمـله عـتـفا في احمـال بـأمر من عـمر آخـه ومـ يـسـمـحوا به حتى بالاستـعـار وذلك عام 1814 ، ودفع في لـبـه سـيدى بـوجـمـين بـا بـسـيـه ، وجـبـض على حـلـيـثـه مـصـطـفي مـوجـه ولـكـه لم يـعـدم انظر عـابـت صـي 312-318 وكذلك

محمد شاکر باي 1814 - 1818 م

ومن بعده تولى جعفر باي رحمه الله في تلك السنة (63) واسمه محمد وهو تركي قديم في فلسطين وسبب توليته باي أنه كانت محبة ومصادقة بينه باش أغا المتولى أمور العرب بوطن الحرائر فحسب في ترجيعه ، وكانوا الترك في سابق زمانهم ما يرجعون واحد لو طيبة الباي إلا الذي يكون معروفا بالشجاعة وله حصل كثيرة في الحرب والبراعة ، لكن من زمان صالح باي وما بعده وقع الصف القلبي يكون له صاحب متوصل عند الباشا يسمى لصاحبه حتى يرجعه لأجل المعاملة والمودة

ويرجع الكلام إلى جعفر باي فهو رجل صاحب بطن عالب عليه صلاة العجم فيسكت الدماء في الحق والباطل ، يأخذ أوراق الناس بالعرو ، ولا يزال عن هو طائع أو عاصي وفي زمانه اشتهروا الترك بالظلم وحاروا إلا أن يده مطبوعة في الصدقات ويكرم الناس بالمعاملات والأصل في ذلك من أوراق المحفوظات وفي هذا المعنى قول الناس الفصل ، رجل سرق وتصدق باليت لم يسرق ولم يتصدق

وفي هذا الوقت كان الباشا بالحرائر اتفق هو وورثائه (كذا) على سكتهم عشروها ونقصوا ربع من كل ريال لتكون لهم الريادة في المال . وفي ذلك تكلموا الأولياء وأهل العسل الأنقياء قائلين في الزمان السابق لا بد من الترك . يتمسكون بوطن العرب ويتوغلون فيه ، وحين ينقصوا من سكتهم بعدم نيتهم ويحرب ملكهم ، فكان الأمر كما تكلموا إلهاما من الله تعالى لأوليائه وكرامة لهم مع سبحانه وتعالى ، وإلا فالعيب لا

63 (1229 هـ الموافق مارس 1814) أصله من أرمو وأبوه اسمه عبد الله . اشترك في تحميد مع بشار باي إلى بوسعادة وأولادها ، أليس لفظان فخرية في المسألة ، وتولى عبد مناصب قبل ذلك واحتمل به هناك ثلاثة أيام لم التحق بمصطفى بعد أن سقته إلى رسائل بيه بالما . وكتب إلى يوسف فهد الدار يحتل أمران بشار باي وعمه الكاتب أحمد الشيخ ، وأخوه الطيب قائد حزب البقر ، وأخوه الثالث عيسى ، وكل أفراد عائلتهم ومصادرة أملاكهم العقارية ووضع حراجه على قصر الباي . وسرل مصطفى خوجه ، وفد مر في طريقه إلى فلسطين على يد سوييت ، وحانة قصر الطور ، واستقبل ببرودة من السكان لأن له سوابق غير مرضية ، وحال وصوله أمر يحتل من عني رئيس اصطبلات الباي ، وذلك برغبة من أهل القرح إلى الساحة . وحمل الشيء معه نائب أها الزولوا من مرور روس من أهل باب القرد إلى القلعة بعلقة 1 يوم من لعلات الأول ، وبعد أن استقر في دار الباي كثر من حربه على شكل محال . عتاد عوجه عتيه ، يوسف فهد الدار ، الطاهر بن حون أمة القلعة ، معمر بن الأحرش

• باش سراج ، محمد بن الساسي باش كاتب ، سليمان بن دالي قائد الفرقة ، أحمد بن زكري باش سجن ، وبعد ذلك شرع في ممارسة القرو ضد القصة والمصريين حتى بلغت غزواته وعمره أكثر من 100 غزوة خلال حكمه الذي دام أربع سنوات . وكان عمره عندما تولى الولاية ستمائة عاماً ، واشتهر بسكته للدماء كما ذكر المصري لفرجه أنه لا يرتاح قبل أن يقتل ما بين 15 إلى 20 شخصاً في اليوم . وهذا بسبب عمله في فرقة الظل سواب طويلة ، توب من عزلهم أولاد بورنان وأولاد مفران بحالة خلال فصل الشتاء في سوا القرم على طريق سطيف ، ثم ذراع الطويل ، وكارب ، والجار ، وسطيف ، وعين غاروط . وفي الطريق أقدم عدداً لا بأس به من الرجال ، وحاول أن يقتل بأولاد مفران فرسانهم وأكد لهم بأنه خرج في حمل قنصية عادي ، وانقر القنصية بكلامه فحضر إليه 12 رجلاً منهم وقص عليهم وأعلمهم في الخيل ما عدا واحد يسمى للمواريث لكن من الإطبات على فرسه ، وأرسل رؤوس القتل بل فسقطه لطلق للإرهاب ولم يحصل على عائل في غزواته هذه وعاد صفر اليدين ما عدا البقاء وعناء السكان له .

وكان له من اسمه محمد عليه قائد القواسي وهم أهم منصب في الحركة ، وجد حوله عدد من الأتراك الرعايا ليعصوه ، ويعاون معه المدعو القفون من أمالي السقية الذي أصبح فيما بعد باش خراساني

في ماي 1816 طلب الذي عمر من الباي شاكراً أن يحتل كل الإقليم القسري في مركزهم المصري بداية بعد أن تأكد بأن اللورد بيكسوت سيحكم الجزائر فقد الباي شاكراً الأمر وقتل وجرح بعض منهم ، وأعطى حوالي 800 شخص وعرب مركزهم التجاري ، وكان ذلك سبب وحافز لا بيكسوت في أن يهدف مدينة الجزائر ويهدم جزءاً من منازلها في السنة نفسها . وبعد ذلك قام شاكراً باني يقتل أحد من المصلحيين قائد الجماري الغربية ، وعدد آخر من الخدم والأحرار ، والقائد صابر ، والباش كاتب محمد المكي بن الساسي ، والقاضي ، القاضي الشيخ محمد القسبي ، ومصطفى بن عاشور قائد فرجوا ، وهذا بما يؤكد تعاطفه بسلك القسمة .

وفي آخر سنواته عزى شاكراً باني الممثلة ، وحاجم مجموعهم في فج طراد ، ولم يحصل على عائل وانصب على أولاد سيدي عبد ، واستولى على قطعانهم الميوانية ، وساقها لأمته ولكن الرياح والفلج صعب عليه ، وتفرق عنه ، ولاحتله أسحابة وساقوه فاضطر إلى إعادة ما بقي لديه إليهم كما اضطر إلى إعادة بناء له حديقهم وشيخهم قبل أن يعود إلى قسنطينة ، لأنه شعر على ما يبدو بالندب والمفرج ووجد الضمير .

وفي شهر فيفري 1817 عزى شاكراً باني أولاد سراج ، وحسكر بقواته في ذراع القفون بين ناقة والزلة ، وبلغه الخبر بأن أولاد ذراع شنوا عليهم وقطعواهم إلى الشكوك ملاحقهم ليلاً ، ولحقواهم ، ولكنهم اشتد كاثراً أكثر استعداداً منه ، فهاجموه عجلة قوته ، وقتلوا أكثر من قواته ، وأسروا الباقي ، ومن بينهم محمد بن الزموري ومحمد بن حون شقيق الأما ، والخصي بن حون ، ولم يتمكنوا بعد فاتهم إلى معسكر شاكراً باني ، وأخذوا يقتلوه بالأحجار ويرمونه حتى بالبارود . حتى اضطر إلى القضاء عليهم على أساس معادلاته للبلاد دون شرط توبيد ، وإطلاق سراح الأسرى من الطريق هو وهم ، وبذلك عاد شاكراً باني إلى قسنطينة دون تهبة ما عدا علماء السكان له كذلك

وفي يوم 8 أكتوبر 1817 قام رجال الجيش في الجزائر بقتل الذي عمر باشا الذي لوصل شاكراً باني بل حكم الولاية ، وعوضوه على حوجه الذي أبع سياسة مخالفة له . وبذلك طلب من شاكراً باني أن يقتل حليفه ويعرضه يأكو حوجة انظر لبيب : الفصل ثمة (1809) ص 518 - 545 .

يعلمه إلا الله تعالى ثم يرجع الكلام إلا حافر باي أنه تبقى رمانا على سمرته الأولى جاء الوقت فمات الباشا بالخرائر هجم عليه العسكر فقتلوه ورجعوا باشا آخر اسمه حسن باشا⁽⁶⁴⁾ وكان من طبعه يكره الترك من أجل قبيح صنعهم ، ومن بعد أيام فلائل شرع في قتلهم ولا يبالي بالكفار والصغار ، ولوطال لمصاهم وحل مهم الديار . وكان حسن باشا المذكور وهو الذي شهّر القصة بالخرائر وجدد بيابها ، ورفع كل الخرائث إليها . وصارت أحكامه تخرج منها هذا الوقت كتب حسن باشا المذكور جوابا إلى جعفر باي قائلا له يلمك تفنل كبار الترك الذي في بلاد قسطنطينة عن آخرهم ولا تبقيهم واقطع آثارهم ، والسلام ، فلما وصل إلى حافر باي هذا الخواب تحرر وتقلق وضعف عليه الخروج من هذا الباب ، وخاف على نفسه أن يكون الختام به أش بعمل ، من بعد ما حتم تراه بعث إلى كبار الترك كلهم وأخبرهم بالأمر الذي جاء في قتلهم فافشعرت جلودهم وطاشت عقولهم ، ثم تكلم معهم حافر باي قائلا لهم اسمعوا كلامي فإنني منصح إليكم ولصبي هذا الباشا يريد ماء الترك عن آخرهم وأنا وأنتم محسوبون منهم . فاعطروا في الخيلة التي تخلصا من هذه الورطة ودبروا في الدواء الذي يعالجوا به هاته العصاة فأجابوه ذلك الترك بلسان طليق وقول من قلب صديق من بين يديك طائعين ولأمرك متبعين

فحينئذ جمع العلماء وسيدى الحد الشيخ بن المكون ، وأكابر البلاد ، فلما استقر المجلس بهم تكلم حافر باي معهم قائلا لهم : يا علماء الفصل والإرشاد ، وبها أهل البلاد ، إن هذا الباشا عازم على ماء الترك وقصام آثارهم ، ويريد العرب من بعدهم ، وإنما ما برضى بهذا الحكم بغيري عليا ولا عليكم لأنني بشأت بكم وصرت كواحد منكم فأجابوا كل الحاضرين (كذا) نحن لطاعتك مفادون ولكلامك موافقون ففرح حافر باي بكلامهم واطمأنت نفسه خائبهم قائلا حيث وقع بسا الاتفاق فلا حرج عليا ولا شقاق ، ولكني نحصوا بلادنا وإن جاءنا علم من قل ذلك الباشا بدمعه على أنفسنا ،

(64) الباشا المذكور هو الذي عمر باشا (1814 - 1838) ولما كان هو حسين حر دلهب الخرائر الذي ضيع الخرائر في أيدي الفرنسيين .

إلا سيدي الشيخ المذكور لن يوافقهم ولم يرص بصعهم قائلاً . لا نعتروا بهذا الكلام ولا تأمروا لما تظهره الأيام . لو أن الخرائر انعدمت ودولة انقطعت لكان في ذلك كلام وتدير . واليوم الخرائر لا زالت موجودة وأحكام الباشا المذكور جارية مفردة في كل البلدان ، وتدير . واليوم الخرائر لا زالت موجودة وأحكام الباشا المذكور بيده زوج جوابات إحداهما إلى دوان البوابة بمسكون جافر باي ، ويقتلونه ، والجواب الآخر إلى ناس قسطنطينية ومصطنة باختصار :

الحمد لله جوامعنا يصل بيد ناس قسطنطينية من العرب خاصة أما بعد فقد سمعنا بذلك الأمر الذي هو جافر باي يصنع ففة وتحقق عدنا الكلام الذي عر كم به ، فاعلموا بأولادنا أنا ما عدى بعض في جانيكم ، ولا قصدي بالشر إليكم ، وإنما قصدي في الترك بقتل منهم أولاد الحرام ، ونقطع الرماذقة اللثام ، وحتى يستقيم حالهم ، وإلا نصيبهم من آخرهم . وأما أنتم يا أولادنا العرب إن كنتم في طاعتنا فما عليكم إلا الأمان والإحسان منا ، وإن كنتم في طاعة جافر باي حتموا في عقولكم ، وانظروا فيما يليق بكم والسلام . كتب بأمر الدولة باي الباشا بالخرائط .

وجواب آخر إلى سيد الشيخ بن الفنون يستكثر من خبره ويتمجب من ميامنه وحسن صيغته ونصحه ، فترى الناس من بعد قراءة الخواص انكسروا عنه وسلموا أيديهم منه وما بقي جافر إلا وحده فحيثما تقدم الدهوان إليه ومسكه وفي الخيل مات محرقاً في سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف (65) .

(65) في أسرار آياته أصبح شاكرك باي بشار بالندب ، وبالأمر من تركه من الحرم وذلك يوم حضر إليه أحد الأكراد وقال له بأن قارة مصطفى أها تليقه قد عبر بأنها على قسطنطينية ، وبعد ذلك ذهب إلى قارة مصطفى الذي كان موجوداً بقسطنطينية آنذاك وأخبره بأن شاكرك باي يستعد لفتنه . حضر في حين ذلك فسطح إلى رعيه مولاي الصفه بأخوئز جيجل . ومن هناك أمد مركب رعيه إلى مدينة الخرائر عبر منه أن يتحقق في الحال بقسطنطينية وبعض على شاكرك باي ويتون مكانه . وعندما علم شاكرك بالخبر جمع إلى دار الإمارة كل رجال القرون ، وأطلق طاب عليهم جميعاً ليريد مصورهم منصور . وكلف ابنه محمد بن شاكرك بأن يقود قواته إلى بحر البعوض ليعترض قارة مصطفى ويحمله أو يحفظه ويحضره إليه جميعاً . ولكن هذا الإجراء لم يفلح لأن قارة مصطفى تمكن من الدخول إلى قسطنطينية دون صعوبة فاستحار شاكرك باي بالشيخ الفنون فأجاره ، غير أن قارة مصطفى انقضى عنه القواصم وظله ، ودفع في ليلة سيدي عبد القادر غرب صخرة سيدي مسعود الصانع . نظر فليست ، غير الناصر من 540 - 546 وكذلك مذكرات تقيب الأشراف ، ص 117 - 140 .

قارة مصطفى باي (جانفي 1818 م) :

ومن بعده تولى قارة مصطفى باي رحمه الله وهو تركي قديم في فلسطين مكث ثلاثين يوما في ولايته فقط ثم جاء الأمر من عند الباشا المذكور بقتله فمات (66).

أحمد باي المملوك (فيفري 1818 م)

ومن بعده تولى المملوك باي رحمه الله اسمه أحمد باي ، ولم يكن واحدا (كذا) من المماليك تولى باي في زمن الترك إلا هذا المذكور لأن حسن باشا قصد بولايته بقعة في الترك لكونه من عمر جسيم ومن بعد ذلك حكم الله على حسن باشا المذكور مات بالطاعون ، وتولى حسين باشا رحمه الله الذي هو موجود حين دخول الصراصيص في الخرائر ومن بعد أيام فلاتن جاء الأمر من عند الباشا الجديد بعزل المملوك وأمره ينتقل إلى الخرائر وعفى (كذا) عنه من الموت ، وكانت مدة ولايته ستة أشهر (67)

(66) لم يدم هذا باي طويلا ، ولم يدم في الحكم سوى شهر واحد لوقتل عام 1818 م . لرب إلى اليهود والنساء ، وجمعهم في قصره وأخذ يباعون معهم شرب الخمر ، وقد عذرة نازكا لوصاع المماليك للإجمال ، ففصل من رجل من بني حاصر استقدمه إليه وقتله ، واحتل أبناء من المطار وقتلهم كذبت ، وهم أعضاء ديوان الأوصال أو الخمر .

ونظرا لهذه الحالة المشهورة أرسل الباشا بالخاصة صهره محمد من مائة والباش أيضا وحفظا في الحال المالية بعد موت شاكر باي ، ووجد الخربة فارغة ، واكتشف أن من شاكر باي محمد سرق أكياس المليون بالخرربة وعددها ثمانية عشر كيسا ، وأحضاها فندنا عليها حتى اكتشفناها ، واستعادناها ، وفضلا محمد من شاكر وأعمامه وتأكد أن داره مصطفى بن أهلا تسير المماليك فأرسلنا رسولا إلى الذي على حوزة أحاطة علما بالأمر ، فأمر بحرقه وإعدامه ، وحين مكانه مملوكا من أصل ليطال أسسم وحسن إسلامه يدعى أحمد ، الظفر ، فليست . من 547 - 549 .

(67) نصه ميرزا الباش السامان ، وجب منه شهر كاملا حتى ظهر أسوء ، ثم فضلا رحيل إلى الخرائر ، وجمعها أكياس من الفرو ، وسبع ساء ، يوديات كهنية للذي على حوزة ، وكان أحمد المملوك متفعا ، حيوا ، عادلا ، ألف طرية على الشكل القائل الحاج أحمد بن محمد الشريف خليفة ، بوريان بن العيني أيضا الفلوة ، عبد الله بن زكري بن بن سبار ، مصطفى بن الأبيس قائد الدار ، الحاج عبد الرحمن بن محمود باشا كاتب ، وطلب من الجميع أن يتوجهوا إلى حاكمهم لصالح المماليك العام

وفي بداية عهد هذا الذي على حوزة بالطاعون يوم 2 ماي 1818 م . وخلفه الذي على حوزة الخرائر مكتوب إلى الحاج أحمد الخليفة ، وطلب منه أن يتولى عن منصبه لصالح من زكري ، وينصب هو إلى البلاد لخدمة لحسن أموال الخرمين الشريفين مسافر من عده يصحبه عبد الرحمن بن صوب ، والصبح محمد بن بوموهم شيخ أحمد المملوك سياسة سلفه قارة مصطفى فقتل محمد بن بوقفة ، وإبراهيم بن الهواي ، وسى سيد بن الفرية وآخرين ، وأحدثت بغيره في حوزة صير عبد بن حوز أيضا الفلوة ، والعربي بن العيني سراج ، وحل المملوك قائد عرب الخصال ، وأخبروا قائد قنلاعه ، وسبيلان فايد عبد النور ، مصطفى بن كوشوك على باشا كاتب ، والحاج عبد الكريم المملوك قائد الدار :

وفي فصل الصيف خرج نورو بنى حوز ، عو أن عرجي برس من فلات بالخاصة بحسن رسالة إلى الأبا قائد الخيمة يطلب منه عيا أن يحتفظه ، فأوقفه وسلمه لأولئك فرسل فلدوه إلى الخرائر القاصدة ، ومن هناك جاء الفداى إلى مازونه وم يدم حكمه سوى ستة أشهر ، ولكنه ميعود إلى حكم المماليك مرة أخرى . نظر فليست من 549 - 551

محمد باي الميلي 1818 - 1819 م :

ومن بعده تولى الميلي باي رحمه الله في أواخر سنة ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف⁽⁶⁸⁾ واسمه محمد باي ، تركي قديم في قسطنطينية ، وهو رجل قليل العقل يظلم الناس ويأخذ أوراقهم بالباطل ، وكان مشى إلى وطن الصحراء فصدر منه الظلم والخور على ناس ذلك الوطن ، فرفضوا شكائهم إلى الباشا بالجزائر فحينئذ عرله بهذا السب ولم يقتله وأمر بتفيل إلى شرشار⁽⁶⁹⁾ قرية بهرب الجزائر ، وكان وقت عرله سنة أربعة وثلاثين ومائتين وألف⁽⁷⁰⁾ .

إبراهيم باي الغربي 1819 - 1820 م

ومن بعده تولى إبراهيم باي رحمه الله في السنة المذكورة⁽⁷¹⁾ وهو تركي من وهران

(68) هجرة الموافق لنهاية عام 1818 م وكان محمد باي الميلي هذا قد عين قائد العرس في تفرقة ولكنه قبل أن يتسلم منصبه هذا عين باي على قسطنطينية وهو عشرين حاملا ، سوء الإدارة والتنظيم لا يفهم إلا منطلق القوة ، وبالغ في إهدار أموال القطار خاصة اليهود ، الذين لديهم بأساطير عامة مبنية ، وأرضهم على تغير طبع القصة أكثر من مرة ولا يضع أبدا ما يخدمونه له من الأموال وكلف قوته على الشكل التالي : الحاج أحمد بن الشريف خليفة ويوسف قائد الدار ، ومصر بن الأحرش أحد الدائرة ، وبعده ابن شقيق الداي قائد العرس ، وسي بلقاسم بن لرحول باش سراج ، وسي محمد بن الزولوي بن جلون باش كاتب ، وسي علي بن مرتجي باش سيار ، وفي نهاية فصل الصيف قام بمرور ضد سكان أو خلال إحدى قرى منطقة الزاب ، بسبب لردهم تحت رعايته فباح بن بوعكاز ، ولكنه فشل في هجومه الأول عليهم وعزل له أها الدائرة مصر بن الأحرش ، وجدد هجومه عليهم مرة ثانية وصاحروا أموالهم ، وأنه بعد ذلك إلى طوافه وقطع الكثير من أشجار التين مقابل لتسكين . وبعد ذلك عاد إلى قسطنطينية ولزم ببعدهم عدد من الناس ومنهم : مرجان قائد الزينة وهو عبد أسود كان يقوم بوظيفة حامية بساح مصر الداي ، وسي الطاهر الزموري نائب قائد الدار ، والباش سيار ، وسليمان بن خال ، وألف الدائرة ، وفائد الزمالة وعدد آخر من الغرب ، وفي ربيع عام 1819 ذهب إلى الجزائر العاصمة حاملا القروش وجد تخليه لهم من إقامته عاقر العاصمة عائدا إلى قسطنطينية ، فأرسل الداي حسين شواشا من وهران لاحتضاره وهاجده إلى مدينة ، وقبل شرشال ، ونفى بها حتى توفي الحاج أحمد باي منصب الباشا ثم عاد إلى قسطنطينية وهي بها حتى سقطت في أيدي الفرنسيين عام 1837 . طابعت برلونه أو خرج سيدي عبد القادر لحيان وأصبح وكيلها ومفتيا . انظر طابعت ، المصدر نفسه (1860) ص 351 - 354 .

(69) اسمها شرشال باللام في الأحرار ليس بالراء وقد يكون التبع هو الذي أخطأ

(70) هجرة الموافق لعام 1819 .

(71) عام 1234 هـ الموافق لعام 1819 وكان في الأصل بابا على بالملك القبطي في مدينة الدية ومصادف وجوده بمدينة الجزائر -

رجل عاقل لا يدي شيئا ولا يجه ولا يرم حكما ولا يمضيه ، وكان حاج أحمد حبيبة
عده وكل التصرفات يده أعني حاج أحمد . فبعد أيام من ذلك دخلوا الشياطين بينهم
وانعكس أمرهم وحار في صد بعضهم . فلما بيع إلى الباشا باجرائر استقبح صبيهم
وأمر بعزل الخليفة ، فامرل من وظيفته والحال أنه خاف على نفسه فهرب إلى الجرائر
طالب الأمان من الباشا وباني (كذا) هناك إلى الوقت الذي نولي فيه باي . وأما إبراهيم
باي المذكور فإنه راد من بعد عزل الخليفة زمانا ثم جاء الأمر من عبد الباشا بقتله فمات
رحمة الله عليه في سنة خمس وثلاثين ومائتين ألف (72) .

أحمد باي المملوك مرة ثانية 1820 - 1822 م :

ومن بعده نولي المملوك باي رحمه الله في السنة المذكورة (73) وهو أحمد باي المقدم

• عندما حضر الباي ، الباي عبد النبي بوشطاي ، بالديوش . فعنه الذي حصل لما حل فسطية عليه حتى لا يطع الباي
على ذلك . وبعد أن تم اتصال الباي على ظهر السفينة بالقلعة التي كان يتردد عليها ، وذهب على رأسه إلى فسطية
وصحب معه حوالي 60 حصة من الرجال ، وجمع في الطريق حرقب الصبب ما سب تأخره في الوصول حوالي شهرين ، وعندما
وصل فسطية الناس يرحبون به ويحسون . وعين أحمد نقيباً فاته العوسى على شاور ، وسليمان شيخ المملوك خالد الدار ، وأبلى الباي
في ما سببه وكان عادلاً حارماً حليماً في موطنه لعدم ، شديداً في عهده ، نعم بالإدارة وسودا . وعندما احتل مع حبيته حاج
أحمد باي طلب من الذي أن يتركه فتركه ، وعرضه بمحمود بن شاكر باي .

وكانت أوضاع إبراهيم باي العربي في شدة حبه ، لم تعرض مشاكل ، وحضر من يومه الأموال اللازمة للديوش ، سبب
تلاعب حبيته بمحمود بن شاكر باي ، الذي قد قلصه للديوش ورغم الذي حدث وحوله بأن الحرية فارقة ، وكتب الذي يطلب
منه (كأن اللعاب المطلوب من صخر ، وظهر عليه محمود محطس ديوان الأرحاني وأثروا على الذي حصل نظام برك وعوضه
بأحمد باي المملوك للمرة الثانية الذي كان معاً عليه مأزومة . وقد تم عزله عام 1820 م والتقى إلى سحر الفضة في فسطية
في انتظار مصيره . نظر فليست من 534 - 537 .

(72) هجرة الموافق لعام 1820 م .

(73) 1235 هـ الموافق لعام 1820 ، عندما وصل إلى فسطية حسب حبه للصلاة قرب كدبه حتى وإنه إليه هناك كثير البه وهنوه
على نعيه من جديد بما على فسطية وقرأ عليهم مراد القولية ، ثم دخل إلى دار الإمارة وأمر بإعدام الباي السليل إبراهيم العربي .
وسجن كل من لم يجه من رجال القزاق مثل : باربار على قائد العوسى ، وصهره أحمد بن بوه وآخرين ثم دعاهم إلى عده .
وعزل محمود بن شاكر ، وعوضه بأمير بحوجة ، وألف بحزة الحفيد على الشكل الثاني . أحمد بن الحيلادي أغا الدائرة ، وأمين
بحوجة بحليمة ، وعبد الله بن زكري باشا سيار ، وعلى بن الحاج رابع سرج ، والحاج عبد الرحمن بن محمود باشا كاتب ،
ومصطفى الأيحي قائد الدار ، وإبراهيم القزاق قائد العوسى ، ومرحلات بن محبوب قائد الزمالة ، وفلام بحلة غروانت إلى الأكرام ،
وواد سوف ، ونفرت ، وأدب القصة ، وأعلم الكثير من الأحرار . وبعد عشرين على الديوش ونجى إلى الجرائر فتركه الذي وعده
إلى حلاوة حسب فليست وإلى مله حسب المعرى . نظر فليست من 537 - 540 .

ذكره ولم يكن واحدا من الترك تولى مرتين باي في قسطنطينة إلا المملوك المذكور ، والسبب في ذلك أن باشا أنما التولى أمور العرب بالجزائر وهو صاحبه وحبيه باقي (كذا) يسمى له عند الباشا حتى رجع مرة ثانية ، وكان أحمد باي المملوك مسيرته مليحة وسياسته حميدة مع أهل الوطن وناس البلاد وأحكامه بالعدل والسداد . ومتولع بركوب الخيل ، والاصطياد وأما السبب في انقضاء ولايته أنه عزم على المشي إلى وطن الصحراء لاكتساب مفعته فاستأذن من الباشا بالجزائر في ذلك فلم يأذنه بل ساء عن المشي هالك ، وكان من عادة الباشات لا يمشون إلى الصحراء إلا بمشورة وإذن من عند الباشوات . فتراه خالف الأمر ومشى إلى الصحراء داس أرضها واكتسب المال الكثير من وطها . فلما رجع من سفره وافاه زمان ديوشة فحين وصل إلى الجزائر ، عاقبه الباشا وعزله ، وعفى عن قتله ، وأمره ينتقل إلى ملبانة قرية في وطن الجزائر ، وكان عزله سنة ألف ومائتين وسبعة وثلاثين (74) .

إبراهيم باي الكريتلي 1811 - 1824 م

ومن بعده تولى إبراهيم باي رحمه الله في السنة المذكورة (75) ويسمى سيب بن قارة علي وهو تركي قديم في قسطنطينة رحل عاقل ما فعل الشر في زمان ولايته قط ، له

(74) حكمة للوائل لعام 1822 م .

(75) عندما جرت بها على قسطنطينة كان موجودا في بلاد الشمال . وهو قائد سابق للحركة فالتحق بالعاصمة وسلم من الداي لفضائل قلوبه . وانضم بالقافلة لتجنيبه إلى قسطنطينة ورزق في الطريق كل جهات الديار لإبلاغ الناس بآتية نجاتها ، وانفقد الأحوال . وعندما وصل إلى قسطنطينة ألف هرد على قسطنطينة :

الشيخ حسين خليفة ، وبن ريان بن الطلي أمه الدائرة . وبن محمد الروبوي بن حلوب باشا كاتب ، وبن إبراهيم بن قارة علي صهر الباي قائد الدار . وأحمد بن الخيلاني قائد الفرقة ، وحمو بن مصطفى سرج ، وإسماعيل ابنه قائد الخيول تحت رعاية الشيخ أحمد الخليل . فرائد الحاشية والمعلمة وبنى وجده ، وعاقبهم على هرد ورفض دفع الضرائب . بنى على حكم الباشا حبوب ونصدا ، ثم عزى وتقي إلى المدينة حتى تولى الحاج أحمد باي منصب الباشا هناك منذ كان قسطنطينة وتولى منصب الخليفة له مدة من الزمن . وقد عظمه في منصبه محمد عثمان نظر الخليفة . ص 548 - 578 .

حياة وشعاعة على الرعية أحكامه بين الناس بالعدل مستوية وكانت مدة ولايته عامين ونصف ثم جاء الأمر من عبد الباشا بعزله وعدم قتله ، وأمره ينتقل إلى المدينة قرية بقرب الخرائر وكان زمان عزله ستة ألف ومائتين وأربعين⁽⁷⁶⁾ .

محمد باي مناماني 1824-1826 م :

ومن بعده تولى مناي باي رحمه الله في السنة المذكورة⁽⁷⁷⁾ اسمه محمد باي وهو تركي قديم في قسطنطينة وتولى كثير الوصايف في قسطنطينة لكن حين ترفع باي صار لا يهمهم ولا يعقل كالحماد ، واشتهر ظلم الترت ، وصاروا يفتنون الناس في داخل البلاد ، واعتلت الأحكام ونصبت الوطن وصعقت الرعية ووقع الصف بين المحاربة وعظمت بينهم الفتنة فحضر أن يعزل بينهم بشيء ، وآل أمرهم إلى أن هربوا إلى الخرائر شاكين (كما) إلى الباشا هذا الوقت عزله الباشا المذكور وأمره ينتقل إلى القبيصة دشرة قرب الخرائر ، وكان زمان عزله ستة ألف ومائتين وواحد وأربعين⁽⁷⁸⁾ ومن بعده تولى حاج أحمد .

(76) هجرة الموافق لعام 1824 م

(77) عام 1240 هـ الموافق لعام 1824 م تولى أمر القليلك وهو صبور عزم على القلة ، صاحب الدكاء وكان قد سرق قبل ذلك وظائف فائد جلب الصم ، وفائد النحر ، والحفنة ، لا يحسن العزبة ولا يحميها إلا بصحبه رغم كونه عاش بصحبه سنوات طويلة ولم يظهر أنه يحويه أو جدارة في إدارته القليلك ، ألف محروبه على الشكل الذي يكثر حوچه حليمة ، ومصطفى بن الأبيض فائد الدار ، وعبد الله بن زكري بن سراج ، والسماوي باش مكملجي ، وجريان بن العيسى أبا القلعة ، وحاج عبد الرحمن بن محمود باش كاتب ، ومحمد صفوان شوش ، ومحمود بن ساكر فائد المراسي فائد محروحه واحده بن صفوانه الشراقة بن فائده ، وسوق أفرس وأوصف أحمد بن الحلاوي ، واحمد بن عمر فائد الحفنة لم يجد إلى قسطنطينة ، وأُسل عدة حلاب إلى لولاد نابل في وقت القمع صارت أربعين ألف رأس غنم .

وفي أيامه الأخيرة سادت المرحى وحسب الاضطرابات في قسطنطينة وتقدم الأمر وكثر النصوص ، حذر عن بوم أموال الدوش انطونية منه ، وحصل خلاف بينه وبين أخيه فاستدعى إلى القاصدة وحمل منه أموالا رهينة ، وأمره بدفع الباقي حال عودته وحلال رجوعه إلى قسطنطينة أرسل القاضي حسن شوش انحصاره في محرو (برج القوية) وانتقله إلى القبيصة في احوار القاصدة نتيجة ، ووضع في قفاه حربه حتى احتل الفرنسيون عرق القاصدة وحاس بعد ذلك سرور أخرى حتى تولى مناماني ، ثمانية أشهر من ديسمبر 1824 إلى جويلية 1826 . انظر فاهيت النصر ص 1869 (ص 178 186)

(78) هجرة الموافق لعام 1826 م

الحاج أحمد باي بن محمد الشريف 1826 - 1837 م :

في سنة ألف ومائتين وواحد وأربعين⁽⁷⁹⁾ ولما توقع الفساد في الوطن واحتلت الأحكام في زمان مياي باي واشتهر ظلم الترك كان حسن باشا في هذا الوقت حتم في عقله وظهر له في تدبيره أنه زجج حاج أحمد باي في قسطنطينة ومن بعد ترجيعه عين له باش أعا المتولي أمور العرب بالجزائر وخرجوا معا بموسون الوطن ويظفرون في شأنه وأش هو السبب في تخبطه وفساده فتراهم خرجوا من الجزائر بالأعمال وبرلوا في وطن ينسبى عقبة عمال . ثم رحلوا من هناك ونزلوا في وطن ينسبى وبوعه هو أول ابتداء وطن قسطنطينة أقاموا فيه أيام (كذا) عملوا بظفرهم فيما يخصه وأخذوا مطالب البايليك . ثم رحلوا من هناك برلوا في وطن رمورة عملوا بظفرهم فيما يخصه وخلصوا مطالب البايليك . ثم رحلوا وبرلوا قصر الطير وينسبى بوطن ربيعة أقاموا فيه أيام عملوا بظفرهم فيما يخصه وخلصوا مطالب البايليك . ثم رحلوا من هناك وبرلوا في وطن اصطيف وهو وطن عامر عملوا بظفرهم فيما يخصه وأخذوا مطالب البايليك ، ثم رحلوا إلى جبل أولاد سلطان متوسط بين وطن قسطنطينة ووطن الصحراء وهو جبل كثير الشعب وبانه صغاب ، فزلوا عليه بالفتن وأخذوا من عند بانه شيء قليل على وجه الصلح .

وأما سبب تسميتهم بأولاد سلطان قيل بأنه روح مساء أحتبى واحدة اسمها فاطمة والأخرى اسمها سلطنة وكانت فاطمة عندها أربعة أولاد ، وسلطنة عندها سبعة أولاد ، فوقع بينهم عداوة وصار بينهم قتال فمات من أولاد سلطنة ثلاثة وتبقى أربعة ثم من بعد ذلك تفرقوا أولاد فاطمة سكوا في جبل ، وأما أولاد سلطنة فبقوا في جبلهم . ولا زال إلى الآن جبل أولاد سلطان وجبل أولاد فاطمة ، وهما قريب من وطن بانه . ثم رحلوا من هناك وقصدوا عانة أقاموا فيه أيام عملوا بظفرهم فيما يخصه واستخلصوا

(79) صحريه المواقف لعام 1826 م . والذي رافقه إلى قسطنطينة هو الأغا يحيى صديقه

مطالب البابليك وكان باش أعا وحاج أحمد باي مهدي (كدا) يترلون في وطن يسألون عن شأنه فيجدون سبب مساده من جور البايات ، وظلم الترك فتراهم يجعلون لاسه تأويل وهكذا كل وطن يترلون فيه إلى آخره . ومن بعد رجوعهم من وطن عبادة دخلوا بلاد قسنطينة فتراهم عملوا نظرم في شأن البلاد ودهروا فيما يصلح ويليق من أمور العباد ، فقتلوا من الترك أصحاب الظلم وفتدوا عقوبتهم في البعض من العرب الذين هم أصحاب الشيطنة والمجور ثم إسم رتبوا عشور القمح والشعير على الوطن ومن قبل ذلك أهدا لم يكن ، وكانوا من بعد قضاء حوائجهم وترتيب أشغالهم وتأسيس أحوالهم ، سافر باش أعا إلى الجزائر من كون زمان الشتاء أدركهم ، إذ لا يمكنهم تحوير الوطن كله ، ولم يقدروا يستوعبوه بأسره لأنه لا يحتاج (كدا) إلى زمان طويل ، على حسب ماسبق لهم من الترحيل ، وكان الوطن الذي حوسو في ذلك الأيام العديدة ، إنما هو قطعة في الناحية الغربية من وطن قسنطينة .

ومن بعد ذلك تبقى حاج أحمد باي في البلاد هذا الوقت أحكامه بالعدل والساداد وعلى نمط الشريعة والرشاد . وقد رال الظلم والخور ، ودهروا أصحاب البغي والمجور فيما بهم قائلين حيث تمكن المراسيس بريح مولاي حسين فلم يبق بقعا معه فتس ولا طراد وإن تبعنا كلام أحسن باشا كان الصبر علينا ونصيح نهارنا الذي في البلدان والذي هي بين أيدينا ، ولكن تعملوا تأويل الذي يلين بنا ويكون به حياتنا هذا الوقت تراهم تكلموا مع المارشال بورمون الذي هو كبير الرمادة⁽⁸⁰⁾ المراسيوية فسلموا له البلاد بشرط على أن لا تكون ضرورة من المراسيس إلى ناس الجزائر ويكونوا محترمين في أنفسهم وحرمتهم وأرراقهم فقبل منهم المارشال المذكور هذا الشرط واتفقوا على هذا الموال ، فحينئذ تقدم عسكر المراسيس ودخل الجزائر فقاموا العامة وأراد يفتنوه فمعههم الناس الذين كانوا تقدم كلامهم مع المارشال بورمون قائلين لهم كفوا أنفسكم وأمسكوا أيديكم وابقوا في احترامكم وحلموا الأمر بيد المراسيس والباشا . فترى ذلك

80 (المارشال بورمون De boumont هو قائد الحملة الفرنسية ضد مدينة الجزائر عام 1830 م والرمادة هي الأسطول الفرنسي الذي تقدم في هذه الحملة .

انكفت ، وكان أمر الله المختوم الصابر قدره ، وحكم سبحانه بدحول المراسيس في الحرائر ، فدخل في الحين إليها ونمكس بسطاطها واحتوى على حرائثها فعد ذلك تفرقوا لحدود ، ورجع كل باي إلى وطنه مكمود وكان ذلك في أول عام ستة وأربعين ومائتين وألف (81) .

وأما حاح أحمد باي لما رجع أنكره بأس وطنه وجرحوا على مداعته وما وصل إلى قسطنطينة إلا بالفس والقتال من كل الأعراش الذي حرج فيه المراسيس على الحرائر فترى حسن باشا بعث إلى كل بابات الأوطان وأمرهم بأنوا بالحدود وانقومان (82) لأجل معاملة المراسيس ومدافعتة فلما وصل كل باي بخبره واستقل كل واحد بمحلته كان المراسيس برل في البر بمساكره وآله حربته فعد ذلك اتسع المبدأ واشتد القتال مدة من الأيام والليال (كذا) فكان المراسيس أول فرسه باها حين تمكس بمحلة باش أعا واستور حده ، وتمكس يد المسلمين مها عفا وصل الخبر إلى الباش (كذا) فخر ، وتنفق ، وتلاشا (كذا) فتره حرج محبة أخرى وحدد في الفس وانصرمت بار الحروب وعظمت الفس ، فكان من هدمسة المراسيس ونجبه أنه بخر بتاررب بالليل وبعض بانهار ، ولا زال كذلك إلى أن تمكس برج مولاي حسن وحده له قرر هذا الوقت تخفق للمسلمين أن الحرائر انهدمت ، ومديد الترك انكفت وتعب ، فلما سمع حسن باش بمكس المراسيس في برج مولاي حسن عظم عبه لأمر وعاب عنه الفكر تراه بعث إلى بأس الحرائر من العلماء فقدموا إليه وختموا كتبهم لديه ، فقال لهم ختموا ودبروا فإن المراسيس أخذوا برج مولاي حسن وهذا البرج هو قاعدة الحرائر وحدها ، فقالوا له نحن نقاتلوا بأنفسنا وأولادنا حتى نموتوا بأجمعنا ولا سلموا في بلادنا فاستحسن كلامهم وشكر صبرهم وقاموا على هذا الوفاق . فلما انفصلوا من عنده تكلموا على أحوال الرعية الكاثنة في تلك الناحية فكث في ذلك الوطن حتى قصى حوائجه ، وحنص مطالبه ومن بعد ذلك جاء في قسطنطينة وقد تجمع بيده الأموال والعوائد الكثيرة ،

(81) هجرية الموافق لعام 1830 م

(82) فعد بالفرمان ، جاء المراسيس وكلامه أنرى ما به انصرف كتم حيث يتحدث من أشياء بعد انكفته العرب لم يعود إلى ما عهد من الأحداث ، ووط منطبه بخر في قصتها لم يستطع أن يعصها ، وبوصفها ، والدوش فحي يتحدث بها حمولة فخرج أحمد إلى قسطنطينة عام 1837 م .

هذا الوقت طلب الإذن من عبد الباشا لأجل يمدش إلى الجزائر ويبدل إليه من ذلك الأموال والدخائر وكان ذلك الوقت ليس هو زمان ديوشة وإنما قصد بذلك تحصيل مرغوبه والمعاراة بالمعاصر والمصاعبات (كذا) وليكون له الصيت دون البايات ، فلما جاء الإذن بالمشى به في الحال وأحد ما يلزمه من الهدايا والأموال وقصد إلى الجزائر ، ومشوا معه عمال الوطن والناس الأكابر ، فحين وصل إلى الباشا وسلم له ذلك الأموال الذي بيده ، ثم أعطى بالريادة إلى وزرائه فمرح به المرح التام واستنكر من حموه وشكره شكراً عام (كذا) وموضع له في جميع الأحكام .

وكان حاج أحمد باي له أصدقاء وأعداء من أكابر أناس قسطنطينية وأسمائهم : أولاد بن زكري ، ثم أولاد بن محمود ، ثم أولاد بن الأبيض ، هذا الوقت تكلم مع الباشا في شأنهم وطلب منه الإذن في قتلهم فأطلق يده عليهم وأعطاه الإذن بهم فلما رجع من ديوشة وظهر بمقصوده احتوى على تلك الناس وقتلهم بأجمعهم وما بقي (كذا) إلا واحد منهم⁽⁸³⁾ فكان حاج أحمد باي في هذا الوقت بال مرغوبة ويقتل أصدقاءه تحصل مقصوده فاستقامت له الأيام ، وبقي على هذا النمط مدة أربعة أعوام جاء الوقت والعمال وكانوا الترك الموحود من ذلك الوقت في قسطنطينية حين تحققوا بدخول العراسيس في الجزائر تكلموا مع كبارهم واتفقوا بينهم قائلين نحن ما نحوا حاج أحمد باي بقا (كذا) عليها ، وما برصوا به يكون هو المتولى أمراً فتراهم عملوا بحلة وخرجوا خارج قسطنطينية بموضع يسمى رأس الحامة وأرادوا يقاتلوه ويحموه من الدخول في المدينة⁽⁸⁴⁾ فحينئذ اجتمعوا ناس البلاد والتجار إلى سيدي الشيخ بن القصور وتكلموا بينهم قائلون (كذا) لما كانت دولة الترك صاعدة ، وجب علينا طاعتهم ، وما نقدرنا نتعرضوا لأمرهم ، واليوم قد انقضت دولتهم واستولى العراسيس على مملكتهم وإن نحن سلمنا أنفسنا إليهم وبقينا في حكمهم فرموا بمكرنا بنا ، ويطردونا من بلادنا . فتراهم ختموا في عقولهم واتفقوا في كلامهم بأن حاج أحمد باي يبقى هو باي من كون سيرته حسنة وأحكامه مرصية مستحسنة لكن إذا كان باقي على سيرته فذلك المقصود ، وذلك هو

(83) قل كلام من محمد بن زكري ، وأحمد عبد الله بن زكري ، ومن الأبيض ، والشيخ فرزدق ، ولكن الذين بن محمود من الجزائر والجهة التي سما حتى توفي عام 1056 .

(84) الذي توهم هذا الفرد منه هو محمود بن شاذلي .

لرأى المأمود ، وإن تبدلت سيرته وانعكست حقيقته ، لآرم يتكلموا معه ويعملوا تأويلا
لأنفسا ، وعلى الله اعتادنا ، فبعد اتفاقهم على ما ذكرناه وأبزم الرأي الذي ربروه ،
فراهم تقدموا إلى حاج أحمد باي وسيدى الشيخ بن الممور أمامهم قائلين له بصدق
كلامهم : يا حاج أحمد أنت من قبل صاحب ولايتنا ، وعلما سرتك مبيحة معا
محبوك تبقى أنت باي علينا ، ونحن دائما نكونوا معك ونفعلوا في حماك وعونك ،
فاستكثر من حرمهم ونفق الصبح معهم ، فحينئذ ذهب حربه وسكن روعه ودخل في
مسطبه بعد ما كان في حيرة عظيمة ففراهم بعد دخوله للبلاد بهم في الحد ورتب عسكر
من رواده بالاستعجال وبغتهم إلى الترك الذين خرجوا على طاعته ووقفوا في صده ،
فجاء القتال من الحاسين واشتد الحرب بينهم يوم من عظمه في جانب الترك الخلل ،
فصروا لأمان وبرل بهم إلى محل شرط عليهم حاج أحمد باي أنه ما يكون لهم الأمان
والعصمة حتى يسموا يده لترك الذين هم سبب ذلك الحيرة وأوقفوا بار تلت الفنة ،
فراهم مشر وسلموا به لترك المشروطين ونقادوا فلما تمكّن بهم قتل بعضهم وبقي
بعضهم وباقي الأبرك دخوا في الأمان إلا أنهم في ابدل وهوان ، وكان حاج أحمد
باي عهده في ترتيب عسكر رواده وبأسيسه ، وسوية الحرب ومسطبه ثم بصدى إلى
أصوار البلاد فحدد بيدهم (كذا) وباندفع حصصهم وحكم إنعامهم

قضية الباى إبراهيم الكريتلى وعانة وبن رهوطة

ثم يذكر قضية إبراهيم باي مع حاج أحمد باي رحمه الله وذلك أنه بعد دخول
الفراسيس في الحرائر ، ورجوع حاج أحمد باي إلى قسطنطينة وصار ما صار به من ناس
الوطن والترك ، كما ذكرناه سابقا فكانوا الناصر من عمال الوطن بعثوا إلى إبراهيم باي
سبب من قارة على المتقدم ذكره ، وهو ذلك الوقت في ابدية من حين عرله الباشا
في السابق ، وطلبوه يقدم إليهم ويكون هو الباى والمتولى أمرهم فحين وصل إليه ذلك
المرحاء مسرعا ولم يكن في عاقبة الأمر متفكر ، فلما وصل إلى سطيف تلقوه ذلك
العمال بالفرح والمصيف ، وتكلموا معه قائلين له نحن بعث إليك لما علموه من حسن
سيرتك وشعافتك وكامل عقبتك فمحموا بعموا معك كل جهديا ونكون أنت هو الباى
علينا ومتولى أمورنا ولكن بعثوا إلى حاج أحمد باي بقاتوه حتى يفتوه ويتردوه ،
فلما سمع كلامهم استكثر من حرمهم ووافقهم على مرادهم

وكان حاج أحمد باي وصل إليه ذلك الخبر فتراه خجماً في عقله ودبر ورتب محلة من فرسان وعسكر ، ومشى إلى إبراهيم باي بقصد حبه فلما وصل بقره تراه يدل المال إلى شيوخ ذلك الوطن والعمال ، ونكلم معهم في شأن إبراهيم باي بمكرهوا به فيقتلوه ، ويطردوه ، فلما كان وقت المبارزة وشأ الحرب والمقاتلة ظهرت من ذلك الشيوخ الخديعة فاهرم إبراهيم باي وجيوشه هزيمة كبيرة وولوا على أعقابهم هاريين ، وماتوا منهم ناس كثيرين ، ومن بعد ذلك رجع حاج أحمد باي إلى قسطنطينة فارجأ بصرته معتمداً بهم أعدائه وظفره ، وفي هذا الوقت تسمى باسم حاج أحمد باشا ، وأما الترك الذين كان أعطاهم الأمان لم يطمأن (كذا) بهم ولم يأمن من مكرهم ، فتراه يطمش بهم وأحد أرفاقهم وأباح بهم تفرقوا في كل البلدان ونشئت فيهم في كل الأوطان ، وانقطع رسمهم في مدة قتيبة من الزمان ، وأما إبراهيم من حين حلت به ذلك الهزيمة وما بقي معه إلا رفقة قليلة فتراه قصد وطن الصحراء وجمع حيوشاً لأجل أن يولي مرة أخرى . وكان الحاج أحمد باي وصحه ذلك الخبر فطم في الخيل فرسان وعسكر ، وخرج من قسطنطينة بالمحلة فما زال يطوى الطريق قطعة بعد قطعة حتى وصل إبراهيم باي وصار بقره ، رتب عساكر وحيلة وتقابلوا الصميين وشأ القتال بين العتتين من أول النهار إلى آخر وقت الاصفرار فكانت الهزيمة على إبراهيم باي وصحه ودخل حاج أحمد باي إلى الصحراء بقوته ورجعوا ناس ذلك الوطن إلى طاعته ، وقد تحصل بيده من وطن الصحراء فوائد جمّة من أنواع الذهب والفضة ومن بعد قضاء مشاربته وبيل مرعوبه وهرم أعدائه ، رحل من وطن الصحراء ، وكانت مدة إقامته بها أربعة من الشهور (85) فلما وصل إلى قسطنطينة معتمداً مسرور ، هذا الوقت صرب مكة الدراهم ونفش عليهم مكة قسطنطينة (86) وتمهد له الوطن ، وصارت أحواله مستقيمة وبقي في سيرة طيبة وأحوال مرضية جيدة ، بمصاف المظلوم ويقهر الظالم العيشوم (كذا) ومهمي وكذا بشكل عليه أمراً أو يحرم على قصائه إلا ويشار أهل العقول فيشدونه لصالحه ولا زال على هذا الموال برهة من الزمان ، ولما توغل وتمهد له الوطن وانقادت له الرعية ، وصارت أحواله

(85) تم هذا في أواخر عام 1830 م .

(86) تم هذا عام 1831 م .

عمر مرضية انعكست حقيقته وتبدلت سيرته .

وأما إبراهيم باي حين حلت به ذلك المهرجة في وطن الصحراء صار يمشي من جبل إلى جبل ويقصد الأرض القعراء حتى وصل إلى عناية ، فدحها واستقر بها ، فاجتمعوا أهلها لديه واستغاثوا به قائلين له أنت كنت باي في قسطنطينة ، وعناية في حكمك لا محالة ، واليوم دولة الترك من وطننا انقرضت ، ودولة العرانيين تحكمت ، ونحن الآن لا عددا حاكم يعتمد عليه ولا حاسب تلتحقو (كذا) إليه وقد حالوا بين قسطنطينة الموانع ، واسد الطريق بالقواطع ولكن محبوك تبقى أنت معنا وتكون مواليا لأمرنا ، فاستحسن كلامهم ، واحار المقام معهم⁽⁸⁷⁾ فلما وصل إلى حاج أحمد بدت وتحقق باستقرار إبراهيم باي هناك ، نراه في الخيل جهر عنة ويطعمها بالمدايع والعسكر ، ويغنيها إلى عناية بالمحلة لأجل محاصرتها ونظره إلى إبراهيم باي منها وكان المتعبد على الهبة المذكورة الحاج عمار بن رموظة . إنه رجل كبير من قديم الزمان ، وله معرفة بذلك الأوطان ، فبدلت قدمه ، ولهذا الأمر اختاره فلما وصلوا إليها وبرروا بطرفها وقع الرعب والخوف في ناسها ، فاجتمعوا ونكسوا بيهم وانفقوا وكتبوا جوابا إلى حاج أحمد باي مريا على ناس مقامهم ، طالبين منه الشرع والإنصاف وراحين منه الصنع والعفاف

وصورة جوابهم ، بعد التعظيم والتعظيم إلى سيدنا حاج أحمد باشا في قسطنطينة بعلمك بالأمر الذي هو سابق ومتحقق في علم سيادتكم ، إنه حين كانوا الترك صائلين عن رعيتهم ولطاعتهم عن مفادين ، وممثلين ، واليوم قد انقضت دولتهم واستولى العرانيين على مملكتهم ونحن ناس ضعفاء لا قدرة لنا على المقاومة ولا قوة لنا على المدافعة ، وهذه العمارة التي أرسلت إلينا أصبحت أولادنا وأحرقت أكبادنا إن كنت أرسلتها إلى إبراهيم باي فإنه جاء إلينا برأسه طالب الحياة (كذا) لعمري ، لا عده حرب بقوته ولا عسكر

يحتسب به وإن وإن كنت أرسلتها إلى العرائس بحس رعية لم علب ، وهذه عناية هي الآن في حكم العرائس ولا محالة بحس لا طاقة لنا على مزعها من يده ولا قدرة لنا على تسليمها إليهم . ولكن مطبوا معك الشرع بأن تعمل لنا تأويل الذي يكون فيه حباننا ويثبت به استقرارنا في بلادنا فلما وصل إلى حاج أحمد باي ذلك الخواب وفهم مصمونه والخطاب ، لم يقل كلامهم ولا رق لحالهم وتراء رادهم مدد آخر من مدافع وعساكر ، وحث على مقاتلتهم وأكد على محاصرهم وكان المتقدم على ذلك العمارة وندد بن عيسى الذي هو باش حاسه ومعه لاعة بن الخملوى ومشوا في سطوة عظيمة وأعطاهم الباي طبول وصار عروهم مثل ما يهرون الباهات .

وأما حاج عمار بن رهوطة فإنه أصابه مرض شديد وهو مقيم بالمحلة على بلد عناية وتمطل أمره بذلك المرض فحيث بعث إليه حاج أحمد باي وأمره بالرحوع إلى قسطنطينة فلما وصل ذلك الأمر إلى ابن رهوطة حلف المحلة هناك بساحية عناية وقدم بعنه فلما صار في أثناء الطريق تلاقى مع بن عيسى فربطه من غير إذن حاج أحمد باي وكانت بينهما عداوة كبيرة . وسبب ذلك أنه في عام 1245 هـ (88) وكان حسين باشا بعث إلى حاج أحمد باي قائلاً له اختار (كذا) لنا رجل كبير عاقل من ناس قسطنطينة لأن أردنا نجمعوا وكيلا علينا وعييت ولما نعبه ويرصاك ، فأرسله لنا لظروهم ونكلموا معه فإذا وجدناه يهين إلى ما أردناه فرجعوه فكان حاج أحمد باي أول مرة عين بن عيسى المذكور لأنه حديمة ومن جانيه ، فأنكروا عليه البعض من المخابرات فأنزلوه له لا يلبق بن عيسى إلى هذه الوطيفة لأنه لم تنسب له خدمة في أمور المهرن ، وهذا وصيف كبير لا بد له من رجل يكون صاحب معرفة بخدمة المهرن ، فعند ذلك عين له حاج عمار بن رهوطة وبعثه إلى حسين باشا فلما وصل إليه نكلم معه واستحبره فأعجبه وظهر له من سياسته وعقله ما يلبق بوطيفة وكالة تونس . ثم رده إلى حاج أحمد باي وأمره بلبسه لأن من عاد وكيل تونس يلبس على يد باي قسطنطينة .

فهذا سبب وقوع العداوة بين حاج عمار بن رفوطة وبين عيسى ، وأما حاج أحمد باي لما سمع برباط بن رفوطة تخير واستعاض وأراد أن يسرحه من رباطه لكن ختم ربما إن سرحه يشأ له الضرر والعباد من بن عيسى لأن بيده الخنة والعساكر ، فحينئذ بقاه مربوطا حتى يتعين له أش يكون من أمر بن عيسى . وكان بن رفوطة لما طال به السجن نوسل في سي الحاج محمد ابن الحاج بن فالة شيخ العرب ليتكلم عليه عند الباي يسرحه ، فتكلم عليه ووعد به الباي بتسريحه ، هذا الوقت جاء الخبر أن بن سعيد الذي كان شيخ العرب في السابق عزى (كذا) على البعض من ناس الصحرى (كذا) الذين هم من جانب سي محمد بن الحاج شيخ العرب فعند ذلك تخير حاج أحمد باي لأهم صف أحواله فتراه جعل محلة ، ورتب عسكر وركب ذلك العسكر كله على البغال وخرج من قسطنطينة قاصدا ابن سعيد المذكور إلى وطن الصحرى فما زال يسير الليل والنهار حتى وصل قريبا من الوطن الذى برل فيه بن سعيد بمجوده وهو يتسمى بادم قريب من الخفة فهجم عليه حاج أحمد باي بالعسكر هجمة عظيمة ، وعارت إليه القومان عارة طويلة فاهرم بن سعيد وهر هاربا بنفسه ، وحلف أرراقه وسائه (كذا) فاحتوى عليهم حاج أحمد باي وقام في تلك الناحية أيام قلائل إلى أن غدوموا ناس ذلك الوطن وأعطاهم الأمان ثم رحل من هناك راجعا إلى قسطنطينة . وأما محمد بن الحاج شيخ العرب المذكور فتراه وسوسوه الشياطين من المهارنة فائلين له أنت شيخ العرب وكنت تلبس القمطان ويصربون الطبول عليك مثل الباهات ، والآن نقص من حفظك وصاروا الطبول يصربون على رأس بن عيسى وليس من شأنه ذلك . فحينئذ استعاض ووقع الميار في قلبه وصار الصر يبه وبين حاج أحمد باي وتعاظم الأمر بينهما إلى أن رفع قباطة⁽²⁹⁾ ورماته من طرف محلة الباي وفروا معه المهارنة منهم : بن بشير السراج ، وسي أحمد بن العصبان كبير أولاد سي داود ، المكى بن الاجليلي قائد الحمامة ، وسي الخمصي بن عون ، وابن الاشتر قائد العشور ، وسي أحمد التونسي قائد دريد ، وما بقى حاج أحمد باي إلا وحده ، فتراه تخير وتقلق وصار يبعث إلى سي محمد بن الحاج شيخ العرب مع أخيه سي بوغزير الذى هو الآن شيخ العرب ، ويقول له أنت

(29) المقصود بالقباطة الحمام المصنوعة من الشعر ، أو فئاض القطر ، ومبرمعا فطون ، باللهجة العامية طمعا

ابن خالي كيف تعمل معي الشر الكبير وتعمد علي وتفق المخاربة معك ، فما سبب ذلك فأجابه محمد ابن الحاح المذكور قائلا له بمبصري خالي منك لأنك بقصت من حصي وقدمت علي العمير وجعلت له شأن الذي كان لنا ولأبائنا وأجدادنا ، وأيضا كلمتك علي بن زعوطة لأجل أن سرحه من السجن فلم تقبل كلامي فلذلك وجب العرار منك . فبعد ذلك استعاض حاج أحمد باي وقتل بن زعوطة . فهذا سبب موته ظلما وعناد . ومن بعد ذلك رجعوا المخاربة إلى الباي بالأمان وبقي شيخ العرب المذكور ماسك رجله عن القدوم إلى الباي ومقابله زمانا نحو نصف عام فعاتبوه أحبابه ، وصار أخوه سي بو عزيز يمشي بالكلام بينه وبين الباي ويسمي بينهما بالخير إلى أن رآل البعض بينهما وقدم شيخ العرب إلى قسطنطين فاجتمع مع الباي ووقع بينهما الملام ونراصيا ثم إن شيخ العرب بعد أيام قلائل مشى إلى الصحري كعادته ومن بعده هذا الوقت كان حاج أحمد باي قتل المخاربة المذكورين الذين كانوا يافقوا مع شيخ العرب أول مرة إلا سي أحمد التومسي فإنه عمى عليه لأنه رجل براني ، وكذلك سي الحفصي بن عون الذي هو الآن قائد السفينة ادعى أنه مشى معهم بالسيف ، لما سمع شيخ العرب بموئهم يافق مرة أخرى ومسك رجله عن القدوم إلى حاج أحمد نحو تسعة أشهر ولا رآل كذلك إلى أن حرح حاج أحمد باي بالهجرة إلى المسيلة كما سذكره إتبنا . هذا الوقت قدم إليه شيخ العرب وهو محمد بن الحاح وكان قدومه بواسطة أخيه سي بو عزيز الموجود هذا الوقت . فلما وصل وتلاقا مع حاج أحمد باي بطرف المسيلة لبس القمطان وصرخوا عليه الطبول كعادة مشايخ العرب ، ومكث خمسة عشر يوما وهو صحيح ثم وقع به مرض نحو خمسة أيام ومات ودفنوه ميت إلى قسطنطين ودفن بالكدينة قبالة البلاد . قيل إن الباي أعطى الدراهم إلى قائد السبي حديم شيخ العرب وجعل له السم في الدخان ، وكانت موته في حمادى الأول عام سبعة وأربعين ومائتين وألف (١٥٠٧) . فقد انتهى الكلام عل قصة موت بن زعوطة وموت الشيخ العرب ثم يرجع في الكلام إلى الأصل الأول إنه حين توجه بن عيسى بدلت المدد إلى عناية هذا الوقت نكنم سيدي الشيخ بن الفعور مع حاج أحمد باي والبعض من أكابر قسطنطين منهم قائد الدار بن البجاوي ، والسيد

مصطفى بن جلول قاضي الخمية والسيد أحمد العاسي قاضي مكنبة ، والسيد محمد بن جنول باش كاتب ، وسي محمد بن الحاج شبح العرب ، وسي محمد العربي بن عيسى ، الباطر والمقاتل : سيدي عمار العربي ، وسيدي مصطفى بن الشاوش ، واحتجوا عليه بالدليل الأصح ، والقول لمفيد الموضح قائمين به بما حاج أحمد باي الحق مع ناس عنانه من كوشهم مواليين البحر ، وما عندهم قدرة يدفعون بها الضر ، وعناية في يد المراسيس فلا يمكنك برعها من يده ، ولا قوة لك على مدافعته وأنبأ مصطفى لارالت في الحرب فاطر وحجم قل وقوع العصب وكان الأحسن عليك ، واستبح إليك ، أنت لو تتكلم مع المراسيس وبكاته وتصب مداهنته فبدت تكون مسرع ويغى أمرك متضمن صحيح ، وتنظم إليك عناية من عمر قتال ولا حرب ولا معنده ولا تصب ، هراء لم يعمل بكلامهم ولم يلتفت إلى مقالهم .

ولما وصل بن عيسى إلى البلد المذكورة حاصرها حصارا شديدا بمدفعه وبرر عليها بالحرب ليالي وأيام فلما طال حصار على ناسها ماء حدهم وصاق مالههم ونقطع مدد الطعام عنهم ، ترهم احباروا الحياة (كذا) على انعام وفوضوا أمرهم إلى خالق المحنوقات فسلموا اللاد وفتحوا أبوابها واندخلت بلد عناية في حبيها ، وذلك في أول عام ستة وأربعين ومائتين وألف (١٩١) وصار ما صار بناسها من نشتيت شيمهم ، والهب في أرراقهم ، وصارت عناية قمار وما بقى فيها إلا الدس العاشرين على امرار

هذا الوقت جاء يوسف إلى عناية ودخل في انقصه وتمكن به من عمر حرب ولا قتال ، ولا هرج ، ولا مكال ، وكان من أمره ما كان إلى أن قدم إلى قسطنطينة وبرل عليها بخروب ، والافتان وأما بن عيسى فإنه لما رأى يوسف دخل في القصة تحقق عنده أنه لابد من نمكة بيد عناية فحصل له خرف الكثير فتراه رحل وقدم إلى قسطنطينة (١٩٢)

(٩١) حكمة للواقع أولمصر عام ١٨٣٥

(٩٢) يوسف المنيوك هذا اسمه من جزيرة إب ، أحد أسرى بن بوس ، وعين حدها في قصر الباي . وركب حربه بحضرة من إلى الجزائر عام ١٨٣٥ وقدم معه لواء من حملة العرسية في سيدي مرج . فاحتصوه ولعب دورا بارزا مع القوات العرسية في محاربة المقاتلين سواك طويلا . وألف عليه الصابط بروسيل كتاب من جزئين بعد وفاته بعنوان الجنرال يوسف

وأما حاج أحمد باي ما تحصل يده إلا ذنوب العباد ، ولا اتصلت يده تلك البلاد
وكان من سابق زمانه أنه ما يعمل شيئا إلا بمشورة الناس الكبار ، وأصحاب العقول
المصلاء الأحيار فيسهل عليه كل شيء صعب (كذا) ويدنو إليه البعيد والقريب ،
ومن هذا القليل كلام الحكماء الأولين : من شاور ساد ونال كل المراد ، ومن اعتمد
على نظره لم يصب في تديره .

وصار حاج أحمد باي من بعد قصة عناية أموره باقصة ، غير متعادة ، وكان في عام
1247 هـ (93) سبع وأربعين ومائتين وألف ، أنه جعل جيوش كثيرة وقصد بهم المسيلة
وهي قرية صغيرة في طرف وطن الحصنة ، فلما وصل إليها استولي على أوراق ناسها
بالظلم والجور ، وشتت فمهمهم بالبغي والعجور ، ثم رحل وقصد بلد المدينة بوطن الخرائر
فلما وصل بقرتها قابلوه ناس وطنها ونكسوا معه احتبار الحالة ، ويصمون أش هو في
مراده ، فقرأ استظهر إليهم بالصيحة وعامتهم بطهر المودة وحسن السريرة ، قائلا لهم
عاصي من حالكم لما يبغي من إيمانكم فقدمت إليكم لجمع فملككم وبطم جمعكم
وعمل لكم تأويلا تفعلون به في عين أصدادكم بحيث استأنسوا لقبولهم وفرحوا برؤيه ،
وتقدموا إليه باهدايا من الأموال والخيول المسومات وطسوا منه أن يرجع باي عليهم
ليكون عمدة إليهم ، وواسطة فيما يخصهم فأحاسهم إلى ذلك الرأي ، ورجع ويد بومرراق
في بلد المدينة باي .

وكان حاج أحمد باي بالخيلة مع ناس ذلك الوطن ، والمخديمة حتى قصي حوائجه
مهم ومن بعد ذلك حذعهم ، وربط مائة رجال من كبارهم فرمهم مبروطين وفر هاربا
من وطنهم فلما وصل إلى قسطنطينة قتل ذلك الناس كلهم وعاهم عن آخرهم وقد اشتهر
ظلمه ، وكثر جوره ، وبعيه ، وصار يقتل الناس طسما وعدوانا ، ويخدع بالأمان فمن
ذلك أنه قتل ستين فارس في يوم يقال لهم أولاد متنة وقتل مائة وعشرة رجلا يقال
لهم أولاد عمر من ناس الحصنة في يوم واحد لكن أولاد عمر لما أراد السيف يقطع
رأس واحد منهم طار بين يديه ولا عرفوه أين مشى فهذا عريضة من العرائث ، ومن

هذا الصنيع عموه كل الناس وحصار أمره في الانتكاس ، ثم من بعد رجوعه من وطن
المدينة جهر عسكر وعرسان وبعضهم سرية يعي عارية يعرون على من يجدونه بطرف عابة
من الرعية ، وذلك في عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف (94) والمتقدم على تلك السيرة
(كدا) بن عيسى باش حانية ، وبس الحملأوى الذى هو أعا في ذلك الوقت .

وكان يوسف ذلك الوقت هو باي في ننتك الناحية ، فلما وصلت السيرة المذكورة
وبرئت على البعض من تلك العروبة فاحتوى عليهم ، وأحدث أرفاقهم ، وطردوهم عن
حياتهم فمروا هارين ، والتجؤوا إلى يوسف مستعئين فلما تحقق يوسف شئت أرفاق
رعبته نراه في الحين ركب هو وسبائه (95) ولحق بأصحاب السيرة فأدركهم وهدت
أرفاق رعبته وطردوهم وقتل البعض منهم وسبهم فولوا أصحاب السيرة مهرومين وعلى
أعقابهم هارين .

فلما وصل الخبر إلى حاح أحمد باي هرم سمرته (كدا) نعم ونعم في أمره وكانو
البعض من الناس المصححين أصحاب العقول الكاملين تعرضوا في ذلك السيرة قبل إرسالها
قائمين باحاح أحمد باي ليس لك فائدة فيها وربما نشأ لك الضرورة (كدا) بها لأن
الفرانسيس مسئول على عابة ووطها . وقسطنطين لارالت في الحرب ولم يصمى (كدا)
لك مشربها فكان المليح عليك أن تطلب منه مهادنة وأصمى عن الفرانسيس ومناقشة ،
وفك قدمك من موضع قدمه ، فتراه لم يعمل بذلك المقالة حتى آل أمره إلى التلف
والخسارة .

وفي عام إحدى وخمسين ومائتين وألف (96) حرح حاح أحمد باي بالهنة إلى ناحية
أوراس وبرل على عرقة منهم اسمهم أولاد سعيد ، فعزى عليهم وأخذهم ومسل منهم
سنتين رحلا قطع لكل رجل يده اليمنى وأطلفهم كلهم مقطوعين اليد ، وأرسل أيديهم
إلى قسطنطين فكان يد وزعم بتفطيع يدهم أبطال حركاتهم ، ونقص قوتهم .

94 (صرية المرافقة لعام 1832 - 1833 م)

95 (المقصود بالسياس ، السياسية ، والمقصود بالسوء ، السيرة ، ولكنه صحتها)

96 (المرافقة لعام 1835 م) .

وفي هذا العام المذكور وقع الصاعون في بلد قسطنطينة والوطن حتى بلغوا الموتى في اليوم الواحد قريب من الخمسة عشر مائة من نحو ثلاثة أيام وهو على هذا الخط ثم نقص وزال .

ومن بعد ذلك أيضا في عام اثني وخمسين ومائتين وألف (١٩٧١) حفر عرصي وبطنه من عسكر وجود وفرسان وقصد بهم محلة الدرعان فكان أول بروله بذلك العرصي في موضع يسمى عقبة العشاري من كونه موضع عالي ، وهو اخذ بين وطن قسطنطينة ووطن عسابة أقام فيه أيام يحتم ويدير ، ثم رحل وتقدم إلى موضع يسمى بالحمام قريب من فانة ، فرتب جيوش من العامة وأمرهم بقتلوا محلة الدرعان ليحتروا من أمر يوسف ، إيش كان فلما أشرعوا عليها وقبضوها حرج إليهم يوسف جنده وتبارروا مباررة احد ، فكانت المزيمة على جيوش حاج أحمد باي وولوا هاريين وماتوا منهم أبطال نحو العشرين فلما وصلوا إلى حاج أحمد باي على هذه الخلة يمر ونحمر ، وصار يحتم إيش هي الدبارة تراه رحل وتقدم إلى موضع يسمى قلعة بوضع قريب من فانة ، وهو موضع نفع ثم جمع من أبطال جيوشه وعسكره ، وتقدم معهم هو بنفسه وداروا بمحلة الدرعان من كل جهة وكل مكان وطلبوا يوسف للبرار فلم يخرج إليهم ، وقد امتنع من الفتن في ذلك اليوم معهم فتحرر حاج أحمد باي وخم في عقله وما عرف إيش هو السبب في عدم خروج يوسف إليه .

أعيان في قسطنطينة يرسلون يوسف المملوك

وكان في ذلك الوقت كتبوا البعض من أكابر وطن قسطنطينة إلى يوسف منهم أحمد الشريف شيخ ربيعة ، ومرحات ابن سعيد ، والبعض من عامر العراية فرقة أولاد نابت والأخضر بن سليمان من دائرة واد بوضلاح ، وأولاد بن بيس ، ومحمد بن سحنون من الرمول وأولاد مقورة ابن عاشور ، ومرحات بن عولي من أولاد عبد النور ، ومحمود ولد محمد الطيب العسائي من أولاد عبد النور ، والبعض من مشايخ أمية (كذا) . وطلبوا يقدم إلى قسطنطينة وينزل عليها بالعتى وهم يكرهون في عونه إلى أن يتمكن بها . وأما حاج أحمد باي فتراه في الحين رحل ، ومن ذلك الموضع نحول ، ورجع إلى عقبة العشاري إلى منزله الأول . أقام فيه أيام قليلة ثم دخل في قسطنطينة ،

وبعد مدة يسيرة خرج يوسف من عنابة ، ومعه عمارة فرانسيس وهي عمارة ظريفة ،
حين تحقق حاج أحمد باي بقدم ذلك العمارة إليه خرج خارج البلاد بمسكبه ورغم
أنه يلاقي في ذلك العمارة معها ومن الوصول إلى قسطنطينية معها ، وكان يوسف أسرع
في قدومه ونزل على قسطنطينية بعمارته . فشرع عساكره وقابل ناس قسطنطينية بحروبه ،
فانتشر الحرب من الخائبيين ، وانصرمت النار مدة ثلاثة أيام ليل ونهار ، ثم هجم عسكر
الفرانسيس في الليل من جهة باب القنطرة وراموا الدخول بالقوة والعرصة ، وصار في
تلك الليلة حرب كبير ، وقاتل شهير ، برمي الكور والبوبة حتى تكسر باب البلاد ،
وتفوى الحرب والطراد ، وصاحوا ناس قسطنطينية الجهاد ، الجهاد ، فانهزم عسكر
الفرانسيس وفر هارباً من تلك البقعة ثم هجموا مرة أخرى من جهة الرحبة فانقلب
عليهم المرمية كأول مرة ١٩٠١ فمما انقطع النفس اجتمعوا من ناس البلاد أنهار ، وانفقوا
على أنهم يكتبوا جواباً إلى يوسف بالاعتذار منهم سيدى الشيخ بن الفعول ، وسي محمد
بن البجاوى قائد الدار وسي الحاج المكى بن رهوطة ، وسي اعمر المشى ، وسي علي
بن حجوج ، وسي الحسين ابن سي سليمان التاجر ، والمرباط العربي ، وسي محمد ابن
العتري ، وهو الذى كتب الجواب بيده طالبين الكلام معه فيما يليق العباد ، قائلين
إن وحدنا شرط الوفاق هناك هو المراد وإلا فقاتلوا على أنفسنا وأولادنا بالحد والاجتهاد .
وكان يوسف رحل في تلك الليلة راجعاً إلى عنابة ، فما وجد الصباح إلا ولم يبق له
أثر ولا علامة ، ومن بعد انعكاس يوسف من قسطنطينية ووصوله إلى عنابة فحينئذ دخل
حاج أحمد باي قسطنطينية تراه قبل كل شيء قبل المرباط العربي وسي الحسين المذكورين
وتجربى (كذا) على قتلهم ظلماً وعناد ، ورغم أنهم مع أصحاب الفساد ، وأنهم كانوا
اتفقوا وأرادوا يدخلوا الفرانسيس إلى البلاد .

كان سيدى الشيخ بن الفعول هذا الوقت تكلم قائلاً له يا حاج أحمد أنت أميرنا
والواجب على الأمير بحمي بلاده ، وبدفع الضرر على رعيته ، وأنت ما حمتنا ولا نصرتنا
ولا دفعت بشيء عنا ، فكيف لا تحبلوا على أنفسنا ولا نسلموا في العافية لنا ولأولادنا ،
وقد جرى في السابق حين ظهرت الشريف في واد رهور ، وقدم إلينا ومعه كل القبائل

في عرصي عميم هوقفا صدهم . وقت عظيم (كد) ولم يحطر معا حليفة ولا أمير ،
فهرمدهم ومات منهم عدد كثير . ونصب كان عرصي بوس قدم إلبا بالعساكر الكثير ،
والخود العريرة ، وبلوا عيب ثلاثين يوم برمي التوبة والتكور ، فما منعا بلادنا ولكن
عدنا فنور ، ومسك على النصر والنزير حتى ظهرت البصرة من الحرائر . واليوم
عدنا بصرة تنظروها ولا ك قدرة على المراسيس بدفعوها . وقد كان المراسيس
أخذ الحرائر الذي هي عمدت ، وقاعدة وطسا ومنك ، فكيف نحن لا نقررنا على أنفسنا
ولا نطلبوا المهادة لتكون العافية لنا ولأولادنا ، وكان انقافا معلث باحاج أحمد باي
على العدل وعدم الظلم ، ونحن الآن لا نرصد هذا الحكم فتراد كيف يده على قتل العباد ،
وحشي أن تقوم عليه فتنة من بعض دس البلاد ، وما فعل شيئا بعد ذلك فقط

ومن بعد زمان قبل ختم في عقبه وصهرته في رتبه أن جعل محنة من عسكر وجيوش
عامة ويمنعهم إلى قافلة لأجل أن يفسد المراسيس الساكنين بها ، ويهدموا بيوتها ،
ويحرقوا ررع العرونة الناريين بطرفها . وكانوا أشدرو عليه أصحاب العقول بالنار
والنظر في عواقب الأمور وقد نكسوا أيضا بعض المصالحين في ذلك الوقت على أن
المراسيس لابد من دخوله في بلد قسطنطينة ونمكة بوطنها ، منهم سيدي أحمد دوردن
يقول :

الأحمر جاني هداد سرجو ما فيه الباد
على راسو باد نجالا وأمين الهروب يارجالا

وكان هذا الكلام فانه المذكور فل محي ، المراسيس في قسطنطينة بنحو العامين وأما
سيدي بلقاسم بوحجر فإنه كتب إلى حاج أحمد باي وبن عيسى بهاهم عن فعلهم
القيح من أحد نساء الناس ، والرأي بهم ، وكل أموالهم بالباطل وفان هم إذا لم تنتهوا
فإن الله يسلط عليكم وعلى هل البلاد بسببكم مصيبة سود ، وكان كما قال . ومن كلام
سيدي الربوئي الساكن رجاحي يقول أيضا في حياته التل يحلا ويحلا ، وأمرل منه
الدحابر ، تعود انحلا برحلا ، والشث تحلا (كد) الحرائر . ومن كلام سيدي عشوال
يقول على بلد قسطنطينة : حصت عليها ببع أفعال ، وتعلقت من جنبها كيف الرمانة
على وارجمي لأصلك يا المرتفة .

ثم نرجع إلى كلام سيدي أحمد دوردن : الأحمر معناه صاحب اللون الأحمر ، والطاهر أنه عني بذلك الفراميس فإن عاليهم كذلك لأن قوله بعد سرج ما فيه الباد .

وقوله على رأسو بادنجالا وهي البريطة ، لأن لونها إذا كانت معلقة كذلك ، يدل على ما قلنا وقول سيدي الزهوشي التل يحلا ويحلا المراد به ما قابل السرة ، وقوله يحلا يعني : من أهله ، وقوله يحلا أي يحصل لأهله إجملاء وهو طردهم وقوله تزل منه الدخاير معناه يذهب عنه كل ما يدخر بسبب الغنى ، وقوله تعود الخلاء برحلا ، معناه إن ملأ (كذا) الخلاء من الطعام يصير بقيمة الرحلا ، وهي الصغيرة من أنثى الضأن في عرف أهل البادية ، إشارة إلى أنه يقع العلا في الوطن بسبب الغنى والأهوال . وقوله والشك تحلا الجرائر الشك هنا المراد به القطع والحرم . وإنما عبر به تعمية وكان الأمر كما ذكرنا والله أعلم . وقد تكلم المذكور بهذا الكلام قبل دخول الفراميس إلى بلاد الجرائر نحو ثلاثين سنة بل أريد من ذلك . وقول سيدي عشوال حصت عنها سبع أقتال وتعلقت من حبسها معناه أن الأعداء لا يدخلون فلسطين من بابها بل من حبسها وهو إشارة إلى واقعة الفراميس بأنهم دخلوا من غير باب وقوله عيل وارجمي لأصلك إشارة لك أن أهلها وإن فعلوا من الشر ما فعلوا فإنها ترجع لأصلها وهو الكفر ، وكان كما قال (99) .

الحملة الفرنسية الثانية على مدينة قسنطينة :

ثم نرجع من الكلام على حاح أحمد باي أنه رتب عسكر وجيوش وقدم عليه لآخه بن الحلالوي المذكور ، وبوريان ابن العلمي الذي كان أعنه في السابق وفصلوا إلى قالة فلما وصلوا برلوا عليها بالعتن والحريق وأقاموا عليها ثلاثين يوما بالتحقيق وانخرج بوريان بن العلمي المذكور ، ومات من العسكر والجيوش بالعتن في ذلك المدة . ولما طال بهم الحال وما تحصل بيدهم شيئا (كذا) من أمر قالة رجعوا بالعسكر إلى قسنطينة وتفرقوا ذلك الجيوش .

هذا الوقت خرجت عمارة الفراميس من عناية وهي عمارة كبيرة ما أعظمها من عمارة ومعها ولد سلطان مراصة وهو حوك دوعور والماريشال داريمون (100) نزلوا

(99) ليس من شك لي أن العتري أراد أن يتقرب أكثر من الفرنسي باسترجاعه لقل هذه الأقوال فهي بشر حسب رجه ، بالاحتلال الفرنسي ، وهي أقوال من قبل للمعروف .

(100) Le duc de nemours et damremonet.

هوادي يسمى مجاز عمار وهو واد كثير الأشجار فلما مرلوا بالواد المذكور شرعوا في
بنيانه وتقطيع ذلك الشجور (كذا) لأجل توسيع الطريق وتسهيلها .

وكان حاج أحمد باي وصلت إليه تلك الأخبار بزول عمارة الفرانسي في مجاز
عمار ، فنهض كذا في الحال ، وجهر بحلة من عسكر وهومان ، وخرج من قسطنطينة
مرل بموضع يسمى فتح سيلة ، وكتب إلى ناس الوطن بأنوا إليه بالجنود وأرسل الرقباء
والجواسيس إلى مجاز عمار مخفية يسمون إليه بالأخبار ، ويعرفونه بأحوال تلك العمارة
هل هي قوية أو ضعيفة ، فبعضهم يقول له قوية من عساكر وآلة الحرب وبعضهم يقول
له ضعيف ولك قدرة عليها (101) .

فبما هو كذلك وإذا بجواب أتى من عبد ولد السلطان والمارشال المذكورين وحسورة
ما في الجواب : يا حاج أحمد باي نحن قدعنا بعمارنا وقاصدين بلد قسطنطينة من غير
شك وريب ، وأنت كنت في السابق طلبت الصلح والآن هذا هو وقت الكلام فحتم
وانظر صالحك ، وأما الفرانسي فإيه دائما يحب يعمل الخير وما يرضى بموت العباد
لأننا حين نزلوا على قسطنطينة لارم يموتوا الكبار والصغار ويتمتع النساء ونهدم الديار .
فإن كنت صاحب عقل انظر ونعم في مصالح المخلوقات والسلام .

قضية مقتل محمد بن العتري :

وكان السامر الذي أتى بذلك الجواب هو ولد بو جاح من كبار يهود الجزائر فلما
وصل إليه الجواب ومهم مصممه وتحقق بما فيه من الخطأ ، تراه تحدث مع الرسول
المذكور وبحث معه الكلام من غير كتاب ومشي بينهم الكلام بعد ذلك مراراً ، فكان

(101) يتحدث العتري ما من الحملة الفرنسية الثانية ضد مدينة قسطنطينة في أكتوبر 1837 التي تمكنت من احتلالها والسيطرة
عليها .

ولد سلطان مرانصة والمارشال يتكلمون بطريق الرهقة⁽¹⁰²⁾ العرانبويه ، وحاج أحمد باي يتكلم معهم بطريق العادة العربية فلم يتبع شيء من ذلك الخطبة ولا اتصلت بينهم موافقة . فحيثد محمد حاج أحمد باي أنه يبحث واحدا من أصحاب الوصايف يأتيه بالأخبار الصحيحة ويظهر عمارة العرانبيس هل هي قوية أو ضعيفة ففراه عين سي محمد بن العنري وهو في ذلك الوقت كاتباً عنده واحتاره من كونه رجل عاقل وثقة وصاحب سياسة بديعة ، وقد أوصاه بهكم مع المارشال وولد سلطان مرانصة على أن الصبح لا يكون إلا بارتفاع حكم العرانبيس من عابه ومائلة إلى آخر ما أوصاه وما أسره به وأحماه ، فلما انفصل من عنده ووصل إلى ولد سلطان مرانصة والمارشال المذكورين فأمرؤا مرلة الإحسان ومرحوا به ثم تكلموا معه في شأن قدومه إليهم واحترؤوا لعله وروده عندهم ، فأجابهم بلسان مقال أنه سيدي حاج أحمد باي أرسني لستعكم ما أوصاني به من غير ريادة ولا نقصان وهو أنه يسلم عليكم ويستكثر من خيركم ، وقد أعجبه صبح الصبح إذ فيه حفي دماء السعيد وتداء العافية للوطن والبلاد . وقبل بالشروط الذي كانت وقعت بكم كما هو مقرر في عنكم لكن يحكم (كذا) ويطلب منكم أن ترفعوا حكمكم وتقبلوا عساكركم من فائمة ، ومحر عمار وتسلموا عناية بيده . فإن رصيم بذلك فعقدوا الصلح وبرموه ، فلما سمع المارشال وولد السلطان كلامه ، استعاصوا وقالوا له كنا نظنوا حاج أحمد باي أنه صاحب عقل وسياسة والآن نحقق عددا بخلاف ذلك لأن فائمة ومحر عمار استوليا عندها بالدراع⁽¹⁰³⁾ وهما الآن في تصرفنا ، ونحت حكما وكان كلاما معه على فسطية فقط ، والآن وقع الأمر وانقطع ما بهما سمعوا كلاما أبدا ونحن قدما بقصد فسطية فلا بد لنا من وصولنا إليها ولأرم من نزولنا عليها فارجع إلى حاج أحمد باي وقل له بهذا الكلام وما عدنا كلام غيره .

102 (يقصد بها اللطافة من الكلمة الفرنسية : LA REGLE)

103 (أي بالقوة)

فحينئذ رجع ابن العتري المذكور إلى حاج أحمد باي وخبره بالكلام الذي سمعه من المارشال وولد السلطان ، وخبره أيضا بقوة العمارة من عساكر وآلة الحرب فلما تحقق حاج أحمد باي بذلك تخبر في أمره فأحياه بن العتري قائلا له يا سيدي إن القوة التي رأيتها عيسى لا يجمع فيها إلا الصلح ، لو أنت ترك أمر عائلة ومجار عمار ، ونطلب الصلح عن قسطنطينية فقط وبعد ذلك من (كدا) تكون مليح معهم بعمل الله دليلا فلما سمع كلامه وتأمل مقاله ظهر له فيه الصبح وأمره بالقدوم إلى قسطنطينية والاحتجاج مع قائد الدار ابن الحاوي وميدي الشيخ بن العمود ، وبني عيسى ، وبخدينتهم بالكلام الذي سمعه من المارشال وولد السلطان فراضة بقوة العمارة والحروب ومراده ليشتروا عليه بالرأي النافع .

فلما وصل ابن العتري المذكور إلى قسطنطينية واجتمع مع المذكورين وحدثهم بما سمعه وما رآه . أما سيدي الشيخ بن العقود ، وقائد الدار ، صدقوا وأدعوا وصاروا يديروا في عاقبة الأمور ، وأما بن عيسى أصابته حماقة وأبوة (كدا) ورغم أن بن العتري أحد الدراهم من عند المارشال وولد السلطان فراضة لأجل أن يشجع قوة المراضيص فيحصل بذلك الخوف إلى ناس البلاد ، ولم يقم بن العتري إلا يوما واحدا في قسطنطينية ورجع إلى الباي .

فكتب ابن عيسى في أثره إلى حاج أحمد باي قائلا له أنت كنت بعثت بن العتري يسمى في صاخك ونحبه أنه من خدامك فإذا هو بخلاف ذلك وصار يتكلم بقوة المراضيص بين الناس فأرهب أهل البلاد بذلك ، مما وصل ذلك الخوف إلى حاج أحمد باي فعمد حاصره على بن العتري وماء ظه به فمكث بعد ذلك نحو ثمانية أيام ومات . وقد تحقق عند الناس أن حاج أحمد باي قتله خفية بالسهم ، ولما مات رحمه الله تعالى ترك أولادا منهم العبد الفقير إلى رب الأرباب محمد الصالح الساسع لهذا الكتاب وإلى الآن كاتب بانيرو (106) بالدرب . وكان الذي ولاني القبطان بوسه (105) المتولي أمور العرب وأنا أقول إن أي تكلم الحق وبصح حاج أحمد باي كما ظهر له قل سماع

(106) يعني للكتاب العربي من الكلمة الفرنسية : Le bureau arabe .

(105) Le capitaine botanquet .

كلام الشياطين . ولما بلغه كلامهم مكر به وقتنه وهذا ظلم عظيم وأنا لا أساء أبدا ، وأخدم الدولة بنية صالحة لما علمت من حب أبي لها لأنه لو عاش لكان أول من سارع إلى خدمتها بصبح وجد رحمه الله رحمة واسعة بمنه آمين ولجميع المسلمين .

سقوط مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين

ثم يرجع الكلام إلى المارشال وولد السلطان فرائصة أنهم بعد قضاء حوائجهم في مجاز عمار من بيان وغيره رحلوا وتقدموا إلى قسنطينة مرحل أيضا حاج أحمد باي من فج سيلة ، وتقابلوا في ناحية عقبة العشاري ومن هناك بدأ القتال بين المسلمين والفرانجه فمات رجم ضيح المراكبة ومات محمد الشريف بن الحملاوي قائد عامر العرابية في ذلك الوقت ، ومات سيدي عبد الله بن الأحرش ، كانوا أوالله في القرون ، ومات من الجيوش غير معروفين في ذلك اليوم ومات أخو سي مفران في خبيطة الرماد ولا زال القتلى من الجانبين إلى أن نزلوا على قسنطينة وقابلوها من ناحية سطح المنصورة ، ومن ناحية الكدبة ، فركبوا آلة حربهم ورتبوا عساكرهم وشأ الطراد بين الفرانجه وبين البلاد وغادى القتال من الجانبين فكان ذلك ثمانية أيام وكان في اليوم السادس مات المارشال المذكور (106) بكورة رلت عليه من الصور ، ومن بعد موته ترجع مرهشال آخر الذي اسمه كوت فالة (107) فكان صاحب حرب وخطاة . فعين ترجع أمر بحرق التاررات وجعلهم صفا بعد صف ، إلى أن وصلوا قريبا من صحفة سيدي بو نصيحة ثم رجع المدافع وقابلهم لنصور ، وبرل عليه برمي البومبة والكور حتى انهدم وصار في العدم .

هذا الوقت قدم رسول من عبد المارشال وولد سلطان فرائصة ويده جواب إلى ناس قسنطينة وهو هذا بنفسه : الحمد لله ولا شريك له في ملكه ولا بعد سواء سبحانه جل شأنه وتبارك ، من معادة كبير الجزائر المأمور بحال الفرانجية إلى قصات (كدا) ومضى وعلماء ومرابطين وأعيان ، وكل واحد من مكان مدينة قسنطينة كبير وصغير يلبه أعلامكم أعلمكم

(106) يقصد به دوقمون Le maréchal ducmont .

(107) للمارشال فال Le maréchal valon .

أن مدافعها تراها على أساس أوصواركم فلا بد أن يهدمها ويدخل مدينتكم إن شاء الله
السيح العليم وهو على كل شيء قدير ، فإذا شتمتم نعموا عليكم ورود هذه الداهية
البلية العظيمة فلا بد منكم أن تعثوا لي بل دخول إلى بلادكم آثم (كذا) رجل من
كرائكم الحكماء العقلاء لأجل أن تحدث معهم مشقة على ذلك وعلى ما فيه حيركم
وصلاحكم ، ما دام معكم الوقت وإذا فعلتم ذلك فما أرى أقسم لكم بالله العظيم وتالله
الكريم أن يحرم جوامعكم وسائكم وأولادكم وأرزاقكم وأملاككم وتبقوا مفيعين
وساكين في دياركم براحة سر وبال وهناء وأطمئنان ويعطى طابعا للدين ترسلوهم لعددا
لأجل معاومتهم وأمان الله وأمان أسيا ورسول الله عليهم وأنتم تعلموا جيدا أنما
قط ما يحدع بوعدها وأما (كذا) وهذا الشيء مشهور على حسا عند جميع الملأ .
هذا ولا رايه والسلام بتاريخ يوم الأربعاء 13 من شهر رجب العصيل (كذا) عام
1253 هـ (108) رقم في كدية عاتي كتب عن إدن وأمر المذكور أعلاه

فلما وصل ذلك الخواب واتصل بيد بن عيسى الذي هو باش حابه ، وابن النحاوي
الذي هو قائد اندار ، فقرأوه وتحققوا بكل ما فيه فطروا أنه ليس ذلك هو مقصودهم
وإنما لما كادهم أمر الدحول في قسطنطينة واستنصب عليهم الحال ولم يجدوا لذلك حيلة
فحينئذ أرسلوا هذا الخواب ليحتجوا به ناس البلاد ولعل يتمكنوا بالدحول في قسطنطينة
من غير مقاتلة ولا إنكار فقد ذلك ظهر في عقل بن عيسى وتحميمه أنه بمسك الرسول
ويتأخر برد جوابه حتى يسوا الصور ويشدوه من حبله ، ففعل ذلك ، وبعد ما قصوا
أمرهم في الصور سرحوا ذلك الرسول وأرسلوا معه جواب ليس فيه فائدة ولا صواب
(كذا) وصورة ذلك الجواب :

الحمد لله من عند كافة ناس قسطنطينة ، وعلمائها وكبارها إلى سعادة كبير الخيرات
أما بعد فقد اتصل بيديا جوابك فتصمحهاه وفهما خطابك وتقرر عددا معاه ، واليوم
بحر لم يكون معاه كلام وإن كنت تريد الكلام فها هو مولى البلاد وهو حاج أحمد
باي نازل بقربك فأرسل إليه وتكلم معه ولا رايه غير هذا والسلام

وأما هذا الخواب المذكور لم يحصرون فيه ناس البلاد ولا أعيانها سوى بن عيسى باش حابه فقط لأنه المتولي على البلاد في ذلك الوقت . وقد جرى في السابق لما أتى يوسف إلى فلسطين كاتبوه أهل البلاد ، وهو لم يتمكن بدخولها ، كان حاج أحمد باي في ذلك الوقت قتل البعض من الناس الذين كتبوا كما هو مذكور سابقا فذلك تمعوا أهل البلد ولم يحصروا (كذا) لعل يصير هم مثل المرة الأولى فلما وصل الرسول إلى ولد السيطان مراصة ، والمدريشال بدلت الخواب استعصوا واحده كل الاجتهاد ، وتقوى من جانبهم الرمي بالكور والطراد ، فهدم الصور مرة ثانية وعظمت الخسائر وحلت الداهية ، ورحف عسكر المراسيس في انتشارات إلى أن وصل جامع سيدى بركات العروسي وزدم من ناحية الصور .

هذا الوقت من ناس البلاد الرعب ، واعتور هرب بن عيسى المذكور من ناحية انصاية ، ولحقوه الكثير من ناس البلاد العامة ونفى من النجوى قائد الدر ومعه من ناس البلاد الأعيان الذين ليس هم نسبة في البيدوان . تقوى من احابيل الطراد ، واشتد ذلك بين أبواب البلاد فارتفع قائد الدار المذكور ورفعوه إلى داره مخروجا فهدد ذلك محم عسكر المراسيس من كل حبه ودخل إلى البلاد ، وصارت مقتلة عظيمة ومعركة شهيرة بقرب الموقف ، وأغلطوا مسلمين ومراسيس وبطل البارود فصار المسلم يصرب بالسيف والمراسيس يصرب بالشرعة ، ولا يزال كذلك حتى يبعث في الأرض ميتين معانق ، ومات في تلك الساعة من ناس البلاد المعروفين منهم السيد علي بن سيدى عمر الورى ، ومسي علي بن المسيح ، وإمام جامع سيدى الداني ، ومسي بنقاسم بن المعلوى ومسي إسماعيل بن الذهب ، وبودن ، وناس السبكي ، والهاشمي حديم قائد الدار ، ومسي أحمد بن صالح السراج ، وبن العمورى كان قائد الباب ، وحاج حسن الخيجلي ، وغيرهم .

وأما قائد الدار لما رفعوه إلى داره ودخلوا إليه بعض أعضاء المراسيس وعالجوه وقد مات في يومه بعد العصر ، ولما خرج قيد الدر ورفعوه إلى داره فروا المسلمون والنجوى إلى سيدى الشيخ بن العمون مستعيثون فأنشؤا (كذا) كيف يكون خلاصه وأبى السيل إلى فرار ما وفي أى مكان يكون استقراره فأشار عليهم بتعيق بديرة (99) طلب الأمان

التي هي علامة الدخول في الغنابة والقطع الافتتاح ، وكتب جوابا في خان وأعطاه لبعض من أعيان البلد وأمرهم بمشور بانفور لأجل مقدسه السطبان والماريشال فيصوبون العمرة (كذا) ويتوثقون منها بالأمان فلما بقصرو من عنده وصدرو في أثناء الطريق وحلوا عسكر المراسيس برحبة اجمال وناظر عليه واختوي أموره كالمده (110) اسمه يبدو ، فلما رأهم قاصدين له وهم في عناية برهب والدهشة تحقق أنهم أتوا الأمر يطلبونه فحينئذ أمر العسكر بعدم الرمي فامتلوا وما فموا بين يديه أو من مسأله عن طريق القصة وأنس محلها هانوا له نحن بوصكم إلي ثم سأله عن سبب قدومهم فأخبروه أنهم يطلبون لأمان لأنفسهم ولأهل البلد على أولادهم وسائلهم وأملأهم فأجابهم في ذلك كنه وأعطاهم الأمان وكان عنده الإذن في ذلك الشأن لكن بشرط أن يدفعوا السلاح في القصة ليكون العمو والسماح فامتنوا لذلك الأمر طائعين ثم أمر برحل من ذلك الناس بمشي مع البعض من المراسيس ليعرفهم بطريق القصة ، واستمع أرسلهم إلى وند السطبان والماريشال . فلما بدعوا طنوا منها الأمان على ما يقدم فأجابها بدئت وفرحوا بها . ثم رادوهم (كذا) في الكماندة يبدو

ولما وصلوا ذهب معهم إلى دار سيدي الشيخ من العمور بخص أهل البلاد في الأمان على ما تقدم ليسكن حوزهم فلما وصلوا قام سيدي الشيخ إلى الكماندة المذكور واستكثر من خبره وقال له إن هذه البلد لم تدخل عمرة من قدم الرمال إلا هذه المرة فقد مككم الله تعالى بها فوجب عليكم أن تعملوا الخير وتعطوا الأمان إلى ناس البلد ، فذلك يتعهد لكم الأمر وتذعن إليكم الرعية والعباد .

فأجاب الكماندة المذكور قائلا له ما يكون لكم إلا الأمان التام ، وما عسكر من الدولة المراسية إلا العافة والاحترام لكم ولأولادكم وحريمكم ، ودياركم ، وأرأفكم فلما تكفل لهم بذلك وسمعوا كلامه الخاص والعام فرحوا أهل البلد فرحا شديدا وطمأن بموسمهم وسكن روعهم والكماندة يبدو أهل أو من أدخل السرور والمرح على أهل البلاد ، فله عليهم مزية كبيرة ثم تكلم معه بوربان بن العيسى قائلا له حيث أعطينمونا

الأمان من أهل البلد أعطوا الأمان لأهل الوطن ليحصل لهم الهناء ، وتكون لنا القدرة على جديكم (كذا) لخدمتكم ، وبصير الحال حسن بما كان في زمان حاج أحمد باي ، فقال له عدى الإدد من أهل البلد دون البادية ولكن متأدن ولد السلطان والمارشال في ذلك وتخير كم بما يأتاني به . فذهب إليهما وأحبرهما أن يعطى الأمان للرعية ، فرجع الكماندة المذكور إلى دار الشيخ وأحبرهم بالواقع ، وأعطى الأمان لأهل الوطن بذلك راد الفرج والسرور عند ناس البلد ، ورأى عهم الخوف والكاد وكان ولد السلطان والمارشال من بعد ما رجعوا من عندهم ذلك الناس بالأمان تراهم تقدموا ، ودخلوا في قسطنطينة ومعهم كل الخمرالات وأرباب الدولة المراسمية وبرلوا في الدرب الذى هو محل سكى حاج أحمد باي فاستقروا فيه واحتوا على ما كان من ذنائبه ، وكان ذلك يوم الجمعة وقت الصبح الثالث عشر في أكتوبر عام 1837 سبع وثلاثين وثمانمائة وألف بالحساب المرمي وأما حساب أهل قسطنطينة ، أنهم يقول دخول الفرنسيين يوم الرابع عشر في رجب عام 1253 هـ . ومن بعد دخولهم خرج التيه على السلاح إلى ناس البلد أن من يحمي سلاحه ولم يدفعه في القصة تلزمه العقوبة حتى كل الناس بأدروا بدفع سلاحهم واختاروا العافية لهم ولأولادهم فحينئذ استقر كل واحد من أكابر المراسمين بما يناسبه من المارل ، فكان مرل الكماندة بيدو في دار باي خرباجي متاع أحمد باي .

تعيين حمودة بن الشيخ القفون حاكما على قسطنطينة

وبعد ذلك اشتعل بتريق العساكر على ديار الناس الذين هربوا وفررهم فيها وأمر لهم عما يحتاجونه من مأكل ومشروب وعراش وغيره لأنه الناظر على البلد في ذلك الوقت لما يشق عليهم أمر من الأمور يمشون إليه ولما يحصروا عنده يتكلم معهم بكلام لين حسن وبأمرهم عما يقدرون عليه فاستحسوه ناس البلد وصاروا يركون إليه في جميع أمورهم . ولم يزل واقفا وقوف الجد والحرم في أيام الصيق ويسكن الناس ويعدهم بالخير وأنهم لا يخلعون .

وأما ولد السلطان والمارشال ومن معهم من أرباب الدولة المراسمية ختموا في عقولهم وذهبوا بما اقتصاه بطرهم في شأن تهنة البلاد وتمهيد الوطن وجلب المباد فاتفق

رأيهم أنهم يحملوا حاكم في قسطنطينية كما كانت العادة القديمة حتى يستقيم الحال ، وينتظم الأمر ويطلب المال . ثم إنهم اتفقوا على سي حمودة ولد سيدى الشيخ واختاروه ولذلك الوظيفة يقدموه لكونه ذو أصل قديم ورسول شائع كريم . قصد ذلك ههنا أكابر المراسيس منهم الكمادة بيدو وترجمان الماريشال ، والقبطان فليس وعمرهم من أرباب الدولة ومشوا جميعا إلى دار سيدى الشيخ بن الفقون واستقروا بالخامع الكبير لأجل أن يلبسوه وحصروا ناس البلد والعلماء وذلك يوم السابع من يوم دخول المراسيس في بلد قسطنطينية . فلما سمع أبوه وهو سيدى الشيخ تحمر وبكى قائلا ولدى صغير وعمر راوية ملجأ القليلين نطعم الطعام لوجه الله رب العالمين وما محتاجوا من الدولة المراسيوية إلا الاحترام مثل ما كانوا الدول الأولين فأجابوه قائلا : لا بد من ولدك يخدم في سريسا (111) وما يكون لكم ولراؤيتكم إلا الاحترام ما . لأن دولة مرانصة دائما تحب تعمل الخير بالريادة ، فخرى سيدى الشيخ سلم في أمره وقدم أبوه بطيب نفسه ، فحينئذ لبسوه ، ولما شاع خبر ولايته انقادوا مشايخ الوطن ودخلوا في خدمة المراسيس بواسطته ، وانعطفوا عليهم ناس البلد العامة الذين كانوا هربوا مع بن عيسى باش حابيه ، واستقروا في مزلهم وصاروا مطيعين ، ومن خوفهم هائلين .

وأما ولد السلطان حين برل على قسطنطينية بقصد دخولها وكان أخوه دوك دوجو نجيل (112) في البحر ومعه سفائن عديدة مشحونة بالعسكر يطوف به بقصد ما وجه إليه من جانب الدولة فلما بلغه الخبر وأن أخوه (كدا) مقيم على قسطنطينية بالفتن أتى إلى بلد عبادة بما معه من السفن وأرسل بها وأقام هناك أياما يستحير عن أخيه وعن ما وقع له مع أهل قسطنطينية فلما طال عليه الحال وتعب عنه الخبر برل بمسكره ولحقه بقصد إعاقته فلما وصل وجده دخلها قبل وصوله بسبعة أيام فاجتمع بأخيه وحصل له الفرح والسرور وملاقاته وبقي معه إلى أن سافروا جميعا .

ثم إن سي حمودة المذكور طلب لإلاد من ولد السلطان بأن يجعل ترتيب المخارية في

(111) بنى مصلحة الإدارة من الكلمة الهرسية : Notre service

(112) Le duc de Joinville

وصانعتهم وبجربهم على عاداتهم لأهل جلب الرعية وتمهيد الأوطان ، فأعطاه الإذن وهوض
به في ذلك الشأن فولي كل واحد لما يناسبه من الوصيفة على حسب المادة القديمة فبدلت
الترتيب استقام الحال ، وطالب المال .

ثم يرجع الكلام إلى ولد سلطان فرانصة والمارشال أنهم من بعد قضاء حوائجهم
وترتيب أشغالهم سافروا إلى الجزائر ونفى جبال الذي هو اسمه بربيل⁽¹¹³⁾ حاكم كبير
في قسطنطينة وكل الأحكام بأمره وسطره . ومن بعد ذلك كان سي حمودة ابن الشيخ
واقف مع الفرنسيين بحالهم بينه ولم يقصر في خدمته وكان يكتب إلى شيوخ الوطن
ويخبرهم ، فأول من انفاد من الشيوخ ودخل في خدمة الفرنسيين الشيخ بوعمار بن
عاشور شيخ مرجع . وثم بن عمر الدين شيخ رواعة ، وثم أولاد بن مذكور ، مشايخ
الحراكنة ، وثم شيخ أمية ولا رالوا الشيوخ بمعظمهم ويكفونوا في طاعة الفرنسيين واحدا
بعد واحد .

ثم منى الجبال بربيل ، وجاء بعده الجبال بفرية⁽¹¹⁴⁾ فمكث زمان وما ظهر على
يده شيء من أمر تمهيد الأوطان ، إلى أن جاء المارشال الذي هو كوت هالي⁽¹¹⁵⁾
وكان رجل صاحب تدبير وسياسة فراه جعل ترتيبا ملبع وتديرا لابقا صحيح ، بأن
بطل اسم الوظائف القديمة واستبدل وصافى جديدة ، وهو أنه رتب حلفوات وجعل
على كل وطن حلقة ، وجعل شيوخ وقياد صغار من تحت كل حلقة وبقي سي حمودة
المذكور حاكم في داخل قسطنطينة وكل التصريفات المذكورين فخرى بظفر الجبال الكبير ،
فصار الأمر مستقيما بهذا الترتيب ، وانفاد الناس لذلك التدبير المنصب

وكان المارشال المذكور من بعد ترتيب ذلك الوظائف وتأسيسها على النمط
المستأنف ، سافر إلى الجزائر وتبقى الجبال المسمى هالي⁽¹¹⁶⁾ حاكم كبير في قسطنطينة
وعمالها وهو رجل كامل العقل بالغ السياسة محب الناس إليه بعقده ومهد البعض من

(113) هو الجبال بربيل : Le general trezel ولد طفة مرزا تولى عام 1837 م .

(114) Le general negrier عام 1837 م .

(115) Le marechal comte valen عام 1839 م

(116) Le general de galbois عام 1838 م

الأوطان بسيامتها وكان المعين له في أموره وأسيابه ترجمانه موسيو أريان⁽¹¹⁷⁾ وهذا الاسم تسميه بالعربية أديب الرمان وهو المتسمى عند العرب سبي اسماعيل لأنه صاحب عقل وتدبير في مصالح العباد بالخير الكثير فذلك استفاد حال الخيال المذكور ، وصار أمره مستحسنا مبرور ، وبرت العافية في وقته إلا أن البعض من الأوطان القاصيين باقين محتعين لا تاهم الأحكام ولا يؤدون مطالب البابليك باتمام ، ومهم وطن الصحرى ونم وطن الحراكتة ونم حل أولاد سبطان ، وعمرهم حسبا بذكره آتيا مفصلا ومبيا .

قدوم الدوك دور ليان إلى قسطنطينة

وفي من الخيول فاللوه حاء ويد سبطان مرصصة لدى هو دوك دور ليان⁽¹¹⁸⁾ ومعه الخيال فاي ، وحيالات وكان قدومه على السكبيكة فلما سمع الخيال فاللوه بقدومه خرج من قسطنطينة ومعه أصحاب الوصايف وشيوخ الوطن بقصد ملاقاته ومشوا جميعا للسكبيكة فلما وصلوا أقاموا هناك يوما إلى أن وصل ورتل من المرمى فوقفوا بين يديه ومرحوا كل المرح بقدومه فاستنكر هو من حيرهم وشكرهم على حسن صيغهم ، ثم بعد برولة واستقراره في دره تقدموا إليه أصحاب ذلك الوصايف المذكورين ، وشيوخ الوطن المتعبين ويدهم الهدايا من الخيول المسومين ووقفوا باب دار برولة فلما سمع بهم خرج بنفسه إليهم وأعرضوا عليه ذلك فأعجبوه ثم تكلم معهم على لسان الترجمان الذى هو موسيو أريان المتقدم ذكره قائلا لهم قد تحقق عدى أنكم قدتم إلى فارحين ويهدكم الهدايا من الخيول المسومين فاي قد مرحب بكم وأنعمى حسن صيغكم وقد راد عدى تحقيقا بأنكم حدام الدولة العراضوية ولكن ما قدمت لأحل أن تأخذ منكم ، وإنما قصدى في قدومي هذا لشوقكم وشوق بلادكم ويعطوكم من عدى لما يبع عنكم وأنكم مصححين في خدمتكم ، ويكون متحقق عدى أن كل من أتى هدية فإني قبلتها منه ورديتها (كذا) إليه بخالص بيني ثم أمرهم بالمدحول إلى داره فدخلوا فلما استقروا أنعم عليهم بالعطايا السمة من السلاح المذهب ، والمصوغ ، والسواج وغير

(117) George thomas imail urban .

(118) Le duc d'orlean وذلك عام 1839 م

ذلك لكل واحد ما يناسبه . وخرجوا من عنده مكرمين فرحين ثم إنه أقام يوما هناك لأجل الاستراحة ، ومن بعد توجه إلى قسطنطينة بقصد المراجعة والبرهة فلما وصل خرجوا إليه العلماء وعامة الناس البلاد . ولاقوه بالفرح والسرور ، فاستنكروا من حرمهم وفرح لمرحهم ، ثم أقبل عليهم بالإحسان وأعطى للعلماء بما يناسبهم مثل الأوبى وإجراء الصدقات للفقراء والمساكين ، والصعفاء والقليلين ، وكانت مدة إقامته في قسطنطينة نحو خمسة عشر يوما وفي تلك المدة يحضر العلماء عنده ويتكلم معهم بكلام حسن ويطلب حواضرهم ويحرصهم على حكم الشريعة . ثم من بعد خروج العلماء من عنده يدعون إليه أصحاب ومهيب المهرن وشيوخ الوطن كذلك يتكلم معهم بطيب الكلام ثم يوصي كل واحد منهم بالسيرة المحمسة والعدل مع الرعية التي هو متوصف عليها . ومن بعد خروجهم يدخلون إليه أعيان البلاد وأماء الصايح فيرحب بهم ويهدمهم بالخمر فيما يستقبل . ولا زال على هذا الموال من فعل الخير والصدقات بالطعام وبدل الأموال إلى أن سافر إلى الجزائر ولما أراد الرجوع إلى بلده ناسعوا الناس على فراقه وتموا بقاءه لخيرهم معهم وإحسانه فكان صغره (كذا) للجزائر في البر على طريق البين والخال أن تلك الطريق صعبة فسلكتها من غير قس ولا هرج وذلك من سياسة الماريشال فلي وتديره وحزمه في أموره (119) .

وأما الجنرال فالبوه المذكور فإنه مكث حاكم في قسطنطينة نحو عامين وريادة وفي أيامه نشأت السكينة وظهرت وكذلك سمي بياض واشتهر ، وكذا عيرهما من الأماكن الذي أسست وحمل فيها عسكر فرائسبس تجهيد الوطن وعمارته وبرول عاقبته ، ثم بعد الجنرال فالبوه جاء الجنرال بقرية (120) مرة ثانية وهو رجل طبعه حار وكان مشى إلى نسة وهي قرية قرب عمالة تونس فخدموا البعض من ناسها وبعد رجوعه من عندهم بكنوا (كذا) وبقوا كما كانوا ونقصوا أمره ولم تكن خدمتهم كاملة . وفي زمانه جاء الخير بموت سلطان فراسا دوك دورليان انتقم ذكره أنه مات بالكروسة

(119) لقد كان عبور دورليان وادي فرائسبس في نواتل نوفمبر 1839 سببا في بعض معاهدة بانه وعودة الحرب بين الأمير عبد القادر وفرنسا في الشهر نفسه .

(120) Le general ogier مرة ثانية عام 1841 م

لفراقه وتأسفوا عليه كثير وفي زمانه أيضا ظهر شريف في ناحية الساحل ومسد على
الفرانسيس ولا زال كذلك إلى أن جاء الخيال براهيمية المسمى عبد العرب
بودراع⁽¹²¹⁾ وهو رجل صاحب شجاعة في الحروب وكان مشى بالحقبة إلى بعض
الأوطان فمهدهم ، ورتبهم وخدموا ناس ذلك الأوطان على وجه مبيع وقتل الشريف
الذى كان بمسد على الفرانسيس في زمان الخيال بيفرية فذلك تمهد الحال

وفي هذا الوقت ظهرت وظيفة يرو عرب في قسطنطينة وكان المتولي حكومتها قبطان
اسمه بوسى والعرب يسمونه بوسه⁽¹²²⁾ وهو رجل عاقل له سياسة مليحة وقطانة بليغة
وله معرفة بأحوال العرب لأنه يحسن التكلم بالعربية ومطلع على الكتب الإسلامية كثير
الظر فيها وبمهمها مبيع ويحب العلماء والأولياء وبمصلحتهم على غيرهم لكونهم دائما
يكونون واسطة بين الناس .

ومن عادته أن من يأتيه شاكيا يسمعه في الخبز ولا يتراخى عنه ويقصى حاجاته
بما يماسه ومن جملة سيرته الحسة أنه لا يبادر بتعجيل العقوبة لمن يستحقها خوفا من
الغلط في الحكم بها بل يتروى في ذلك ويظهر حتى يظهر طهررا يسا . والحاصل أنه
يعجل في فعل الخير ويتأني في العقوبة ، ومن هذا الصنيع استحسنوه ناس الوطن وناس
البلاد وصبروا لذلك مثل فصاروا يقولون هذا زمان القبطان بوسه ، كقول كسمرتك
واتمنى ، ومعناه أنه رجل صاحب عدل وسياسة ما عنده حمية مع واحد ولا حماسة
(كذا) ، وكانوا القياد والمشايخ قبل ذلك بأحدثون الخور من ناس الوطن ولما تولى
القبطان المذكور حكومة العرب تراه مشى الأحكام بسياسة مليحة ويظهر في أحوال العرب
بسيرة مستحسنة ظريفة حتى فهم الناس كتبهم أحكامه واستقام بالعدل والحق نظامه ،
ورال بسبب ذلك الخور والطعم الصادر من كبراء العرب قبل رجوع القبطان المذكور
للعرب .

(121) Le general baragany d'hilliers ونزل عام 1843 م .

(122) يروى عن هو الكتب العربى . وبوسه هو Boissier والذى تولاه هذا المنصب هو الخيال بارتوى ديمى في أوب
1843 وهو الذى كلف صالح بن المقرئ تأليف هذا الكتاب عن تاريخ قسطنطينة تأليفه وطبعه له الطبعة الأولى عام 1846 ،
والثانية عام 1852 م .

العودة إلى حاج أحمد باي :

ثم رجع إلى قصبة حاج أحمد باي رحمه الله تعالى فإنه حين دخل العرسيين في قسطنطينة واستول عليها كان هو خارجها ، فكى واسكى ، وندم على ما فرط حين كان وقع الكلام به وبين ولد سلطان عراضة ، في شأن الصلح والمهادنة فصار له مثل حكاية : آه على ما فات . فحصل له الإياس ، وتفرقوا من عنده كل الناس فتراهم جمع كل ما له وصمم إليه المتقربين من حذائه وقصد وطن الصحراء فلما وصل مدينة بسكرة برل بها واستعانت بأسائها قائلاً لهم كل العراسيس أخذوا الخرائر ، واستولى عليها من كونها مؤسسة بطرف البحر ، فسلموا أمرها ثم التحوا إلى بلاد قسطنطينة وطهر في غفولنا أنها بلاد عروبة لا يقصدها العرسيين ، ولا ينجح إليها ، واليوم حكمه وجاء إليها العراسيس بمساكره ونمكى فيها بقوته . أما تتخفون أن قسطنطينة هي بلادكم تنسوفون إليها بأررافكم وتبيعون وتشترون فيها . وبكم هوائد كثيرة منها لأجل ذلك قدمت إليكم وبرلت في وطنكم فريد منكم تجمعون حيوشا من بساتينكم ، وحبولا من أبطانكم وتنفذوا جميعا إلى قسطنطينة حاصروا العرسيين ، الذي في داحيتها ، ويقطعوا عنه الطريق خارجها . وهذا كان عهد التأويل لأرم يصفى لخل به ، ويظهر الكلام من عنده عسى يكون في ذلك صلاحا ، وينظم إلينا بلاد

فلما سمعوا كلامه وفهموا مقالة امثلوا إليه وجروا حاضره ووعده بأن يوفوا له مراده . وكان من بعد تخميم ظهر مهم مثل وكاد هم البعد ، وبرل بهم الوجل ، فلما نظر حاج أحمد إلى حاجهم ، ونحفق له تخلف وعدهم ، وعدم تحصيل ما أرادوه منهم ، تراه رحل من عندهم وقصد موضع بطرف أوراس يسمونه معه محزون فيه الكثير من ماله وبقي هناك البعض من حريمه من كون ذلك الموضع حصين وسه باخير معروفين .

ثم انقل إلى وطن الخراكنة من كونه وطن عريض وباسه طبعهم عبيط ، فهم تكن هم سياسة يدركون بها غابة الأمور ولا عندهم فطنة فيتحصلون بها من المحدث ، فلما برل عندهم وبكلم معهم مثل ما تكلم مع بس الصحراء ، فاعادوا لقوله وامثلوا لكلامه بعد ما أكرموه وبأحسن الصيافة صيغوه . ثم شرعوا في الفساد وتمادوا على الظلم وهب

أررق العاد ، وكان ذلك في زمن الخيران النور ، فعرضي إليهم بالعسكر
والسرور⁽¹²³⁾ وعري (كذا) عبيد فهرمهم هزيمة كثيرة وهربوا من وصهم وكان
حاج أحمد باي مسفر عندهم فلما وقع بهم ذلك الأمر انتقل من وصهم وقصد وطنا
آخر يسمى باندور ، وهو قريب من عماله بوس فلما كان عندهم فرحوا به ناس ذلك
الوطن وأكرموا عدي الإكرام ، وأقاموا معه ثم انقضى شهر مكث عندهم زمان في امر
والإحسان إلا أنهم لم يوافقوه على الفساد فلما حقق منهم عدم موافقه مكر بهم وقتل
كثيرهم وأراد أن يسولي علي وطمع فقاموا عنه عدمه ذلك بوس وأرادوا بفساده فمر
هارباً إلى موضعه الذي كان في (كذا) فيه حريمه وماله يسمى معة ، فمكث هناك
زمان ثم ظهرت منه عارطة وقتل البعض من ناس ذلك المعة فقاموا وعدوا فقاموا عليه
عامه ذلك ، وبولا كثيرهم معوه لملوه العامه (كذا)

ثم اسفل من هناك جميع حريمه وقصد مع أولاد درج في وصل الخصه ففرحوا به
وأحسنوا إليه لكن البعض من ناس ذلك الوطن أرادوا بمكرهوا به فيمكوه ويأتوا به
إلى الفراسيس فلما أحس بالخديعة انتقل من عندهم وقصد إلى جبل أولاد سلطان من
كونه جبل حصين استجار إليه واستمر فيه لكن صدر له مثل ما صدر إلى ناس عرصة ،
حين جاء إليهم الإسمايول وكانوا ناسها دائماً مشغولون بالنهب والظرب ، فحين نزل
عليهم جاءهم نذير وقال لهم ينقصو (كذا) وأوقعوا عن أنفسكم فإن الاسمايول
استنوى عليهم فقبضوا حتى يكملوا هذا الشغل ، ثم جاء إليهم مرة ثانية وقال لهم وصل
أبواب مدينتكم فقاموا به أيضاً حتى يكملوا الشغل الآخر ، فما رأوا يفرغوا من شغل ،
وبدحوا في شغل آخر حتى دخل عليهم الإسمايول واستنوى على وطمع⁽¹²⁴⁾ كذلك
حاج أحمد باي صار يعمل من وصل إلى أن وصل إلى جبل أولاد سلطان وصار به
ما صار من الشنيت وأهوا حتى نزل ولد سلطان فاستغل على ذلك الجبل كما سذكره
آتيا

(123) المقصود بالسرور عز ما يظهر هو القصة العسكرية . وقد ورد هذه الكلمة بعد من سمع ، مشجوع في شعارهم

(124) إن هذه القصة مخطئة من ناسها لأن حاج أحمد لم يهرب كالاسمايول ، لكن العروفا التي كان بها جهوا معه هذا
إن القصة يبحث عما ينقص من حيث فقط ، وإلا فلا وجه للمقارنة

ذكر قدوم ولد السلطان الذى هو دوك دومال : Le duc daumale :

وكان وصوله إلى قسطنطينية يوم الأربعاء الثالث والعشرين في ذى القعدة عام 1259 ألف ومائتين وتسعة وخمسين (125) ففرحوا الناس بقدومه فرحة عظيمة وخرجوا إليه أعيان البلد وكبرائها (كذا) بقصد الملاقات وانقادوا إليه شيوخ الوطن والقياد والخصوات وقابلوه بالهدايا من الخيول المسومات ، فقابلهم بالأمان والإحسان وقائلا هم على لسان الترجمان إلى قدمته إلى هذا الوطن مشوف في ناسه ويدبر في شأنه وأسبابه ، وتأمل الخمر في قلوبهم إليكم ويكون السعد القوي عديم ، فبذلك راد عدد الناس فرحا كثيرا واستكروا من خبره استكثارا جريلا ، وكان ترجمانه موسيو أربان الذى ، هو سي إسماعيل المتقدم ذكره لأنه صاحب سياسة بليغة ، ثم إن ولد السلطان المذكور من بعد استراحته تصدى للأحكام لسمع شكاية الخاص والعام ويحضر العلماء في مجلسه ، بمصلوا القضايا الشرعية ليتصل صاحب الحق بحقه ، فهذه سيرة من سير الملوك السابقين ، ومن تمام عقله وإرادته بالخمر لأهل الوطن وناس البلاد أنه أسقط الامكاس الذى كانت تلزم البائع والشارى من الرمان المتقدم ، فبإسقاط ذلك الامكاس وإبطالها كثرت السلع ورجحت (كذا) الأسعار .

ثم إنه راد مصلحة أخرى بأن قسم البلد شطرين وعين شطرا يسكنون فيه المسلمون والشطرا الآخر يسكنون فيه المراسيس ، وكان قبل ذلك سكناهم مختلط . وظهر إلى ولد السلطان في ذلك التقسيم صلاح المسلمين وبحسب ولهم في ذلك حظ ومنفعة وهو لما أن كان بقرب ديارهم بعض وكادات (126) مراسيس فإنهم يطلبون بسبب الأمر الذى صدر بهذه فائدة لا أحسن منها . وثانيا برخص الكرى (كذا) عن الصنعاء والمساكين باعجار المسلمين في شطريهم ، فكان لماعتهم مزية وأجر كبير .

ولما فرغ من تدبير ما يصبغ بالبلاد اشتغل بأمر الوطن فكتب أوامر عديدة بالعربية ومرفقهم على مشائخ الوطن والقياد ، فأول ما أمرهم باتباع أحكام الشريعة ثم بالسيرة الحسنة مع الرعية وجعل لكل قائد ولكل شيخ قدرا معينا بأحدونه مما يستوجب الخطية

(125) المرفق اليوم 4 ديسمبر 1843 م

(126) بقصد بها فائدة على ما يظهر في سجلات .

أيضا قدرا حق خدمتهم يأخذونه في وقت سلاك⁽¹²⁷⁾ مطالب البابليك . وكذلك أيضا جعل قدرا خفيف للأعراش والعزل في شأن الروايل⁽¹²⁸⁾ الذين يحملون الحلاس وهو قش البابليك⁽¹²⁹⁾ وعبر ذلك فكان في هذه القوانين صلاح للوطن والبلاد ورفقا بالرعية والعباد .

ثم إن ولد السلطان المذكور من بعد ترتيب ذلك القوانين وتنظيمها شرع في تجهيز حملة قوية من قوم وعساكر فرانسوية ، وقصد وطن الصحراء فلما وصل إلى بسكرة تلقوه ناس ذلك الوطن بالطاعة والامتثال ، ودخلوا في خدمة العراسيس من غير مراجعة ولا نكال ، إلا بعض قليل تمسوا وهربوا إلى شاطئ جبل اسمه أحمر خدو وهو جبل حصين فلاحق بهم ولد السلطان بمن معه فعنتهم فتا كبيرا فهرمهم وفروا جميعا ثم رجع إلى بسكرة فرتب فيها بوية من عسكر ، ورجع فيها قائد من أولاد بن عانة . وأقام هناك أياما حتى قصى حوائجه وأثبت تلك البوية بجميع ما يوجبها ودفعوا ناس ذلك الوطن مطالب البابليك بالتمام . ثم من بعد ذلك رحل ولد السلطان من بسكرة وقصد جبل أولاد سلطان وهو جبل حصين لكثرة شعابه وتصعب طرقاته وشجاعة ناسه . وكانوا في زمان الترك لا تنالهم الأحكام ولا يعطون مطالب البابليك بالتمام⁽¹³⁰⁾ .

وكان حاج أحمد باي هذا الوقت نازل عندهم بخيامه وحريمه ، فلما برل عليهم ولد السلطان المذكور تراه صعد إلى جبلهم بالعساكر والسرصور ، وجعل جيوش العرب من وراء الجبل ، ودوروا به الفتى من كل جهة فانهزموا أولاد سلطان هزيمة كبيرة وانهمز حاج أحمد باي معهم ، وصاع له ورق كبير ومال كثير ، وما بقي (كذا) إلا بنفسه ومات البعض من حريمه في ذلك المريمة . وما حل به ذلك إلا من قلة عفته لما أن جعل رأيه في هذا عمر العقلاء ، ولو اتبع كلام الناس العقلاء أول الرمان لم نجر عليه هذا الامتحان ، ولكن الأمر مقدر ولا يمنع الخضر من القدر⁽¹³¹⁾ .

(127) يعني وقت استخلاص ضرائب البابليك للطلوبة .

(128) يعني القبول والأخذة التابعة للبابليك أي القوة .

(129) يقصد بالقش الأسمدة والمخرايج التابعة للبابليك والتي عبر بها بالحلاس كذلك

(130) يشير بهذا إلى حملة القزاق هزمال إلى بسكرة في فبري ومارس 1844 م .

(131) هذا من قبل التماثل والاستقامت للحاج أحمد باي والمغرب من الفرنسيين .

وأما أولاد سلطان من بعد هربهم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى وطنهم ويكونوا
خدام كسائر الرعية التي هي تحت حكم المرنميص بعد ذلك عفى (كدا) عنهم ولد
السلطان وأمههم ، ورجع عنهم مشايخ ، ومن بعدهم خدموا باسم ذلك الأوطان وأعمال
من غير قس ولا قتال ، وهم حبل أولاد علي ، وحبل أولاد سلام ، وحبل أولاد
فاطمة ، وغيرهم من الأعرش السرايين بحيامهم في الوطن (132) . الاضطراب المملوكي
وأولاد رها ، والحراكنه عرب المندر ، وأولاد شليخ ، وأولاد فصل ، وأولاد فصالة ،
والعشاش ، والبعض من أوراس .

وما خدموا الناس المذكورين وصهرت طاعتهم وكل فرقة استولي عليها شيخ بتولي
أمرها ، هذا الوقت محم ولد السلطان في عصفه أنه يعمل تأويلا بدوم به تمهيد ذلك
الأمر وشيئت العافية فيهم مدة الزمان فاقصى بطره الرشيد أن جعل بونة من عسكر
فراسيس في بانة ادى هي واسطة ذلك الأعرش وواسطة صريق الصحري (كدا)
وأسس بيانا لاستقرار ذلك البونه ورجع قائد في بانه من أولاد من انقاصى وصار أمرها
مشهور بسريع فيها القادم من الصحري ، ويبدأ إليها إيراد من الأرض المصوى ، وكان
هذا الوطن في السابق محل صعب (كدا) لا يحوره مسافرون إلا بالقوة الكثيرة
والنفول (133) العزيمة .

ثم إن ولد سلطان من بعد قضاء حوائجه في وطن الصحراء وترتيب بونه بسكرة
وبونة بانة على الوجه الأحصى (كدا) تراه رجع من سفره مروراً ، وبيل مرعوبه
ميرورا ودخل إلى قسطنطينة فمرحوا باسم البلد بقدومه وشكروه على حسن صيحه ودعوا
له بحبر على ما ناله من التعب والاضطراب في ترتيب الأحواض وتمهيد الأوطان فأجابهم هو
على لسان الترحمان إني قد أبدلت المجهود لأحل أن تكون العافية في الأوطان فيها تنبهر
الأوراق ، ويكثر بيعكم وشراؤكم ، وتيقن في اهلاء إني دائماً بمرح بكم لأن خدمتكم
مع الفراسيس خدمة مباحة وسيرتكم معه مسخرة طريفة .

(132) يعني السهل أو مع الجبل المنبسط

(133) يعني القوي

ومن بعد ذلك دولة فرنسا تبنى عليكم بالخير لما بلغها من حسن طاعتكم وصححكم
ومرادى بحكمكم في العافية إلى آخر ما تكلم معهم فاستكثروا من خبره وفرحوا بحسن
كلامه وانفصلوا من عنده على حسن حال ، وأنتم موال .

وبقى ولد السلطان مشتغلا بأموره مدة أيام فيما تعين له السفر إلى باريس احتضنوا
عنده العلماء ، وأعيان البلاد ، والخلفاء ، والقبائل ، فيما حضروا بمجلسه أكرمهم
وفرح بهم ثم أخرجهم أنه مسافر إلى باريس ، بلاده لقضاء مآربه ويرجع بعد مدة قليلة .
فلما سمعوا كلامه تغيروا لمرقته وقائلين لا يرضوا بمراقبته ونحو أن تبقى معاً مدة حيائك
لما رأيا من إحسانه معاً وجربل حيرت معاً ، فأجابهم إلى حلفت لكم رجل كبير
صاحب عقل وسياسة وتدير وهو الخمرال بيدو ويوصيه عليكم بأن يبقى معكم بالسيرة
الحسنة وما يكون معه إلا الخير إن شاء الله ثم وادعوه ودعوا له بالخير والسلامة (134)

ولما عزم على السفر طلبوا منه البعض من أصحاب الوظائف بمشور معه إلى باريس
بفصد المرحلة والنشر فأجابهم لما أرادوه وأعطاهم الإذن فيما رغبوه ، وبعد ما سافر
خفوه إلى باريس وهم سي علي بن باحمد ، وسي الأحصر بن وان ، وسي ليوروني ،
وسي بوالأحرار ولد شيخ العرب ، وسي أحمد ولد سي مفران ، وسي أحمد ولد أحمد
بن محمد حبيبه محامه ، وسي محمد الشادي قصي في قسطنطينية ، والعالم العلامة الداركة
بمهامه صاحب العمل والمشهور بالفصل السيد احاج محمد بن الخروني وهو من درية
العلماء مشهورين فأقاموا بها أياماً في عمر وإكرام وفرحوا في باريس وما فيها من المعائب
المستحسنة والعرائب المنصرفة وشاهدوا دولة فرنسا وسكها ، وترتيب عساكرها ،
وألة حربها ولما قابلوا سلطانها تلقاهم بالفرح والسرور وحاطهم بكلام يبلغ مع الرفق
واللين ومن بعض كلامه لهم أنا فرحت فرحاً كثيراً لما رأيتهم محتملين قدامي في
داري بين أهلي وأولادي فلأن أنتم عدي منهم وأنا لا أنساكم كأنكم أنتم الذين دبرتم
العافية مع أولادي في وطنكم وفاتنهم المصدين تحت طاعتهم وطرهم ، وبنا محمد الله
الذي ملك أرضكم للحسن المراضوى دون غيره من الأجاس ليكون لكم الخير

(134) عازم الدولة في مال قسطنطينية يوم 3 أكتوبر 1844 وعنده خروجه يدعو معه ثم يذهب وياب عنه مؤلفاً الخمرال رسائل حاكم
الكتاب بعبارة إلى أن عاد

والعافية . ولا تطعون أنا نمسك بلادكم بالعنف بل نملكوها بالعافية الكاملة ولا نقصدوا أحد بسوء إلا الذى أراد الفساد . وإنا بدين جهد في حفظ دينكم وشريعتكم ، وبقاء مساجدكم وتعميرها وإحياء مدارسكم وعلومها حتى يحسبوا العرب أحبائهم ويظهر لهم أن لا عرض لنا في إفساد دينهم وشريعتهم ونطلب من الله جل جلاله أن يعيننا على مصالحكم كلها ، إنه على كل شيء قدير .

ولما سمع الجماعة المذكورين كلام سلطان فرانصة فرحوا بدلت فرحا شديدا وشكروه شكرا حميلا وقالوا له بما قلته تكون أرضا طيبة وسعيدة بكلامك أهل أرضنا ليرحوا . ثم ودعهم وانصرفوا بعد ما أعطى كل واحد عطية ثلثين به وأقاموا بباريس بعد ذلك أياما ورجعوا لفلسطين فرحبوا مسرورين إلا ابن الخروبي فإنه بقى بداره بالحرائر ، ولما دخلوا فلسطين استراحوا يوما واحدا ، وقابلوا السيد الخيصال بيدى الذى بركه ولد السلطان بعده حاكما وسأهم عما رأوا بهماسة فأخبروه وهذا الخيصال لما حلف ولد السلطان سار في الناس بسيرة ، وأمضى قوانين ولد السلطان وأتبعها فأرداد عبد الناس أهل الوطن حبا ، ومع ذلك يعرف اللسان العربى ويحدث الناس بلسانه ويهيمون كلامهم ويهيم كلامهم من غير واسطة ترجمان .

وهذا الخيصال هو الذى تقدم الكلام عن صفة الخير مع الناس وقت دخول الفرنسيس ابند وهو إدراك كائنه⁽¹³⁵⁾ وهذا سبب كثرة المرح به حين حلف ولد السلطان وقد كان وعدهم ألا يكون بعده إلا الذى يعمل الخير مع الناس مصدق في كلامه ووعد ، ولما تولى الحكم في رمضان سنة 1260 هـ⁽¹³⁶⁾ قام بفلسطين نحو الستة أشهر وذهب إلى أرض أوراس ليدخل أهلها في طاعة الدولة وهي أرض صعبة لكثرة الجبال بها وحشونة أهلها وعدم معرفتهم لسياسة الأحكام والحكام لأنهم لم يدخلوا من سابق الزمان تحة ولاية الترك ولا يتألمون منهم شيئا إلا بغارة عقيم في بعض الأحيان ، فأقام عليهم مدة حتى أدخبتهم في الطاعة بسياسة ودعوا ما جعلوه عليهم من اللوازم والمطالب وتابوا من عصيانهم ومصادهم ، فبعد ذلك جعل

(135) أى حاكم من الكتلة الفرنسية : Le commandant .

(136) الموافق لشهرى سبتمبر وأكتوبر 1844 م .

عليهم قائدا يسمى سي محمد ولد سيدي بلعاس صاحب معة ومعة هذه كما سمها قلعة بأوراس ، وهذا القائد من بيت كبير أهل علم وصلاح وكل أهل تلك الناحية يحبهم من قديم الزمان . ثم رجع إلى قسطنطينية من بعد فراقه من حاجته مسرورا . وقابله أهل البلد وهو بالسلامة . ثم أقام بقسطنطينية رميا وسافر إلى باريس فاعده ملك الدولة وأقام بها أربعة أشهر ورجع . ولما رجع إلى قسطنطينية وجد رجلا من أصحاب الفساد قام بباحية سطيف بأرض عموشة يسمى مولاي محمد ودعى (كدا) الناس إلى حرب الفرنسيين ، ورعهم في ذلك وقال لهم أنا صاحب الوقت يخرج الفرنسيين من هذه الأرض فأجابوه إلى ما طلبه منهم ، واجتمعت عنده الجموع من أحلاط الناس ، وصار يعمر على رعية الدولة بأحد أموالهم ويقتلهم ووقع بذلك هرج كبير ، ولما بلغ ذلك السيد الخيال بعد رجوعه من فرائضة أراد أن يخرج إياه بالعساكر الفرنسية ثم دبر بعقله أن العسكر الفرنسي إذا خرج إلى العدو يعبه ولا يقدر على مقاومته ويهرب أهل الفساد بأنفسهم ويبقى ضعفاء الناس مثل الشيوخ والصبيان والنساء الذين لا دخل لهم في الفساد فتهلكهم العساكر وقت الحرب ، ومرار المسلمين ، فأدركته الشفقة فكتب الكتب إلى أعراش القبائل القائمين مع هذا المفسد وأحرمهم فيها بحاله من أوله إلى آخره وأنه يكذب عليهم مثل كذبه على من قبلكم وذكر لهم فيها أيضا أن الخير كله في العافية لأن بها يكون مسيرة العيش وأندرههم أنهم إن لم ينتهوا عن فسادهم تخرج إليهم العساكر الفرنسية ، فتهلكهم عن آخرهم ويكون وبال فسادهم عليهم . وفرق الكتب على الأعراش المتقدمة ، ولما بعثتهم وتأملها عقلاؤهم ظهر لهم أن كلام معادة الخيال جيدا وصوابا (كدا) فعرفى عليه أكثر الجمع بتدبير عقلائهم وبقي أمره في وهن حتى تفرق عليه الكل وفر بنفسه⁽¹³⁷⁾ وانظر إلى هذه السياسة العظيمة والتدبير الحسن كيف حفظ دماء الناس وكف الفتنة بين العرب والعساكر وفعل بكلامه ما لم يفعله الإنسان بحسامه ، فشكر الناس فضله واستحسنوا فعله . ومن سياسته أيضا أنه لما رأى المسلمون (كدا) يحبون شريعتهم مثل غيرهم ويحبون دواهم يبيعهم ، ويلمع أن البعض من أصحاب الوصايف من كبار العرب لا يوصلون الناس إلى حقوقهم ، ويتعرضون لهم لأعراض لهم في ذلك

(137) مولاي محمد حارب مع القائد محمد بن عبد الله بومعرة في جبال البربريس ، والظهور ثم انتقل إلى سي بعل حرب سطيف وأسس هناك رابطة واستقطب حوله أنصار عديدين وشارك في عدة انتصارات قبل أن يقتل . انظر مرسلا اليهوديون من رعيته

مقدمة في الشرق المعاصر - مجلة الأساطير عدد 54 / 55 (آخره) - مبري - مارس 1970) ص 31 30

حصولها الفقراء والصعفاء ، وإذا طلبوا الشرع تعرضوا لهم ، ومعوهم من ذلك وربما بحثوا إلى القاضي وبأمره أن لا يدخل معه في قصبتهم ، وهذه عادتهم في السابق مع الترك ، جعل كبا ذكر فيها أن القصبات (كذا) يلزمهم أن يحكموا بالحق ولا يخافون من شيء أصلا ولا يستحقون من قائد ولا غيره ، وأمر كل قائد أن يبد حكم القاضي ولا يتعرض له وذكر ما يلزم القاضي وما يلزم القائد مع القاضي ، ومع رعيته ، وما يلزم الرعية معه ، ووفق ذلك على القصبات ، والقياد ، وقرئت كبه على عامة الناس وفهموها غاية الفهم فرحوا بذلك فرحا شديدا حيث بطل التعرض للشرعية وشكروا سعادة الخيبرال المدبر لهذه الأمور حتى حلها الناس كلهم ، ومن ذلك الوقت ومن المتعرضون للشرعية .

وفي رجب عام 1262 اثني وسين ومائتين وألف (138) رجع ولد السلطان حاكم قسطنطينية المتقدم إلى قسطنطينية بقصد المرجة . ولما سمع بقدمه أعيان البلد والقياد وكبراء الأعراس اجتمع الكل بقسطنطينية بقصد ملاقاته إلى سكيكدة وساروا إليها ومقدمهم السيد القبطان بوسة منولى أمور العرب بقسطنطينية وهم في غاية المرح والسرور لأنهم لم يسوا ما فعله معهم من الخمر رمان ولايته ، والقبطان المذكور يسر بالناس ويرتبه في السر ترتيبا حسنا بحيث جعل كل قائد يسر أمام قومه لا يعصهم غيرهم عن بعضهم بعضا . فإذا فرغ قوم القائد الأول تقدم قائد آخر بقومه وهكذا . والكل سائرون بالطريق لا يعدل عنها أحد ويأتوا بحروش (كذا) وفي الليل ركب السيد الخيبرال بيدو في خاصته وسار إلى السكيكدة واجتمع بها بولد السلطان ، ولما خرج ولد السلطان من السكيكدة وبلغ ود الصفصاف وجد القوم مرتبين ترتيبا حسنا بإشارة السيد القبطان المذكور ، وحين بينهم ولد السلطان سلم عليهم وسلموا عليه وهتفوا بالسلامة وكلما مر بهريق مصرهون البارود وهكذا . وكان يوما مشهودا ، وشكر الناس سياسة القبطان المذكور وترتيبه لهم على هذه الهيئة بحيث لم يلفظ منهم أحد على مرسه . ولم يصب أحد منهم بالبارود ولو كانوا على عمر هذا الترتيب لوقع بهم ما ذكر حتى دخل قسطنطينية يوم الاثنين الخامس من رجب من السنة المذكورة وأقام بها يومين ، وفي اليوم الثاني دعى كبراء

البلد من العلماء وغيرهم وقت العدا وأكلوا معه على مائدة واحدة بعد ترتيبهم في الخلوس عليها بحسب مراتبهم من القرب والمقابلة والبعد والمقابلة ، وتكلم معهم كلاما حسنا ووعدهم بكل خير ولما رجع إلى السكينة رجع معه وسائره كل من لقيه من الناس أولا على الترتيب المتقدم حتى بلغ ولد السلطان إلى السكينة فوجد نحو الثلاثة آلاف من المراسل مرتبة بميا وفحالا ، ترتبها حسنا من باب قسطنطينة أحد أبواب السكينة إلى ستورة آخر المرمى وبرل بالأوطيل⁽¹³⁹⁾ لينعنا (كذا) وبرل معه كبراء المراسل إلا السيد القبطان المتقدم فإنه اشتمل بترتيب القباد وقومهم من باب المرمى إلى ستورة كل قائد مع قومه حتى فرع ولد السلطان من عدائه وأتى ليركب الباور وجد الناس مرتبين بميا وفحالا وكل ما مر بهريق سلموا عليه وودعوه ودعوا له ولأبيه ولأهل الدولة ولما مرعوا من السلام عيه ركب العلوكة داهيا إلى الباور فأمر السيد القبطان الناس بصرب البارود فصرخوا ولم يزالوا كذلك حتى صعد ولد السلطان الباور واستقر به فاحتض جمع الناس حازنين على ولد السلطان .

ومما قيل في مدح السلطان المذكور حين قدومه في هذه المرة ، من الأشعار ما أشده لعالم الأجل السيد محمد بن القاصي والمقيم الرهب السيد محمد الشاذلي القاصي

فمن إنشاد الأول قوله :

بشرى لنا يقوم هذا الوالي	وبكل ذي فصل فصل من المعالي
بحببه سعد الرمان فسمه	سعد الأمام حليلة المتعالي
بحسب الإمارة سمه منحردا	من عوره لتحكم لا لئمال
بحب أهل العلم مثل حبه	لهم عيا سعد رضى الحال
مرح العواد به لكونه بكرم	دا الفصل بالتعظيم والإقبال

وله أيضا :

بعادة ذك دوما تعرف	تل ما تنمي ولا تتوقف
بعطى من ماله جريلا يولف	وفي الحكم بين الرعية مصف
له مير براج ومريجه	وعى يستحق أن يستشرف

ومن إنشاد الثاني قوله :

قدم حيل لا يمارقه السعد	وبصحة التعظيم والعز والرشد
-------------------------	----------------------------

طلعم كبير الأفق من بعد غية وأنتم بدور العز أنتم لنا القصد
لغيتكم قد فارق الجمن نومه وصار قدى فيه كجفن به رمد
وكيف وفيكم للرعايا منافع بها تشكرون النعم ليس لها جمد
صنعم جملا وقت تقليد أمرها بعد لكم إذ ناله الحر والعبد
ونام مرهد الخير في ظل عدلكم ألا ليت شعري هل يكون لكن عود
فأهلا بكم إذ زرعونا ومرحبا بكم فيها لنا الصخر والمجد
ولو طالت نال الناس فيها مناهم وأبكاكم إذ لم تطل عنكم البعد
عليهتكم ذو العدل يسلي همومهم ويفعوا طريق الخير والرشد من بعد
وأطلب منكم إن رجعت لأهلكم وفزتم بجمع الشمل صاحبكم رشد
بلوغ سلامي للجميع ونجلكم وذكرى فيهم بالجميل هو القصد
وقائلها يرجو المودة منكم ولي مدحك حكم بالشعر كان هو الود

انتهت القصيدة بحمد الله تعالى .

خاتمة الكتاب رزقنا الله حسن الخاتمة وحسن الصواب :

اعلم أيه (كذا) الباطر في هذا الكتاب المشتمل على ولات (كذا) الترك ، وبعض
سرمهم مع رعيتهم وأحكامهم ، وعلى الكلام على بعض ولات (كذا) المرانيس
المالكيين بعدهم . وعلى سرمهم مع الرعية . أنك إذا تأملت ذلك حق التأمل وجدت
بين الدولتين في الأحكام والسياسة ، عرقا كبيرا ، وذلك أن الأتراك في بدء أمرهم حتى
لم يتمكنوا من الوطن كل التمكن عدلوا بين الناس ولم يظلموا أحدا . وحين تمكنوا صاروا
يظلمون الناس ويسمكون دماءهم وبأحدون أموالهم بغير حق ويمدون ولا يوفون
ويؤسرون ، ويمدرون كما يعلم ذلك مما تقدم . ولم يرل ظلمهم يرداد حتى تم وجاور
الحد في ولاية حاج أحمد باي بن محمد الشريف الذي أحدث قسطنطينة رمان ولايته فإنه
بلغ في الظلم وسعت الدماء وأحد أموال الناس بالباطل العاية . وأما عذره وعدم الوفاء
بوعده فأمر معلوم عند كل الناس حتى صار لا يأمنه أحد ولو حلف له الأيمان المعلقة
كما يعلم فعله كله مما تقدم .

ومن جملة عذره والرجوع عن الوفاء بوعدده أنه لما أحد المراسيس الحرائر ورجع هو إلى قسنطينة وخاف من قيام الناس عليه وعزله . جمع العلماء وأرباب دولته وكبراء البلد وأعيانهم وقال لهم ما تقولون في أمرين (كذا) فقالوا له إذا أردت نفي حاكما وبإيعاك أن تقبل شروطنا وهي أن تربل الظلم على الرعية والمعارم السابقة ولا تأخذ منهم الركة والعشور لأن الظلم السابق كان سببه الحرائر وهي الآن أحدث . فأجابهم إلى ذلك وقبل شروطهم وكتبوا في ذلك كتابا ووضعوا فيه حوائجهم (كذا) شاهدة عليهم . فأول الخاتم خاتم الحاكم المذكور وبعد خاتم الشيخ مصطفى بن باش تارري قاضي الحنفية . وبعد خاتم الشيخ الصافي قاضي المالكية وبعد خاتم السيد محمد العربي بن عيسى الباطر ، ويليهِ خاتم الخليفة السيد مصطفى ، ويليهِ خاتم بن البجاوي قائد الدار ، ويليهِ خاتم الشيخ العربي بن أحمد بن الحاج ويليهِ خاتم محمد بن العربي قائد الرماله ، كما يعلم ذلك من بقع عليه . وبقي على ذلك مدة قليلة ثم شرع في نفض الشروط حتى أبطلها كلها ونمرد في الأحكام حتى أنه لما تكلم معه في ذلك بعض العلماء القاعدين معه للشروط المتقدمة وسأه عن فعله هم يقتله وبقي على ظلمه وصاق الأمر بالناس حتى نموا الناس ولاية المراسيس وكان الأمر كذلك .

وأما ولات (كذا) المراسيس فإن عدم الظلم والمساوات (كذا) بين الناس في الأحكام شاهد! يوم دخول البلد إليهم دخلوه عوة بعد موت كثير في رجالهم ، وحين طلب منهم أهل البلد الأمان أموهم على أنفسهم وأوراقهم كأنهم لم يكن بينهم فتنة . وبعد أمان أهل البلد أموا أهل البادية ووعدوهم بإزالة المظالم عليهم فتمروا أول مرة وظنوا أنهم يعدرون مثل الترك ولما تحققوا صحة أمانيهم ووفاء عهدهم دخلوا تحت الطاعة وأرأوا عهم المظالم وكثرة المعارم وسوا بين الناس في المطالب كلها ، وعمرت البلاد بالعلاحة أكثر من الزمان والسابق وخصوصا ولد السلطان فإنه فعل الخير مع الناس أكثر من عمره وأزال عهم الامكاس (كذا) وجعل قوايين حسنة لمديرها يكمال العفل والخليفة بعده سعادة الخيرال بيدوا فإنه وقف مع الحق واقتصى طريق ولد السلطان في السياسة والبطر في مصالح الناس حتى شكره الناس ، ووعدهم بكل خير مثل ولد السلطان وحين برجعوا الوفاء بذلك إن شاء الله كمايعم كل ذلك مما تقدم .

وهذا فرق ظاهر بين الدولتين ، فإن ظلم الترك ليس مخصوصا بمحل بل هو عام في أرضهم الأصلية وفي غيرها ، مما نعت أيديهم كما يعلم ذلك من سائر إلهام وشاهد أحكامهم بخلاف المراسيس فإن أرضه الأصلية أهلها في عايه العافية بسبب العدل بينهم ، وعدم الظلم فسار هذا إلى كل محل نعت أيديهم ومن لم يعلم ذلك يستل العارفين (140) .

وقد تم ترتيب هذا الكتاب المسمى بتاريخ فلسطين المروسة ، وهو ثاني كتاب رتب وطبع بقسطنطينية على يد مديره ومرتب على هذا الترتيب وبحسب العاقل الأجل محب الخير وأهله ومن شهد الناس بمصله وعدله السيد القبطان بوسه متولي أمور العرب بقسطنطينية وبذلك على كمال عفته ترتيب هذا الكتاب فإنه ذكر أولا دولة الترك ، وسيرتهم وأتبعها بدولة المراسيس وسيرتهم لينتج لناظر الحس من القبيح والصحيح من القيم فيحترار لنفسه ما يحلو ، انتهى بحمد الله تعالى .



(140) إن هذا المحمل واضح من العتري ، وليس عريضا أن يكون سيده وولي حخته الشاهبط (بوسه) براسولي هو الذي أمل عليه مثل هذه الأفكار لأن الفرنسي كانوا شديدي العزم على إظهار مساوي الأتراك حتى يبرروا غزوهم واحتلالهم لهذه البلاد ، ويقتروا أنزال العتري بحسب بوابهم ، إذ مهما يكن ظلم الأتراك وتجهيرهم فإنه لا يصل إلى واحد في المليون من ظلم الفرنسي وجبروتهم . واقتراح شاهد على ذلك .

الملاحق



□ الملحق الأول :

نص العقد بين الحاج أحمد باي وأعيان قسطنطينية :

هذا ظهر كريم وحطاب وصحح أمر مبارك عمم ، وعلام صالح عظيم ، وأمر مبارك حسيم فيه مصحة نامة ، ومسرره شامه عامة ، تحول الله وقوته وعزته ، وإردنه ، قد صدر ذلك وأمر عندما هالت من جانب أمير البلد المعظم الأكرم المصام الأهمم دي الرأي السديد والتدبير الصائب السيد الحاج أحمد باي حفظه الله بسر السور والآي ، والعلم الخليل الخطيب الأصيل أبي عبد الله السيد محمد شيع البلد ، والعام العلامة المعهامة السيد مصطفى معني السادات الحمية ، والعام لعلامة التحرير السيد أحمد العباسي فاضي السادات المالكية والعام الأمل السيد مصطفى معني السادات الحمية ، والعالم الفقيه السيد عمار معني السادات المالكية ، والعلامة لأكمل السيد محمد العربي ناصر الأوقاف ، والمعظم الأجل السيد مصطفى خبينة ، والمعظم الأجل السيد الحاج محمد قائد دار الإمارة السعيد ، والمعظم الأجل السيد محمد بن الحاج شيع العرب ، والوجيه المتحل السيد محمد بن الحملأوى أعف الدائرة ، والركي المكرم سي محمد بن العربي قائد الرمالة ، وأعيان البلد والكبراء والأماء وكافة أهل الحرف من العرب ، ولأحباد مدد الله الجميع ، ووفق الكل إلى صالح العمل وحسن الصبح آمين

ليعلم الواقف على هذا المكتوب الأعظم واستشور سارك الأهمم المصالح للبحر والسرور المصاعف بحول الله وقوته للبركة ، والخور ، وبه تكون إن شاء الله عمية البلاد ، وهاء العباد ، وعمارة الوطن ، ودهاب التوس والمحسن ، وهو أن الأمر المتفق على إمارته ، والطر في كافة المصالح وعمامة المصالح وانأرب ، هو السيد الحاج أحمد باي المذكور لا خلاف عد أحد في ذلك ، وأنه حرر الرعية من كافة المصالح السابعة لا يطالبون بمعرم ولا محتمة ولا حلاس ولا حابدة⁽¹⁾ ولا غير ذلك من التكاليف المعارضة ، ولا يأخذ منهم شيئا سوى ، الركافة والمشور بوجه ما حكمه قانون الشرع العرير للاستعانة على جهاد الكفرة دمرهم الله تعالى

(1) يعني بإعلاء سمعهم من الجور والأحسد ، وبإعلاء قروح من الأعداء أو من غيرهم في حركت الأرضي هذه العرب حركت الأرضي وقلب تربتها

أعلم الأمر وشيخ البلاد والعلماء ، فهذا إعلاماً تاماً شاملاً عاماً ، ومن أجل أن يكون هذا المكتوب للرعية أصلاً في رفع المظالم عنهم يعتمدون عليه ، وأمرنا مبرماً من ذكر ، عند المهمات يرجعون إليهم والقصد بذلك إدخال السرور على المسلمين والجرمان على سبيل المهتدين وعمارة الناس ، وإدهاب الالباس ، والله الموفق للصواب ، وإلى المرجع والمآب ، لا ربَّ غيره ولا غير إلا حمده ، وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فحسب الواقف عليه الوقوف عنده وعدم المخالفة .

وكتب بإذن السادات والأمر كما ذكر بتاريخ أواخر جمادى الأولى عام 1246⁽²⁾ هـ .

...

一、
二、
三、
四、
五、
六、
七、
八、
九、
十、

十一、
十二、
十三、
十四、
十五、
十六、
十七、
十八、
十九、
二十、

□ الملحق الثاني :

هذه قصيدة في مدح قسنطينة وأهلها :

إن رمت طيب هواء أرض لم يمل
أكرم بها بلدة للحسن قد جمعت
تنسى الغرب دياره وأوطانه
مكل من أمها ألقى عصاه بها
كأنها في استقرارها على جبل
تنفي بأنسها وحشة المقيم بها
كم فقير أتاها وهو مكتعب
كم من جبار أذاقه كؤوس الردى
كم ردت كبر ملوك الغرب في نحرهم
وكم من جيش أتاها غازيا فانتفى
دعت أمواله نهباً وأبطاله
لأهلها خلق في الحسن فائقه
يحمون ساحة من أقي بلادهم
كأن نهرهم لحسن أخلاقهم
كم فيها من عالم لعله ضربت
بعل الشريعة ويحمي جوانبها
وكم من عابد أضنى الخوف مهجته
وزاهد طلق الدنيا بيهجتها
وكم بها من ولي عارف ظاهر
وكم بها من خفي ليس يعرفه
بلدة همس السعد فيها طالعة
دع اعتراضك بأمن كان ذا فطنة

من قسنطينة الحناء لا تمل
فشمس حسنها في الآفاق لم تأفل
وتلهم عن تذكّار الأهل والحول
وودّ أنه منها غمر متفعل
فو تاج فوق سرير ملك ممثّل
نسيمها مرهم يبري من العلل
عصار يزمل في جمع من الحلل
مكل من رامها بسوء لم يهل
وسقت تونس من مناهل الخطل
من بعد شرته في غابة الخجل
فلا ولحمه عند غير منعزل
بالوا بها شرف التناء المكتمل
ويخفرون عظيم الذنب والزلل
يهرى لذا ماؤها أحلى من العسل
من الآفاق أكباد الخيل والإبل
من قول محتلق وحكم مفتعل
تراه مجتهداً في ليله الأيسل
ليس له يدبر النهاب من أمل
إليه المزعج في الشرات والوجل
إلا القليل وهو كثر لم يزل
والعزّ عن أرضها ليس يمرّ محل
فإن أحوال العطف جاءت بالبدل



□ الملحق الثالث :

ومما قاله بعض المداحين غير الطلقاء⁽⁴⁾ عن بلد قسطينة حين قدموا التوانسة إليه بقصد دخولها :

بسم الكريم يبدأ قولي بآه يرمى
على ما طرا على قسطينة في ذا السرى
الشرب والعفن والأسعار العالين
حتى التوانسة راهم جاونا حاركن
خرج محلة حمودة ذاك اللعين
على وين عباد وهاذك الضاهين
حلف لسيدهم حمودة باكر يمن
راه نجوعهم وتوايرهم عايرين
ويعود لك رعية من غير مراد
مع التوانسة يا معناه غار ياريم
يده من البلاد على ثلاثة دوار ياريم
قومان راكه شيء لا بمصار (كذا) ياريم
ويسر من وراهم عسكر جرار ياريم
على وين عباد والكلب القدار ياريم
ووديان حامل كالبحر الزخار
وأخر يقول نسمى منها الأيكار
وتهدموا المدينة وتمود قبار
والروح إلى حمودة في محار
وانساو حكم رب الحي القهار

انرتب العا والديد الانشاد ياريم
قصة متورخة وحررها بهاد ياريم
في كل عام تظهر فنة وانكاد
قومان والعساكر في مثل جراد ياريم
وايشت خليفة هاذوك الأزقات
سليمان كاهية واجوانب تزداد
لن ندخلوا المدينة من غير طراد ياريم
بالمال نجلبوهم من غير طراد
ما صار في البلاد الدهما باثبات
خرج محلة حمودة واتبات
فرع جميع العرب أهل الخيمات
والكور والمدافع فرق العجلات
وايشت خليفته هاذوك الأزقات
رحلوا وجاوا ، بانواجمهم ضفات
آخر يقول نأخذ منها محودات
وأما رجالهم ما فهم شفعات
المال والسعاية لنا باثبات
هذا حسابهم ما حسبه الأزقات
هذا حسابهم ما حسب قوم الطحين

(4) يعني هم غير النعمان لأن شعره من نوع النعمان الملحون الذي لا يصح لفراجه اللغة

واتسوا بحكم رب الحي الجواد
أمرهم بعد في رميت (كنا) الاتحاد
أعمات ابصارهم وانحطوا المحاد
ما صار في البلاد الدهما باتات
ما صار في البلاد الدهما باناس
خطوا على البلاد ونصب مرجاص
جرح عساكر للخدمة دماس
وانصبت المشالي قوم وتراس
احما الطراد بكور ومنافع وارصاص
فعدت عساكر موتى تضاس
على وابن عبادو قطع الالباس
ركب المدافع وجنود بو. الأعراس
البونة تشرشف فيها مقباصي
شهر ويوم لا من عواء اتعاس
شهر ونهار كامل الناس محزين
انهدمت الجوامع وامصار رابين
لا يفعل الغايلهم حتى الكافرين
لو كان ما الطمسي رب والصالحين
انحرفت المدينة ولات لرماد بالوالدي
اسمع لي ما اطرا واسمع كيف يصير
أهل البلاد بعث حكم الأمر
سيار بالعزم والقصد بلد البحر
أمر على العساكر والقوم التمر
أهل بلاد حنابة جيش خزيير
أهل السيوف تلعب من هند ذكور
أبطال شعثهم في الراى والتدوير

متور العلك بالقدره في كل حين
لا حبر عقوبة لا حاب صالحين
حتى أكلوا زنده بضرب البلاد
مع التواني يامحاه نهارها ريم
مع التواني جاورنا جند أكثر
انحصرت المدينة في يوم عسر
على كل باب تسمع ضججا واهدير
أهل البلاد فرع شايب وصفر
نيران شاعلة ياوله يوم كبير
على كل باب وارجع كاسر واحفر
سليمان كاهية صناد ضيم أكثر
اللي يرسي تسمع له ازهر
سبعين فرد ليلة لرمادها الخزيير
والخلائق صابر لا من يدير تدوير
نسوان محيرة وكذلك - الأولاد
حتى الصلاة قطعوها على العباد
كفار انحورج انصارت حلق الواد
نعد على بلادهم هيا الاسياد
باسمع العنا وبنى على الناس
لمن طفى علينا حرت الأجناس
اكتب بره وقاهها رفاش
وصلت لسيدى وقراها باناس
في البحر واليهر جابوهم رياس
عرب الفراقيط شاربين الكاس
قياد راكبين أحياد أن توماس
لرحل وجاي بهم مالو برباس

تلاقاه سيدي وأمرج به كثير
 برهة البشارة وأغبار الخير
 وقرلوا على الناس بصوت شهر
 بالفرح والمنا من بعد التغير
 بالفرح والمنا من بعد التغير
 بقدم الصاكر جات من الأبعاد
 انجرت المناجق للفن اصداد
 من قبل لا يحط نال المراد
 بارود من يديهم يشعل وقاد
 علاوهم بطار على جرح الواد يا والد
 ركح بفتهم على غار الحداد
 بالهونة والكور ومنفع فراد
 هادوا الصباحية من فوق ابعاد
 رجحوا ليدهم في ذل وانكد
 وعرضوا لم قاهل حكر مداد
 نسوان هادلا يكوا على الأولاد
 في الأرض يارك صاكنهم نشاد
 بالمناجق تعرف طبول ابعاد
 واصلا لجرح حادها اصداد
 اشقات ووزابع على كل بلاد بارم
 صافوا الركاب النقرى براني الارباد
 وينصر عليهم رب العباد
 في مدينة الخوى ظاهر ولد بلاد
 انظم الفنا واتسورخ الانشاد
 زيد لهم يكمل الاعداد تو اللام

بعث رسول إلينا عقب الأدماس
 جلو المشايخ يدور على الاعماس
 فرحت رجائنا ورالت الأوكاس
 شهرت رجائنا وانزاحت الأوكاس
 شهرت رجائنا بالكل بات زاهين
 رحلوا الصباح جملة وتلاقوا العسكرين
 قالوا التواني نبلوهم راحلين
 لمن ألقى وهذا العسكر متعشرين
 لن صارت الطواغن بالدم مخضين
 أهل البلاد خرج بالكل عزمين
 لولاد طهية في الرمي مطحين
 هادوا الخناثة والقومان خلطين
 حملوا على الخوارج ردهم كاسرين
 ركبوا عيولهم في الليل غدا وهارين
 علاو محال باصاكرهم سارين
 علا مدافع في الصورة مطشين
 والباي هاد بالقوم وراهم خارين
 الحق انجرح بالليل مهجسين
 ما راح اختلاف اسباق العالفين
 ولرجع بنا في شدة سيدي احسين
 لظ ينصر من عين الحاسدين
 قال الأديب عمر ابي حاذق فطين
 شاعر أديب قولي بمحب الصارفين
 في عام ألف ومائتين وعشرين⁽⁵⁾
 لأهل البلاد بسطارم

كملت بحمد الله وكمل جميع الكتاب بحمد رب الأرباب اللهم احتم لنا بالحقى
والريادة وحسن الصواب ، واهزم لنا كل الأعادى وارمهم منك بهشهاب ، على يد كاتبه
المستعجل في نسحه عبده المكى ابن عجل بن العكون عفر الله ذنوبه وستر عيوبه . وبلغ
بفصله مرعوبه وأسرع بعونه مطلوبه ولكافة المسلمين آمين . وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا . ١ هـ

...

□ الملحق الرابع :

الحمد لله وحده لا رب غيره (6).

ومما وجد في بعض عقود الأملاك والظهورات ما هو صحيحا وتحقيقا (كذا)
الكتاب المشار إليه من دار سيدى الشيخ بن العكون ، ومن دار بن كجك علي ، وعلى
يد سى الحاج أحمد ، وعلى يد السيد الحاج أحمد بن المبارك المعنى ، وعلى يد أولاد سيدى
معمر ، وحلاف ذلك عمر ما هو سطرناه من تقديم وتأخير بآيات قسطنطينية حسبها
نذكرهم بمردين . وبالله المستعين .

وأما دخول الأتراك في قسطنطينية عام 1052 هـ فأول من تولى في دولتهم :

فرحات باي 1052 هـ .

محمد باي بن فرحات 1063 هـ .

رجم باي 1077 هـ .

عمر الدين باي 1083 هـ .

دالي باي 1087 هـ .

باش آغا باي 1090 هـ .

شعبان باي 1099 هـ .

علي شوجة باي 1104 هـ .

أحمد باي بن فرحات 1112 هـ .

إبراهيم باي الملج 1114 هـ .

حمودة باي 1119 هـ .

علي باي بن حمودة 1120 هـ .

حسون شلوش 1121 هـ .

عبد الرحمن باي بن فرحات 1122 هـ .

حسون ديفزلي باي 1122 هـ .

علي بن صالح باي 1122 هـ .

(6) يبدو أن هذه المقالة وما جاء معها من الكلام فيها وبمعناها ليس من كلام العتري وإنما من نسخة الكتاب للكنى بن علي بن الفكوند كما
يظهر ذلك في آخر الصفحة هناك قبل بداية كلام صالح العتري وهذا ما جعلنا نؤخرها إلى هنا ونضعها ضمن الملاحق

- قلیان حسین بوکمة 1125 هـ .
حسین بای بوختك المنسى حسن باشا 1170 هـ .
صالح بای 1185 هـ .
براهيم بوصبح 1206 هـ .
صالح بای ثانيا 1206 هـ .
حسین ولد حسن باشا بوختك بای 1207 هـ .
مصطفى بای الوزناجي 1209 هـ .
حاج مصطفى بای انصار 1212 هـ .
عثمان بای 1218 هـ .
عبد الله بای 1219 هـ .
حسین بای ولد صالح بای 1221 هـ .
علي بای بن يوسف 1223 هـ .
أحمد شلوش القبايل 1223 هـ .
أحمد بای طبال 1223 هـ .
محمد بای نعمان 1229 هـ .
محمد بای جعفر 1229 هـ .
قارة مصطفى بای 1233 هـ .
أحمد بای المملوك 1233 هـ .
محمد بای الميلي 1233 هـ .
براهيم بن الغري 1234 هـ .
أحمد بای المملوك أيضا 1235 هـ .
براهيم بای الغريتل 1237 هـ .
محمد بای ساماني 1240 هـ .
حاج أحمد بای بن محمد الشريف الذي آخر السايات 1241 هـ .

وأما حكام الفرائسي بعد ما كان دخولهم بالعسكر في فسطية 13 في أكتوبر سنة

1837 ، فأول من تولي مهم سعادة الجنرال بيغري⁽⁷⁾ في أواسط دى صامبر 1837 م .
وبعده سعادة الجنرال بارون ، دو فالجوه⁽⁸⁾ وتولى يوم 28 في جويلية 1838 م . وبعده
سعادة الجنرال بيغري أيضا وتولى يوم 24 فبراير 1841 . وبعده سعادة الجنرال
بودراع⁽⁹⁾ يوم 25 دى جبر 1842 م . وفي ولايته تولى أمر العرب سعادة السيد القبطان
بومست⁽¹⁰⁾ في عشت 1843 م . وبعده تولى الحكم السيد ولد السلطان سعادة السيد
دوك دومال⁽¹¹⁾ ودخل قسطنطينية يوم 4 في دى جبر 1843 م . وبعده سعادة الجنرال
بيدو⁽¹²⁾ .

وكان حروح السيد ولد السلطان من قسطنطينية يوم 3 في أكتوبر 1844 م وأما الجنرال
بيدو فإنه تأخر أياما من بعد ولد السلطان ونفا (كذا) الحكم في ذلك الأيام بظفر
سعادة الجنرال راندون⁽¹³⁾ حاكم عمالة المعروف بالعرب وبكمال العقل إلى أن قدم
الجنرال بيدو . ثم رجع سعادة السيد ولد السلطان سعادة السيد دوك دومال إلى قسطنطينية
مرة ثانية على سبيل الصياغة في 29 يوبه . ولما رجع كان ركوبه 1846 في شقف النار
يوم 3 في يوليه فتملقت به قلوبنا والسلام .

قال ناسح هذا الكتاب وهو المكّي بن علي بن العكون أردت أن نصمها نصيب
كلام لأحدادنا منهم سيدي عبد الكريم العكون علي ، ما وضعه في أهل قسطنطينية وشهد
عليهم بالحمد والبص والبطالة وعدم الوفاء بالعهد والحياة الملاممة لهم ولمن قوى حاجه
بظهر حقه وعمر ذلك وحمل عليهم قصيدة بليغة تركت ذلك لعدم الأوراق . قال رحمه
الله وهو القول الذي قلته بنقوبة المحجج علي سبيل واد النصيحة لأن الذي نصيحة عسى
يكفون علي ما هم عليه والسلام .

أصلح الله الجميع ووقاهم من سوء المنع .

7) Negrier

8) Le baron de galbois

9) يعني به بارا فري ديل : Baraguey d'illiers مكنا بقلبه فري آند

10) Le capitaine bouchet

11) Le duc d'annale.

12) Bedau.

13) Randon

□ الملحق الخامس :

معارك الحاح أحمد في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاث وثائق جزائرية

بقلم : د. يحيى بن عزيز

استمرت مقاومة الحاح أحمد باي للاستعمار الفرنسي في بابليث الشرق ، ثمانية عشر عاما كاملة إلا شهرا واحدا ومع ذلك لم يقدر لها حتى اليوم أن تدرس ، كما درس مقاومة نظيره في العرب الأمير عبد القادر ، رغم صلاته موافقه ، وبعد نظره ودكائه ، وصير أيوب الذي أوتيه إلى آخر لحظة من وجوده ، جبال

فقد كان يدرك تمام الإدراك نفوق الفرنسيين عليه عسكريا ، ولذلك نجب مواجعتهم في معارك عسكرية صعبة ، وجها لوجه ما عدا معركة قسطنطين عامي 1836 و 1837 التي مثل فيها دور الدفاع ، وليس الهجوم ، وحاول أن يصل معهم إلى حل سلمي مشرف عن طريق المفاوضات التي تواصلت به وبهم مدة خمسة الاحتلال عام 1830 إلى ما بعد سقوط قسطنطين عام 1837 ولكن اتضح أن الفرنسيين غير منصفين في مفاوضاتهم له ، وأنهم يعوتون عليه الوقت والعرض ليتسكروا من تخطيطه وهو ما فعلوه وصنعوه في النهاية .

وكان يعلق آمالا كبيرا على مساعدة الدولة العثمانية له عسكريا ، وتأييده سياسيا ونفى على هذه الآمال حتى بعد سقوط مدينة قسطنطين وصباغها مه ولم يستطع أن يدرك أن هذه الدولة عارقة إلى الأبدان في مشاكل عسكرية وسياسية بشرق أوروبا ، وعرب آسيا . من أبرزها : الأزمة اليونانية بمنطقة البلقان ، والأزمة المصرية التي أثارها صدها وإليها محمد علي ، والذي اضطرها في النهاية أن تستنجد بروسيا التي أعدتها على الإطلاق ضد شأتها إلى هزيمتها بعد الحرب العالمية الأولى . وعلى هذا الأساس والاعتبار اكتفبت الدولة العثمانية بتقديم الوعود تنو الوعود له وحتى على عدم إبرام أى اتفاق مع الفرنسيين إلا بعد العودة إليها والحصول على موافقتها .

ويمكن أن نحصى المشاكل التي حالت دون نجاحه في الأمور التالية .

أولاً المعارضة التي أثارها صده كل من باي النيطرى مصطفى بومرراق ، والباي السابق لقسطية ، إبراهيم الكريتلى ، ومساعدتهما الفرنسيين على احتلال مدينة عسابة ، وذلك لأعراض وقصايا شخصية وليس وطنية ، ولعب فيها يوسف الممموك أدواراً قدرة معهما ، وبعدهما .

ثانياً معارضة شيخ العرب السابق فرحات بن سعيد وتعاونيه مع الفرنسيين أولاً ، والأمير عبد القادر ثانياً صده وذلك لأعراض شخصية كذلك ، بعدها عن القصايا الوطنية .

ثالثاً المتاعب الكثيرة والمتوعدة التي أثارها صده حانه وصهره بوعمرير بن فانة . والتي ذكر المحاج أحمد بصره ، وأكد في مذكراته ، أنها أكبر مصائبه التي أدت به إلى النهاية المؤلمة .

رابعاً : عدم تعاونيه مع نظيره في العرب ، الأمير عبد القادر الذى صادف نجاحات كبيرة ، ويبدو أن العيرة والكبرياء لعبا دورهما في العداء ، والخفاء ، الذى ظهر ، وبما ، وكر ، بينهما ، على مر الشهور والأعوام . ولكل منهما وجهة نظره في هذا الميدان ، ولكلنا نحن كباحثين ، ومحققين ، نؤمهما ونحملهما وورر النتيجة المؤلمة التي انتهت إليها معاً ، إذ لو قدر لهما أن يتعاون لانتبه قضية الاستعمار الفرنسي لبلادنا ، وصعيت في عقد الثلاثينات أو الأربعينات عن الأكثر من القرن الماضي التاسع عشر .

خامساً معارضة بايات تونس له واتفاقهم منذ البداية مع الفرنسيين على تعيين أميرين تونسيين حكم بايليك قسطنطينية (مصطفى باشا شقيق الباي) ، وبايليك وهران (حم الدين باشا) . وبعدت العملية على وهران بحيث بقي حم الدين باشا بوهران ستة أشهر كاملة معتمداً بقصبتها وسط مشاكل وصعوبات كثيرة اقتصادية وسياسية وعسكرية ، وهذا يكشف أطماع بايات تونس في شرق الجزائر على الأقل⁽¹⁾ .

ولم يكتف بايات تونس بهذا فقاموا بحمل المساعدات العسكرية التي أرسلت إليه بجراً إلى تونس ، وأرغموا الحدود الأتراك على العودة من حيث أتوا عام 1836

(1) عبد الحليم حمدي - معاصرة فرنسا لحماية فرنسا على وهران عام 1831 - المجلد التاريخي العربي عدد 5 (تونس - جازي

وموقف بايات تونس هذا من الحاج أحمد باي ، لا يختلف كثيرا عن موقف سلطان
المغرب الأقصى من الأمير عبد القادر في حرب الملاد أو بايليك العرب

مراحل مقاومة الحاج أحمد باي :

إن مقاومة الحاج أحمد باي في بايليك الشرق مرت بمرحلتين اثنتين : أولاها من حملة
الاحتلال الفرنسية لمدينة الحرائر عام 1830 إلى سقوط مدينة قسطنطينة في أيدي الجيش
الفرنسي عام 1837 وثانيهما بعد ذلك إلى استسلامه عام 1848

وقد ركز الدارسون والباحثون على المرحلة الأولى وسلطوا عليها الأصواء ، وعالجوا
أحداثها ومشاكلها من وجهة النظر الفرنسية في لأعم الأعين ، باستثناء دراسة التتميمي
التونسي الحديثة ، التي لم تحل هي الأخرى من الثغرات والمخوات ، ولكنها تحسن
دراسة عنه حتى الآن .

أما المرحلة الثانية فما تزال حوادثها غامضة ومجهولة ومشتتة ها وهناك ويحتاج الباحث
إلى تتبع كل الكتابات الفرنسية لتعرف عنها واستخلاصها ، كما يحتاج إلى العودة إلى
كل دور المخطوطات في فرنسا ، تركيا ، وتونس ، حتى يطلع على المزيد من الوثائق ،
والرسائل ، والتقارير ، المقتطفات . وإن كل الكتابات الفرنسية يجمع ما بها من المعلومات
المشتتة هنا وهناك .

ومعد استعادة الاستقلال إلى اليوم تم كشف ونشر عدد لا بأس به من الرسائل
والوثائق عن مقاومة الحاج أحمد باي ، ملأت الكثير من الثغرات والمخوات بالنسبة
للمرحلة الأولى ، أما الثانية فما تزال كما هي وتوضح بعض الوثائق ، والرسائل التي
تم الكشف عنها ، عناها بالحوادث ، ودحصها للمزيد من الادعاءات الفرنسية ، وندبها
في هذه المحاصرة معكم ثلاث رسائل حرائرية اكتشفتها في أرشيف الوزارة الأولى
بتونس ، تتحدث عن معارك أولاد سلطان في ربيع عام 1844 ، وعن غيرها ، مسعود إليها
بعد قليل .

بعد سقوط مدينة قسطنطينة في أيدي الجيش الفرنسي خلال يومي 13 و 14 أكتوبر 1837 ، فكر الخاج أحمد في نحو الحرية وجمع رفاقه ، واقترح عليهم تكوين رسالة من عائلاتهم وأطفالهم وأموالهم ، وتوجيهها إلى الصحراء لتكون في مأمن من الأخطار ، ثم قيامهم بمحاصرة قسطنطينة ، وقطع الطريق بينها وبين عناية لمع الامدادات الفرنسية عنها ، وتحريرها بعد ذلك ، ولكن حالة بوعمر بن قانة عارضة في ذلك ، بدعوى أن فرحات بن سعيد يهددهم من الخواب ، ويستعد لمهاجمتهم واقترح عليه التوجه له أولا لمخاربه والتحصن منه ، ثم التفرع بعد ذلك للفرنسيين ولم يجد الخاج أحمد بُدًا من الامتثال لرأيه ، واعترف في مذكراته بأن حالة هذا بن قانة هو الذي صيحه وقصى عليه ، وهو السبب في كل المشاكل التي تعرض لها ، والصعوبات التي واجهته ، وأكد أن هدفه هو الاستيلاء على أمواله ، وأمنته ، وأنه بمثابة امرأة إلى جانب فرحات بن سعيد الذي يستطيع أن يقاتل وحده مائة رجل ، وحرب الحرب صده مع سوات كاملة (1) .

بعد يومين من صياح مدينة قسطنطينة وبها الخاج أحمد يستعد للانتسحاب إلى الصحراء وفق خطة خاله ، اتصل به في معسكره بأمر الاصابة على طريق باتنة ، رسول من قبل قائد القوات الفرنسية عرض عليه أن يستسلم سرا ، ويرحل إلى فرنسا ، فرفض ، وبعد ثلاثة أيام من ذلك ، اتصل به ابن العطار القسطنطيني والخاج الباي العالي موقدين من قبل نفس القائد ، وعرضا عليه نفس الاقتراح السابق ، فأعلن لهما استعداداه للاستسلام ، ولكنه رفض الذهاب إلى فرنسا ، وطلب أن تترك له الحرية في أن يذهب إلى أي بلد إسلامي ، أو إلى البلاد المقدسة .

غير أن حالة ابن قانة ، اعترض سبيل وذكره بالترامه السابق في التوجه إلى الصحراء لمخاطبة فرحات بن سعيد ، فصرح له ورفض العرض الفرنسي ، وأخذ طريقه إلى بركة بعد أن عاقب أولاد عمر وقد أرسل أفراد عائلته ، وأمنته إلى القنطرة ثم إلى الأوراس ، وبالضبط إلى قرية معة ليكوبوا في أمن وطمأنينة

(1) مذكرات أحمد باي وحمدى خوجه وبوصريه - ترجمه محمد شكري قريوي (الجزائر - 1973) ص 76 78

وعندما وصل إلى الوطاية علم بأن فرحات بن سعيد عاصر أحوار قسنطينة للاحقه وأنه هاجم مدينة بسكرة بمجموع عمرة من أولاد عبد النور ، وهدلرمه ، والحصنة ، وأحد عدة أسرى ، وكاتب قائد قسنطينة حمودة بن الشيخ ، وأبلغه بأنه سيرسلهم إليه ، وأوصح له بأنه لا يريد الاتصال والمراسلة إلا مع الماريشال عالي ، مباشرة دون واسطة⁽⁴⁾ .

ومن الوطاية اتجه الحاج أحمد باي إلى زاوية سيدي رحال بين فوعالة والعمرى ، وعسكر هناك بعض الوقت واعتصر أتباعه من البواريد ، حوالي 500 رجل من أولاد نابل كانوا في طريقهم لنجدة ودعم فرحات بن سعيد ، الذي يصكر في واحة ليشانة 6 وقتلوا منهم حوالي 50 رجلاً ، وعزم الحاج أحمد على مهاجمة فرحات بن سعيد قبل أن يتقوى أمره ، ولكن ابن قانة أثناء من ذلك وطلب منه أن ينتظر وصول أهل سلمية ، وأهل رحمان ، الذين كانوا ما يزالون في واد السل ، ثم القيام بعد ذلك بهجمة قوية على ليشانة ، والرعاطشة معا حيث يتمركز فرحات بن سعيد⁽⁵⁾ .

وفي حلال شهر ديسمبر 1837 اصطدمت قوات الحاج أحمد وفرحات بن سعيد في معركة صارية بواحة صحيرا وقتل لفرحات أكثر من 600 رجل ، وقتل لأولاد بن قانة من أتباع الحاج أحمد أكثر من 100 رجل كذلك ، وكانت من أعتى معارك الطرفين بالريان ، وصمم أولاد بن قانة والحاج أحمد على مهاجمة كل واحات الرب العربي⁽⁶⁾ .

بعد هذه المعركة بعث فرحات بن سعيد رسولا إلى الفرنسيين طالبا منهم الدعم والمساعدة لملاحقة الحاج أحمد وأولاد بن قانة ، فساطلوه ولم يجيبوه إلى ما طلب لأن ظروفهم في الشمال لا تسمح بذلك . وفي الوقت نفسه علم بخبر تعيينهم لابن عمسى خليفة الحاج أحمد السابق قائدا وخليفة لهم على المنطقة الساحلية للشمال القسطنطيني فساورته الشكوك في موقفهم نحوه . واستعمل قيام الأمير عبد القادر بمراسلة رعماء العائلات القسنطينية كابن يلمس ، وابن عبد السلام المقراني ، وأحمد الشريف ، وابن قندور ، وبوعكاز بن عاشور ، ليستميلهم إليه فأخذ يتقرب منه هو الآخر على استعداد

(4) شارل فور : صحراء قسنطينة (الجزء - 1837) من 287 - 288 .

(5) نفس المصدر . من 290 - 292 .

(6) نفس المصدر . من 292 - 293 .

بموجب من طرفه (٣) . وقد سبقه إلى هذا كاتبه السابق الحسن بن عرور فأرسل إليه رسولا سرى يدعى سي السوسي يطلب منه أن يعينه خليفة على الصحراء الشرقية مقابل قيامه بمحاربة الحاج أحمد والقضاء عليه . وبعد مدة توجه الحسن بن عرور بنفسه إلى الأمير عبد القادر صاحب الحاج الباي شقيق فرحات بن سعيد ، رسولين من طرفه للفرض نفسه . وكشفت هذه الرحلة على أنه ساهر ليعدم أعراسه الخاصة ، وليس أعراس وأهداف سيده السابق فرحات بن سعيد ، الذي كان حوطة لديه عدة سوات . وقد مال الأمير عبد القادر إليه وعينه خليفة له على بسكرة ومطقة الريان ، وكلف خليفته البركاني الذي كان في بوسعادة بأن يرافقه ليصه فأخذ معه حوالي 1700 فارس ، ومدعين ، وعدداً من الأسلحة والدخائر واتجهوا إلى بسكرة ، فاستحب منها ، الحاج أحمد وأولاد بن قانة ، وطلب البركاني من فرحات بن سعيد أن يرافقهم إلى هناك فرافقهم على مخصص ، وقال للحسن بن عرور هكذا ذهبت رسولا ، وعدت خليفة ، ووعدته بأن يؤيده سريطة أن يحصل على عظيم وتغريب الحاج أحمد باي وأولاد بن قانة ، وتم هذا التصيب أواخر عام 1838 . واضطر البركاني أن يعود بسرعة إلى عين ماضي بأمر من الأمير لتشديد الحصار على التيجاني في قصره . ويذكر عرور بأن الأمير عبد القادر لم يقم بهذه الحركة التوسعية في الصحراء الشرقية إلا بعد أن كاتب المارشال هالي ، وأبلغه بأن ذلك يقدم السيطرة العربية كذلك ، لأن ترك الحاج أحمد حراً طليقا ، سيسمح له بتكوين قوات تمككه من عمارتهم جميعا هو ، وهم ، وأن هالي ، كاد أن يقتنع بوجهة نظره لولا معارضة الجنرال بيمري negrier له ونكبه على عدم التصحية بفرحات بن سعيد على الأقل (٣) .

وقد عاود فرحات بن سعيد الاتصال سرا بالمرسوس وراسل المارشال هالي ، والحاكم العام العسكري بقسطنطينية ، ولكن رسوله إلى الجزائر قتل ، ووقعت رسالته بأيدي الحسن بن عرور الذي حولها في الحال إلى الأمير عبد القادر . وتمكن رسوله الآخر من الوصول إلى قسطنطينية ولكن رسالته لم تسم للمسؤولين المرسوس ، لأنها وقعت في أيدي أناس يكرهونه فأحرقوها وأنقروها عندهم ثم أرسلوها إلى حصنه ابن قانة بالصحراء الذي حولها

(٧) نفس المصدر ص 293 - 294

(٨) نفس المصدر ص 293 - 294 - 296 - 298

بعده إلى قريته بن أحمد بلحاج في سيدي عقبة ، فحولها بدوره إلى الخس بن عرور ،
فاكتشف أمره ، وتعاون ضده الرجال لدى الأمير ، وسار في المنطقة المثل السائر .
« ضبع الميدة القارة ومعه ثعلب العوان ، تعامروا على صيد العابة » ، فأعطى الأمير
أوامره باعتقاله فاستدرجه البركاني باللطف والخس إلى المدية ، ثم اعتقله واقتاده إلى
تاكدمت حيث سلمه إلى الأمير . فوصعه تحت الرقابة الشديدة مدة من الزمن⁽⁹⁾ .

بعد أن انسحب الحاج أحمد باي من بسكرة التحق بواد سوف ، وكاتب من
هناك سلطان اصطبول ليذكره بوعوده السابقة وتأخر بخدمته . كما كاتب باي تونس
وطلب منه أن يرأف بأنواعه ورفاقه الذين تصطهرهم الظروف إلى الالتجاء إلى هناك ،
واعتذر له عن عدم قدرته هو الالتجاء إلى تونس . ثم التحق ببوحصيف على أطراف
التل ، وأذن لأصحابه بالذهاب إلى تونس لشراء الخبوب ، والمواد الغذائية بعد أن
اشتد حصار المرسيون لهم ، ونحريهم لأملأهم ومرارهم ، ومطامرهم ، وقطعان
حيواناتهم ونأسف بعد ذلك عندما علم بأنهم لم يحترموا تقاليد الصيافة وأعاروا
على راوية عبد الكريم التي كانت بمثابة محرر للخبوب ، واصطر أن ينفذ من حبه
50 ألف ريال كتمويه عما اقترعوه ، رغم أن الكاهية التونسي طلب منه ألا يفعل
ذلك بعد أن تعهم الوضع . وأكد الحاج أحمد في مذكراته بأن الاقتراح كان من
خاله بن قانة ، وأنه كان يهدف من ورائه أن يمسد العلاقة بين وبين الرحمين
التونسيين .

ومما ثبتت حيث وخيانة ابن قانة ، استسلامه للمرسيين على أثر هذه الحوادث راعما
أنه سيكون واسطة بينهم وبين الحاج أحمد باي الذي رفض ذلك ولكنه لم يشه على
الاستسلام حتى ينخلص من مشاكله على ما يبدو . فعينه المرسيون شيخ العرب
على الخبوب بمقتضى قرار 18 جانفي 1939 . ولم يقع بذلك مطلب أن يحكموا عليه
نقب الخليفة ولكم لم يلنوا رجعت ، وتوانوا ليحربوا مدى إحلاصه .

(9) الصبح هو الخس بن عرور وميدة القارة ربوة صخرة أمام راسه الزعاطفة . وطلب العوان هو بلحاج في سيدي
عبد . وصيد العابة هو الأسد ، ويحتوي به فرجات من سيدي عقبة خلف كلكت هناك الصحراء . انظر شارل بوز ،
المعبر لسه ، ص 298 - 299 .

بقى الحاج أحمد باي عند الحراكة بالتماشة حوالي شهرين ، وفي شهر ماي 1838 قاد الحمرال بيقري حملة عسكرية صده وحصد أنصاره ، وراسله وعرض عليه الاستسلام فأجابته بأنه ينتظر جواب السلطان العثماني ليقرر ماذا سيفعل ، واستحب إلى وادي ربيع ليكون في مأمن من مهاجمة القوات الفرنسية له ، وقضى هناك فصل شتاء عامي 1838 - 1839 . وفي فصل الربيع انجذبت إليه حملة فرنسية لملاحقته واستعملت حتى وسائل الخداع لاعتقاله بواسطة ولد يوس ، وأولاد سيدي يحيى والرعائلة من رعاها يوس .

وحكى ذلك نفسه ، وذكر أن الفرنسيين سلموا لهم مبالغ مالية ليورعوها على بعض أنصاره الفرنسيين ، والذين بأوروه حتى يذلّوهم على مكانه ويسلموه . وذهب إليه ولد يوس هذا وأنبهه الخطة وقال له بأنها وسيلة للإيقاع بالفرنسيين ولكن الحاج أحمد لم يصدق بروية ، أو عدم بعض حلفائها ، فاعطاه هو وبيه ، وقتلها وعين في مكانها أحمد بن الرب في وصيفتهما التي لم يذكر كنهها وطبيعتها ويبدو أنها استخبار واستعلام عن أعدائه وخصومه الجزائريين والفرنسيين معا .

وفي عام 1840 قاد الحمرال قاتلوا حملة عسكرية أخرى صده ، وهاجم الحراكة الذين يؤيدونه وبرودونه بالمال والناوى ، وقتل عددا كبيرا منهم ، وسلب لهم 80 ألف رأس عجم ، فاستنجدوا بالحاج أحمد ، ولتى دعوتهم وتمكن من استرجاع جزء من قطعهم مسبوقة ثم عاد إلى وادي ربيع مرة أخرى ، وحاول أولاد يوس أن يقتلوه منه فأدبهم . وقتل لهم عددا من الرجال .

وفي أواخر شهر مارس من العام نفسه هاجم بن قانة المحسن بن عرور وأتباعه في صالسون غير بعيد من الدوس وأولاد حلال ، وقتل عددا كبيرا من الناس وقطع 500 روح من آدن القفل وأرسلهم إلى الحمرال قاتلوا فأكرمهم على صبيحه وقتلوه وسام ضابط لشرف وروده بملع 50 ألف مراك⁽¹⁰⁾ وكانت هزيمة بن عرور هذه سببا في

قيام الأمير عبد القادر بعمره (11) ، وتعويضه بفرحات بن سعيد الذي أطلق سراحه وكلفه بالانتحاق بمنطقة الريان لملاحقة الحاج أحمد ، وأبصاره البمايين ، وأبقى عنده أسرته حتى يضمن عدم خداعه ، واستسلامه للفرسيين ، وقد وقع فرحات هذا ضحية لأولاد بن قانة ، فعذر به البواريد في سبتمبر 1841 وقتلوه بأولاد جلال ، ودفعه أبصاره في صريح (النبي) خالد ، بقرية سيدي خالد ، بعد أن قطعت أدياه ولحيته وانترع منه حاتم ، من قبل قاتليه وأرسلوها إلى الفرنسيين بقسطنطينة . مما يدل على عمق العداء بين الطرفين وتأصله .

وفي عام 1842 انتقل الحاج أحمد من واد ربيع إلى الخناشة بالأوراس لجمع شمل عائلته ، وأملاكه ، فأنجبه إليه طاهور فرسي ليلحقه ، ولم يستطع أن يبال منه ، وعاد أدراجه . وفي العام الموالي 1843 استنجد به أولاد دراج ليساعدتهم ضد خليفة الأمير عبد القادر الجديد ، محمد الصغير بن أحمد بلحاج . بمنطقة المسيلة ، وبسكرة ، فلتى رعيهم واشترك معهم في مهاجمة بسكرة ، وقتلوا 40 رجلا ، وانشروا 30 بدقية . فعادوا إلى الحصنة ، وعاد الحاج أحمد إلى مكانه ، وأرسله رعيم ربيعة الشيخ معود بأحواز سطيف ، وأعلمه بأن طاهورا فرسيا توجه إليه من سطيف ليهاجمه حتى يأخذ احتياطاته ، وأعلن استعداده بأن يتعاون معه ، وعندما اصطدم بالفرسيين فقد ستة من رجاله ، وبعض الأحصنة وعاد إلى الحصنة وبقي بها حوالي أربعة أشهر ، ثم انجبه إلى أولاد سلطان وبقي عندهم عاما ونصفا وانجبت إليه عدة طواير فرسية لتحصنه وتقاتله ، فلم تستطع أن تنال منه كثيرا لأن المنطقة جبلية صعبة التصاريح قاسية المناخ ، وسكانها مخلصون له كثيرا في أعليهم . وخلال إقامته بأولاد سلطان توفيت أمه الحاجة رقية ودفنها بمقلاوس .

معارك أولاد سلطان عام 1844 :

بعد مقتل فرحات بن سعيد في حريف عام 1841 تمركز محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر في مدينة بسكرة على رأس 400 جندي معظم برأسهم

(11) من المجلس بن حرور انظر مقالنا جهود الأمير عبد القادر وعظماءه في تدعيم الحب الوطني القسطنطيني مجلة الأصالة عدد 48 ، (الجزائر - أوت 1977) من 2 - 42 .

أحمد بن عمر أحد صباط الأمر في الحصنة . وتصارع مع ابن قانه وأتباعه في عدة معارك قتل في إحداها سي علي بن عمر شيخ رابطة طولقة الذي كان يحاول إصلاح ذات البين بين الطرفين . وعمت الفوضى كل منطقة الريان ، وقطع الكثير من نخيل واحاته . وعندما حاول ابن قانه أن يثار من محمد الصعير بلحاج في واحة سيدي عقبة هزم أمامه . وقتل له 20 رجلا ، و 20 حصانا ، وجرح 45 رجلا ، و 12 حصانا ، فأرسل إلى الفرنسيين بقسنطينة يطلب الوحدة والمساعدة .

وصادف طلبه هذا حسن الاستجابة من اللوك دومال . Le duc d'auinale ابن الملك الفرنسي لويس فيليب الذي رأى أن يهتم الفرصة ويقوم بحملة كبيرة إلى الصحراء ليحطم قوات محمد الصعير بلحاج خليفة الأمر عبد القادر في بسكرة والريان ويصفي الحساب إن أمكن مع الخاج أحمد باي الذي يمتص بحال أولاد سلطان ، وكان أوامال هذا قد عين قائدا عسكريا على منطقة الشرق الجزائري منذ أواخر عام 1843 من طرف الجنرال بيجو حاكم الجزائر العام .

غادر اللوك دومال قسنطينة أوائل عام 1844 وعندما وصل إلى باتنة في أوائل شهر فيفري ركزها مركزا عسكريا للتأمين والاستعلامات . وهاجمه أتباع الخاج أحمد باي ، ورموا حراسه لينتي 19 و 20 من الشهر . وحاول فرسان أولاد سلطان والخنصر الحماوية ، احتلال القنطرة ، واعتراض قافلة الجمال التي أرسلها بن قانه من الصحراء لتحمل أمتعة الجيش الفرنسي وأثقاله من باتنة إلى بسكرة . واسطدموا بقوات فرنسية مسلحة وقتلوا 15 رجلا .

وفي الوقت نفسه خرجت قوات عسكرية أخرى من سطيف إلى جبال أولاد سلطان عبر باتنة لمهاجمة الخاج أحمد باي وأتباعه وأبصاره المتحصنين هناك ، وفق خطة مدروسة . وعندما علم محمد الصعير بلحاج بأخبار هذه الحملة غادر مدينة بسكرة قبل خمسة أيام من وصولها إليها ، وذهب إلى واحة مشوش ثم إلى جبال الأوراس . وعندما وصل اللوك دومال إليها دخلها بسهولة دون أي حادث يوم 4 مارس وكلف أربعة صباط يحسون التحدث بالعربية بزيارة كل القرى المجاورة للتعرف على أوضاع سكانها والاستعلام عن يودون البحث عنه خاصة الخاج أحمد ، ومحمد الصعير . وهؤلاء

الضباط هم : طوماس Thomas ودونوفو De Neveux وديفو Desvaux وهوري Fournier .

وعندما علموا باعتصام محمد الصغير بالحاج في مشوش هاجموه ، فحاص صدهم معركة كبيرة خارج الواحة دخلها وأبدي رفاقه بطولة وشجاعة فائقة اعترف بها دوماً في تقرير إلى الحاكم العام يبحر وقتل للمرسين ستة ، وجرح لهم ستة عشر⁽¹²⁾

بقي الحاج أحمد باي لدى أولاد سلطان في أحماق جبالهم وتحول منزله إلى مأوى للمجاهدين الذين أكثروا من هجوماتهم ضد القوات الفرنسية بآلة وأحواها .

وفي يوم 21 أبريل 1844 ، توجهت ستة ألوية عسكرية و 500 حصان ، إلى مفاوس على أقدام أولاد سلطان وشرعت يوم 24 في الهجوم على الجبل ، واصطدمت بجموع أولاد سلطان أنصار الحاج أحمد باي . وجرت معركة مهولة طوال اليوم وعجز الفرنسيون عن التقدم وسقط عدد كبير من رجالهم ، وعمرؤا ذلك إلى كثرة الضباط ، وقتل من أتباع الحاج أحمد 100 رجل بينهم 17 من طبقة العلم . واستعمل الفرنسيون أسلوب الأرض المحروقة ، وعكروا في الأراضي المروعة بالحبوب والمروسة بالأشجار المثمرة فأفسدوها كالجراد .

ونظراً لهذا الفشل طلب الفرنسيون وحدات عسكرية أخرى من سطيف قادها الحمران سيليقي : Sillegue يوم 26 ووصل إلى مكان المعارك أواخر الشهر . وفي أول ماي حدد الفرنسيون هجومهم على أولاد سلطان . وتمكنوا من الوصول إلى قمة الجبل التي تعرف باسم « البر » فأبعد الحاج أحمد الذي كان مريضاً ، إلى مكان آخر على بعض ، وقتل من أتباعه حوالي 40 رجلاً ، ووضعوا خطة جديدة للهجوم على معسكر بآلة ، واصططرت القوات الفرنسية أن تنسحب بسرعة وتعود إلى بآلة لتحميها⁽¹³⁾ .

وفي يوم 8 ماي تجددت المعارك للمرة الثالثة في جبال أولاد سلطان وتمكنت القوات الفرنسية من الاستيلاء على معظم خيام وأمتعة الحاج أحمد باي ، وعدد من العال

(12) نفس المصدر . ص 346 - 339 .

(13) نفس المصدر ص 348 - 344 .

والأحصة وقطعان المواشي وقتل لها خلال المعارك الثلاثة 23 رجلا وجرح 92 بينهم 13 ضابطا⁽¹⁴⁾. تلك هي الروايات الرسمية عن أحداث أولاد سلطان. فما هي روايات الوثائق الجزائرية عنها. ذلك ما يورده في العقدة التالية :

رواية الوثائق الجزائرية عن معارك أولاد سلطان

في شتاء عامي 1973 - 1974 اكتشفت بأرشيف الوزارة الأولى بنوس ثلاث رسائل جزائرية تحدثت عن أربعة أحداث بكيفية وأسلوب يختلف بين هذه وتلك ولكنها كلها تجمع على خلاصة الحوادث :

الأولى : للمدعو بلقاسم بن عبد الكريم القسطيني .
والثانية : للشيخ محمد الحساوي بن بلقاسم الحسايني الأوراسي .
والثالثة : لمحمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر في بسكرة وسیدی عقبة .

والحوادث الأربعة التي تحدثت عنها هي :

- قصة امرأة مرسية قدمت من فرنسا هدية كبيرة إلى الأمير عبد القادر لتمدي ابنها الأسير عنده .
- تنظيم مؤامرة لاعتقال الحاج أحمد باي في جبل أحمم جنوب الأوراس .
- تأمر حاكم وجدة المغربي مع القوات الفرنسية ضد الأمير عبد القادر .
- الخطة العسكرية التي مكنت محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بلحاج من اقتحام مدينة بسكرة ، والسيطرة على كل ما بها من مؤن ودخائر وأموال ونقود ، وذلك ليلتي 13 و 14 ماي 1844 م⁽¹⁵⁾ .

(14) نفس المصدر . ص 345 - 346

(15) في هذه الوثائق الثلاث نظر مقالاً أربعة أحداث و ثلاث وثائق ملحقه التاريخية المغربية عدد 2 (نوس جويلية 1974) ص 94 - 102 وكذلك ملحقه لصفحة عدد 45 (الجزير - جوس - جوس ، يونيو 1974) ص 9 - 24

والذى يبعثنا نحن هنا هو لإيراد رواية هذه الرسائل حول أحداث أولاد سلطان لقادر ذلك مع الروايات العربية ، ويرى ما بينها من مروق .

فبقاسم بن عبد الكريم القسطنطينى في الوثيقة الأولى قال مخاطباً كاهية الكاف : « ونحبركم على الحاج أحمد باى وحليفه سى محمد الصمير خليفة سيدى عبد القادر وهو شيخ سيدى عقبة فلما أتاهما ولد الرنى إلى الصحرة فترك سى محمد المذكور بسكرة وسيدى عقبة ، وحرق البيبان ، وذهب هو والناس الذى عنده في البلاد إلى الجبل الأحمر حلو ، ثم إن ولد الرنى دخل بسكرة وحلف بها بوبة عسكر وحياه من البصارى والمسلمين وذهب ولد الرنى إلى أولاد سلطان الذى عندهم الحاج أحمد باى وتكلم معهم أن يحكوه بالحاج أحمد باى ، فلما سمع ذلك للحاج أحمد أرسل لكبار العروش وبيعهم أربعمئة كرش وأكلوا الطعام ثم قال لهم إن هذا مرقى اقتبوني ولا يقتلنى البصارى ربكى فبكت الناس لبكائه واتفقوا إما بموتوا جميعاً محمدين وإلا يصبرهم الله تعالى فتقابلوا مع العدو ثلاثة طرق فصرخوا المسلمين في الثلاثة بصرا عريراً أخذوا لولد الرنى في المرة الثالثة سبعمئة بعنة وأربعين العوين ، وأرهد من مائة حياء و ثلاثة مدافع ، وعلجية مرائشة لولد الرنى ، وأما الأتات فلا يحسب ونمكوا بأسرى كثيرة بصارى ومسلمين فقتلوا جميعهم فهرب ولد الرنى وحظ محل يقال له باتنة وبعت لبحرائر وبلدائها بأنوه يرهق الرجوع إلى المسلمين » (١٦) .

— والشيوخ الخمساوى ذكر في رسالته إلى كاهية الكاف ذلك « إن الترامنة الذى بعثاهم إلى العرب قدموا وحكوا لنا كسرة الرومى دمره الله ونحن في ذلك الحال وإذا به قدم حاج حسين صاحب الحاج أحمد باى الذى كان سابقاً يسير فيه إلى بر الترك فعكى لنا سورة الواقع كما أمرل حكى لنا على المصمت التى أحدها الحاج أحمد باى وأولاد سلطان وأحد لهم المدافع وغيرهم وبعد ذلك روح ولد الرنى وأخيه إلى فلسطين وحدر أخيه (١٧) وجمع أمحاله وقصد إلى جبل أولاد سلطان ولما وصل إلى طرف الجبل مرقى بحنة حشر هو بها إلى الجبل وبعض جنبها في الوطى خلوه حتى حط وحده من العصر يعادروا فيه إلى بعد العشى ونات عليه العنب وشطر الليل الرنى حدر بالعسكر ، وبقي

١٦ (أ . د . ت . حلف ٩٢٩ . صنف ٧٨ . وثيقة رقم ٤٥

١٧ (قصد به أحد الأمير موبوسى : Mohponcier

المحلة بما فيها وفاقروا به وطاروا معه وحكموا به مائة وخمسين ميايى ، وخمسة مئارى ، وحكم منهم أربع روميات ، والمدافع والخرابى على ما فيها (18) .

وقال محمد الصغير بن عبد الرحمن فى رسالته الثالثة إلى إبراهيم بن عون باحتصار :
« إحاق حير وعافية وكذلك ولد الربى لعمه الله قصد إلى جبل أولاد سلطان فقاتلوه قتالا عظيما فهرموه وأخذوا بعض محلته ، ثم جمع لهم ثابا وثالثا فهرموه أيضا وانصرف مدموما محذولا ولم يزل ما هم به والسلام » (19) .

الفتحام محمد الصغير بلحاح لمدينة بسكرة

كان الدوق دومال قد ركر بسكرة بعد أن دخلها فى مارس 1844 قوة صغيرة تتألف من جنود العوم بينهم ثمانية من الفرنسيين .

وبعد حوادث أولاد سلطان بأقل من أسبوع دبر محمد الصغير بن أحمد بلحاح خليفة الأمير عبد القادر خطة لاقتحامها ونفذها ليلتى 12 و 13 ماى 1844 وقتل معظم من بداخلها من العوم والمرسيين ما عدا الطباخة مارى التى تزوجها فيما بعد ، والصابط بيبس Pilisse الذى تمكن من الفرار إلى طولقة واحتوى بشيخها ، وأرسل من هناك من أخبار أومال فى بائة بالحداد .

وقد تخوف محمد الصغير من أن يعاجله الفرنسيون وأصارهم فطلب من الناس أن يمدوه بالمزيد من البغال لحمل عائلته فرقصوا ، واكتمى بالبغال التى وجدها بقصبة ابديه ، وحمل عليها الأسلحة ، والدحائر ، والألبسة ، والفرد ، ومدفعين خفيفين ، واستحب يوم 17 ماى إلى الأور من ومن هناك إلى نقطة التوسية عبر بقرين . وعندما ابتدئت أحداث الرعاضة عام 1849 اشترك فيها على رأس 700 فارس ، ثم عاد إلى نقطة وبقي بها عام 1856 وحلف ويدى اثنين من الطباخة الفرنسية مارى حسب رواية فرد ابدي ذكر عام 1887 أنها ما يزالان يعيشان فى القيروان (20)

(18) أ . د . ت . صندوق 212 ملف 330 . وثيقة 24

(19) أ . د . ت . صندوق 212 ملف 230 . وثيقة رقم 19

(20) فرد . الصغير نفسه من 366 — 368

وعن هذا الحادث أورد بلقاسم بن عبد الكريم في رسالته أشياء مفصلة وشائقة فقال :
 « وأما خبر متى محمد الصمصرة فلما دخلت البوابة بسكرة تكلم مع مائة من العسكر
 الذي في الجبل على أن يهربون من هذه أقدادا إلى بسكرة ويهدموه فعد قدامهم هناك
 يرسلوا إليه بأنهم ويحلوا له البيبان للدخول إلى الصاري ففعلوا ذلك فلما بلغوا بسكرة
 نحو الخمسة والعشرين رجلا أرسلوا إليه قدامهم بعسكره لسلا وفتحوا باب بسكرة
 ودخلوها وقتلوا جميع ما فيها وأخذوا حرسها إلى الجبل والحرية بها مليونان دورو واثان
 وعشرون مكحلة كبرى وخمسة عشر مائة كسوة ملف للعسكر . واربعمائة حصان
 وخزنتين بارود ، وخربة كور ودوبلي ، وأربعة مدافع ، وأما القمح والشعير لا يحصى
 ولم يجمع من الصاري الذي ببسكرة إلا واحدا هرب لرجل مسلم من عرب الخيام فأمعه
 الرجل حمية وأخذ منه ماأخذ إلى أن بلغ الرومي إلى ولد الرى وأخبره بالخبر
 وأما الرجل الذي مع الرومي سمعوا به المسلمين فقتلوه ، وولد الرى أرسل إلى
 قسنطينة على أئمة شاقور يريد الرجوع للمسلمين وقطع بحملها وربما يلفظ بها وهم .
 أما محمد الصمصرة بلحاح الذي بعد العملية قال في رسالته : « إنا هجما على عسكر
 عدو الله الذي تركه بنفسه بسكرة ومكنا الله منهم وطعنا بجميع الخربة من مداها
 وسلاح ، وكور ، وبارود ، وأما الأطعمة من بر ، وشعير ، ورور ، وأنواع الخبز ،
 لا تحمله دوات الأربع ، ولا يحصى عدده إلا الله ومكنا عنجبة ونحو الستين فرسا
 وقتنا القباطين وأما بقية عسكرهم كنه بقي لنا والحمد لله ذلك من فضل الله علينا
 والله ينصر دين الإسلام . »

وقد خلد أحد شعراء الملحون أحداث أولاد سلطان قسنطينة ما قال

باسم الله يدهن يقول	باساس صلوا على الرسول
الي مات للجنة والقصور	وسبعين من بسا الحور
باساس انصروا الدهن	وموتوا بالمائة والألفين
بركنا من موت الشين	على الشهوة والدينا الاثين
ياجمي الفحسات	الأبطال أبدوا الردمات
	والنار شعلت رقات

كف اطيحوا في المائة أو أكثر
أهل الله تلقى تحضر
الأحرار والمجاهدين
ذاك النهار طاحوا مبعين
أهل الجهاد يا خوتى الأحرار
راحمين للجنة والنار
ما عنا هذا يوم الطراد
الذى طباح شهيد
بضرب المدفع والكنور
آخر ميت آخر منكور
النهار الأول لهم كسرة
ذاك النهار عنا نصره
قلعوا تل وريبان
ما لاة يا جبل السلطان
قلعوا تل وصحره
ما لاة يا جبل القيام
مغلوب وبخشد الاسلام
ما لاة يا جمال المنافق
ما لاة يا جبل الواحدين
آه محكمه بانساس
عل أهل الحرب والقرطاس
كيف غلبونا فرانصين والجوع
ما لاة يا نجح المسطوع
خلای وعلا عرشي

هذاك فن قدير
والضباب ولا من ينظر
للخدمة كيف هادين
عمر الی هو نقض العین
طاحوا في مثل العمار
عمر في الخور بخمار
بولدون في مثل الجراد
غمر في الأبطال بصطاد
الجنة له ترديد
والموت هنا بالدور
والبحر طابح مقفور
وطاحوا الأبطال بما حصره
والخيم عل الجبال رمى
جاونا ترس وقومسان
شوابعك وصلوا وهران
ما عظم ذاك اليوم ما جرى
والحال عليه تسلام
باناس راحوا الأهمام
جات عليه التجوع تشاف
كيف عدتم منا للين
جرات مع جبل لوراس
اللی غلبوا الترك والتشركاس
عمی ماخية بالمعوج
كيف عاد للخدمة مطبوع
ما بقى لی بهاء نعاشي

فرغى في مثل الخاشي
راني ثم مكسور
أنا طابع مكسور
يا ناس راني في علية
أنا ضير لا صيت قوام
بمي تتفكر مع اللهم
خلوني حقوقي العرور
عمر الي يقول أنا أمي عجور
خلوني طابع في الكاف
خلوني قاعد حابس
راني في الكاف حاصر
ولد الراي مع جنتار
في الجبال طلقوا النار
ولد الراي مع جنار
ما يعرفوا إلا النار

وما بقي في ساحي عاشي
واحمال ثم بيتي تسدور
وبعبي فيهم سظور
على الأمار ما حذ صربة
هذا الصيف راه ما يلوم
والذي خلف أخيه يهدم
وأنا ضير لا صيت تصور
والصيم جاءها محصور
وأنا مقوم على لصاص
عطشان وربقي يابس
وفي الليالي بات باصر
وعساكرهم الكفار
وفي الوطا مثلت لخبار
والحب بطير نطيسار
ما يعرفوا عمر البسار

إلى أن يقول :

استوت الفيران مع القطوطة
في دولة بو برنطة
ليون الظلم عن المظلوم
وطريق الحق ديم معلوم
والذي ينكر الحق منموم
عند الله الحق القوم
كنا حكموا شرق وغرب
ما خلوا حتى مضرب⁽²¹⁾

(21) نهر الفيران ص 376 381 إن هذا الشاعر الذي لم يذكر اسمه جرح في هذه المعارك وعاشه الفرنسيون ، وهذا على ما يظهر هو السبب في إتيانته بهم في آخر القصيدة .

وحلال عمليات الدوق دومال في جبال أولاد سلطان غرب الأوراس ، كان الخمرال راندون يقوم بعمليات عسكرية شرق الأوراس على الحدود التونسية ، ووصل حتى إلى تبسة على مشارف الصحراء . وذلك في إطار عملية حصار للحاج أحمد باي وأتباعه على ما يبدو (22) .

كان الحاج أحمد خلال معارك جبال أولاد سلطان يتوهم على حوالي 700 فارس من أولاد سلطان ، هم الذين تولوا مواجهة هذا الجيش الاستعماري المتموق عدة وعددا . خلال المعارك الثلاثة الكبرى أيام 24 أبريل ، و 1 و 8 ماي 1844 التي كانت تبدأ دائما يوم الأربعاء كما ذكر ذلك الحاج أحمد ، وأكد أنها من أكبر المعارك التي حاصرها في حياته (23) .

وكان مريضا جدا بحمله أصحابه على بعض ويقتلونه من مكان إلى آخر ، والرصاص يمر على جبينه أو فوق رأسه . وتأسف على عدم قدرته المشاركة في المقاومة . وقد حملوه من المكان الذي يعرف باليم في قمة الجبل إلى غربه ، ومن هناك حملوه إلى جبل متلطي ، ثم إلى الصاية ، فهي مراح ، وأحوا إلى قرية معة ، حيث آواه الشيخ بلعباس لمدة عام كامل وقدم له كل الإسعافات ، وواجبات الصيانة . وهناك في معة فقد اثنين من أبائه وهما محمد وعمره 11 عاما ، ومحمود ، وعمره خمسة أعوام (24) .

وفي عام 1845 هاجم الخمرال يندو سكان واد عبيد فاستجدوا بالحاج أحمد ، وذهب إليهم ووجدتهم محتلين ومقسمين على أنفسهم ، وحذرهم من معة ذلك عليهم وصحبهم بالاستسلام ما داموا لا يستطيعون تجاوز خلافاتهم لأن مواجعتهم للقوات الفرنسية على تلك الحالة بمثابة انتحار . فرفضوا الانصياع لرأيه وعندما اصطدموا بتلك القوات تشتتوا وهربوا هارين واكتسحت القوات الفرنسية قرى واد عبيد مثل نارة ، ومعة ، وعيدوسة ، وهدمه ، واستسلم لها أولاد عبيد ، وأولاد داود ، وبني وحانة وبني بوسليمان ، وسكان الخنقة ، وأولاد يعقوب ، وبني معافة ، والولجة ، وصادرت

(22) نفس المصدر . ص 372 - 374 .

(23) مذكرات . ص 197 - 198 .

(24) نبر . ص 391 .

مهم آلاف الأعمام والأبقار ، ومئات من البغال ، وكعبات كبيرة من القمح والشعير في المطامر .

وعندما عاد الحاج أحمد إلى صفة لاحقه الفرنسيون إلى هناك يوم 22 ماي 1845 فانسحب إلى قرية الكباش بحبل أحمر خدو واحتفى بأولاد عبد الرحمن وبقي هناك حوالي عامين آخرين .

وفي عام 1847 عاد سكان واد عدي إلى الثورة ضد لقوات الفرنسية ونولي حاكم بكرة الحديد سان جرمان Saint german ملاحقتهم ومحاربتهم ، ورحف الحمران هيربيون Herbillon على واحة أولاد جلال لملاحقة الشريف بومرة الذي انسحب من جبال الطهرة والوشريس إلى هناك ، واصطدم مع أتباعه أولاد رهاد ، وأولاد الساسي ، ابتداء من 10 جانفي 1847 .

وجرت بين الطرفين معركة كبيرة في عياب بومرة الذي انسحب قبل وصول القوات الفرنسية إلى هناك ، وقد قتل للفرنسيين 35 رجلا ، وجرح 110 مما يدل على هول المعركة وشراستها .

نهاية الحاج أحمد باي :

عندما اعتصم الحاج أحمد بقرية الكباش في أحمر خدو بقي على صلة بالكثير من أتباعه في التل والصحراء وتخوف الفرنسيون من أن يستعيد نشاطه ويحدد قواته فأحد كاروبير Canrobert الحاكم العام الجديد على باتنة في الاستعلام عنه في مطلع عام 1847 ، وكان يوجد في قرية الكباش بأحمر خدو كما ذكرنا ، لدى أولاد عبد الرحمن ووصل إلى علم كاروبير بأن بعض الناس يسعون لتسليمه لهم ، فكلف الصابط سان جرمان بالبحث عنه وعن مكانه . وألح عليه بأن يعلن كل الطرق والمسالك الخفية في وجهه حتى لا يفلت إلى الصحراء ويصعب عليهم بعد ذلك اعتقاله .

قاد سان جرمان مجموعة من قوات العموم والمجود وتوجه إلى قرية الكباش ، فعادها الحاج أحمد تحت رعاية عدد من رجال أولاد عبد الرحمن وأخذ اتجاه شرق الأوراس فاعتصره هو ملكهم ، وأقنعه بضرورة العودة إلى الكباش ، وذلك بأمر من العايد بن ناصر شقيق أحمد باي بن شوف ، وبترتيب من سان جرمان حاكم بسكرة ، فأغلقت في وجهه كل الأبواب ووجد نفسه محاصرا من كل جهة بالصبط كما فعلوا بالأمير عبد القادر بغرب البلاد أواخر عام 1847 .

فكتب رسالة إلى سان جرمان حاكم بسكرة بتاريخ 2 جوان 1848 قال له فيها بأنه كتب إليه سابقا رسالة شرح له فيها بالتفصيل ما يهمه ، وأرسل له هذه الرسالة مرة أخرى مع الشيخ مسعود ، ولكنه مرض فتأخر إرسالها . وطلب منه الأمان كما وعده سابقا وهو عمل الحكام ، وخاصة من الفرنسيين الذين همون بالوعود . وأوضح له بأنه يعلم مد مدة طويلة بأنهم أصحاب كلمة وعد وعودهم . وطلب منه أن يكتب له بالسرعة الممكنة ليعطى له الأمان التام ويحدد له المكان الذي يجب أن يفود إليه بساءه وأتباعه دون خوف ولا حاجة لأية واسطة ، ويعرفه أين يذهب ليلتقي به مع أتباعه . وأوضح له كذلك بأنه كان سلطان هذه الولاية ولكن إرادة الله ناجرة ، وهو سيد الكون والأرض وهو الذي يرق النصر من عنده ، وقال له : أحبي بسرعة عن إعطائي الأمان وصمان حلمكم وعظمتكم لأن العذر هو صد عاداتكم وديكم ، ولا تخبون المخادعين والخائنين . وباختصار أطلب الأمان التام إلى كل من هم في حورتي وعندما تصل رسالتي هذه أرسل إلى صابطا فرنسا ليسلم لي أمانكم ، وسصحبه إليكم . ولا ترسلوا معه أي شخص مسلم .

بمجرد أن اتصل سان جرمان بهذه الرسالة استدعى الخاويش عمر بن عبد الله وأعطاه ساعته ، وختمه ، وكلفه بالاتجاه إلى الحاج أحمد وإبلاغه الأمان الذي يطلبه وعندما وصل إلى مكانه اعتصره حارس وحال دون تقديمه نحوه ، واشتدت المشادات الكلامية بينهما وكادت أن تتطور لولا أن الحاج أحمد أسرع إلى المكان على ظهر حصانه ، ويده مسددة

26 (المصدر نفسه ص 393) وم يوضح بمرور أني يوجد النص العربي لهذه الرسالة . ولورد هو مترجمه الفرنسي وعليها اختلافنا من ، والمهدد عليهم بالنسبة للأفكار هي وردت فيها .

شاهرا لياه فأسرع الجاويش إليه وارتمى على أقدامه يسلم عليها فنزل على فرسه وقاده إلى شجرة مجاورة وجلسا معا بعض الوقت فأبلغه الجاويش الرسالة الشفوية لسان جرمان فطلب يومين للتصكير وأخذ القرار النهائي ، وقال له الجاويش ، إن الوقت سيكون قد فات آنذاك لأن القوات الفرنسية محاصرك من كل جهة . والأحسن لك أن تسلم حالا بإرادتك بدلا من أن يلقى عليك القبض دون شروط ، فنهض واقفا وأعلن له باستعداده الذهاب معه في الحال فانقسم أولاد عبد الرحمن إلى فريقين ، فريق أراد أن يذهب معه من ذلك ، وفريق رأى أن يترك له الحرية ليتحد ما أراد ، فعزم على الرحيل وهكى فكى معه كل الحاضرين وسار مع الجاويش عمر بن عبد الله حتى أوصله إلى سان جرمان . فتقدم الأخير لمصافحته باليد . وعندما شاهد غير بعيد من المكان بعض رجال أولاد بن هالة نقطب وجهه ، ووقف وقال له : لم تأخذ ولم تعمل بما قلته لك في رسالتي (وبهي بذلك عدم اطلاع أي أحد من المير) ، إن أولاد بن هالة يهددوني وأتعبوني ، وسيددوكم ويتعبوكم ، أتم كذلك ، إهم السب في كل المآسي ولا أحب أبدا أن أراهم يهين هده ، وكان ذلك يوم 5 جوان 1848 .

فأمر سان جرمان في الحين بأبعادهم . وهذا عندئذ حاله ، فاستراح بعض الشيء ثم كلف 30 صابجا قاده إلى ديدية Didie حيث قصى ليلته هناك وفي اليوم الموالي حمل الجاويش عمر بن عبد الله أمتحته وحوادثه وأفراد عائلته على 60 بعلا الذين قدمهم إليه أولاد عبد الرحمن بالكباش وساقه إلى قارته : Garia حيث قصى الليلة الثانية بها . وفي اليوم الثالث وصل إلى بسكرة . ووصع في حي عسكري حتى يستريح ، وسمع أي واحد من الاتصال به بطلب منه . وكلف الصابط بونمان Bonnemain (مصطفى) الذي يحس العربية بالاتصال به والحادث معه ، فطن أنه عربي وعصب وكاد أن يطرده من مكان إقامته إلى أن ذهب سان جرمان ، وكاروبير ، إليه ، وأبلغاه بأنه صابط فرنسي وليس عربيا ، ولكنه يحس العربية فهذا حاله واشترح باله ، وطلب أن يكون مرافقا له من بسكرة إلى قسطية ^{Qstia} . فأخذ طريقه من بسكرة إلى باتنة

ومها إلى قسطنطينية حيث قضى بها ثلاثة أيام ، ثم سافر بحرا إلى الجزائر العاصمة وخصص له مرتب شهري ، وبقي ينتظر الإذن له بالسفر إلى البلاد المقدسة ولكنهم خدعوه كما خدعوا قبله نظيره الأمير عبد القادر ، ولم يصل به الأمر إلا أن توفي في شهر أوت عام 1850 ودفن في مقبرة صريح سيد عبد الرحمن الثعالبي .

د . يحي بوهمزاف

جامعة وهران

□ □ □

مراجع الكتاب



بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع بالعربية

— أحمد باي (الحاج) مذكرات أحمد باي وحمدان حوجه وبوصربة ترجمة الزبيرى
(محمد العربي) . (الجزائر 1973 م) 201 ص .

— بوعزيز (كي) :

- 1 - الأمير عبد القادر والد الكفاح الجزائري ط 3 (تونس . 1983) 366 ص .
- 2 - ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (قطعة دار البحث 1980) 350 ص
- 3 - الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر 1965) 220 ص
- 4 - ثورة 1871 دور عائلي المقراني والحمدان (الجزائر 1979) 471 ص
- 5 - كفاح الجزائر من خلال الوثائق (نعم الطبع)
- 6 - علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 1830 م (د م ح 1983)
206 ص .

— القمبي (د عبد الحليل) بحوث ووثائق في التاريخ المغربي . تونس والجزائر وطرابلس
1814 . 1873 م (تونس 1972) 358 ص .

— حوجة (حمدان بن عثمان) المرأة . تقديم وتحرير وتحقيق الزبيرى (د محمد العربي) (الجزائر
1982 م) 310 ص .

— الزبيرى (محمد العربي) التجارة الخارجية للشرق الجزائري (الجزائر — بدون
تاريخ) 351 ص .

— الزهار (الحاج أحمد الشريف) مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر
(تحقيق وبشر المدني — أحمد تومني) (الجزائر 1974) 196 ص

— الزباني (محمد بن يوسف) : دليل الخيران وأيس السهران في أخبار مدينة وهران عميق وتعميد
المهدي البرعبدل (الجزائر 1979 م) .

— سميدي (د . ناصر الدين) :

أ (النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 1830 م) (الجزائر 1979) 341 ص

ب (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر) الجزائر 1980 (359 ص .

— ابن شبيب (محمد المهدي) ، تاريخ قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر (قسنطينة 1980) .

— ابن عبد الكريم (د محمد) أحمد بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته . (دار الثقافة بيروت 1972) 293 ص .

— ابن العنزي (صالح) : مدن القنطر والمدينة ببلد قسنطينة . نشر وتحقيق رابح بوبار ، تحت عنوان مجامع قسنطينة (الجزائر 1974) 76 — ص .

بعض المجلات والجزائد :

المبشر (1899 - 1897) .

الأصالة (1971 - 1981) .

الثقافة (1971 - 1985) .

المجلة التاريخية المغربية (1974 - 1985) .

الأخبار (1845 - 1888) .



المصادر الأجنبية

Achille (Robert) Autographe d'el- Hadge Ahmed Ben Mohamed Cherif, dernier bey de constantine, en R N M S A C (Constantine — 1919) pp 147-157

— ANONYME :

a) Journal de L'Expedition et de La Retraite de Constantine en 1836 par un officier de l'Armée d'afrique (Paris - 1837) 92p.

b) Recueil de Document sur L'expedition et La Prise de Constantine par les français en 1837 pour servir à l'histoire de cette campagne atlas (Paris 1838) 5 planche

c) Constantine , son passé , son centenaire (1836 - 1937) en , R N M S. A C.(Constantine 1938) vol. 64 p 492 p.

• Badja (Abdelkrim) La Bataille de Constantine 1836, 1837 (Constantine imz el Baath S D.) 64 P

— Baudens (dr) Journal d'un Medicine de l'expidition de constantine (rev. Paris 1838) 111 pp 5 — 37,89 124 repris sous le titre, relation de L'expedition de Constantine (bailliere 1838) 73p

— berbrugger (auguste);

a) Les Epoque Militaire de La Grande Kabylie R.A F T U (1860)

b) Le Pegnon d'Alger ou les origines du gouvernement Turc en Algerie. Raf (1856 — 1857)

c) Notes Relatives à la revolte de Ben Sakhet R A F (1866) pp 337 — 352

d) Un cherif kabyle en .R.A.C.T.3. (1858) pp.

— Biconet (e) Une lettre de bey de Constantine en 1827 R A F (1889) pp 172 - 181

— Bonnafont (dr).

a) Reflexion sur l'Algerie particulièrement de la province de Constantine (Paris 1846) 59p .

b) Douze ans en algerie (1830 - 1842) (Paris 1883) 441p

a) Buisson d'Armandy (general) La prise de Bon en 1832 extrait des mémoires de M. le general d'Armandy .

— .rev de bretagne et de vendée (1882) 6 em série T I pp 405 — 422 . T II. pp.29 — 45/181 — 197 (à part nantes forest et grimand) S/D/ (1882) 48p.

— Cadart (general .ch .r) . Souvenirs de Constantine, journal d'un officier du génie redijet en 1838 — 1839 et coordonné en 1839 .par le general ch . Cadart (Firmin Didot - 1894) in 18 VIII- 365 p.

— Carrette : Etude sur La kabybe (exploration scientifique de l'Algerie)

— Carrette et warnier ; Description et division de l'Algerie (Alger 1847)

Cherbonnet (A) ;

inscription arabe de La province de constantine .IN.R.N.M.S.A.C. (Constantine 1854) 1855 pp. 70 — 139.

Delphis (G.) : Histoire des pachas d'Alger de 1515 a 1745 extrait d'une chronique indigène.

Traduit et annoté in journal asiatique 1 er partie (Avril ? juin? 1922) pp 161 233 2eme partie (Janvier — Mars — 1925). 15p

— De Paradis (vendeurs) alger au XVIII seicle (alger 1898) pp

— De Volains (V) : Expedition de Constantine (Paris 1840) 148 p.

— De Vouix (Albert) ;

a) les archives du consulat de france à Alger (Alger — 1867)

b) Biographie de Rais Hamidou .R.A.F. (1913).pp.

- Tachrti et . Recuil des notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger (Alger 1852) 99p .

Dournon (A) :

a) Kitab tarikh Qasantina par el Hadj Ahmed el Moberak. R.A F (1913) pp 265 — 305.

b) Constantine sous les turcs d'après Salah el Antri IN R N.M.S A.C. (Constantine 1928 - 1929) pp. 61 - 178 (à part challamel 1930).

- Duc d'Orleans (le) : Campagnes de l'armee d'Afrique 1835 - 1839 - (Paris 1870) 460 p.

- Du Granmont (H D D E) Histoir d'Alger sous la domination turque 1515 — 1830 (Alger - 1887) 420 p de Tassy (Langier) : histoire de royaume d'Alger (1725)

- El-Antri (Salah) : Première esquisse d'une histoire de Constantine (Constantine Felix grande imprimeur et lithographe place de palais 1846) 2cm ed 1852 sous le titre Faidia Mouzian.
(la perle agreable) (texte arabe) .

- Emerit (Marcel) :

- a) Les memoires d'Ahmed bey dernier bey de Constantine in rev AF (1949) PP 65-125

b) Hadj Ahmed bey et la resistance constantinoise à la conquete française .in encyclopédie "les africains" tome 8 (Paris ed Jean africain (1977) p 101 - 131.

c) Le Mystere de Yasuf R.A F (1952) pp 385 - 399

- Eaquer (Gabriel) : Les debuts de Yasuf à L'Armée d'Afrique d'apres des documents inédits (1830 - 1838) R A F (1910) pp 225 - 300,

- Feraud (CH.L.) :

a) Oued el Kebir et Collo R.A F (1858 - 1859) pp.

b) Zebouchi et Osman bey R A F (1862 pp 120 - 127

c) Epoque de l'etablisement des turques à Constantine R A F (1866) pp 179 - 196

c) Monographie de palais de Constantine R N M S A C (Constantine 11867)

e) Kitab el Adouani ou le sahara de Constantine et de Tuna R N M A C (Constantine 1868) pp 1-208

f) Ferdjous et zouara notes historiques sur la province de constantine ref (1878) pp 581 161,241,321

g) Notes Historiques sur la province de Constantine Raf(1886)

h) Histoire des villes de la province de Constantine ,Setif, Bordj bou arrendj, Meassila, Boussanda (Constantine 1872) 379 p

i) Le Sahara de Constantine (Constantine 1887) 525 p

j) Lettres autographe de Mohamed manauanni bey de Constantine 1824 1826 R.A.F (1874) pp 413 . 417.

Gaid (Mouloud) :

a) L'Algerie sous les turcs (Tunis 1973).

b) Chronique des beys de Constantine (Alger O P U S ans date) 160 p

c) Histoire de Bedjaia et sa region depuis l'antiquete jusqu à 1954 (Alger 1976 196 p.

- Gallibert (Leon) : L'Algerie ancienne et moderne (Paris 1846)
- Garrot (henri) : Histoire General de l'Algerie (Alger 1910) 1189 p.
- julien (CH A) : Histoire de l'Algerie contemporaine 1827 - 1871. (Paris puf 1964) 613 p
- Haido (Fray Diégode) : Epitomée des rois d'Alger 1596. traduit et annoté par du grammont (Alger 1884).
- La Cheraf (mostafa) : Constantine, politique et militaire dans les guerres coloniales d'Algerie 1830 - 1860 (Temps Modernes Janvier 1961) pp 727 800
- La Malle (Dureau de) : Province de Constantine recueil de Renseignements pour l'expédition ou l'établissement des français dans cette partie de l'Afrique septentrional (Paris 1837) 315 p.
- Marnet (Luis Carvajal) : Description general de Africa 1573 1599 (Madrid 1933) 3 tome
- Mercier (Ernest) :
 - a) Les Deux sieges de Constantine 1836 - 1837 (Constantine - 1896) 100 p.
 - b) Histoire de Constantine (Constantine 1903) V 730 p.
- Mercier (Ernest) :
- nousli (Andre) :
 - a) Constantine a la veille de la Conquete, cahiers de Tunisie (1955) PP370 -387
 - b) Enquete sur le niveau de vie des populations rurales Constantinoises de la conquete jusqu'à 1919 (tunis 1961) LXXIII, 767 p.
- Pécbot (L) : Histoire de l'Afrique de nord. T III (periode Turque)
- Pellouier de Reynaud (E) : Annales Algeriennes .(Alger 1854) 3 T.V II-478 + 517 + 535 p.
- Peyssonnel et des Fontane : voyage sur les cotes barbares en 1824 1825 voyage dans les regences de Tunis et d'Algerie (alger 1838)
- Rousseau (Alphonse) : Les annales tunisiennes.
- Roussel (Camille) : Les commencements d'une Conquete ; L'Algerie de 1830 à 1840 (alger 1887) 2 T 496 p
- Schluser (Von Dlin) : le peylik de Constantine et Hadj Ahmed bey 1832 - 1837. traduit en langue arabe par Belaid Doudou (Alger 1980)
- Sedillot (Dr.C) : campagne de Constantine de 1837 (paris 1838) 304 p.

- Saint Calbre (c) Constantine et quelque auteurs arabe constantinoises R A F (1913) pp. 70 - 95.
- Sander Rong : de fondation de la regence d'Alger in tableaux des etablissements français en Afrique 1838 (Paris 1839) 239 p (1840) 365 p.
- Tableaux des etablissements français en Afrique (1839 - 1840).
- Temini (dr. Abu El Jellâ) :
 - a) Trois lettres de Hadj ahmed bey de Constantine a la sublime porte in R.O.M.M.N 3 (aux en provence 1968) pp 132 - 152.
 - b) Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed 1830 - 1837 (Tunis 1978) 303 p.
 - c) Recherches et Documents d'Histoire magrebine, la Tunisie, l'Algerie, et la tripolitaine de 1816 à 1871 (Tunis - 1971) 336 p.
- Trumelet (c.) : Le general Yusuf (p oikendorf 1892) 240 L 545 + 507 p
- Vayssotier (E.) :
 - a) Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 A 1837 R M.S.A.C (Constantine 1867) pp 241 - 352 (1869) pp 253 - 392 (1869) p. 453 - 620 p.
 - b) Histoire des derniers beys de Constantine depuis 1793 jusqu à la chute de Hadj Ahmed R A F (1858 59) pp 107 128 193-198 270 (1860) pp (1861) pp 93 - 113 (1862) pp. 206 - 213, 383 - 392, (1863) pp 114 - 126.
- Walan es terhzy (M) de la domination Turqua dans l'ancienne regence d'Alger (Alger 1840) XX II - 327 p.
- Watbled (Ernest) Souvenirs de l'armée d'Afrique circa Constantine 1^{re} expedition de Constantine 2^{me} expedition et prise de Constantine R.A.F T X I V (1870) p 20 - 208 253 - 279, 305 - 325.
- Yver (Georges,) :
 - a) Si Hamdan ben Othman Khodja R.A.F (1913) pp 96 - 138.
 - b) Correspondances de general Damrémont 1837 collection de documents inédits sur l'histoire de l'Algerie après 1830 (Paris 1927) 788 p
 - c) La Question de Constantine en 1837 II congrès des sciences his. (Alger 14 - 16 Avril 1930) (Alger 1932) pp 385 - 393.
 - d) Correspondances de marechal Valot (Octobre 1837 Mai 1838) Paris Larose 1949) . 468 p.
- Des Revaux et des Journaux:

- Bulletin officiel du gouvernement general de l'Algerie (année 1870 - 1873).
(B.O.G.A.)
 - Recueil des Notices et Memoires de la societe archeologique Histoire et Geographie
du departement de constantine (année 1925 - 1927) (R N M S A H G P C).
 - Revue africaine (année 1856 - 1956) . (R A F.)
 - Revue de Paris (année 1917) (R.P.).
 - Revue des deux mondes (année 1873) (R.D.M).
 - Revue d'histoire maghrebie (année 1974 - 1985) (R.H.M.).
 - L'Algerie Francaise (1871) (A.F.).
 - Al Akhbar (1849 - 1871).
- • •

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة ونهيد	3
من هو صالح المتري	4
كيف تم تأليف كتابه	4
اسلوب الكتاب ومحتواه	5
مدخل ، بايليك قسطنية على عهد الأتراك 1514 1837 م	17
المواقع الحضرية والشكل التضاريسى والمظهر البشرى	17
الجهاز الإدارى للبايليك	20
الجهاز الشرعى والدنى بقسطنية	24
مداخل البايلىك وموظفوها	24
قوات البايلىك العسكرية	25
بداية حكم الأتراك فى قسطنية والبلد	26
تكوين بايليك قسطنية	30
رمضان تقولاى باى	30
جعفر باى	32
محمد بن فرحات باى	32
حسن باى	34
مراد باى	34
نور ابن الصخرى	36
نور أولاد عبد المؤمن بقسطنية	38
نور أولاد مطران بمجاعة	38
فريدة منية	41
الحمد لله الواحد الأحد	43
صورة الصفحة الأولى من كتاب صالح المتري المخطوط	44
صورة الجوانب الأول	45

44	صورة الجواب الى ناس البلاد
47	فرحات باي
48	محمد باي بن فرحات
48	رجم باي بن فرحات
49	عمر الدين باي
49	دالي باي
49	باش آغا باي
50	شهران باي
50	عل خوجة باي
51	أحمد خوجة باي بن فرحات
52	ابراهيم باي الطنج
52	حمودة باي
53	عل باي بن حمودة
53	حسن شاولش باي
53	عبد الرحمن باي بن فرحات
53	حسن دنفرلي باي
53	عل بن صالح باي
54	الباي حسن المدعو بوكمة
56	حسن باي المدعو بوحنت
57	حسن باي ررق هو
61	أحمد الغل
62	صالح باي
66	ابراهيم باي بو صبح
67	حسن باي بن حسن بوحك
67	مصطفى باي الورناجي
68	حاج مصطفى انطيرباي
69	عصمان باي

72	عبد الله باي
74	حسين باي ولد صالح باي
76	علي باي بن يوسف
77	أحمد شوش القبيلي
79	أحمد طبال باي
80	محمد مصان باي
81	محمد شاكِر باي
85	قارة مصطفى باي
85	أحمد باي المملوك
86	محمد باي المني
86	إبراهيم باي العربي
87	أحمد باي المملوك مرة ثانية
88	إبراهيم باي الكرنتيل
89	محمد باي مناماني
90	الحاج أحمد باي بن محمد الشريف
94	فضة الباي إبراهيم الكرنتيل وعناية ومن دقوقة
103	إيمان قسطنطين براسلون يوسف المملوك
106	الحملة الفرنسية الثانية على مدينة قسنطينة
107	فضة مفضل محمد بن المعترى
110	سقوط مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين
114	نصير حمودة بن الشيخ حاكما على مدينة قسنطينة
117	غلام الدوك دور لمان إلى مدينة قسنطينة
120	العودة إلى حاج أحمد باي ...
122	ذكر غلام ولد السلطان الذي هو الدوك جومال إلى قسنطينة
130	خاتمة الكتاب
133	الصفحة الأولى من خاتمة كتاب المعترى
134	الصفحتان الثانية والثالثة من خاتمة كتاب المعترى

135	اللاحق
137	الملحق الأول من العهد بين الحاج أحمد باي وأميان قسطنطينية
139	صورة الظهور بين الحاج أحمد باي وأميان قسطنطينية
141	الملحق الثاني قصيدة في مدح قسطنطينية
143	الملحق الثالث قصيدة من الشعر المديح في وصف الحرب بين تونس وقسطنطينية
147	الملحق الرابع قائمة بآيات قسطنطينية
151	الملحق الخامس : معارك الحاج أحمد باي في جبال أولاد سلطان من خلال ثلاثة وثلاثين جزائرية
153	مراحل مقاومة الحاج أحمد باي
159	معارك أولاد سلطان في عام 1844
162	رواية الوثائق الجزائرية عن معارك أولاد سلطان
164	الجنرال محمد الصغير بن عبد الرحمن خليفة بكرة
169	نهاية الحاج أحمد باي
173	مراجع الكتاب
183	فهرس الموضوعات

بروضة النسيب

في التعريف

بالأشياخ الأربعة المتأخرين

تأليف

الشيخ محمد بن سعد الأنصاري النمساف

المتوفى سنة 901 هـ

مراجعة وتحقيق

الدكتور يحيى بن عزيز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة وتمهيد

في التعريف بالمخطوط

«روضة السريين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين»، اعتمد في

تحقيق هذا المخطوط على نسختين اثنتين:

النسخة الأولى: بالمكتبة الوطنية في الجزائر تحت رقم (2596)،

وعنوانها في بداية الصفحة الأولى هو ما أشتهر به أعلاه، وبها (497) صفحة،

الأخيرة منها بيضاء، طول كل ورقة (20) سنتيم والعرص (15) سنتيم، وعدد

الأسطر (11)، وهي مكتوبة بخط معربي جميل جداً، واضح، وبقي، واسع، وليس

بها شطب، ولا يعرف مسحها ولا تاريخ النسخ لأنها منورة في الأخير بنصه أسطر

فقط من الحاشية، في الورقة الضائعة ويعتقد أن اسم النسخ وتاريخ النسخ كان ضمن

الأسطر الضائعة والمبتورة.

وقد صور لنا هذه النسخة مدير المكتبة الوطنية السيد «عبد الكريم

بحاجة» ونائبه السيد «سوار حدوشي»، على قديم وسطحها لم يبق على الورق

مسنول قسم الميكرو فيلم في الأرشيف الوطني الجديد بشر حداد، بأمر من

السيد عبد الكريم «بحاجة» الذي أصبح مديراً له، وبمساعدة أمينه العام

عبد الكريم عري، فإليهم شكري وتقديرى، ونراحم العلماء الأربعة في هذه

المخطوطة غير متوارة وتم ترتيبهم حسب تاريخ وفاتهم.

* الشيخ محمد بن عمر الهواري له (190) صفحة من (1) إلى (190)

- * الشيخ الحسن أبركان (54) صفحة من (191) إلى (245).
- * الشيخ إبراهيم الناري (114) صفحة من (245) إلى (359).
- * الشيخ أحمد الغماري (147) صفحة من (360) إلى (496).

○ أما النسخة الثانية:

فتوجد بالمكتبة العامة في الرباط تحت رقم (1006 ك)، والكاف إشارة إلى حرارة عبد الحي الكناسي بناس، التي آلت ملكيتها إلى الحرارة العامة بالرباط، وتوجد هذه السحرة ضمن مجموعة أوراق عدد صفحاتها (82) صفحة من (450) إلى (531)، وهي منورة في الوسط بصفحتين اثنتين (507، 508) من ترجمة الشيخ إبراهيم الناري. ومنورة في الأحيرة بضباع ترجمة العالم الرابع أحمد الغماري كلها ما عدا أحد عشر سطرًا في بدايتها. وحط هذه السحرة معربي كدلت ولكنه مصعوط حذا، وكل ورقة بها (29) سطرًا، وتوحد بها فرائد في الأسطر لكلمات وحمل ونهيمشات على الحواشي يمينًا ويسارًا.

- شملت ترجمة الشيخ الهواري (41) صفحة من (450) إلى (491).
- وترجمة الشيخ الحسن أبركان (11) صفحة من (492) إلى (503).
- وترجمة الشيخ إبراهيم الناري (28) صفحة من (503) إلى (531).
- وليس لهذه السحرة عنوان، كما أن ناسخها غير معروف كدلت.

وقد تفضل الأستاذ عبد العزيز الساورى الموظف بديوان وزارة الشؤون الثقافية المغربية، الذي روى مشكورًا نسخة من هذه المخطوطة، تفضل بإثارة مشكل عنوان المخطوطة وقال: «وعنوانه الصحيح»: «روضة السريين في مناقب الأربعة المتأخرين». ونحن نميل إلى رأيه وترجيحه، لأن موضوع التراحم كله استعراض لمناقب هؤلاء العلماء الأربعة وأحلاقهم وكراماتهم، وحتى الشيخ المرحوم

بنهاشمي ابن بكار مفتي معسكر ذكر في كتابه: «مجموع الحسب والنسب»، هذا
لعنوان: «روضة السرين في مناقب الأربعة الصالحين»، وحالف فقط في الكلمة
الأخيرة حيث عثر عليها بالصالحين بدلاً من المتأخرين.

- ولأهمية رسالة الأستاذ عبد العزيز السائري نوردتها فيما يلي:

الرباط في (94/02/28)

السيد الأستاذ: يحيى بو عزيز المحترم

تحية المودة والتقدير... وبعد:

فاشكرك جريل الشكر على رسالتك الأخيرة وما تصمته من كلمات بيلة
وعواطف صادقة، كل ذلك كريم شيمت وما عرفته فيث من فصائل وتواضع
علمي، فجزاك الله حيزاً وأرشدك إلى نبيل الأعمال وحليل الأفعال.

بخصوص كتاب «روضة السرين في التعريف بالأشياخ الأربعة
المتأخرين» وعنوان الصحيح: «روضة السرين في مناقب الأربعة المتأخرين»،
تأليف ابن سعد محمد بن أحمد بن أبي الفصل سعيد الأنصاري التلمساني،
المتوفى بمصر سنة (901هـ). هو غير موحود في الحرية الملكية (الحسبية
حالي) بالرباط، كما ذكر لي الرميل د. محمد رروق، وإنما في الحرية الفاسية
كما ذكر الرركلي في الأعلام... والحرية الفاسية هي المكتبة الكتبية (حرية
محمد عبد الحي الكتاني بفاس) أغلب التراث الحرائري موحود بها، وقد آلت
إلى الحزاة العامة بالرباط بعد الاستقلال، ويحمل رقم (2006ك)، تعني
الكتبية. بخط معربي مبتور من الأخير، وهو آخر كتاب في المجموع من
صفحة (450) إلى (531)، وتبقى هذه السحنة وحيدة في المغرب وربما في
العالم، والأشياخ الأربعة:

1) أبو إسحاق إبراهيم التاري نريل وهران ودونها عام (866هـ).

(2) محمد الهواري. (3) الحسن أبركان.

(4) أحمد بن الحسن الغماري.

وأتمنى في الأخير أن ترودوبي بمؤلفاتكم العنمية كسعد السعود أو كتاب
عن ملبية... وتقبلوا مني سيدي فائق الاحترام..

عبد العزيز الساوري

(الإمضاء)

وقد اعتمدنا أساساً على المخطوطة الأولى، مخطوطة الحرائر لأبي
كملة، وصحة، وبقية وتم ترتيب العلماء الأربعة المترحم لهم حسب تاريخ
وفاتهم، وهم كلهم من علماء القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي:

- الشيخ لهواري (751 843 هـ) : (1351 1439 م)

- الشيخ لحسن أركون توفي آخر شوال (857 هـ)، 2 نوفمبر (1453 م).

- الشيخ إبراهيم الشاري توفي يوم 9 شعبان (866 هـ)، 9 ماي (1462 م).

- الشيخ أحمد العماري توفي يوم 12 شوال (874 هـ)، 14 إبريل (1470 م).

وبما أن المخطوطتين لستا بهما عدوس فرعية دخل النص، فقد قم بحس
بوضع تلك العناوين حسب الموضوعات وصدروا المخطوط بوضع تراجم
محصرة لمؤلف الكتاب نفسه ابن سعد، وللعلماء الأربعة موضوع المخطوط،
لأن النص الأصلي محشو بالاستطرادات والحكيات والطرائف والسوادر،
وحوارف العادات التي كثيراً ما تكون خارجة عن الموضوع، ومحشو كذلك
بالآيات لقراءة الكريمة، والأحاديث السوية الشريفة، والأشعار الملحونة
والأمثال، وبفصوص التاريخية والاجتماعية وتلك هي طريقة مؤلف ذلك
العصر.

وقد مر الآن على تأليف هذا المخطوط خمسة قرون وريادة وآل الأوال

ليرى النور لكي يطبع الس على سير هؤلاء العلماء الفصلاء الذين كن لهم دور في رماهم، ونمكن للأجيال أن تستفيد من حصا لهم وسلوكهم وأعمالهم الحسة والطيبة وهو الأمر المطلوب من قراءة سير العظماء خاصة العلماء منهم، ولتسهيل على القارئ معرفة بداية الصفحات في المخطوط وضع أرقامها بين قوسين.

وقد وصعنا قبل استعراض النص تراجم مختصرة للعلماء لأربعة كمدخل نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يسمع الأحيال بهذا لعمل، وأن يرزقنا حسن الثواب عنه والسلام.

الدكتور يحيى بوهزير

معهد التاريخ - جامعة وهران

الجمعة 13 شوال (1414هـ)

الجمعة 25 مارس (1994م) وهران حي جمال الدين

...

التعريف بالشيخ ابن سعد التلمساني

(توفي في رجب 901هـ - 16 مارس 1496م)

هو محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن سعد التلمساني، من مواليد القرنين التاسع الهجري والحامس عشر الميلادي، ولم يذكر المترجمون له تاريخ ميلاده بالضبط واكتفوا بذكر تاريخ وفاته فقط، ومنه يعرف أنه ابن القرن (9هـ و15م)، أشاد به كل من ترجم له وذكروا أنه من أكابر علماء تلمسان وفقهائها ومحصليها، كما ذكروا أنه ألف عدة كتب منها:

(1) السهم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب.

(2) روضة السربين في التعريف بالأشياح الأربعة المتأخرين.

(3) كتاب في الصلاة على النبي ﷺ.

ومما قاله فيه شعراً محمد العربي العرطاطي أحد فصلاء الأندلس:

إذا جئت تلميذاً
فقل لصنديدها ابن سعد

علمك فاق كل علم
ومجدك فاق كل مجد

ومن العلماء الذين أخذوا عنه وتعلموا عليه الحافظ محمد بن عبد الجليل التسي، والإمام محمد بن يوسف السوسني، فطب علمي التوحيد والتصوف، وهذا مما يؤكد مكانته العلمية والثقافية وعذو قدرته ومركزه.

ولكن المصادر التي تحدثت عنه كانت شحيحة جداً، ولم تسجل لنا أخباره المستفيضة مما يسمع لنا بالتعريف به أكثر، وقد رحل إلى الشرق في فترة لم نعرفها بالضبط آخر القرن التاسع الهجري، ولا شك أنه قصد أن يجمع ويؤدي فريضة الحج إلى حاسب العدايات الأخرى خاصة التزود بالعلوم والمعارف والتعرف على العلماء والفقهاء والمتصوفين كما هي عادة كل

علماء المغرب الإسلامي الذين بقصدون المشرق، وليس تدري هل أدى فريضة الحج فعلاً ومتى تم ذلك وكل ما يعرفه أنه توفي بالدير المصرية وبالقاهرة وبالذات خلال شهر رجب من عام (901هـ)، وهو ما يوافق 16 مارس - إبريل (1496م).

وكان معاصراً للعلماء الأربعة: محمد بن عمر الهواري، وإبراهيم التاري، والحسن أركان، وأحمد العماري، الذين ترجم لهم في موسوعته الكبرى «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب»، وفي كتبه الذي حصصه لهم وهو: «روضة السريين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين» الذي قدمه اليوم للقراء بعد مصي خمسة قرون كاملة وريادة على تأليفه، وعنوانه الصحيح: «روضة السريين في مناقب الأربعة المتأخرين».

ومن ضمن من ترجم لاس سعد ولو بكيفية مختصرة ومقتصة وغير ودية أحمد الوشريسي في المعيار، وأحمد المقرئ في معج الطيب، ومحمد بن محمد مخلوف في شجرة لور الركية، واس القاضي في درة الحال، واس مريم في الستار، والحفوي في تعريف الحلف، والركلي في الأعلام، وبروكتان في تاريخ الشعوب الإسلامية.

ومما تحدر ملاحظته هنا هو أن تراحم اس سعد لهؤلاء العلماء الأربعة غير متورنة، فقد توسع كثيراً في سيرة الهواري، والتاري وتوسط في العماري والحسن أركان، ثم إن هذه التراحم تتجسها استطرادات كثيرة وتوسع في الكرامات وخوارق العادات، وسير أهل البيت وشرفهم، وفي الموضوعات الدينية والاجتماعية المختلفة التي تنحللها آيات وأحاديث كثيرة نسوية لا حد لها ولا حصر، مما يصح معه القول بأن موضوع المخطوط ديني وليس تاريخاً وسيراً لهؤلاء العلماء الأربعة بالذات.

اتبع ابن سعد التمسيل التاريخي للمدين ترحم لهم حسب تاريخ وفاتهم، فبدأ
 بالشيع الهواري ونسبه بالشيع أبرك كن وثثهما بالشيع إبراهيم الناري وحتم بالشيع
 أحمد الغماري.

- وفيما يلي تعريفات مختصرة لكل واحد منهم كنمهد لقراءة المحطوط
 نفسه.

التعريف بالشيخ محمد بن عمر الهواري

(751 - 843 هـ - 1350 - 1439 م)

ولد محمد بن عمر الهواري في أحواز كلميتو على بعد عشرين كم شرق مدينة مستعانم عام (751 هـ ، 1350 م)، وتربى بين أهله وعشيرته الأقربين من المعراوين، وأوكله أبوه الشيخ عمر بن الشيخ علي بن عيسى ليعلمه ويحفظه القرآن الكريم. فلاحظ عليه نوعاً من العجلة والتواكل وعدم الاهتمام بهدأه، وأخذ يهره ويصره فعانه والده وقال له: لا تصره حتى ولو كان كسولاً ومعملاً، لأن ذلك من علامات ولايته وحدته.

وعندما بلغ سن العشرة ذهب إلى كلميتو. وتعرف هناك على ولي صالح يتعمد في غار، ولارمه حتى نال سره وأخذ عليه طريفته الصوفية وبقي عنده مدة من الزمن ثم عادره وعادر كلميتو، وتغل في ماضق البلاد المحلقة، ومنها الواحات الصحراوية، وركب البحر وزار بعض حرر البحر المتوسط وخالط الوحوش والسياب.

وبعد ذلك اتجه إلى مدينة بحاية واعتكف على الدراسة وتعلم على الشيخ أحمد بن ساديس، والشيخ عبد الرحمن بنوعيسى، شبيخي وأسادى عبد الرحمن بن حديد، وأخيه يحيى المعاصرين له، وأعجنته بحاية وطاب له مقام بها، كما طابت للشيخ أبي مدين شعيب قبه، وثاب عليها وعنى سكتها لمصيفين، وعلمتها وأمرتها، وذلك لتقديرهم لعلماء وطنة العدم، وإيوانهم للغرباء وتقديم العون والمساعدة لهم.

يضاف إلى هذا استقطاب هذه المدينة لعلماء الفضلاء أصحاب الناع لطويل ولواسع في مختلف فروع العلم والمعرفة، وقد سجل هذا الشأن في

نظمه الملحون المسمى بالتسهيل، وفي هذه المدينة بحية ألف كتابه المسمى «السهو والتبیه في أحكام الطهارة والصلاة»، ونظم قصيدته التي سماها: «التسهيل» ولا ندري كم سنة قضاها في بحاية، وم هي السنة التي عاينها فيها.

ومن بحية عاد الشيخ الهواري إلى مسقط رأسه ثم قصد مدينة فاس للدراسة والتعلم كذلك، وحلّس إلى حقة الشيخ العدوسي والشيخ القصب، وذكر أن صعد بأه أتم في فاس كتاب المدونة للإمام مالك عام (776هـ) (1374م)، وهو في سن الخامسة والعشرين كما ذكر أنه في هذه السنة أتم نظم كتابه: «السهو في الطهارة والصلاة»، علمًا بأن ذلك تم في بحية وليس فاس، ولعل المقصود بذلك هو إتمام هذا الكتاب، وتقيقه في فاس وإدخال بعض التعديلات عليه وهناك فاس تصدى الشيخ الهواري لتعليم والتدريس بعد أن أصبح عالمًا والنهت حوله طلاب العلم وأنشأوا عليه.

ومن فاس شد الرحال إلى المشرق عمر تونس ولبي، وعندما وصل إلى مصر أقام مدة في الجامع الأزهر، وتتلّمذ على الشيخ الحافظ العراقي وأحرين، ثم التحق بالحجار وأذى فريضة الحج بمكة وزار المدينة المنورة، وترك بريدة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا شك أنه أخذ العلم على عدد من علماء مكة والمدينة المحاورين هناك وأكثرهم وم أوسع علمهم.

ومن المدينة المنورة انتقل إلى فلسطين عمر غزة والتحق بمدينة المقدس وزار المسجد الأقصى، وقبة الصخرة وقبر الحليل إبراهيم عليه السلام، وباقي المرات الأخرى، وحضر عددًا من الدروس في المسجد الأقصى، واتصل بالعلماء الموحودين هناك وتعزف عليهم، واستمع بعلمهم وآدابهم.

ولربما ألقى دروساً هناك، كما فعل في المدن والعواصم الأخرى التي أقام بها أو زارها في المغرب العربي.

ومن بيت المقدس اتجه إلى بلاد الشام وقصد مدينة دمشق الفيحاء، وأقام بها مدة من الزمن يدرس على علمائها، ويدرس الطلبة المتعطشين للعلم خاصة ما يتصل بتاريخ المغرب العربي وحضارته، ولو بمجرد حكايات وأقاصيص عنه، وخلال إقامته بدمشق اعتاد الخروج إلى العوطة للانفراد بنفسه، واستعراض ما حصل عليه من علوم ومعارف، والتفكير فيما يعتزم عمله مستقبلاً.

وبعد هذه الرحلة الطويلة إلى بلدان المشرق العربي الإسلامية التي لا يعرف منى بدأت ومتى انتهت، قفل الشيخ محمد بن عمر الهواري راجعاً إلى بلاده عبر مدن وعواصم كل من مصر، وليبيا، وتونس، والحرائر، واستقر به المقام في مدينة وهران، التي كانت آنذاك تعج بالنشاط الاقتصادي والعمراني، والثقافي والاجتماعي، واستقطبت حشوداً عظيمة من المهاجرين الأندلسيين «دين حمورا إليها حيوبنهم ومهارتهم الفنية: المعمارية، والصناعية، والثقافية، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

ويسدو أن الشيخ الهواري استنهونه بحاية كذلك ومفضل الإقامة والاستقرار بها لذلك الأسباب وتصدى للتعليم والتدريس، والتف حول عدد لا بأس به من طلبة العلم أعدهم قدم إليه من الآفاق البعيدة، كما تصدى لتنفيذ لأدكار والأوراد لعدد آخر من المريدين، من الناحية الدينية والصوفية، وصادف بحثاً وإقبالاً كبيرين، ولما كان كتبه «السهو والنسيه» ألهمه باللغة الدارجة، فقد حاول تدميده «أبو زيد عبد الرحمن مقلاتش» أن يصلح ما به من أخطاء نحوية ولغوية فاعترض عليه وقال له: «دع سهوك عندك، واترك سهوي لي».

ونهره عن فعله ذاك.

وقد عاش الشيخ الهواري أحداث رحف السلطان الحفصي أبي فارس عزور على مدينة تلمسان وأميرها الرياني أحمد العاقل الذي توسط بالشيخ الحسن أركان التلمساني ليطلب من الشيخ الهواري أن يدخل لدى سلطان توس من أجل إتمام الصلح، وحقن الدماء وتجنب تمسك محاطر العزور، وهذا يدل على المكنة التي كانت للشيخ الهواري آنذاك.

ولما كان الحسن أركان تلميذاً لهواري فقد أسرع بإبلاغه رغبة أحمد العاقل، فرفض في البداية بدعوى أنه لا شأن له بالملوك والأمراء، ثم بعد الإلحاح والمراجعة قل. وقال له: «قل لصاحب سلطان تلمسان أن يضمّن فسوف لن يرى ولن يتقابل مع سلطان توس»، وصادف أن توفي أبو فارس عزور فجأة في سبيل حل الصدر من جنا الوشريس صباح عيد الفطر من عام (837هـ) (11 ماي 1434م) بينما كان الناس ينتظرون حروجه لأداء صلاة العيد، وهو في طريقه إلى تلمسان فأحصى ابنه وفاته، وتوقف عن مواصلة الرحف إلى تلمسان وحمل حثته وعاد بها إلى توس وكفى الله تلمسان وأميرها شره، وشاع يومئذ بأن الشيخ الهواري هو الذي دعا عليه.

وهذا إشاعة أخرى بقنها كثير من تلاميذه، ومنهم إسماعيل التاري والحافظ أبو راس وشاعت بعد ذلك وانتشرت في كتابات الأوروبيين، ومفادها أن الشيخ الهواري هو الذي دعا على وهران حتى احتلها الأسبان، وذلك أن بعض الناس من سكنا قصوا على ابن له هانح لمرض ألم به على ما يبدو حتى لقوه بالهانح، وقتلوه ورعموا أنهم حكفوا فيه الشرع الإسلامي، فسكت هو وتحمل المصيبة على مصص ولكن روحته غضبت وألخت عليه في الاقتصاص، وضربت له عدة أمثلة من الواقع حتى أثرت فيه حتى اتصل

بقائني فيه وراححهم، ورعموا له بأن انتهت استوجب القتل وطبقوا في قتله أحكام الله، فعرضهم وأكد براءة الله مما نسب له، واشتد عصبه فدعا على وهران بقوله: «روحي يا وهران فلسفة يا كثيرة لحوار والمعني والطارقة، يا دات الأهل الدعة السارقة، يا بي بعث بيعة نصاري ملقة وحالقة إلى يوم المبعث والتفتة، مهم ترحعي فأنت صائفة، ولما سأله أحد بلاميده قائلاً: والمرح يا سيدي، اسندرك وقل: والمرح لاحقك»، وهذا التلميح هو الشيخ إبراهيم التازي.

وفعلاً احتل الأسبان وهران بعد (72) عاماً من تزيح هذا الدعاء الذي لا يدري مدى صحته وسببه إلى الشيخ الهواري، الذي لا يرصى ولو مع عصبه بأن تسقط مدينته أو أية مدينة إسلامية أخرى في أيدي عدو نصري كافر خاصة في مثل تلك الظروف التي تكاثرت فيها نصاري الأسبان وغيرهم على احتلال واستعمار لبلدان الإسلامية في إطار الحروب الصليبية العبيصة، ولا فلا معنى لولايته وترهده، وعمله، وتديبه ونصوفه.

بقي الشيخ الهواري يواصل نشاطه الديني والثقافي والاجتماعي بوهران حتى توفي عام (1439م) (834هـ)، ودون بأسفل حي القصبة العتيق، وسي على قبره صريح ومسجد ما يزال قائم حتى اليوم، الضريح مرار، والمسجد عامر تؤدي فيه الصلوات الخمس، والجمعة، وبه تشتهر وهران حتى اليوم وتنسب إليه، ولكن الضريح يوجد داخله تابوت من الحطب، ولا وجود هناك لأية علامة قبر تحته بل هناك أرضية عادية، ودون معه عام (1944) مفتي وهران الشيخ بولحبال القسنطيني.

حول مدفن الشيخ الهواري

هناك عدة روايات متضاربة حول مدفن الشيخ الهواري، فرعم جان

كازوف في محلة جمعية الحفرافية والآثار لمدينة وهران عام (1926م) بأن حوش الشيخ الهواري المحاط بسور ما يزال موجودًا وقائمًا في قرية بني تالة قرب مدينة وهران، ولكنه لم يحدد مكان القرية بالضبط.

وأورد المقدم ديدي في الجزء الرابع من كتابه «وهران» عام (1931م) صورًا لأفراد أسرة رعم أنهم من أحفاد الشيخ الهواري عددهم أربعة أخذت لهم يوم (9 أوت 1931م) وهم: الهواري، وحامد، ومحمد، وبدر، يحملون جميعًا لقب بن سني الشير من الهواري، وروي عنهم بأن حدهم الشيخ الهواري مدفون في ضريح صديقه الشيخ سيدي سعيد بقرية حاسي العلة غرب مدينة وهران على الطريق المؤدي إلى عين تيموشنت وتلمسان، وأما الضريح والمسجد الحاليان اللذان يحملان اسمه بمدينة وهران فقد أسسها حميده: الحاح حاحي وحمو بوعرار عام (1793)، أي بعد عام من تحرير المدينة من الاحتلال الأسباني الأخير.

ومن أجل الريادة في التحري والتحقيق قمنا بزيارة إلى ضريح سيدي المسعود قرب قرية تارفة شمال قرية المالح على بعد حوالي (65 كم) من وهران صباح الخميس (5) ذو الحجة (1407هـ) (30 جويلية 1987م)، ولم نجد في الضريح سوى قبر واحد وبحواره مسجد صغير بدأ يتداعى سقفه، ولكن هناك على بعد بضعة أمتار منه آثار لقبر داخل تحويطة، محاطة بثلاثة جدران، ولم يحدثنا أحد لمن هو.

ثم قمنا بزيارة لضريح آخر غرب قرية تارفة بحوالي (4 كم) يحمل اسم سيدي الهواري صباح الخميس (25) ذو الحجة (1407هـ) (20 أوت 1987م)، ووجدناه داخل ضريح تهدم سقفه بفعل السلطات الاستعمارية خلال ثورة التحرير المشاركة الأخيرة (1954 - 1962) على ما قال لنا أحد

الرجال هناك، وأكد لنا رجل آخر في تارفة بأن هذا الولي الصالح ليس هو
 لشيخ الهواري الوهراسي، وإنما هو رجل آخر كان صديقاً وتلميذاً للشيخ
 يحيى بن عباد ودفن قرية سيدي يحيى ببلاد غمرة شمال قرية حمو بتدليس،
 كما أكد لنا بأن سي تالة يوحدون بين قرية زفير، وحمام بوحجر قرب سيدي
 بلعاس، وأن سيدي شافع يوحده قرب قرية عين البيضاء بجوار حاسي العلة
 على طريق حمام بوحجر.

إن الحقيقة ضائعة بين الأقوال والروايات، والأسان الذين احتلوا وهران
 ما يقرب من ثلاثة قرون حولوها إلى محتشد للجود الأسان وغير المرعوب
 في إقامتهم بوسبات، ولم يبقوا فيها أي أثر للمعالم العربية الإسلامية فكيف
 سدم قبر الشيخ الهواري ومسجده من التخریب اللهم إذا بلغت دعوته عليها
 باحتلالهم لها، وعندما تحقق لهم ذلك كرموه بالإبقاء على قبره وضريحه
 ومسجده، ولو أن هذه الرواية مشكوك في صحتها، لأنه مهما بلغ غصب
 الشيخ الهواري على سكناها فلا يُعقل أن يرضى باحتلال لصاري المسيحيين
 الكمار وهو رجل مربي وعالم وولي صالح متصوف، وإلا فلا معنى لعلمه،
 وتدينه، وتصوفه، وتزعمه لعلماء عصره.

والروايات العديدة المتوارثة عن دونه بوهران يصعب تكذيبها خاصة أنه
 عاش بها، وشهرت به ونقل ذلك تلاميذه وعلى رأسهم الشيخ إبراهيم ليازي
 وآخرون، ومع ذلك فالرأي الذي أورده ديدي حدير بالدراسة والبحث
 والتدقيق والله أعلم في الأخير حقيقة الأمر.

وقد أورد ديدي ملحق في كتابه المشار إليه آنفاً، يحتوي على أكثر من
 ثلاثين رسالة بين طويلة وقصيرة، تتضمن الأوقاف التي حبست على ضريح
 الشيخ الهواري ومسجده والكبمية التي يسمي اتباعها لصرف مواردها المالية

بعض هذه الرسائل لاشوات الحرائر، ولبعض لبايت دايت العرب الوهراني
والسبب لأشخاص آخرين أثرياء، أولهم قراءة بعثة الشيخ الهواري، وتواريخ
هذه الرسائل متنوعة بعضها في القرن (18م) والبعض في القرن (19م).

ومن خمسة من ترجم للشيخ الهواري، محمد بن يوسف الرياني، في دليل
الحيون، والأعداء المراري في صنوع سعد السعود، وأبو راس الناصر في رحلته.
واس مريم في الستات، ولحمدي في تعريف الحنف، ودليس في المحلة
الأفريقية (1984م)، ودرحيس في كومليمات، ودبستيق في المحلة الآسيوية
وذيدي في وهران، وحن كارناف في محلة الجغرافية والأثر لهران (1926)
وآخرون.

ومن يسمي تسخينه هو أن الشيخ الهواري رعم مركزه العلمي والديني
فإن ثقافته العربية ضعيفة فهو ينظم الشعر بالدارجة ويكتب كذلك بالدارجة،
وهو ما أدى بتدميده عند الرحمن مقلاتش إلى إصلاح أخطائه في كتابه «السهر
والنسيه»، ولكنه رفض ذلك وأصر على إبقائه لغة الدارجة على ما كانت عليه،
وبهر تدميده كما سبق أن ذكرنا، ورد عليه إصلاحه.

...

التعريف بالشيخ الحسن أبركان

(توفي آخر شوال عام 857هـ - 2 نوفمبر 1453م)

ينتمي إلى قبيلة مزيلة التي تنحدر من بني راشد، ومسقط رأسه قرية الجمعة على وادي يسر غير بعيد عن مدينة تلمسان، ولم يتحدث المترجمون له على تاريخ ولادته، ولكنه كان في نهاية القرن الثامن الهجري، وأمه مصمودية حضرت إلى تلمسان صحة السلطان أبي الحسن المريني ونزولها أبوه، وسكن بها قرية المصورة زمناً طويلاً قبل أن ينتقل بها إلى حي باب رير في مدينة تلمسان، حفظ الحسن أبركان القرآن الكريم في مسقط رأسه قرية الجمعة، ثم انتقل إلى تلمسان، واعكف على الدراسة ولتعم، وتلقى العلوم والفنون على أحده شيوخ وعلماء المدينة أمثال الشيخ إبراهيم المصمودي، والعالم ابن مرزوق الحفيد.

وعندما توفي والده رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ومضى على بحرية وتوقف بها مدة، وأحد العلم على الشيخ عبد الرحمن الوعليسي، ثم انتقل إلى قسطنطينة ودرس بها على الشيخ عبد الله المراكشي، ومن هناك انتقل إلى تونس، وليبيا، ومصر، ومكة المكرمة، أين أحد على الشيخ عبد الهادي، وبقي بالحجر خمس سنوات، ثم عاد إلى تلمسان واستقر بها مع والدته المسنة، باب رير وتابع دراسته على الشيوخ إبراهيم المصمودي، ويحيى المطعري، وسعيد، وعيسى أمريان، وأنقر علوم الحساب، والفرائض والفقه، والنحو، والمنطق، والسيرة النبوية، وتصدي لتدريس فأخذ عنه كل من الحافظ النسي، والشيخ محمد بن يوسف السوسني، وعبد الله التوتني، وأحرين، وقد عمرت والدته طويلاً. وعندما توفيت دفنها بعين وأبوتها حارح باب العبد،

وقصى هو حياته في التعليم والوعظ والإرشاد وأكبره سلاطين تيمسان
وأمرأؤها، وعلمائها وساروا في جوارته عندما توفي آخر شوال عام (857هـ)
الموافق ليوم 2 نوفمبر (1453م).

التعريف بالشيخ إبراهيم التازي

(توفي يوم 8 شعبان 866هـ - 9 ماي 1462م)

من مواليد مدينة تارة بالمغرب الأقصى، ومن قبيلة لست البربرية ولم تتحدث المصادر التي ترحمت له عن تاريخ ميلاده، والغالب أنه كان في أواخر القرن الثامن الهجري، وقد أوكله أبوه إلى الشيخ أبي زكريا يحيى الوارعي الذي اعتنى به كثيرًا، وحفظه القرآن الكريم ورعاه تمام الرعاية، ومن تارة انتقل إلى مدينة نلمسان وتعلم على الشيخ محمد بن مرزوق الحفيد الذي أجازاه، ثم انتقل إلى وهران وتعزف على الشيخ محمد بن عمر الهواري، ووثق صلاته به ومنها رحل إلى تونس وتعلم على الشيخ أبي القاسم عبد العزيز العدوسي، ثم شد الرحال من هناك إلى الحجار لأداء فريضة الحج عبر ليبيا ومصر، وفي مدينة مكة المكرمة أحد على الشيخ القاضي تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني القاضي علم الحديث، والرقائق وأحاره عام (830هـ) (1427م)، وعندما انتقل إلى المدينة المنورة أخذ على جماعة من العلماء بينهم الإمام أبو المنع بن أبي بكر القرشي في نفس العام والذي تلاه.

أتقن الشيخ إبراهيم التازي علوم القرآن، والحديث، واللغة وقواعدها، والأصول، والمنطق، كما أتقن تحويد القرآن الكريم بصوت حميل حتى أصبح يصرب به المثل ويصت إليه الجميع عندما يتنوه ويحوده، واشتهر بظلم الشعر في الرهد والتصوف، وكان له كفاش كبير من الأشعار متداول في الحجار، ولبس الخرقة الصوفية على الشيخين: شرف الدين المراعي، وصالح بن محمد الرواوي، ثم على الشيخ محمد بن عمر الهواري عندما عاد

إلى وهران.

ومن المشرق عاد إلى مدينة تلمسان بعد أن أذى فريضة الحج واستقر بها بعض الوقت، وأخذ على جماعة من علمائها أمثال الحافظ التسي والإمام السنوسي وعبي التلوتي، ثم تصدى لتدريس وتلمذ عليه أحمد رروق الذي أجازته عام (832هـ) (1429م).

ومن تلمسان انتقل إلى وهران، واستقر بها إلى جانب شيخه محمد من عمر الهواري، ولارمه طبعة حياته، واتحد لنفسه راوية خاصة بأمره، ونشط في التعليم والوعظ والإرشاد وتنقيح الأدكار، وتحدث عنه الرحالة القلصادي في فهرسته وذكر أنه اجتمع به في وهران. وعندما توفي شيخه الهواري عم (843هـ 1439م) خلفه في مشيخته ونشاطه العلمي والتربوي.

ومن الأعمال الكسرى التي أحررها إدخال الماء إلى مدينة وهران من ماسبعها البعيدة عنها، بعد أن اتفق مع أثرياتها على تقديم الأموال اللازمة لذلك، وحرى احتفال كبير بذلك الحدث الذي حمف على الناس عباء الإنيا بالماء من ماسبع البعيدة خاصة النساء اللاتي كن يقصبن ساعات طويلة من اليوم لإحضاره على ظهورهن بالقرب.

توفي الشيخ إبراهيم الباري يوم (8 شعبان 866هـ) (9 ماي 1462م) قرب صريح شيخه الهواري لمدة خمسين عامًا، وعندما احتل لأسباب مدينة وهران واتخذوا قبره محمرة، استنكر ذلك تلاميذه، ونقلوه سراً إلى قنعة هوارية التي تعرف اليوم بقنعة سي راشد، ودفنوه هناك وسو عليه قبة وضريحاً ما يزالان حتى اليوم مزارين خاصة بالنسبة لبعض السوي، وذكر الأع المراري في كتبه «طلوع سعد السعود» أن محل قبره بوهرا كان ما يزال محاطاً بحويطة يترك به الناس وذلك أواخر القرن التاسع عشر، ولكن هذه الحويطة غير

موجودة اليوم.

إن الشيخ إبراهيم التاري ذو ثقافة متينة، وله شعر عرير في أعراض شتى خاصة الرهد، والصوف، ودم لذيذ، يورد فيما يلي بمدح عذيلة ومنوعة منها، قل في دم الدنيا وزخرفها:

أما آن أروعواؤك عن شارب	كفى بالشيب زجراً عن عوار
أبعد الأربعين تروم هزلاً	وهل بعد العشية من عوار
فخل حفظك نفسك واله عنها	وعن ذكر المنازل والديار
وعد عن الرباب وعن معاد	وزينب والمعارف والعقار
فما الدنيا وزخرفها بشيء	وما أيامها إلا عواري
وليس يعاقل من يصفها	أنثري الفوز ويحك بالبار
فحب واخضع عذارك في هوى من	له دار النعيم ودار النار
جمال الله أكمل كل حسن	قلله الكمال ولا ماري
وحب الله أشرف كل أنس	فلا تنس التخلق بالوقار
وذكر الله مرهم كل جرح	وانفـع من زلال للأوار
ولا موجدود إلا الله حقاً	فدع عنك الصلق بالشار

وله قصيدة أخرى في ذم الدنيا كذلك:

يا صاح من رزق النقي وقلبي الدنيا	نال الكرامة والسعادة والغنى
فاصرف هوى دنياك واصرم حبها	دار البلايا والرزايا والعنا
ووداهها رأس الخطايا كلها	ملعونة طوبى لمن عنها انثنى
لا تفتـر بفرورها فمتاعها	عرض معد للزوال وللنفا

لعيب ولهو، زينة، تفاخر
خداعة، غدارة، نكارة
اليوم عندك جاهها وحطامها
فاقبل بصيحة مُخلصٍ واعمل
يدخلك جنات النعيم بفضلها
دار المقامة والمسرة والهناء

وله أيضًا من أخرى في ترتيب الوطيمة سماها الحسام:

حسامي ومنهجي القويم وشرعتي
محبة رب العالمين وذكره
وأفضل أعمال الفتى ذكر زبه
وما من حسام للمريدين غيره
وكم بددوا شلاً لذي جرأة وكم
وكم دافع الله الكريم بذكرهم
وأفضل ذكر دعوة الحي فلتكن
فكثرة ذكر الشيء آية حبه
وله أيضًا من أخرى رحمه الله
في مدح الرسول عليه الصلاة

والسلام - :

وخيرة الخلق مَنْ مِنْ أَجَلِهِ خَلَقُوا
من حصه بلواء الحمد حامده
ويوم حشر الوري للفضل يرشده
مُحمَّد خير محمود ومن حمدا
وبالمقام القيامي الذي حمدا
إلى محامد لم يرشده لها أحدا

وكثرة للحمد من أوصاف أمته
صلى الحميد على محمود أحمد ما
لله عبد شكور حامد وعلى
وله أيضاً من أخرى في الحث والهوى:

أبت مهجتي إلا الولوع بمن تهوى
هو أن الهوى عز، وعذب أجابه
وتعذيبه للصبّ عين نعيمه
ومن لم يجد بالنفس في حب حبه
وليس بحر من تعبده الهوى
فما الحب إلا حب ذي الطول والغنى
وخيرة رسل الله الفضل خلقه
وله أيضاً من أخرى:

روحي وراحة روحي ثم ربحاني
ومأمني وأمانني من معير لظي
ومسح أحمد أحمى العالمين حمي
إلى أن قال:

هذا السراج هو المنجي لمعتصم
يا رحمة الله إني خائف وجل
هذا المعاد وملجأ الخائف الجاني
يا نعمة الله إني مفلس عاني

وله قصيدة في مصحح المسلمين حذر فيها من أشياء ورغب في أشياء
سمّاها «بالصحيح التاء للحصن ونعم» . أولها:

إن شئت عيشًا هنيئًا واتباع هدى فاسمع مقالي وكن بالله معتصد
وتسمى بالدالية وقد علق عليها شرح صاحب البستان. وله قصيدة أخرى
أحرجها في الشوق إلى بيت الله الحرام أولها:
ما حال من فارق ذلك الجمال وذاق طعم الهجر بعد الوصال

قصيدة السمرادية للشيخ إبراهيم التازي

وله قصيدة أيضًا تقرأ مع وطيفته التي جمعها في الأذكار تقرأ في كل وقت
من ليل أو نهار، أولها:

مرادي من المولى وغاية آمالي دوام الرضا والعفو من سوء أعمالي
وتسمى باللامية، كما تسمى بالسمرادية وشرحها محمد الصواعق في
القرن لعشر المحري (16م)، وسمى شرحه عليها: شفاء العليل والمزادي
في شرح النظم الشهير بالمرادي، كما شرحها أيضًا ابن مريم في كتاب
البستان كذلك، ومنها جزء من أولها:

مرادي في المولى وغاية آمالي	دوام الرضا والعفو عن سوء أعمالي
وتنوير قلبي بانسلاال سحيمة	به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي
واسقاط تدبير وحوالي وقوتي	وصدقي في الأحوال والفعل والقال
وفي حبه وحب صفوته الرضا	ملائكة وأنبياء وإرمال
وحب النبي الهاشمي محمد	وأصحابه الفر الأفاضل والآل
وحب رجال خالفوا النفس والهوى	وخافوا مقام الواحد الصمد العالض
رجال كرام في النفوس تنافسوا	شروا عارض اللذات بالغاير العالي
فليس لهم في غير حب إلههم	غرام ولا في كسب جاه ولا مال

رجال كرام قسوتهم ذكر دهم
وشيمتهم ترك المطامع في الورى
على الصبر والإيثار راضوا نفوسهم
صدورهم من كل ضغن سليمة
هم القوم لا يشقى جلسهم بهم
فمذهبهم قتل النفوس ومحوها
وكل جبار قل أن يبلغ المنى
وكل بخيل فهو عنهم بمعزل
وغنم مريد بانقياد لكامل
هو السر والإكسير والكيما لمن
وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا
وقد قال لي لم يبق شيخ بفرينا
يُشير إلى أهل الكمال كمثل
ونس على حب التشبه بهم
وقد قال حب الأولياء ولاية
سليل شفيع الخلق يوم البعثهم
وقصيدة أخرى في مدح النبي ﷺ:
ياحسان ذي الطول أهل الكرم

قيامًا قعودًا في صدور وأقبال
فليس لمخلوق عليهم من أفضال
فكلهم نذب وحامل أقبال
كرام السعايا أهل سمح وأجمال
يحقق لمن ولأهم جر أذيال
فمن مات قبل الموت ليس بمقتل
وما عاملوا في فوزهم مثل بطل
فما يعبا الرب الكريم ببخال
له خبرة بالوقت والعلم والحال
أراد وصولاً أو بقا قيد آمال
وأخبرهم شيخى ومعظم إحلالى
وذا منذ أعوام خلون وأحوال
عليه من الله الرضى ما تلا تال
أبو مدين العوث المعاصرو التالي
ولي إله الشادلي ابن بطال
ومنقذهم من موبقات وأهوال
لي الحمد حمداً يوالي النعم

وقصيدة أخرى في الحجيج بلغنا الله ذلك المقام الشريف أولها:

ألفت هواك على قدم أسير إليك على القدم

وهي على حروف الهجاء من الألف إلى الياء، وقصيدة أخرى أولها:

رويدكم فما سمع بقابل لفي لاغ ولا يصفي لعاقل

وله قصيدة مشهورة بالزيارة أولها:

زيارة أرباب التقى يبرى ومفتاح أبواب الهداية والخير

وراد كات بهذه السحرة تمام القصيدة وهي:

وتحدث في القلب الخلق إرادة وتشرح صدراً ضاق من سعة الوزر

وتنصر مظلوماً وترفع خاملاً وتكسب معلوماً وتجر ذا كسر

وتبسط مقبوضاً وتضحك باكياً وترفع بالبر الجزيل وبالاجر

عليك بها فالقوم باحوا بسرها وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر

لكم خلصت من لجة الإثم فاتيا فآلقت في بحر الأنابة والسر

وكم من بعيد قربته بهجدة تفاجأة الفتح المبين من البر

وكم من مرید ظفرت به مرشد حكيم خير بالبلاد وما يبرى

فآلقت عليه حلة يمينية مطرزة باليمين والفتح والنصر

لزر وتآدب بعد تصحيح توبة تآدب مملوك مع الملك الحر

ولا فرق في أحكامها بين سالك مرب ومجلوب وحي وذی قبر

وذی الزهد والعباد فالكل منهم عليه ولكن الشمس كالبدار

وزورة رسل الله خير زيارة هم درجات في المكانة والقدر

1، لا توجد هذه التريادة إلا في نسخة السد (واسم ماركسي) وتتبع صاحب السد

وأحمد خير العالمين وخير من	يأمنه عارفون في العسر واليسر
وأمنته أصحاب الفر خيرهم	والفضل أصحاب النبي أبو بكر
ويستلوه فاروق أبو حفص الرضى	على وأي أهل السنة الشهب الزهر
وبالوقف قالوا في الهزبر أخى العلا	على وعثمان الشير أبي عمرو
وقالوا كترتب الخلافة فضلهم	وقد تم نظمي في المزور وفي الزور
على أنبياء الله مني ورسله	أحسبهم أزكى سلام عد الدر
وقرباه الصاحب الكريم وتابع	هم في التقى والبر والبصر والشكر

ودكر لي أحدهم بأن له مولديات وإشادات لا تحصى. وله أفق عبيها انتهى

من «المواهب المدسية في المقاب السوسية للملائي» انتهى

التعريف بالشيخ أحمد الغماري

(توفي يوم 12 شوال 874هـ - 14 إبريل 1470م)

أصله من عرب رباح، ولم يتحدث المترحمون عن تاريخ ميلاده، ولكنه كان في أواخر القرن الثامن الهجري، وسكن بظيرة وبلاد غمارة مع الشيخ الحاح موسى الطيوي، ونسب عمارة لكونه سكن بها وحذق لهجتها الزبانية، ثم انتقل إلى تلمسان واستقر بها وأحد العلم على الشيوخ. موسى الطيوي، وأحمد المناوسي، ومحمد بن بحلف، ومحمد بن عمر الهواري الوهراني، وأصبح إماماً في علوم القرآن، والحديث، والفقه.

وفي أوئل العشرة الرابعة من القرن التاسع الهجري (801) سافر إلى الحجار لأداء فريضة الحج مع ركب حجاج تلمسان ومر على نوس وحضر به دروس الشيخ العدوسي، ثم التحق بالحجار، وأدى فريضة الحج، وعاد إلى عدة حيث علم أن أحده نوحه إلى الحجار للالتقاء به.

بعد أدراجه إلى الحجار عمر نوس، ومصر، ولم يدركه إلا بمكة المكرمة فجع حخته الثانية، وعاد إلى تلمسان، واستقر بها وتحدث على مساحده مأوى له لأنه لم يكن يملك سكناً حاضياً به، ودأب على حضور دروس ابن مرروق الحميد، وكان يحيد تلاوة القرآن، وكان يتردد على مدن الحانية، وهين، وندرومة، ويُلازم أداء صلاة الجمعة في مساحده، ويتردد كثيراً على أسواق ندرومة ويسقي الناس به وكان يحضر يوم الحميس دثماً، ويحتظت ويسيع الخطب في الأسواق ليحصل على قوته من عمل يده.

وفي آخر أيامه أصيب بمرض الإسهال الذي يدعى آنذاك بالربوب
وتوفي يوم (12 شوال عام 874هـ الموافق 14 إبريل 1470م)، وسار
في جازته سلطان تلمسان وعنماؤه، وشعبه، ودوس بخلوته شرق
الجامع الأعظم الحالي.

نص المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله...

هذا الكتاب

روضة السرين في التعريف بالأشباح الأربعة المتأخرين

مما احتصره مؤلفه من كتابه الكبير المعروف باسم: «الحجم الثاقب

فيما لأولياء الله من مهاجر المصائب»، وهو: عبيد الله محمد بن أحمد بن

أبي الفصل بن سعد البصاري حفظه الله - .



أولاً: الشيخ محمد بن عمر الهواري المفاوي

(ص 2) بسم لله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

يقول عبيد الله محمد بن أحمد بن سعد - حفظه الله - :

الحمد لله حمد الشكرين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا كتاب احتصرناه من كتابنا الكبير المؤلف في أحوال الصالحين، واقتصرنا فيه على الشيوخ الأربعة المتأخرين إسعافاً لمن سأل عن ذلك من فضلاء لإخوان وأكابر الفقهاء بمدينة وهران، بشر الله أموراً وشرح للغير صدورنا.

والحفظ (ص 3) بسبقة التقدير والذكر، أولهم في الوجود وأحصهم بحلقة الحمد والشكر، شيوخ الشيوخ المشهود له بالتبني والرمح سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن عيشة بن سيد الحسن بن حير العياري المعروف بالهواري، رحمه الله تعالى ورصي عنه ونفع بركته.

هكذا وجدت منه بخط وارث مفاوي المحتضن بأسراره وعلومه سيدي إبراهيم التري. كان هذا الولي سيدي محمد الهواري رحمه الله آية من آيات الله في ذلك الزمان، وشيخ من مشايخه في المقامات والعرفان. (ص 4) سبق من الله العداة فجمع له بين العلم والولاية ورفاه في درجات التقوى إلى الغاية:

حوى من فون العلم ما أعجز الورى	فله منه ما حواه وما صا
وأيده منه النطق بالحكم التي	على كل قلب حائف أمست الحكم

فكانت بشأته مدد أئسته الله بشأه حسنة وأوصاه في صغره أوصافاً مستحسنة، تولى الله حفظه فكانت أحواله مكية على الهوى والرشد، مؤسسة على التوفيق والسداد، ما لعب قط مع الصبيان ولا شغله الدهر الذي كان يشتغل به أترابه من ولدان. (ص 5)

يمشي مع الصبيان وإذا يلعبوا نلبد عينا نرى نسكن فما نروح به لحد وحصل إلي من مواضع كثيرة في كلامه هذا الفصل من حاله في زمن صباه، وأنه كان موقفاً ماركاً من أهله إليه للتحيرات وحب إليه الطاعات، كما حصل إلي من كلامه حال والده فيقول:

* والد الشيخ الهواري:

كان والد سيدي عمر من حملة القرآن، ومن أكابر قومه وأفاضلهم معروفاً بالكرم والإيثار، وعلو الهمة في أمور الدنيا والآخرة، ومن عبو همته وفحامته قدره أنه لما من الله عليه بولادته لهد لولي الكريم عبد الله وتفرس فيه محابيل الفصل (ص 6) والصلاح تحير له من أوصل الأسندة رحلاً صالحاً فاضلاً عابداً اسمه: «علي بن عيسى».

* نشأة الشيخ الهواري وتعلمه:

قال سيدي محمد كان من أهل المعرفة والحدق بقراءة القرآن وشارحه على تآديب سيدي محمد وتعليمه القرآن، وقال له: يا عبي إياك أن تصحر هذا الولد أو تسوطه، فربي أرحو من الله أن يفرحني به ومنه أسأل تسديده ومعونته، فأحد المعلم في تآديبه وتعليمه فرأى عليه المؤدب أثر العصمة واستور في أحواله فطن أن ذلك من الله الذي يعترى أكثر الصبيان فشدد عليه في الرحر، وأمره بتعلم الحدق والنقطة وربما صربه على ذلك، فصر به والده سيدي عمر، قال له: يا فقيه لا تصربه ودعه على حاله فربي أودعته لحالقه (ص 7) -

سبحانه وتعالى . وإني أرحو من الله أن يجعله من الصالحين؛ لأنه ليس كالأولاد من يظن على طعم ولا شراب، ولا وقفت له من قط على كدية، فقال له المؤدب: كيف أترك تأديبه وهو على هذه الحالة من العقنة والمشية بالحفا، وعدم الحديق في أحواله، فقال له الوالد دعه على حاله فإن دبت من حملة التسديد والتوفيق الذي يشأ عليه الشاب الذي يحصه الله بولايته ويخصه لعبادته.

* رحيل الشيخ الهواري إلى كلميتو:

وكان سيدي محمد - رحمه الله - أحد من أنه الله الولاية صبيًا وصن له في الأفاق من صباه ذكرًا عاش، قل في بعض كلامه:

فكم رايت من بلاد وكم رايت من أخبار

(ص 8) وأنا صبي محفور لا كي نذكر (كذا)

ودكر في كثير من كلامه أن أول ما فتح الله به عليه أنه حرج من وطنه بعد حمله لقرآن وهو دون العشر من السنين، فدخل كلميتو فوجد بها شيخًا من أولياء الله في غار أو حلوة فدعا له أن يكون من أهل الطريق، فقبل الله دعوته ورقاه إلى درجة أولي التحقيق.

* رحلات الشيخ الهواري في البلاد.

ولما نال سيدي محمد من هذا الشيخ بغيته، وقبل الله فيه دعوته خرج من وطنه مهاجرًا إلى الله إلى سبيل أهل الإرادة مقلًا على طلب العلم والعبادة، فطاف في البلاد شرقًا وغربًا، وتحول في الصحاري الخالية البعيدة من العمران (ص 9)، وفي جرور الحر على قدم الحرير والتوكل، فكان في سياحته يحالط السبع والوحوش العديدة فلا يحاف منها، ولا يتحرك لا صره،

وهذا من أشرف المقامات في باب التوكل والاعتصام بالله تعالى.

* حكاية سيدنا موسى:

وهي أحبار سيدنا موسى عليه السلام - ، روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف يكون لعباد كما تريد؟ لا يعلمون ما تريد؟ فأوحى الله عز وجل إليه: «يا موسى من أفرء نفسه لي كان كما أريد. ومن شغل نفسه شيء دوى تركته وما أراد». فقال موسى عليه السلام: يا رب، كيف يفرء نفسه لك؟ قال: «وكل أمره إلي فان أفيه المكارة، وأصرف عنه المصار، وأكون له كهف، وأحرزه (ص 10) من عدوه، وأجعل له حلاوة من طاعتي، فإذا وحدها لم يرد سواي». فقال يا ربي، فكل عبادك كذا إذا فعلوا هذا؟ قال: إنما أفعل هذا بمن أحتر من عبادي وإني الفاعل لما أريد، يا موسى لو علمت عبادي كما علم بعضهم بعضا، ولو توكلوا عني ما أسبهم بهم الدين. ولو ظنوا النعم من عهدي ما ففروا نذا، وذكر أنه كان في أوقات سمره لا يتحد معه آفة من حديد، ولا يصحبه سوى دفاسه أو برفه وعكازه وهو العصاة، وعلى هذا كان عمل السلف الصالح من المنصوفة إذا سافر أحدهم لا تفارقه عصاه من افتداء بالنبى عليه السلام.

وهي كتاب العوارف، عن ابن عباس (ص 11) - رضي الله عنه قال: «التوكل على العصاة من أخلاق الأنبياء، كان نبي عليه السلام عصاة يتوكأ عليها، فمن قوله مسيرا لذلك في التنبيه:

وكم من طروق (كسدا) امشيت ولا حبست قط حديد

وقال في التنبيه أيضا:

فكم رأيت من بلاد والناس رأيتهم أردود

وقد كنت متوكل على الواحد المعود

وسكن في الخلا وحدي في العار الذي توجد

وحدي ساد تويدي أو بعض من الأعواد

(ص 12) ومن عرائب فوائد النوكل ما حكاه القشيري في كتاب الرسالة:
حدث أبو لقسم، عن ولي الله أبي حمزة الحراسبي، قال: جمعت ستة من
السير فيما أن أمشي إذ وقعت في نر هارعي بمسي أن أستعيت فقلت: لا،
والله لا أستعيت فما استكملت هذا الخاطر حتى مض برأس الشر رحلان، فقل
أحدهما للأخر: تعال حتى سد رأس هذا الشر لثلا يقع فيه أحد، فأنوا بقص
وبأربة (كدا)، وطمسوا رأس الشر، قال: فهمت أن أصبح، ثم قلت في نفسي:
أشكو إلى من هو أقرب مهمما، وسكت فيهما أن كذلك بعد ساعة وإذا شيء
جاء، وكشف عن رأس الشر وأدلى رحنه حتى وصلت إلى ثم همهم ففهمت
من مهمته أنه يقول لي: نعلو بي فتعنت به، وأخرحي (ص 13)، فإذا هو سجع
فتركي ومر، فيهما أن أنظر إليه داهب وإذا بهاتف يقول: يا حمزة أليس هذا
أحس؟ حينك من التفت باللف وتصرفت وأأقول:

نهاني حياتي منك أن أكنم الهوى	واعبتي بالهم منك من الكشف
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي	إلى غائي واللف يدرك باللف
أراك وب من هبتي لك وحشة	فتؤنسي باللف منك وبالعطف
وتحيي محباً أنت في الحب حقه	ودا عجب كون الحياة مع الخف

* رحيل الشيخ الهواري إلى مدينة بجاية:

(ص 14) وكان مداً قراءة سيدي محمد بمدينة بجاية دخلها بعد صومه ستة والله أعلم، فقرأ بها على أعلامها الحلة عيّن منهم الإمامين: سيدي عبد الرحمن الوغليسي، وسيدي أحمد بن إدريس.

وكلام سيدي محمد في مطوماته ملآن بالثناء على أهل بجاية، وذكر محاسنهم في الإيثار والصدقات، واشتمالهم على العربء، وحسنهم للفقراء ومحافظتهم في معاملاتهم على الربا، وصرّح في كثير من كلامه أنه لقي بها جماعة من العلماء أهل الصدق والورع أحاروه في جميع العلوم، ومن إشارته لذلك: وعدي إحارة وأنا صبي دون لما.

وكان يحدث عن أهل بجاية بمراتب كثيرة في باب (ص 15) الصدق والورع، ويقول: ما لقيت مثلهم في غيرها من البلاد، وفي بطنه المسمى بالتسهيل قوله:

لو وصفت لك ما ريت في بجاية وهي ها

بلد الورع والعلم وتراي حقيقا

فأقام بها مدة أعوام مواصلاً الحد والاحتهاد في قراءة العلوم المقول منها والمفهوم، واستظهر هناك حفظ كثير من الكتب قل أن يحفظها غيره.

* سفر الشيخ الهواري إلى فاس:

ثم لما أخذ في درس المدونة السراعية وبلغ فيها إلى كتاب الصيد سافر من بجاية مغرباً لمدينة فاس، وقد جرت عادة الله مع أوليائه أن يحرك خواطرهم للأسفار ليردادوا يقيناً بالاستبصار في أشعة الأنوار (ص 16)، ومن فوائد ذلك عند أرباب القلوب ابتداء قطع المألوفات، والاستلاخ من ركوب

النفس إلى ما تعهده من المعلومات، والتعامل عليها في تجرع مرارة فرقة
الأهل والأوطان، واحتساب الصبر عملاً ألفت من مفارقة الأقران، مع ما فيه من
دلائل التوحيد وهو التفكير في رؤية القدر والآثر، وتسريح النظر في مساريح
المصنوعات بالتدبر والاعتبار.

وقد أوصى به الأئمة والأدباء في أشعارهم، أشد محمد بن مرزوق
الرعمراني في كتابه الدليل لمحمد بن إدريس الشافعي قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى	وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
(ص 17) تفرح هم واكتساب معيشة	وعلم وآداب وصحبة واحد
فإن قيل في الأسفار هم وغربة	وقطع ليالي واقتحام شدائد
فموت الفتى حير له من مقامه	في أرض العدا ما بين واش وحاسد
وأنشد قول الشاعر:	

وطول مقام المرء في الحى محلق	لدياحته فاعترب يستحدد
(ص 18) ألم تر أن الشمس زبدت حبة	إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

وأنشد ابن الربيع الأشعري لحمد بن هبة الله الحراني:

قالوا نراك كثير السير مُحتهداً	في الأرض تنزلها طوراً وترتحل
فقلت لو لم يكن في السير فائدة	ما كانت السبع في الأبراح تنتقل

فوصل سيدي محمد - رحمه الله - إلى مدينة فاس، ولوحه في كتاب
الصيد من المدونة فدخلها فقيراً لا يملك شيئاً، ولا يدوي على سبب بنية
صادقة في طلب العلم ولقاء مشايخ الوقت وفي ذلك يقول:

دحلت فاس غريب وقد آويت للسعا	وقد نشتهي خبراً أو من كسكسو شعا
------------------------------	---------------------------------

(ص 19) فأخذ بها عن الشيخ الإمام حافظ المغرب سيدي موسى العدوسي، وعن رعماء الفقهاء والمتكلمين سيدي أحمد القناب، فأقام بمدينة فاس لقراءة عليهما خمسة أعوام معروف عند أهلها بالعلم والديانة عظيم القدر، معروف المكاة.

وكان مشايخ الوقت يعظمونه ويحفظونه على صغر سنه بالسيادة، ومن قوله في تبصرة السائل:

بلدا دخلت نصيب أناس تألف يل مثل الأمير يعرف بالداخليل

وقال في نظم المسمى بالكافية: وسيد من صغري كالنقة.

وبعدسة فاس كمل حفظ المدونة وهو حينئذ (ص 20) ابن خمس وعشرين سنة، وحدث سنة ست ومئتين وسبع مائة، وكان طلبة فاس يقرؤون عليه القرآن ولكتب العربية، والفقه، ويتحدثون أنهم ما رأوا أسرد من قراءته ولا أفيد من تعليمه.

وهي هذه السنة نظم كتابه المسمى «السهر في أحكام الظهارة والصلاة» وهو من أجمع الكتب لأحكام مسائل الظهارة والصلاة، وأعظم فائدة وأعمده بركة، وسمّاه في بعض كلامه: بالمؤانس.

* نقله إلى الحجاز لأداء فريضة الحج

ولما حصل سيدي محمد من القراءة ما يحب تحصيله أراد أن يكمل من الفرائض الخمس ما يحب عليه تكميله، فأعمل الرحلة شرقاً لأداء فريضة حجة الإسلام، ولقاء من هناك من أكار العلماء الأعلام (ص 21)، فذكر أنه دخل مصر فأقام محاوراً بالحرمين الشريفين مكة والمدينة عدة أعوام، وكان

سكناء في مكة المشرفة برباط الفتح.

*** سفره إلى بيت المقدس:**

ثم سافر إلى بيت المقدس ليكمل له فصل الصلاة في المساحد الثلاثة وزيارة ما بها من المشاهد المعظمة، قال في مطوفه المسمى بالتسهيل:

في الشام ريت أخبار قلو كنت نتمنا نسكن حليل الله أوحاع بني ما
من الله علينا برؤيتهم وأعاد علينا من بركاتهم

*** رجوعه لمدينة وهران واستقراره بها**

وبعد رجوعه من البلاد الشرقية برل بمدينة وهران، لما سبق له في الأول من عبو المكانة ورفعته الشأن، واستقر بها قراره، وصممت بها داره، وحلّس (ص 22) به لشتر لعدم وثقه والدعاء إلى الله تعالى، وسمع الحلق على يديه وظهرت عليهم بركته، وفعلت فيهم سريره الصالحة وبيته، ولم يكن في رماه أحرص منه على العبادة ومجاهدة الصيام، والقيام صبرا محتسب، في دعوة لحق إلى الله المعبود بحق، على سن الرهد الفقهاء سالكاً سبيل المتعبد من الصلحاء إذا رآه لاطر تبيت له ولأبيه، وظهر له أن حبر السعيات سعائه وذكره مرآة قول السي رحمته لمن قال له من أولاء الله قال: اندس إذا راووا ذكر الله.

وكانت محالسه محالس رحمة، وخواص أصحابه كنهم أولياء (ص 23)، فتارة بحوف الناس بالأعلان وأنوع العقوبات لشي أعدها الله للعصاة، فكاد قلوب الحاصرين تمطر ونششق من الحوف. وينسرخ الناس إلى الإقلاع والتوبة، وتارة لهم بذكر سعة رحمة الله، وبرحيهم في كريم عموه، وحميل إحسانه وطويل عمره، ويميههم بما عده من كثرة لثواب.

ولثما علت سنه وتقرب إليه كانت محالسه في التشير وفوائد التسيير،

ودكر ما عند مولانا مسجانه من سعة العفوان، والتجاوز عن السيئات وأن الله لا يضيع أجر المحسنين، لأنه لم يبق عند الله إلا الطمع في رحمته والربة فيما عنده.

(ص 24) حدثني جماعة من الثقة أن سيدي محمد عليه السلام كان إذا جلس في مجلسه يتكلم على الحواظر، ويحشر الناس إليه فيكشهم بأحوالهم ويطلعهم على حمي أسرارهم وشاع ذلك عنه، وتحدث الناس عن بركته فكان المسافرون ودو الحاجات يقصدون مجلسه، وكل قد أصغر حاجته في نفسه من سمر أو تروح أو غير ذلك، ثم يأخذ في الكلام المرسل من غير أن يحاط به أحزاً معين ويصير الأمثال بذكر عرائب الأحوال، وإطلاعه على عجائب الأسرار، فيقع حجاب كل من الحاضرين، فيصرف بحوانه وقد عرف وصف حاله الذي سأل عنه في نفسه وسميت حاجته التي وسمها بمثاله (ص 25)، ووسمه إلى غير ذلك مما تنهي إليه أحوالهم وتسمو إليه آمالهم، وفيهم من يتواحد ويحدد النوبة مع الله، وكانت القلوب تعمل كثيرًا لكلامه، وترق لموعظته وتأثر لتذكيره.

وكان إذا حصر مجلسه الأعياء وأرباب الدب دعاهم إلى الله بطريق الخوف وذكرهم بآيات الرجا، وحسن الظن بالله، وإذا حصره أهل الصحة والعافية من النحر ذكرهم بطريق الشكر، وحصلهم على إحراج الركة وأنها مظهرة للمال، ثم يندبهم لترك المعاملة مع من علب عليه الحرام ويصرهم بفائدة طلب الحلال (ص 26).

فيصرف أهل مجلسه وقد أحرروا من الخيرات آمالاً وحصلوا من مسائل التكليف وأسرار الأعمال أقوالاً صالحة وأعمالاً، وكان مع ذلك لا يحلني مجلسه من معاوضة علمية، ومحاضرة أدبية ومذاكرة صوفية.

حدثني جماعة من الأصحاب أنه كان ربما يعرض لطلبة العلم من أهل وهران وتلمسان وغيرهم من سائر البلدان كثير من المسائل العويصة فيستفتون فيها شيوخ الوقت ولا يحدون عندهم شدة عليهم فيقصدون مجلس الشيخ سيدي محمد ويحصبون في حمة من حصر من الناس وقد أصمروا ثلث المسائل العويصة على اختلاف أديبها. فإذا أحد الشيخ على عادته في الكلام حرج (ص 27) إلى تلك المسائل وأسرع الجواب عنها وأوضح مشكلها معرفة في قلب الوعظ، فيقصي منه العجب، ويهت الحصبون لسرعة جوابه، وحشده من لأفوال على أكمل ترتيب ويستعربون لطافة تحبسه من المسائل إلى ما هو بسيله من الوعظ.

وكان - رحمه الله - من حسن طهر نائباً على ترك الدنيا والانقطاع إلى الدار الآخرة، راهد، فيها حقيقياً بظاهرة ووطه، تاركاً لها نفسه وحوارحه لا يميل إلى شيء منها، معرضاً عنها بنفس طيبة ركية، وهمة عالية، وكان راهد في مطعمه ولذته. أما الطعام فكان أكله - رحمه الله - قلباً، وكان يسوي به التقوية على طاعة (ص 28) الله ليكون مطيعاً للأكل، ولا يقصد به التعم في أطيب الطعام، وإن كان من المباح، فمقامه - رحمه الله - أكرم من أن يأكل شهية، وصرح في كثير من كلامه أنه ما شبع قط وأنه لا يمد يده إلى الطعام إلا وهو حائض محتاج إليه، لأن الشبع من البدع المحدثه بعد النبي ﷺ، ومث يسمع من القيام بحق العودية كالصلاة وغيرها.

وتع في ذلك قوله ﷺ: «حسب ابن آدم لقيمات يقص صلبه»، وكان أكثر أكله الخمر، وفي الحديث عنه ﷺ: «أكرموا الحز فيه نزل من بركات السماء»، وأحرج المسعودي، عن يزيد، عن ابن عوف، عن أبيه، عن حده، أن رسول الله (ص 29) ﷺ قال: إذا وضع الحز فأرتعوا، وحير مراعيكم لحبر، ولكل

شيء مرعى، وعمرى ببي آدم الخسر، والحووع من صفات أولياء الله وأرباب القلوب».

كان أبو سليمان الداراني يقول: «مفتاح الدب الشع، ومفتاح الأحرة الحووع»، وروينا عن سهل بن عبد الله أنه لما حلق الله الدنيا جعل في الشع المعصية والجهل، وجعل في الحووع العلم والحكمة.

وفي أحبار داود عليه السلام: «أوحى الله إلى داود - عليه السلام - أيا داود حذر وأندر أصحاث، أكل الشهوات فزاد القلوب المتعقبة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة».

وأم الناس فذكر في كثير من مطوماته أنه ما كان (ص 30) عليه في تحوله سوى ستره وكساء من صوف، حتى أو سلهم، ومن قوله في ذلك:

كست بالخمى بمشي ولباسي أيضاً سترًا

وحير الررق ما يلقي أن الصر للفقراء

وفي بعض مطوماته أنه دخل مصر ثوب حلق من صوف مقتدياً في ذلك من تقدمه من زهاد الصوفية، إذ يلبسهم ثياب الصوف سميت صوفية عند المحققين نسبة إلى طاهر حالهم، يقال: تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال: تصمص إذا لبس القميص، إما وقع احتبارهم على لبس الصوف لكونه أرقاً، ولأنه من لباس الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فقد روي عن حديث أنس بن مالك (ص 31) قال: «كان رسول الله ﷺ يحب دعوة العبد، ويركب الحمار، ويلبس الصوف».

وروي أن عيسى عليه السلام - كان يلبس الصوف والشعر، ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى، ومن حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كنتم الله موسى عليه السلام - كان عليه خة صوف وسراويل

من صوف، وعمامة من صوف، وبعلاً من حلد حمار غير دكي،
وكانت الصدقات والصدور ترد عليه من آفاق لبلاد فيخرج دنت من يده
لوقته ويصرفه لمن يستحقه، ولا يعود شيء منه على نفسه، وكان هذا حتى
في الكتب العنينة، فهمت هذا عنه من مواضع كثيرة (ص 32) في كلامه هذا
مع حبه في العلم وشغفه به وملازمته إياه، فكان من أمره الله يحفظ ما قرأه
وحصله فكان لا يفتر في محالسه العنينة تواليه في الفقه، والمنازل،
والآداب، إلى مطالعة كتاب ولا مراعاة شيء بجميع العلوم، ونحصله منها
المقول والمفهوم، وما كان يصلح في ذلك سوى مجرد فكرة السليم، وبطرة
المسند القويم.

ورحم الله الإمام الشافعي حيث قل أشدهما له الماوردي في كتبه
«آداب الدين والدنيا»:

علمي معي حيث ما يمت بعني

قلبي وعاء لا له بطن صدوق

إن كنت في البيت كان العلم به معي (ص 33)

أو كنت في السوق كان العلم في السوق

فكان على عدة أمثاله أولياء الله الدين وصلوا إلى سبط القرب
والمشاهدة، وبلغوا بقلوبهم إلى درجة أهل المعرفة والحكمة، فعرفوا الله
بجمال الربوبية، وإخلاص العبودية.

فسيدي محمد - رحمه الله - من تحرد عن ساس الدنيا، ورتدى برداء
أهل الخصوصية والحياة، ووقف بين يدي الملك الحق الأعلى قنلاً بلسان
أهل الخوف والرحاء يا من يرى ولا يرى، عندك واقف يبيت بلا الدنيا، ولا

نفس ولا هوى.

الأنس بالله لا يحويه بطال وليس يُدركه بالحول مُحْتال
(ص 34) والآنسون رجال كلهم بحب وكلهم صفوة لله عمال

* تنبيه:

لعل الواقف على هذا الكلام في ذكر تحقيق رهادة هذا الولي رحمه الله - يقول: كيف يطلق عليه أنه من الراهدين، وقد كانت له روحة وأولاد؟

والجواب: أن تروجه كان من كمال ولايته - رحمه الله - ؛ لأن القيم بحق الزوحية والأولاد على طريقة الرهد والورع في الإنفاق عليهم وأداء حقوقهم لا يحسه إلا أفراد الرجال المتصفين بصفات الكمال.

هذا سيد علي - عليه السلام - كان أرهد الصحابة - رضون الله عليهم - ، وقد كان له أيام خلافته وأيام (ص 35) حروبه مع الخوارج وغيرهم أربع مئة وسبع عشرة سرية، وكان عند الله من عباس رضي الله عنه يقول: «حير هذه الأمة أكثرها باء»، وكان صفان الثوري يقول: «كثرة الباء ليس من الدنيا في شيء».

وفي الحديث عنه عليه السلام: «ليست الرهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا بإضافة المال، ولكن الرهادة هي الدنيا أن تكون بما في يد الله تعالى أو ثقل منك بما في يدك».

وكان هذا الشيخ - رحمه الله - مثل أحد نفسه يطلب لحلال، وكان لا يتفوت إلا بما عدم حليته على أتم وحوه الكمال، وطلب الحلال هو أصل هذه الطريقة، وعليه سدد علماء الشريعة والحقيقة (ص 36)، وهو من فرائض الدين وأصول الإسلام.

قال أبو حامد: مثل الطعام الحلال من الدين مثل الأساس من النيان، فإذا أثبت الأساس، وقوي استقام البناء وارتفع، وإذا ضعف الأساس من النيان واعوج تهدم النيان ووقع، وكان أفاصل الصدر الأول يوصي بعضهم بعضاً بالمحافظة على القوت من الحلال، ويقولون: أن هذه الأنفس لا تستقيم إلا بأكل الحلال، وكان طعام سيدي محمد - رحمه الله - في المفاور والحدوات، الحشيش والسات، ويقول هذا العيش هو أطيب الطيبات، فإذا ورد الحاضرة وبلاد العمران وكل أمر غدانه إلى من يثق به من معارفه أهل (ص 37) الولاية والعرفان.

وقد أرشدنا الله تعالى في كتابه العزيز إلى طلب الحلال، وفدّمه على العمل الصالح، فقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: 51]. جاء في تفسير هذه الآية أن المراد بالطيبات: الحلال.

وفي الحديث عنه ﷺ قال: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم، وحدث عبد الله بن المبارك، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إن الله - عز وجل - طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله - عز وجل - أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال - عز وجل - ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ إني بما تعملون عليم».

(ص 38) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 172]. ثم ذكر الرجل يظن السفر أشعث أعرج يمد يده إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فإني يستجاب له.

وفي الحديث عنه ﷺ: «العادة عشرة أحرأ: تسعة منها في طلب الحلال».

وروى عنه عليه السلام أنه سأل بعض أصحابه أن يدع له فيكون مستجاب الدعوة. فقال له: «أطيب طعامك يستجب دعاؤك».

وفي بعض الآثار «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام، لم يقبل الله صلاته ما دام الثوب عليه».

وعنه عليه السلام: «من اكتسب مالا من (ص 39) حرام فإن تصدق به لم يقبل منه. وإن مات وتركه كان زاده إلى النار».

وعن كبير الأولياء في وقته سهل بن عبد الله التستري: «من أكل الحرام عصت حوارجه شاء أم أبى، علم أم لم يعلم، ومن كذب لقمته حلال أطاعت حوارجه ووفقت للحيراث». وفي كتاب الرسالة: عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول: «أطيب مطعم ولا عيب لا تصم لغير ولا تقم الليل»، وفيما رويته عن الحليلة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أنه ورث بين يديه وعاء من صيب المسك أتى به في العشاء فتورع عن أن يصل من رائحته إلى أنفه قبل فمه عن المسلمين. فكذب يده إلى أنفه مدة الاشتغال بوجهه فقبل (ص 40) له في ذلك، فقال: وهل يتفع منه إلا برائحته. ورحم الله القائل.

المال يذهب حله وحرامه طرا وتبقى في غد آثامه

ليس التقى متق للاله حتى يطيب طعامه وشرابه

ويطيب ما تحوي وتكسب كله ويكون في حسن الحديث كلامه

نطق النهي لنا عن ربه فعلى السي صلاته وسلامه

وفي الصحيح، ومن كتاب لآبي داود نقلت لكونه من محفوظات هذا

الشيخ رحمه الله، حدث أبو داود بسنده عن العمان بن بشير، قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور

متشابهات، ولا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات وقع في الحرام»

هذا الحديث الكريم أصل في معرفة الحلال وطبب الورع، ومعنى قوله: «وبينهما أمور متشابهات»، أي: أنها تشبه على بعض أصول الشريعة؛ لأن مولانا سبحانه وتعالى - لم يترك شيء سبق في علمه وقوعه إلا وقد بين سبحانه وتعالى - وجه الحكم فيه بيانا شافيا. إما في كتابه المثل أو على سبيل المثال، أو لسان أصحابه وأتباعه الذين اتبعوه بإحسان.

وبيان ذلك أن الأحكام التي خاطبها الله بها على قسمين:

قسم ظاهر: ومعناه (ص 42) حلي يعرفه عامة الناس.

وقسم غير ظاهر: ومعناه حلي لا يعرفه إلا خواص الناس الذين جعلهم الله قادة ورسخت أقدامهم في معرفة الاستنباط والتأويل، وعرفوا طريق القياس برد الشيء إلى المثل والتطبير، وإذا صار هذا المعنى الحلي معلوما عند الراسخين في العلم فليس لمشته في نفسه.

فالواجب على من وقع في الأمر المشته أن يتوقف فيه ولا يقدم عليه إلا بصيرة واضحة من عالم عرف علمه ودينه واستند ورعه وبقيته، احذر أن تقلد فيما اشتته عليك بعض هؤلاء الفقهاء الذين بصروا أنفسهم للفتوى طمعا لرياسة والظهور الديني، وحرصا على جمع حطام هذه القباية فإنهم ليسوا من علماء (ص 43) الأحرار، وقد غلب عليهم الطمع وخب الرياسة، فصبوهم فارعة من الخوف والورع فهم من الشبهات التي أمرك النبي ﷺ بتركها وحذر من الوقوع فيها، فالحذر الحذر من الوقوع فيها، فالحذر الحذر من هذه صفتها، واقصد أهل العلم والدين كما قال سيدي محمد في بعض مضموماته:

من لا يعرف الله لا تعرف واحذر منو واتق
مع شيخ عارف والعلم من أهل الدين يستقي

فانظر إلى نهى الشيخ - رحمه الله - عن معرفة من لا يتق الله وكأنه أشار إلى الحديث الذي أخرج أبو داود في سننه، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي».

(ص 44) فقد نهى ﷺ في هذا الحديث عن صحة من ليس من أهل التقوى، فلا تقلد في فتواك إلا من عرف بالدين والتقوى، واحذر من لا يتق الله، فلا تتخذه حيث ولا نطاعمه، ولا تخلطه، وإنما خص ﷺ «المطاعمة» بالذكر لأنها تدعو إلى الألفة والمودة في القلوب.

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «إن لكل شيء معدن، وإن معدن التقوى قلوب العارفين» لأنهم عقدوا عن الله عز وجل أمره ونهيه.

وأما قول الشيخ - رحمه الله -: «والعلم من أهل الدين يستقى» فاعلم أن أهل الدين الذين أشار إليهم هم العالمون بالله المحصلون (ص 45) في أعمالهم الصادقون في أحوالهم الذين أظفهم الله على عبوب النفس التي هي بالسوء أماراة، ولم يعرفوا بما تربيته لهم من مبادئ، وكان الشيخ - رحمه الله - في وصاته (كذا) هذه وقف على آيات الفاصل الراشد أبي موسى عيسى بن عمران السمساني يوصي ولده في قصيدة طويلة منها قوله:

والعلم كونوا يا بني من أهله فالعلم أفصل ما رأى أن يكسب
فتعلموه لدينكم ومعادكم وذروا أناساً صيروه مكسباً
فلهم أشد من اللصوص مصرةً ولهم دناب يأكلون الأذوبا

وفي أخبار يحيى بن يحيى البجلي علم الأندلس في وقته (ص 46) قال: سمعت الإمام الليث بن سعد يقول فيما يعظ به **الله** **الله** عليكم بالعلم وطنه، وإياكم وشهوته، قال: فقلنا له: وما شهوته يرحمك الله، قال: شهوته أن تسرعوا الجواب فيما سئبت فتعجبكم أنفسكم بذلك فتدعوكم إلى أن تدخلوا

في دين الله ما ليس منه.

وحدث عبد الله بن وهب عن شيخه الإمام مالك، قال: روينا عن ابن عباس، أنه قال: «من أفتى الناس فيما يسألونه فهو محنون».

وعن بعض العارفين: «من لم يكن قصده في العلم والعمل إرادة الله - عز وجل -، لم يرشد قلبه، ولم تصل إليه موهب أولياء الله ولو كان معه علم الثقلين، وعمل المقرين حتى يحصل الية لوجه الله، لأن الإخلاص في العلم والعمل أصل فرائض (ص 47) الدين، وعليه مدار أولياء الله المحققين لقوله تعالى مخاطباً لسيده ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَآغْنِيَ اللَّهُ بِخُصْمِكَ الْبُزْءَ﴾ الآية الذين الخالص ﷻ [الرمز: 2، 3]. فمن عمل بالإخلاص أو قال به أو دعا إليه أو رغب فيه، فهو من الدعاة إلى الله عز وجل، وإلى دين الله وإلى سنة رسوله ﷺ، إذ للإخلاص بالأعمال في هذا الرمان فريضة دراسة وشرعية ينابيعها يابسة».

وقد احتجبت أنتم في قوله ﷻ «طلت العلم فريضة على كل مسلم»، ما هو هذا العلم؟ فقال جمهور الصوفية: هو طلت الإخلاص في الأعمال، ومعرفة آفات النفس وفساد الأحوال (ص 48)، وفيل هو علم الفقه، لأنه يشتمل على علم الحلال والحرام.

لأن أكل الحلال فريضة، وفيل: هو علم التوحيد، وقال الشيخ أبو طالب: هو علم الفرائض الخمس التي هي عليها الإسلام، فاتوحيد أولها، والإخلاص داخل فيها لأن صحة الإسلام لا تكون إلا بالإخلاص، وروى في الأحاديث المسلسلة بالسند المتصل عن الحسن البصري قال سألت خديجة بن اليمان عن الإخلاص ما هو؟ فقال سألت رسول الله ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سألت حبريل - عليه السلام - عن الإخلاص ما

هو؟ فقال: سألت رب العزة عن الإحلاص ما هو؟ فقال: أيا حريبل، هو سرُّ من سري، استودعته قلب من أحببت من عبادي».

وفيما رواه (ص 49) من أحوار سفيان الثوري أنه قلنا: «ما من عمل أفضل من طلب العلم، إذا أحلصت النية فيه»، قيل له: يا أبا عبد الله، وأي شيء إحلاص النية؟ قال: أن يكون له عقد صحيح أنك ما أردت به إلا الله - عز وجل - وثواب الدار الآخرة».

وفرأت في كتاب الهداية، روي عن بعض أكابر العلماء أنه قال: أكثر ما يقع سوء الحائمة ثلاث طوائف من الناس:

الطائفة الأولى: هم العلماء الذين يتحكمون في كسب الله - عز وجل - وشئة رسوله ﷺ بعقولهم القاسدة، وآرائهم التي ليست بقاصدة، فكل ما أحوارتهم عقولهم أحرروه، وما رده رذوه، فبإيمانهم يتقل حيث انفت بهم عقولهم، فأول آية تظهر لهم عند المعايمة (ص 50) لا تقومها عقولهم لصعها وفدها وعده تشته لأنها كانت مستفلة غير ذتة قبل ذلك فيطمن نور إيمانهم كما ينظم المصباح عبد احتراق الفتية، قال الله - عز وجل - ﴿ فَلَمَّا رَغَوَا أَرَعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِينَ ۝ ﴾ [الصف: 5] وقال تعالى: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ إِلَيْكَ ءَامُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ وَيُصِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴾ [إبراهيم: 27] فكل من حكم عقله في كتاب الله - عز وجل - وشئة رسوله ﷺ فما أحواره عفته أجزه وما لم يجره رذه، فقد جعل أحكام الله - عز وجل - تابعة لعقله فلذلك حان الله بيه وبين عقله عند الموت، وعند سؤال الملكين (ص 51) إياه في القبر.

والطائفة الأخرى: هم أهل النكر والحسوت المكربين لكرامات الأولياء

في الدنيا والآخرة، فمن تكرمه الله بولايته وحضه بكرامته فإن تكبر كرامات الله عنده، فبما أنكرت هذه الطائفة كرامة الأولياء وتكبروا على عبادة الله بما سؤلت لهم أنفسهم الأمانة بالسوء - تكبر نهم عبد الله كرامة، وعوضهم منها الخزي والتدانة.

والطائفة الثالثة: هم المناق المتمردون على الله في بلاده وعبادته المصرون على كسر المعاصي، العاقون عن التوبة إلى أن يأخذهم منك الموت بالسواصي، فهم إذا أدركهم الموت وعدموا أنهم من الأموات تأنوا إلى الله عز وجل (ص 52)، فلم تمنعهم توبتهم لما عنت عنهم شفوتهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٥٢﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَصَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧، ١٨﴾. فبمثل هؤلاء تقع سوء الخدمة، فسأل الله لعافية، والسلامة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

ومن فصل هذا الشيخ رحمه الله، الدل على ما له من الكرامة عند مولاه أنه ما كذب قط، ذكر الكثير من كلامه، قال في منظومه المسمى بالتسهيل: (ص 53)

كنت صبي نقرا وأنا يا صبي نها الناس على العار ولا أور رأت لي شبهة
إذا رأيت من يكذب بالعمل أو من يسا تتركوا بالكل إن الكذب هو شوها

لا حرم أن الكذب معدود في كبائر الذنوب كما أن الصدق معدود في الدرجة الثانية من السوء، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

الْيَيْتَى وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ [النساء: 69]. والصديق هو الكثير الصدق وصدق واحد الصدق هو الإخبار بالشيء على حقيقته ما هو به، كما أن حقيقة الكذب الإخبار بالشيء على ما ليس هو عليه. وبالصدق وصل الأولياء (ص 54) إلى درجة الصديقية، وقد أمر الله بالصدق، فقال: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّمَا اللَّهُ وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة 119]. كما أثنى عليه في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33] فالصدق من صدق في أقواله، والصديق من صدق في جميع أقواله، وأفعاله وأحواله. قال أنتم: ومن فوائد الصدق وثمراته أنه لا ترى الصادق أبداً في حرص يؤديه أو فصل يعطي فيه، كما كان هذا الشيخ سيدي محمد - رحمه الله - ، وحقيقة الصدق عند الصوفية أن تصدق في موطن لا ينجيك إلا الكذب.

وحدثوا في ذلك بحكايات منها ما روي عن الراشد أبي عمرو الزجاجي: قال: ماتت أمي (ص 55) فورثت منها داراً بعها بحمسين ديناراً، وحررت إلى الحبح فلم كنت في بعض الطريق لقيت لصاً فقال لي: إيش معك؟ فقلت في نفسي: الصدق أحسن من الكذب، فقلت: حمسين ديناراً. فقال: يا وليها، فادولته لصرة فعدها فإذا هي خمسون، فقال: حد دابيرك فقد أخذ بمحمد قلبي صدقت، ثم برل عن دابره وقال: اركبها، فقلت: لا أريد، فقال: لا بد، وألح علي فركبتها وانصرفت فلما كان العزم لأنني لحقي، وقال: إن الله قد أنجأك مني بصدقك، وتاب علي بركتك. ثم لم يرل معي حتى مات - رحمه الله - ، وما راا الصدق علامة لأولياء الله المتقين. وشرها واصحها لعباده الصالحين، يجعلهم على التحقيق (ص 56)، ويوضح لهم الطريق

سعداً عن الغصيل بن عياض أنه قال: «ما يرى الناس بشيء أفصل من

الصدق»، وأوصى بعضهم ولده فقال له: «يا بني عليك بالصدق فإنه يقصده منك العدو، وإياك والكذب فإنه يرده عليك الوالد»، وما أحسن قول القائل:

عليك أخي بالصدق في كل موطن وإن كان وزن الصدق شق المفارق
فما الفس والخسران إلا لطالب بلوغ رضى المخلوق في سخط الخالق

وفيما رواه سيدي محمد في كتاب أبي داود أن النبي ﷺ قال: «إياكم والكذب فإن (ص 57) الكذب يهدي إلى الفحور، وإن الفحور يهدي إلى النار، وعديكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى السر، وإن السر يهدي إلى الحجة»، أصل الفحور في كلام العرب: الميل إلى الصدق والانحراف إلى الكذب. قال بعض المفسرين: حرج الحديث محرج الشرح والتفسير لقوله تعالى ﴿إِنَّ الْأَثْرَارَ لِيُبَيِّنَ﴾ قَوْلَ الْفَخَّارِ لِيُحْيِيَ بِهِ [الانمطار، 13، 14].

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وأحسن الصدق عند الله والناس

وهي وصايا لقمان لابنه: «يا بني احذر الكذب، فإنه شيء كحلهم العصفور، من أكل شيئاً منه لم يضر عليه»، وقال بعض الحكماء في بعض وصاياه (ص 58): «لا تستعن بكذاب فإنه يقرب عليك البعيد، ويسهل عليك الصعب، ويؤمنك المخوف». وقول سيدي محمد: أن الكذب هو شوه، هو من قولهم شأهت ابوحوه تشوه شوه، أي فحنت. ولا ريب أن الكذب من أقبح صفات الرجال، لأن صاحبه لا يوفق به في كل الأحوال، وكفه محطة ودعاة أنه من أعظم علامات الصدق، وأقوى الدلائل على دعة الأخلاق، ومن شعر الفصيح عياض:

أدبت نفسي فما وجدت لها بعد تقوى الإله من أدب
في كل حالاتها وإن كثرت أقصّل من صمتها عن الكذب

وكان سيدي محمد رحمه الله يُقال له: حكيم زمانه، لأنه يطق بالحكمة في وصاياه، وتصرفاته.

(ص 59) قال في النبيه: ونُعرف في السلاط حكيمة، وقال كلامي كده حكمة، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إذا رأيتم الرجل قد أوتي رَهْداً في الدنيا، ومسطقاً بالحق فقتلوا منه، فإنه ينقض الحكمة». ومن مراسل الإمام مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحلص لله لعبادة أربعين يوماً ظهرت بسبع الحكمة من قلبه على لسانه»، ومن أشد الهمداني في كتابه «النهضة» لعص الصالحين:

كلام الحكيم شفاء القلوب كقول السماء غياث الأمم
فَنطق الحكيم يداوي السقيم وصمت الحكيم وعاء الحكم
ومن كلام بعض الأكبر من أمر الشدة على نفسه (ص 60) قولاً وفعلًا، فقد نطق، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالبدعة، وكان بعض مشايخ الوقت إذا حدث عن سيدي محمد يقول: قال لقمان الحكيم، ولقمان - رحمه الله - كثير الصدق.

واحتسب فيه أقوال العلماء فمنهم من قال: إنه من الأولياء، ومنهم من قال: أنه ليس بسبي وإنما من عباد الله الصالحين وأوليائه الصادقين عرف بقول الحق فنُسب إليه.

وفي كتاب «اللائي» لآسي عبيد الكري روي أن لقمان كان راعياً، وأن بساناً وقف عليه وهو في مجلسه فقال له لقمان: أأنت كنت ترعى معي في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: ما بلغ منك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمتُ عَفْ لا يعيبي (ص 61). قال: ويروا أنه كان بحراً، وقيل: خياطاً. وقيل: أنه كان عبداً حبشياً عبيطاً المشهور، ونكر أنه لله الحكمة.

فلسنا مثلك أنه حكيماً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [القمان: 12]. وقيل: أنه كان في زمن سيدنا داود عليه السلام - ، ومنه تعلم الصدق والحكمة، ومن حكمة وصيته لولده في مساعدة المرأة السبئية حدث به صاحب كتاب النساء، قال لقمان لابنه: «يا بني ليكن أحل شيء تكسبه بعد الإيمان بالله حليلاً صالح. وامرأة صالحة، فإن من اكتسب امرأة صالحة فقد البقت نقطة حسنة، ومن اكتسب امرأة سوء فقد أصابته مصيبة، يا بني إنما مثل المرأة الصالحة كمثل التاج عني رأس الميث (ص 62)، يا بني إنما مثل المرأة السوء كمثل الليل لا ينتهي حتى يبلغ منتهى، ولا يرعوي عن سنه ومحراه، وأبعثها لك يا بني لتعرفها: إنها إذا تكلمت أسمعته، وإذا مشيت أسرعته، وإذا دخل إليها زوجها كشرت في وجهه، وإذا حرج عليها لعت في ظهره، يا بني كل شيء يفتصي إلا شر المرأة السوء، وكل داء يروى إلا داء المرأة السوء، يا بني لن نساكن الأسد والأسود في بيت، حير من أن نساكن المرأة السوء، نبكي وهي الطالمة، ونحكم وهي الجائرة»

وفي كتاب «الأحياء»: «من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه، وأخرى يسمع الحكمة على لسانه»، وحقيق لهذا الشيخ أن يدعى حكيم الرمان، لأنه كان على العاية القصوى (ص 63) في الرهد والورع، أشد القاسم بن يوسف التحيي السني في رحته الحجازية لبعضهم:

إذا شئت أن تدعى حكيماً وتلق بالرجال ذوي الكمال
فلا تلبط الدنيا بشيء ولا تحظر لك الدنيا ببال

وكان سيدي محمد محب في العلم وأهله من لدن صباه إلى أن توفاه الله بأسسه في وحشته، ويحعله كالصديق في غربته، وتواليه كلها مشحونة بفضل العلم والحض على تعليمه، والشاء على العلماء العاملين، ومن قوله في

التبیه.

العلم من یقرأ فیکبر به مدًا و إذا قبل مسنو الجنة له خلدا
ومن قوله أيضًا (ص 64):

العلم هو عدي كالابر أطرز بطور

ومن بحاف الله بالتقوى أيضًا یومر فكان رحمه الله - یُرغب إلى الله في
الريادة من العلم ليرداد تعظیم لربه وتحقیر نفسه، وقد مدد الله تعالى لطلب
العلم، وأرشد إليه رسول الله ﷺ، ورغب فيه بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ رِذِّي
عَنَّا﴾ [طه: 114] وجاء عن المصنف في تفسير قوله تعالى: «كونوا راسخين،
أي كونوا علماء فقهاء».

وفي حديث عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعلّم العلم لله لم
يُصب منه داء إلا أَرَداده الله خوفًا، وفي نفسه دُلاً، وفي الداس تواضعًا، وفي الدين
فصلاً، فذلك الذي يتفع (ص 65) بعلمه فنبطله».

ومن مباحة موسى عليه السلام - : «يا رب، أي عبادك أعلم؟ قل:
الذي يتعي علم الداس إلى علمه لعله يسمع كلمة تدله على هدى أو ترده عن
ردى». وعن كعب الأحبار: «طُت العلم مع العمل الصالح حرء من اسوة».

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يتعلم أحد داء
من العلم يريد أن يصلح به نفسه إلا كتب الله له به أجر سبعين صديقًا». وعن
أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكرم سبعين شهيدًا،
ومن أحت لعلم والعلماء لا تكتب عليه حصية (ص 66) أيام حياته».

وعن ابن عباس رضي الله عنه - قال: بلغنا عن ابن عباس، أنه قال: لعالم
واحد أشد عني من ألف عابد؛ لأن العابد يعبد الله ببدنه، والعالم يُعتم الداس

الحير والحكمة حتى يكونوا عنماء»، ورحم الله الأستاذ أبا القاسم بن الشاط
حيث يقول:

من لازم العلم وحاز التقى ساد على أقرانه وارتقى
ومن تركى فرع تهيد أباه عن أصله المتقى

تنبيه.

ما تقدم من الأحبار في فصل العلم وأهله، وما لهم عند الله من الثواب
إنما يراد به من كانت بيته في طلب العلم وحقه لله تعالى ولدار الآخرة، وأنه
نعلم ليعمل بما علم كما كان حال هذا الشيخ رحمه الله ، فإنه لم
يقصد (ص 67) طلب العلم الظهور والرياسة، ولم يحمل عليه لربه
والرياسة، لأنه كان على حانة عظيمة من النواصب في ناسه وهيئته، ولما علم
الله منه إخلاص لطلب لوحه الكريم بضم له الأساب وأعانه بالحفظ وانهم،
فكان أحفظ أهل زمانه وأدقهم عقلاً، قال في بعض منظومته:

إذا يحفظ شيء يدكر ولا نساها ولا تنكرو

وبهذا حوت عادة الله فيمن أحكم أساس التقوى ورهد كنيته في الدب أن
يتولاه ويحمله من أوعية العلم، وحكى بعض المفسرين أنه لما برل قوله
تعالى: ﴿وَنَبِيًّا أَدُّ وَبِيَّةً﴾ [الحاقة، 12]. قال رسول الله ﷺ (ص 68) لعلي بن
أبي طالب: «سألت الله عز وجل أن يجعلها أدبك يا علي»، فكان علي يقول: «ما
سيت شيئ قط، وما كان لي أن أسى بعد دعائه ﷺ».

أما من تعلم لعلم ليرأس به على الناس ويحور به الذكر والشرف وإنشاء
عبد الموك والأمراء فهو غير مثاب عليه، والوعيد لاحق به إن لم يتب من
هذه النية الفاسدة؛ إلا أن يتحور الله عنه، روي عن السلف الصالح - رضي

الله عنهم أنهم كانوا يقولون في قوله ﷺ: «فصل العالم على العابد كمضلي على أمتي».

إن الإشارة بهذا إلى العالم العارف بالله وبصفاته العلية المطلع على حقا هذه الأنفس (ص 69) الرديئة الذي قصد بعلمه وحه الله العظيم والدار الآخرة، وأخلص البية في ذلك. قالوا: أما من تعلم العقه والحديث لدراسة والظهور فلا مدخل له في هذا الثواب حدث صاحب «الهداية»: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس شر؟ فقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس سلوني عن الخير ولا تسألوني عن الشر، شر الناس شرار العلماء، وخير الناس خير العلماء».

ورحم الله القائل، وروى المسعودي، عن ابن عباس رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ يكون في آخر الزمان علماء يرهقون الناس في الدنيا ويرعون فيها، (ص 70) ويسيطرون على الأعياء ويقبضون على الفقراء، أولئك الجبارون عند الرحمن». ورحم الله القائل:

يا طالب العلم للديار وريتها من رام قصدك فيه بش ما فعلا
عميت علماً ولم تعمل بموجه فقد ضللت وأصللت الذي جهلا
وقد تبوات في الدارين مرة الخزي والذل فيه حظ من لولا
طوبى لعبد حوى علماً أراد به وحه الإله فوفاه له عملا

وفي أحبار سعيان الثوري أنه قيل له: من الناس (ص 71)؟ قال: العلماء العاملون بعلمهم قيل: فمن السفهاء؟ قال: لظلمة من العلماء. قيل: فمن السفهاء؟ قال: الظلمة من العلماء. قيل: فمن العوغاء؟ قال: الذين يتعلمون العلم ليأكلون (كدا) به أموال الناس. قيل: من المذوك؟ قال: الزهاد فيما في أيدي الناس.

وكان سيدي محمد ملازماً لقيام الليل ذكره في كثير من كلامه ونص عليه في النسيه في قوله: «لكن ما ري برفد»، وقال في «تصرة السائل»: «أهل الرقاد مثل الربيع اليابس».

فمن طالع كلامه حصل له العلم اليقين أنه كان رحمه الله في قيام الليل من أهل الحد والاجتهاد فتنبه على حادثة أوائل العباد، وكان إذا صلى العتمة تهلّل (ص 72) وجهه وقام للصلاة بسكينة، ووقار اقتضاهما منصفه الرفيع المنار، فردّ أصبح طهر عليه سر قوله ﷺ «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار».

جعل الظلام مظية لقيامه ليسال وصلأ ما يريد سواء
طاب المقام له وطاب نعيمه في دار عدن والجليل يراه

وحكى أبو حامد في كتاب «الأوراد من الإحياء» عن بعض العباد قال: ليس من الدنيا وقت يشبه الجنة إلا ما يحده أهل التملق في قلوبهم، بالليل من حلاوة المساحة، لأن المساحة ليست من الدب في شيء، إنما هي من الجنة أظهرها لله تعالى لأوليائه لا يحدها غيرهم (ص 73)، وما زال قيام الليل من عمل الصالحين، وشعار السلف الماضين، تدب الله إليه وأثنى عليه أهله، قال الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ﴾ [الذاريات: 17]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [العنكبوت: 64].

وفي الحديث عنه ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه مرصدة لربكم»، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26]. أن الملك هو قيام الليل، خرج المحدث أبو جعفر أحمد بن وداعة في كتابه «الأربعين» عن معاد من حسن رضي الله عنه - قال: قال

رسول الله ﷺ: «من صلى منكم بالليل فليحضر بقراءته، فإن الملائكة تُصلي بصلاته وتسمع لقراءته (ص 74)، وأن مؤمني الجن الذين يَكُونُونَ في الهواء وحيراه الذين معه في مسكنه يصلُّون بصلاته ويسمعون قراءته؛ وإنه ليُطرد بحضر قراءته عن داره، وعن الدور التي حوله فبق الحزن، ومردة الشياطين».

وأن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يقتدي بها أهل السماء، كما تفتدون أنتم بالكوكب الدري في لحج الحجار، وفي الأرض القفر، وما من رحل يتعلم كتاب الله عز وجل - ثم يُصلي ساعة من الليل إلا أوصلت به تلك الليلة الماصية الديلة المستأنفة أن تنبه لساعته وأن تكون حفيضة عليه، وأنشد بعض العارفين (ص 75):

غريب الوصف ذو علم غريب	عليل القلب من حب الحبيب
إذا ما الليل اظلم يبكى	ويشكو ما يكن من الوجيب
يقطع ليلة فكرياً وذكراً	ويطلق فيه بالعجب المعجب
به من حب ميده عرام	يجل عن التطيب والطيب
ومن يك هذا عبداً محباً	بطيب تراه من غير طيب

وحكى سيدي أبو العيش، عن الحسن المصري، أنه كان يقول: «أن العبد ليلذنب الذنب فيُحَرِّم به قيام الليل».

وفي أحاديث إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول: «إن يَدُ الرُّحْلِ درحة الصالحين حتى يحوز ست عقاب: أولها: أن يعلق باب النعمة، ويفتح باب الشدة. الثاني: أن يعلق باب العز، ويفتح باب الدل. الثالث: أن يعلق باب الراحة، ويفتح باب التعب (ص 76). الرابع: أن يعلق باب النوم، ويفتح باب السهر. الخامس: أن يعلق باب العسى، ويفتح باب الفقر. السادس: أن يعلق

باب الأمل، ويفتح باب الاستعداد للموت، وأشد العسال:

إن لله عباد ليلهم ليل طويل حلقوا خوفاً وشوقاً همهم هم دخیل

بأي هم من عباد حظهم حظ حزيل في رياض موقوفات شربهم ما السليل

فهيناً يا عباد الخير قد طاب المقيل

وفي شرح «الأسماء الحسنة» لسدي أبي العيش: كان بمدينة القيروان رحل من أولياء الله (ص 77)، في الليل أحد نفسه بالتذكير فيمضي أكثر الليل في المدينة يذكر الناس بقيام الليل، ويقول في مشيه بأرقة المدينة: الرحيل الرحيل، وأقام على ذلك على أن توفي فمقد صوته أمير المدينة ابن الأغلب، فسأل عنه، فقبل له: مات، فأنشد ابن الأغلب:

ما زال يلحج بالرحيل وذكره حتى أناخ بسبابه الجمال

فأصابه ذا أهبة مستقيطاً متشمرًا لم تلهه الشعال

وهي أحبار معاد بن حنبل - رضي الله عنه - من كتاب «الاكتفاء» للكلاعي، قال: لما أصاب معاد الطاعون وهو أمير المسلمين بالشام، واشتد عليه وجعه دخل عليه رحل، فقال له: علمي شيئاً بمعني الله (ص 78) به، فقال له معاد: خذ عني ما أمرك به، كن من الصالحين في النهار ومن المسلمين في جوف الليل. ومن المستعمرين بالأسحار، ومن الداكرين الله على كل حال، ثم اشتد معاد وجعه فكان كلامه حين حصرته الوفاة: اللهم إني أعلم أنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لحري النهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكيدة الطويل ولطعم الهواجر في الحر الشديد، ثم قال: أحسبوني فأجلسوه وحسب رجل خيف ظهره، فقال معاد: ليست ساعة الكرب هذه، حدثني رسول الله ﷺ حديثاً فكنت أكتمه مخافة أن تتكلموا عليه،

فأما الآن فإني أحدثكم: (ص 79) سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أه لا يموت
عبد من عباد الله وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً
عنده ورسوله إلا أدخله الله الجنة وحزمه على الناس». ثم مات معاد ساعته -
رحمه الله - ، ودلت سنة ثمان عشر من الهجرة، وفي هذه السنة كان تمام بلاد
الشام كلها واستيلاء المسلمين عليها.

وأول من سنَّ قيام الليل كله من هذه الأمة عثمان بن مطعمون من أكابر
أصحاب النبي ﷺ، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام أسبم بعد ثلاثة
عشر رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم ، إلا أنه توفي قديماً في صدر
الإسلام بعد مرجع النبي ﷺ من عروة بدر، فكانت الرواية عنه قليلة
لأجل ذلك، وهو أول من مات من (ص 80) المهاجرين بالمدينة رضي الله
عنهم - .

فكان رحمه الله - يدمن قيام الليل، وصيام النهار إلى أن مات، ومن
حديثه ما أحرجه أهل الصحة وأحد تحريجه العلامة الفاضل ابن الرقيق في
كتاب «النساء» من تأليفه قال: وعن علي - رضي الله عنه - قال: جاء
عثمان بن مطعمون إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، قد علي حديث الناس
لست أفعل شيئاً حتى أشاورك، فقال: «سم حدثت بك يا عثمان»، قال:
هممت أن أسبح في الأرض. قال: «إن لسباحة أمتي المساحد»، قال وهممت
أن أحرم اللحم على نفسي، قال: «ولا تفعل فإني أشتبهه وأكله، ولو سألت الله
أن يطعمنيه كل يوم لفعل» قال: وهممت (ص 81) أن أحب نفسي وأكون
حصيئاً، فقال: «يا عثمان ليس من يفعل ذلك بنفسه، ولا بأحد، إن وجد
أمتي الصيام»، قال: وهممت يا رسول الله أن أحرم حوثة أهلي، قال: «لا تفعل
يا عثمان فإن العبد المؤمن إذا أخذ بيد زوجته كتب الله عرو وجل - له عشر

حسنة، ومحا عنه عشر سيئات، فإن قبلها كتب له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيئة، فإن ألم بها كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، فإذا اغتسلا جميعاً لم يمر الماء على شعرة منهما إلا أكتب حسنة ومحا عنها سيئة، وإن كان ذلك في ليلة باردة، قال الله عز وجل: **لَمَلَأْتِكُمْ** انطروا إلى عهدي هذين قد اغتسلا في هذه الليلة الباردة علما بأني رثيما أشهدكم (ص 82) أني قد عصرت لهما، فإن كان لهما في ليلتهما نكاح ولد كان لهما ضياء في الجنة، ثم صرت رسول الله ﷺ على صدر عثمان، وقال: **يا عثمان، لا ترعب عن مستي**، فإن من رعب عن مستي عرصت له الملائكة يوم القيامة **فصرقت وجهه عن حوضي**.

وفي ترجمة عبد الله بن موسى بن برطنة من كتاب تنظيم الدرر، لاس ربيع الأشعري، حكى أبو عبد الله الراري أن بعض الصالحين من قصة العدل بالديار المصرية حرج ذات ليلة إلى **الليل فوصاً وصي ما شاء الله أن يصلي** فإذا به يسمع هاتفا يقول:

لولا أناس هم سرور يصومونا وآخرون هم ورع يقومونا
(ص 83) بلزلت أركم من نحكم محرراً لأنكم قوم سوء لا مبالونا

ومن الحكايات المستحسنة في أخبار المصلين بالليل ما حدث به الحافظ ابن عبد البر في بعض كتبه، قال: روي عن محمد بن سيرين أنه قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - ، فقالت له: يا أمير المؤمنين، روعي يصوم النهار، ويقوم الليل، وقد أشبع بطني وكسا ظهري، فمره فيحسن إلي، فقال لها عمر: نعم لروح روي، فردت عليه كلامها فقال لها: روي رحل صالح، وكان يحصرته كعب بن سوار الأدي فقال: يا أمير المؤمنين، إني تريد نصيب من فراشه، فقال له عمر: يا كعب، أما أنا بطرت في

(ص 84) أول أمرها فاطمة في آخره. فقال: يا أمير المؤمنين، أراه بحلة رجل له أربع مسوة فلها منه الربع لا محالة، ثم جلس كعب للحكم في المسألة فأنشدته المرأة:

يا أيها القاضي الفقيه أرشده إلهي حليبي عن فراشه مسحده
زهده في مصجعي ترهده هاره ولسيله ما يرقده

فقال كعب. علي بروحها، فأنى به وسأله عن مقالة زوجها فأنشد:

إني امرؤ زهدي ما قد نزل في سورة النور وفي السبع الطول
وفي الخواميم الشفاء وفي الحل وفي كتاب الله تخويف الوحل

فمن سمعت المرأة ذلك قالت والله يا أمير المؤمنين مالي شوق إلى ما يشفق إليه النساء من الرجال غير أبي رأته (ص 85) يقوم الليل ويستعصر لوالديه، فرحوت أن يحرج الله مني من يستعصر لي وله، فكى عمر ودعى لهم ولكعب بحبر، وما أحسن قول الإمام الشافعي رحمه الله في قيام الليل، أنشدهما الحضرمي:

بقدر الكد تكتب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العرثم تمام ليلاً يفوص البحر من يبغي اللآلي

وحكى شمس الدين ابن قيم لحورية في كتابه المؤلف في الروح، عن الولي الراشد قبصة من عقدة قال، رأيت سفيان الثوري بعد موته في المنام، قلت له ما فعل بك ربك يا أبا عبد الله؟ فأنشد يقول:

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي (ص 86) هيناً رصاني عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قرأماً إذا الليل قد دجى بعبرة محزون وقلب عميد

فدونك فاحسر أي قصر تريده وزري فإني ملك غير بعيد
وفي أراحير سيدي محمد نأثبيه وغيره، ذكر معاودة الحج إلى بيت الله
وتمنيه، وأنه في كل عام ينويه، قال في التبيه:

إذا هتكر مكة وإيضاً بيار علي وتقوم نار في قلبي يا فتى وتشغل
أروم كل عام مرور وفي أيضاً ممل (ص 87) اللهم يا فتى وهو أيضاً شغل
وقال:

سلم لي على النبي يا ماشي إلى الحجرة كل سنة نقول بمشي لكن ما يلي قدرا
وكلامه هذا ينظر من وراء ستر رفيق إلى أبيات لولي الراحل أبو
لعباس بن العريف، أشده من ربيع الأشعري في كتبه الجامع بين لصلة
والتكملة» وهي قوله:

شدوا الرحال وقد نالوا المي بمي وكلهم بالميم الشوق قد باحا
راححت ركانهم قندي روانحها طياً كما طاب ذاك الوفد أشيحا
(ص 88) سيم قر الي المصطفى لهم راح إذا سكرنا من أحله فاحا
يا راحلين إلى المختار من مصر ررتم جوسوما وررنا نحن أرواحا
إننا أقمصا على شوق وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا

وهذا الذي كان سيدي محمد - رحمه الله - يقصده من المشي للحج
وينويه هو من أقوى الدلائل على فضله وكمال ولايته، فإنه كما سكن قلبه
حب الله تعالى، وحب رسول الله ﷺ تأقت نفسه لهذه الأماكن المشرفة ولمشاهد
المعظمة؛ لأن الطواف ببيت الله الحرام (ص 89) والصلاة فيه من أعظم القربات
كما أن الوقوف بعرفة من أحسن الصلوات، وأم زيارة قبره ﷺ فهي من سنن

الإسلام وشرائع الدين التي أجمع على فصلها المسلمون، ورغب فيها العلماء بالله والصالحون ورحمهم الله.

فمن ذا له فصل كفضل محمد	على أمته أو من له مثل نعمته
فيا ربه بلغ عبيدك قره	لبحظي بتقبل لظاهري قربته
ويأس في الدنيا به في حوار	ويدخل يوم العرض في أهل قبيلته
وجاره عما بالذي أنت أهله	إله الوري أنت الكفيل بمتته
وصل عليه ما لاح كوكب	وحلى عمود الصبح ظلماء ليلته

وفي الحديث عنه عليه السلام أنه قال: «من أراد الدنيا (ص 90) والآخرة فليقصد هذا البيت، ما أتاه عند ما نزل ديب إلا أعطاه الله منها، ولا آخرة إلا أذكر له منها».

وفي حديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وقد الله عز وجل ثلاث: الحاج، والمعتصر، ونعاري في سبل الله، دعاهم الله عز وجل فأجابوه وسألوه فأعطاهم».

وحدث أبو الفرج بن الحوري عن حابر رضي الله عنه - ، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من جاء هذا البيت حائفاً فظف أسنوغاً فأتى مقام إبراهيم عليه السلام ، فصلى ركعتين، ثم أتى رمرم فشرب من مائه أحرجه الله من دونه كيوم ولدته أمه».

ومن حديث الإمام أحمد بن حنبل، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا لميت الحاج فصاحبه (ص 91) وسلم عليه وصره أن يستعمر لك قبل أن يدخل بيته، فإنه مغفور له».

وروي عن سيد التابعين من حبر أنه قال: «ما أتى هذا البيت طالب حاجة

قط من أمر الدنيا وأمر الآخرة إلا رجع بحاجته،

وفي كتاب الشفاء لنقاصي عبيد أبي الفضل: حكى أن قومًا أتوا سعدون لخلولائي بالمستير فأعدموه أن كتمة قتلوا رحلاً، وأصرموا عليه الدار طول الليل، فلم تعد عليه، وبقي أبصر البصير، فقال لهم سعدون: لعدده حج ثلاث حجج، فقلوا: نعم. قال: حدثت أن من حج حجة أذى فريضة، ومن حج حجة ثابة دان ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وشعره على الدار.

وحدث لأرفي في كتابه المؤلف في تزيين مكة والمدينة، عن حابر قال قال (ص 92) رسول الله ﷺ: «هد البيت دعامة الإسلام، فمن حج يوم هذا البيت من حج أو معتمر، كان مصمومًا على الله إن قصه أن يدحه الحجة، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنمة».

ومن فضائل سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن لما مرض مرض وافته جمع أولاده وأهله، ثم قال لهم يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج ماشيًا كتب الله له بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنة الحرم»، فقال بعضهم: وما حسنة الحرم؟ قال: «كل حسنة بمائة حسنة»، (ص 93).

وفي كتاب «الإشادات» لأبي عبد الله الحصري: حدثني شيخنا أبو الحسن بن محبوب قال: سمعت الشيخ الصالح أن يعقوب النادمي رحمه الله، وقد سئل عن الحج والجهاد أيهما أفضل؟ فقال: سمعت الشيخ الإمام أبا إبراهيم الأعرج يقول في هذه المسألة بعينها: الحج أفضل من الجهاد إلا أن تكون مخافة، والجهاد أفضل من الطعام، لأن تكون مجاعة. قال: وكتب أمير المؤمنين عبيد بن يوسف بن تاشفين إلى القاضي أبي الوليد بن رشد - رحمه الله - يسأله: هل الحج أفضل لأهل الأندلس أم الجهاد؟ فأجابه ابن

رشد: فرض الحج ساقط على أهل الأندلس في وقتنا هذا لعدم الاستطاعة التي جعلها الله شرطاً في الوحوب؛ لأن الاستطاعة هي (ص 94) القدرة على الوصول مع الأمن على النفس والمال، وذلك معدوم في هذا الزمان فبان أن الجهاد الذي لا تُحصى فضائله في القرآن والثقة المتواترة والآثار أفضل منه، وأن ذلك آيس من أن يحتاج فيه إلى السؤال عنه، وبالله التوفيق.

ولما تكلم القاضي أبو بكر بن العربي في «سراج المريدين» على هذه المسألة قال: المحيب مثل يقول أن الحج لا يحب على أهل المغرب وهو يسافر من قطر إلى قطر فيحترق السحار ويقطع المصور المحيفة في مقاصد دبية أو ديبوية، والحال واحدة الخوف والأمن. وإعاق المال وإعطائه، ثم لا يصددهم ذلك عن فرضهم.

وأما الآثار في التربعب في ريادة قمره ﷺ فهي كثيرة، ومن الحق (ص 95) المتأكد له ﷺ علياً أن من تمكن من زيارته ﷺ فليبرره، ومن تمكن ولم يفعل فقد جفاه - عليه الصلاة والسلام - .

ورحم الله أب عبد الله بن الحكيم فاصل علماء الأندلس في وقته فإنه لما عين المدينة المشرفة برل عن راحلته وأشد قصيدة يقول في آخرها:

وأن بقائي دونه **خسارة** ولو أن كفي تملك الشرق والغربا
 ليا عجباً **مئن** يحب بزعمه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتب
 وزلات مثلي لا **تعد** كثيرة وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

فمما روي عنه ﷺ أنه قال: «من زارني بعد وفاتي فكأنم زارني في حياتي، ومن زار قري وحث له شفاعتي». وفي حديث آخر عنه ﷺ (ص 96): «من زار قبري في المدينة محتسباً كان في حوارى، وكسب له شافعاً يوم القيامة».

وفي جامع الترمذي، عن علي رضي الله عنه - ، عن النبي ﷺ أنه قال:
«ما بين قبري ومنري روضة من رياض الجنة».

وقد احتدمت العلماء في معنى هذا الكلام، فقل الخطابي: «معناه أن من
لزم طاعة الله تعالى في هذه البقعة الشريفة عوصه في الآخرة روضة من رياض
الجنة».

وقال غيره: «لصواب حمل الكلام على طاهره؛ إذ بعد أن ينقل الله تلك
البقعة يوم القيامة فتكون روضة من الجنة؛ لأن في ذلك اليوم من حوارق
العداات ما لا يخطر بال». وقرأت في كتاب «حتى الحتتين» أن زين الدين
يحيى بن عبد المعطي السحوي لما (ص 97) أشرف على المدينة المعطمة على
ساكنها الصلاة والسلام أنشد:

نزلنا على الأكوار نمشي مهابة ولو كان إصافاً فرشاً خدودنا
وهان علينا أن نريق دموعنا ونجري في تلك العيون عيوننا
وكأنه عارض الإمام أن الفصل الحواري؛ فإنه لما ورد المدينة رائراً
وقرب من بيوتها رل عن دانه ومشي باكتيا مشداً.

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لنا
نزلنا عن الأنوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا
وحدثني شيخنا الحافظ أبو عبد الله التسي أن المقيه الصرصري لما شاهد
روضة النبي ﷺ أنشد قوله (ص 98):

جُبنا إليك القفار الشاسعات على ظهر المطي بص السير والعق
ولسو سعينا على مقدار فصلك يا خير الوري لقطعا اليد بالحدق
زارت حماك قلوب حشوها حرق شوقاً إليك فزحزحنا عن الحرق

وقد استجاب أئمتنا لحاج دلمدية المشرفة أن يقصد أن حلوله مسجده
السي في بصلي به تحية لمسجد. ثم يقصد اروضة الكريمة فقصف تحفه السيد
في وقد أخلص البية في ريارته والصلاة والسلام عليه مع خشوع وتواضع،
كما روي عن الإمام مالك - رحمه الله - في مباطرة مع الحليفة أبي جعفر
المنصور.

ذكرها القاصي أبو الفص في كتابه "الشفا" وعبره في الأحاديث، قالوا:
لنا باظر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور مالك (ص 99) من أس في مسجد
السي في دلمدية، وذهب في الماطرة كن مذهب صار أبو جعفر يرفع صوته
في الاحتجاج، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا
لمسجد، فإن الله عز وجل: «اذب قومًا فقال: لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي» [الحجرات: 2] وإن حرمة في مت كحرمة حب، وسكن لها
أبو جعفر وأدركته الحشية فقص من صوته، ثم قال: يا أبا عبد الله، أستفعل
نقصة وأدعو أم أستفعل رسول الله ﷺ، فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو
وسيدك ووسيبه أبيك دم عنه السلام إلى يوم القيامة، بل استغصه
واستشجع به فشجع الله، وبظر كيف أمر مالك (ص 100) أنا جعفر المنصور
باستقبال القبر الكريم.

ومما يلزمك في استغاثك أنه في أن تستحضر في قدامك أنك بين يدي *
وأنه يسمع كلامك وتعلم وجهه الكريم في ذهابك وتحضر قلبك خلال رتبه
وعند مرلته، فإن أكبر الصلابة ما كانوا يحاصونه إلا سرًا تعظيمًا له لما عظمه
الله تعالى من شأنه.

ول عبد الملك بن حسب روي عنه في أنه قال: ما من أحد يستمع عني
إلا رز الله علي روحني حتى أرى عليه، ثم تقول بحصور قلب. وحقق

صوت، وسكون جوارح. وإطراق هيئة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك (ص 101) يا إمام المتقين، السلام عليك يا شمع المذنبين، السلام عليك يا خاتم السنين، السلام عليك يا من ظهرت أنوار علانته، السلام عليك يا من بهرت أنوار مسائه، السلام عليك يا نبيحة الشرف الساج، السلام عليك يا سلالة المجد الراسخ، السلام عليك يا منبع الكرم والحدود، السلام عليك يا من عظمت هاته، السلام عليك يا من بهرت آياته، صنوات الله وملائكته وجميع خلقه في أرضه وسماواته عليك يا سيدي يا رسول الله، الحمد لله الذي أقر عبي برؤية روضتك، وقضى لي أن أشرف بحضرتك، اللهم إني أشهد أنك قد بلغت لرسالة (ص 102)، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وحاهدت في الله حق جهاده، وأزل عنك كنه النور المير، وجمع لك فيه علم الأولين والآخرين، ووصفت فيه بقوله الحق: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنَةِ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» [البقرة 128]

وانزل عليك فيه قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَحَّدُوا اللَّهَ تَوْبًا رَجِيمًا» [النساء 64].

وإني يا سيدي يا رسول الله قد ظلمت نفسي وحنثت مستغفراً من دني، مستشفع بك إلى ربي أن يغفر لي دني شفاعتك. وأن يمتني على ملتك ومحبتك، وأن يغفر لي ولوالدي والمسلمات والمسلمين، والمؤمنين والمؤمنات الأحباء منهم والأموات (ص 103)، اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد،

وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ.
اللَّهُمَّ احْرِهِ عَا أَفْضَلَ مَا حَرَيْتَ بَيْتَ عِيسَى أُمَّتِهِ، وَرَسُولَهُ عَنْ قَوْمِهِ، وَلَا تَجْعَلْهُ
آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ، وَانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ.

ثم تقول مخاطباً لوريره في الحياة، وصحبه بعد الممات: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا أبو بكر الصديق، اللهم إني أشهد أنك قد نصحت الأمة، وعدلت في الخلافة فرضي الله عنك وحرارك أفضل من حري به أئمة العدل خلفاء الهدى والعدل، نعمنا الله بمحتك وحشرنا في رمرتك (ص 104) مع سيدنا محمد ﷺ.

ثم يقول مخاطباً لسيدنا عمر: السلام عليك يا صاحب رسول الله ﷺ،
السلام عليك يا أمير المؤمنين، اللهم إني أشهد أنك قد أحييت في صحبتك،
وبصحت في خلافتك، وعدلت، فرضي الله تعالى عنك، وحرأك عن المسلمين
أفضل ما جزى به الأئمة المقسطين.

ومن النظم الحسن في السلام على النبي ﷺ لفصيده الحجازية التي نظمها
حين سفره للحجاز العلامة رش الدين أبو الحسن عمي بن المير حاتم
المحدثين بمدينة الإسكندرية. أواخر المائة السابعة أودا بها شيخنا ابن
عبد الله التسي فيما قرأه عليه وهي: (ص 105)

أحب دعوة الرحمن يا صاح تسعد
ولذ بالمتاب الآن واردد من التقى
ودع خاطر التسويف والخوف حابا
فكم ذي صدى ما بين أهل ومزل
وكم فاطن في موطن غير آمن

وبادر لفرض الخج غير مفقد
فإن اتقاء الله خير التزود
وسلم لأمر الله أمرك في عد
وربان ماء بين قر وفرقد
وراكب أخطار يفور المقصد

وكم ذي مري سراه همومه وأعقبه مرآه قبر محمد
 آيادي لأيدي العيس إن تبد ويشرب وكم منة فيها علي وكم يد
 تلفنا مثواك يا سيد الوري وتشهدنا منه مقر التعبد
 فتمحو خطايانا بدمع إنابة ونظفر بالمفسران والعفو في غد
 ونشد والأماق تبكي مسرة وحاطرنا بالشوق كالمتوقد
 (ص 106) عليك سلام الله يا خير من هدى

عليك سلام الله من كل مهتد
 عليك سلام الله من كل مقتد
 عليك سلام الله في كل معبد
 عليك سلام الله في كل مسجد
 عليك سلام الله من كل مفرد
 تجرد للإحرام حتى التجرد
 وشيقة في خدرها كالمفصد
 وعن ولد يستلو كطير مفرد
 عليك سلام الله في كل مورد
 مع الملائ الأعلی صلاة ممجد
 وصلي عليك الحق جل جلاله
 وصلي عليك الرسل في الخلد كلهم
 (ص 107) وأولى ضجيجك الرضا عهما معا

يقول فيهما:

قصدها نستشفى بطيب تراه ونحظى بمرآنا مقام التمجيد

فطرق إجلالاً ونحضع هيبة
ونسجد فيه بين قبر ومنبر
فاجر صلاة فيه كالألف في سوا
وحافظ على الوقت الذي قد منحه
وقم خاضعاً لله واسأله عفوه
وقل يا رسول الله جئتك تائباً
إلى أن قال:

وقد آذني قيد الذنوب وأسرها
وأني من وفد أتاك محبة
أحسن حنين الجزع شوقاً لقلبة
واسأل من قبل الممات شفاعة
ومن يسأل المولى بهجاه محمد
كذا جاء في الأخبار عنه محرراً
وكن سيدي محمد رحمه الله
قال في التبيان:

إذا سمعت الفقرا حين يذكر ويمش
عقلي بحول في الأحوال ويقول أين ذا أش
ودكر الله تعالى هو شعار المؤمنين، ومجرب عباده الصالحين في وقت
وحسن، قال الأستاذ (ص 109) أبو القاسم: «الذكر هو العمدة في هذا الطريق،
ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر».

وكن بعض الأكابر يقول: «الذكر هو ظهير الولاية، فمن وفق للذكر فهو

علامة على أنه قد أعطي صهر نولانية، ومن شئت تذكر فثبت علامة على أنه ليس من الأولياء في شيء، وقد عرفت عن نولانية.

قال صاحب الهدية: وقد حسنت عذرت الأولياء وضعت الأصمياء في تحصيل حقيقة ذكر الله بقصدتهم. فقال بعضهم أصدق الذكر ترك ما شغل من الذكر. وقال آخرون: هو أن يصير قلب فرغ من كل شيء إلا من الله عز وجل - ، وأن لا يكون فيه موضع لغيره.

قال الله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45] قيل: المعنى ولذكر الله في (ص 110) فبذكر له على الحقيقة أكبر. وأعظم من أن يذكر مع ذكره شيئاً من دسسه أو يحفظه بذكر شيء سواه.

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذكره فقال: ﴿تَأْتِي الدِّينَ مَنْشُورًا أَدْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]. ثم يش وصف بذاكر وثوابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَثُرَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأحزاب: 35].

قال فخر الدين بن الخطيب: «من قصصة الذكر عند الله أنه لم يجعل له حداً معلوماً، فقال: ﴿أَدْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾. ثم به لم يعن واحداً في تركه في سائر الأحوال إلا من كان معذوراً على عفته. فقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ حُسْنِهِمْ﴾ [آل عمران: 191] وقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا﴾ (ص 111) وَقُعُودًا وَعَلَىٰ حُسْنِهِمْ» [النساء: 103] أي: بالليل والنهار في السر والنجوى، في السمر والحضر، والنعمى والفقر، والصحة والمرض.

وفي الخبر المشهور عنه ﷺ قال: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها، فقيل له: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر».

وفي حديث عنه عليه السلام: أنه جاءه رجل فقال: يا رسول الله، أي الرجل أفصل؟ فقال عليه السلام -: «طوبى لمن طل عمره وحسن عمله». فقال: يا رسول الله، أي الأعمال أفصل؟ قال: «أن تمارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله». ومن الآيات الدالة على فضيلة الذكر قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ [البقرة: 152]. قال أنمة التفسير: كلما - سبحانه (ص 112) وتعالى - في هذه الآية بأمرين: الذكر، والشكر؛ لأنه اشتغال بالحق تعالى، والشكر اشتغال بعمه، ولأرياب التأويل في التفسير من هذه الآية عدة أقويل

الأول: اذكروني بالعمة اذكركم بالرحمة.

الثاني: اذكروني بالدعاء اذكركم بالعماء، بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

الثالث: اذكروني في الرخاء، اذكركم في الشدة.

الرابع: اذكروني بطاعتي، اذكركم بمعونتي

الخامس: اذكروني بالصلق والإحلاص، اذكركم بالخلاص والاحتصاص

السادس: اذكروني بالخوف والرجاء، اذكركم بالأمن والعطاء.

السابع: اذكروني بالوحدانية في الماتحة، اذكركم بالرحمة في الحاتمة.

الثامن: اذكروني بالتوبة (ص 113)، اذكركم بعمل الحوبة.

التاسع: اذكروني بالإبانة، اذكركم بالإحانة.

العاشر: اذكروني بالدائمة واشكروا لي بالسلامة، اذكركم بالكرامة يوم القيامة، وأحلكم دار القيامة.

الحادي عشر: اذكروني بالشكر اذكركم بالريادة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ

شَكَرْتُمْ لِأَرِيدَنَّكُمْ ﴿ [إبراهيم: 7].

الثاني عشر: اذكروني بالصر، اذكركم بأوهى الأجر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُوَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِعَبْرِ حِسَابٍ﴾ [المر: 10].

الثالث عشر: اذكروني بالتوكل، اذكركم بالكفاية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].

الرابع عشر: اذكروني بالإحسان، اذكركم بالرحمة، قال - عز وجل - : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّا الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

الخامس عشر: اذكروني بمعرفتي، اذكركم بمعرفتي.

السادس عشر: اذكروني بالطاعة، اذكركم عند (ص 114) الساعة.

وحكى أبو القاسم في كتاب الرسالة أن حرييل - عليه السلام - قال لرسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ أَعْطَيْتُ أَمْتِكَ مَا لَمْ أَعْطِ أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ. فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ يَا حَرِيرِيلُ؟ قَالَ: قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿قَدْ ذُكِّرْتُمْ﴾. لَمْ يَقُلْ هَذَا لِأَحَدٍ عِوَضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

ومن أحبار دي النور المصري قال: «لَقِيتُ بَعْضَ سَوَاحِلِ لِسَامِ امْرَأَةٍ، فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ؟ فَقَالَتْ: مَنْ عِنْدَ أَقْوَامٍ تَتَحَافَى حُيُوبَهُمْ عَنِ الْمَصَاحِمِ، فَقُلْتُ: وَإِلَى أَيْنَ تَرِيدِينَ؟ فَقَالَتْ: لِي رَحَالٌ لَا تُلْهِيُهُمْ تَحَارَةً وَلَا بَعْدَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ. فَقُلْتُ لَهَا: صُفِّهِمْ لِي فَأَشَأْتُ تَقُولُ:

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّهِ قَدْ عُلِقَتْ فَمَا هُمْ هُمُومُهُمْ تَسْمُوا إِلَى أَحَدٍ

فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسِيدُهُمْ يَا حَسَنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ

مَا إِنْ تَنَازَعَهُمْ دِيَا وَلَا شَرْفٌ مِنَ الْمَطَامِعِ وَاللَّدَاتِ وَالْوُلْدِ (ص 115)

ولا للبس ثياب فائق أسبق ولا لروم مرو رجل في بدد
والأحبار الواردة في الذكر كثيرة، والحساب نبي وعد الله بها لداكرين أشرة
شهيرة، قال صاحب الهداية وأفضل ما أعطي أهل الدن في الدن ذكر الله عر
وحل ، فذكر الله عر وحل على الحقيقة في الدن كلطر إليه في الآخرة
لأن أفضل ما أعطي أهل الجنة في الجنة النظر إلى الله عر وحل ، وهو
أفضل نعم أهل الجنة، ودنك أنهم إذا تحلى بهم الحق سبحانه وصوروا إليه
حصل لهم من النعيم ما أسأله جميع ما في الجنة، فكذلك ذكر الله عر
وحل - في الدنيا؛ لأن الداكر مشاهد بشره خلال الربوبية بطرقه لحضرة
الملك الحق، (ص 116) فكأنه في حانة إقباله على الذكر محض لسة فيه
مستشعرا لمقول بين يدي مولاه كمن هو يرتفع في ربص الجنة جعلها لله من
الداكرين، وكتب في رمرة الصالحين بعه وكرمه

كانت لقلبي أهواء مفارقة فاستجعت إذ رأيتك النفس أهواي
فصار بحسني من كت أحسده وصرت مولى الوردى إذ صرت مولاي
تركك للناس دنياهم وديهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنياي

وكان سيدي محمد من جمع الله له الأوصاف الشريفة والمحاسن
المتفرقة في غيره، فكان من العلماء الراهدين والعقهاء المتصوفين الفقهاء
الشاكرين، فكان إمام في جميع العلوم الشرعية، ممدماً في الطريقة الصراية
(ص 117)، أشار في منظوماته إلى أنه كان يحفظ الشاطبية، والألفية، وكثيراً
من الكراريس المشتملة على علوم القرآن رسفا وأداء وبحوا ولعة.

ودكر في كثير من كلامه معرفته بكتاب ابن عطية في التفسير وقيامه على
التفسير الكبير للإمام فخر الدين بن الخطيب، وأما علم الفقه فكان مشهوراً بحفظه
معروفاً بالقيام على عوامضه. مقولاً قوله في فتاويه منحراً في مذهب مالك يحفظ

فيه ما لم يحفظه أحد من فقهاء عصره، عارفاً بالحلاليات ذكر معرفته بعدم الخلاف في كتابه النسيان، وذكر في كثير من كلامه أنه كان يحفظ رسالة ابن زيد وشرحها للقاضي عبد الوهاب.

ومن مخطوطاته المدونة المسماة (ص 118) بالتهذيب للبرادعي، وكان إكماله لحفظها ستة ست وسعين وسبعمئة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وكان يحفظ كتب التنقيح للقاضي عبد الوهاب، وكتاب جامع الأمهات لابن الحاحب، ذاكرة شرح ابن عبد السلام فتناً على فوائده، ولما ظهر شرحه لسيدى خليل في أواخر عمر سيدي محمد، وبعده عنه ما اشتمل عليه من الفوائد، قال في بعض كلامه:

قد نشتهي نسخاً من خليل فيه آيات وصرح بما نقل ولا يكن نسيان

وهذا منه - رحمه الله - اعتناء كبير بعلم الفقه، وفي كتاب عوارف المعروف: الفقه في الدين من أكمل لرتب (ص 119)، وأعلام وهو علم العالم المراهق في الدين الذي يبيع رتبة الإبداء، ومن حديث عبد الله بن عمر، وابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما عند الله بشيء أفضل من فقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه». وكان عبد الله بن عباس يقول: «أفضل العادة الفقه في الدين» ومما أوصى به بعض الأدباء قوله:

العلم شيء حزين فكس له ذا طلب

وابدأه بالسحر وحسد ممن بعده في الأدب

فإن أردت أن ترى حافاً وعمر منصب

فاقرأ أصول مالك واحفظ فروع المذهب

فإن قال مالك سلسلة من ذهب

وأعمل بما حفظته تحظى بأعلى السرتب

وكان سيدي محمد رحمه الله مع هذه الدرجة العظيمة التي حصلت له في سائر العلوم مداوما على طلب العلم كثيرا من تعليمه وتعلمه معرضا عن النظر إلى علمه أو علمه. ومطوماته مفصحة بذلك، وأنه كان يحتقر علمه ولا يرصى بعلمه، فكانت حاله كحال مثل حالة العبد الفقير إلى سيده مقتديا في ذلك بالسيد الكامل عليه السلام، فقد روي عنه من طريق عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قال رسول الله ﷺ: إذا أتني عتي يوم لا أرداد فيه علم (ص 121) فلا يورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم».

وكان رحمه الله من أئمة علم التوحيد، سالكا فيه الطريق السديد، ورعما المتصوفة وأرباب القلوب يرون أن الوصول إلى حقائق الأعمال وبلوغ من بلغ إلى مقام الكشف، والمراقبة من أفاضل الرجال إنما هو بمعرفة علم التوحيد، وأنت إذا طالعت أحبار فحول الأولياء الذين شهرروا بمقام التصريف والاصطفاء لا تجد أحدا منهم إلا وقد ترقى في علم التوحيد المرتبة العليا، انتقلت عنه الحقائق في مسائله كما تنقل عن أهل الفقه والفتوى، وكان من محفوظات سيدي محمد رحمه الله في هذا الفن كتاب الإرشاد في علوم الاعتقاد، تأليف إمام الحرمين (ص 122) أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الحويبي إمام الشافعية في وقته، وقيل له: إمام الحرمين لأنه كان حاور بالحرمين الشريفين مدة أعوام لتدريس المذاهب الأربعة

فكان طلاب العلم يقصدونه من الآفاق، ولا يحدون أعلم منه هناك رحمه الله، وما أحسن قول الفاضل أبي الحسن علي بن محمد الطبري يرثي أبا المعالي، أشدهم له التحيي في كتبه المصم:

يا أيها الناعي شمس المشرق بأبي المعالي نور دين مشرق
 أندر بني الدنيا قيام قيامة فالشمس صار مغيبها في المشرق
 وكتابه الإرشاد هو مدونة في علم التوحيد، وكان سيدي محمد - رحمه
 الله - من أهل المعرفة التامة بهذا الكتاب، وكان إذا قرأ شيء منه يطق لسانه
 فيه ما لم (ص 123) يسبق إليه، وبما لو سمعه مؤلفه إمام الحرمين لقال له:
 أنت العالم بمعني هذا الكتاب المحكم لأصول دينه على وجه الحق
 والصواب، وقد أحاد بعض الفقهاء في مدح هذا الكتاب فقال:

من كان معنياً بذكر معاد ومعيده فعليه بالإرشاد
 وليحتمس بسيله ودليله من ظلمة التشكيك والإلحاد
 وليتعد أسوار قطعياته في حالة الإصدار والإيراد
 عول عليه تريباً فكفى به ذخراً ليوم تجمع الأشهاد

تنبيه:

فائدة علم التوحيد أن يعرف الإنسان معنى (لا إله إلا الله) مطلوبه أمر
 واحب على كل واحد من المكتمين، إذ لا إله مطلوبه أولاً وأخيراً، أما أولاً
 فنقوله (ص 124) ﷺ: «أمرت أن أقتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»، وأما
 أخيراً فنقوله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»
 فبدأ الأمر التوحيد، وآخره التوحيد، فكلمة (لا إله إلا الله) جعلها الله
 في الدنيا عصمة ونحة من دل السيف والهوان، ثم وعد مسجده لمن مات عليها أن
 تكون له ثمة لحة الرصوان، وهذه الكلمة أعني (لا إله إلا الله) لها حقوق عظيمة،
 وفوائد كريمة وهي أشرف كلمة يطق بها اللسان وأرحح شيء يوضع في الميران،
 وروى في الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال: «لو وضعت السموات والأرض في كفة

الميران (ص 125)، ووضعت لا إله إلا الله في الكلمة الأخرى لكنت لا إله إلا الله أرجع من ذلك».

وعنه عليه السلام: «إذا قال العبد لا إله إلا الله فحمدًا رسول الله، فكأنه رد على كل كافر وكفرة». وعنه عليه السلام: «أفضل ما قنته أب والسيور من قنيتي: لا إله إلا الله».

وعن بعض العلماء: «كن دعاء يكون أوله لا إله إلا الله فإنه غير مردود». وعنه عليه السلام: «أن لا إله إلا الله كريمة على الله فمن قبح صادق حوزته عن المعاصي ودخل الجنة».

وروي عن الحسن بن علي عليه السلام (ص 126) السلام أنه رأى سيد عيسى ابن مريم صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أب سي الله، إني أريد أن أكتب على حاتمي شيئاً، فعصني ما أكتب عليه، فقال له أكتب: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فبها تذهب الهم والحزن، وهو آخر الإنجيل». وأعلم أن أئمتنا رضي الله عنهم - استسطوا عن كتاب الله تعالى لهذه الكلمة الشريفة أسماء عديدة.

الاسم الأول: كلمة الاستقامة.

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الأحقاف 13] جاء في التفسير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن قوله ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ هو قول: لا إله إلا الله، لأن قولهم ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ إقرار بوجود الرب - سبحانه وتعالى - ، ثم لما وجدوا كثيراً من المقربين بوجوده (ص 127) سبحانه قد أشتبوا له البد والشريك، وكمال التوحيد بما هو معتقد بغير الشريك، فهذا قال الموحدين: (لا إله إلا الله) فقد بقي الشريك والظير، وأثبت المعتقد السليم، واستقام على النهج القويم.

الاسم الثاني: الكلمة الباقية.

حاء في التفسير أن قوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ [الر حروف 28] نها قوله (لا إله إلا الله). وأيضاً أهل نحة لا يبقى معهم
شيء من الطاعات سوى الوحيد فيها طاعة باقية مع الموحّد لا تنسى الله.

الاسم الثالث: كلمة التقوى.

قال الله تعالى ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْقَتْوَى﴾. قال أهل التفسير هي (لا
إله إلا الله) وقوله تعالى ﴿وَكَاثِرًا مَّقْبُولًا وَأَهْلًا﴾ [الفتح 26] فيه شرف
كسر لأهل التوحيد (ص 128)، لأنهم إذا كانوا أهلاً لكلمة التوحيد، وهي
أشرف من النحة، فلا يكونوا أهلاً لنحة أولى.

وهي كتاب القاصي من حلال بسده المسلسل باسماع إلى سلمة من كهل
قال: سمعت عدياً من رعي يقول في قوله تعالى ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ
الْقَتْوَى﴾. قال: هي كلمة (لا إله إلا الله).

الاسم الرابع: الكلمة الثابتة.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]. قال أئمة التفسير هو قول العبد حين دخوله
في الإيمان: (لا إله إلا الله). وثالث هي الحياة الدني، وأما الآخرة فثالث قوله: (لا
إله إلا الله) عند آخر ساعة في الدني. وأول مرل من مرل الآخرة، ثنا الله
بالقول الثابت في الحياة الدنيا (ص 129) وفي الآخرة

الاسم الخامس: الكلمة الطيبة.

قال الله تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَحَرَفٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: 24]. ومعنى

كوبها طيبة أن صاحبها يكون طيب الاسم في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [البور: 26]. وقيل: سُميت طيبة بمعنى أنها مقبولة عند الله، وهو إحدى التأويلات في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]. وقال تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج 24]. ولا قول أطيب من هذه الكلمة، ولا أظهر منها كما أنه لا أنتن ولا أنحس من الشرك المعد من هذه الكلمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28] ثم إن الكافر إذا أقام على نجاسته وشركه مثلاً سبعين سنة فإن نجاسته تزول بهذه الكلمة إذا وفقه الله لها وقاله مرة واحدة، قل أهل الإشارات: «إذا كانت (ص 130) هذه الكلمة تظهر الحساسات الكفرية، فلأن تزيل دنوب المؤمن العاصي أولى وأحق».

الاسم السادس: دعوة الحق.

قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْخَقِّ﴾ [الرعد: 14]. قال ابن عباس: «دعوة لا إله إلا الله».

الاسم السابع: كلمة العدل.

قل لله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ﴾ [الحج: 90]. في كتب التفسير: أن العدل شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان والإخلاص فيه.

الاسم الثامن: كلمة الإحسان.

قل لله تعالى: ﴿هَلْ حَرَّاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60] قل أئمة التفسير: معناه هل حراء من أحسن إليه بالإيمان إلا أن يحسن إليه بالعمران،

واتفق المفسرون على أن المراد بالإحسان في قوله تعالى: (ص 131) ﴿يَلَدِينَ أَحْسَنَ الْخَلْقِ وَرِيَادَةً﴾ [يوس: 26]. هو قول: (لا إله إلا الله).

الاسم التاسع: القول السديد.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحراب: 70]. قل أئمة التفسير: المراد بالقول السديد هذا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الاسم العاشر: العروة الوثقى.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْمُرْ بِالظَّالَمَاتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: 256]. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

هذا تلخيص بعض ما ذكره الأئمة باختصار، إذ كان هذا المجموع مراد به كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص وكلمة الله العليا، وكلمة (ص 132) الحجة إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتب التفسير.

واعلم أن من أكثر من قول (لا إله إلا الله) محضاً من قلبه، عارفاً بوحدايته ربه فإنها تحمزه عن معاصي الله وتمعه من الشهوات المظنة، وتبغض له الدنيا وتحبب له الآخرة.

الدهم سرقة (لا إله إلا الله) اشرح صدوركم لمعرفة (لا إله إلا الله)، وأطلق الستة بذكر (لا إله إلا الله)، وثبتا على القول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

تنبيه:

اعلم أن حقيقة التوحيد لا تدرك إلا بالخطر في آيات الله عز وجل، والاستدلال عليه لا يكون إلا بالتفكير في آثار قدرته وشواهد صمته، ولطائف حكمه سبحانه لا إله إلا هو، وقد أرشد - سبحانه وتعالى - إلى التفكير والخطر

(ص 133) في عجائب مقهوراته، والاستدلال بكسك عنى وحدانيته، وكمال
ربوبيته بحمسة آيات من كتبه العبرية، ولن يعنى * أَوْلَمَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ * [الأعراف 185].

وَقَدْ تَعَالَى ۝ أَمَّا يَظُنُّوْنَ إِلَى السَّعَةِ مَوَدَّةَ كَيْفَ بَيَّنَّاهَا وَرَبَّنَا وَمَا
مِنْ مَرْجِعٍ ۝ وَالْأَرْضُ مَدَدَتْهَا وَأَنبَأْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَنبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ نَبْهَجٍ
۝ بَصِيرَةً ۝ وَكَرَّمَىٰ يَكُلُ عَبْدٌ مُبِيبٌ ۝ [ق: 6-8]

وَقُلْ تَعَالَى مَا أَفْلَا يَظْهَرُونَ إِلَى كَيْلٍ صَكَبَ حُفَّتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَنْهَارِ كَيْفَ تُسَلَّحَتْ ﴿٢٠﴾ الْعِشِيَّةُ

[20 - 17].

فقد أمرنا الله - عز وجل - بأعناق النظر في محبته والتفكير فيما
أحكمه من مصوعته من أرضه وسماواته، وبهذا النظر والتفكير يصل
العبد إلى حقيقة (ص 134) المعرفة.

فمن وفقه الله وهداه إلى حسن التأمل، وأرشده لمقام التدبر بالعقل، والفكر فقد أعم عليه، فأنت إذا تدبرت بصحة عقلك أن رب وحائق سبحانه وتعالى عني عن حقيقته قائم سبحانه بداته مدير تعالى في تصرف هذا الحق من جميع جهاته، وأن المحلوفات كلها محتاجة إلى الحائق المدير سبحانه لا تسعي عنه طرفة عين. علمت أنه الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، وأنه سبحانه وتعالى - كما خلق هو الحق وأحكم صاعته على غير مثال سابق، فهو تعالى عالم به قبل خلقه، وأن القدرة التي بها (ص 135) كان ابتداءه هي القدرة التي بها يكون فاعله. ﴿وَمَا تَشْقُطُ مِنْ رَرَقَةٍ إِلَّا أَعْلَمُهَا وَلَا حَبْوٍ فِي طُلُوعِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].

واحد أيها العبد من وسوسة الشيطان في عقيدة توحيدك فإنه يأتيك بالوسوسة في كيفية ما وصف الله به نفسه من السمع والبصر والاستواء على العرش واليدين، فإذا حطر هداً بعقلك ودفعه عن قلبك وارفصه عن قلبك ولا تفكر في كيفيته؛ لأنه مما ستره الله عما ولم يكنه لنا ولا أعلمه له لأنه لا تطيقه عقولنا وتحار فيه أفكارنا:

كل ما يرتقى إليه بروهم من جلال قدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى منه سبحانه مبدع الأشياء
(ص 136) وكذلك أيضاً إن دعتك الوسوسة استقلال الرق الذي قسمه الله لك ووسع على غيرك وصيقت عليك، ومنع قوت العافية في بدن، وابتلاك بأنواع المرض فاطرح ذلك من عقيدتك واستعن بالله من وسوسة الشيطان، فإنه حريص على إديتنا وإفساد عقيدتنا ولا عصمة لنا إلا بالله - عز وجل - . وهذه الوسوسة بحر عميق هت فيه حلق كثير، ولأنها تؤدي إلى تعقب أحكام ربنا سبحانه وتعالى فادفعها من نالك ولا توسع لها عقيدتك، فإنه مما ستر الله عما من سائر أمره، وقد أحرر تعالى أنه لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، لا يسأل عما يفعل في عبده، وهم المسئولون، وهم المقروء (ص 137) إليه، وهو الغني الحميد.

وقد بهي الرب سبحانه وتعالى عبده في محكم كتبه عن تمي ما حرمهم، وأبأه غيرهم، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ تَعْصِيَّتَكُمْ عَلَى نَهْيٍ﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[النساء: 32].

قال بعض المفسرين: هذه الآية مفصحة بوجوب الرضى والتسليم، والالتقياد لما قصاه وقدره في سابق علمه الحكيم العليم، فإذا فادت الحطرات إلى شيء من هذه الوسوس والشبهات، فافزع إلى العود بالله وسؤال فضله أن يريح ذلك عن فست، ويريح عنه شواغل لك، وتأمل قوله تعالى: (ص 138) ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ قُوِّي الْمَلِكِ مَنْ خَشَا وَتَرَعُ الْمَلِكِ بِمَنْ خَشَا وَتُغْزِ مَنْ خَشَا وَتُدِلُّ مَنْ خَشَا بِبَيْدِكَ الْحَيِّزِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

والعبد ليس له حق على ربه ولو كان الأمر على ما يتمناه العبد لصل التذير الإلهي، وعسد الحكم الرباني. فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْخَلْقُ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: 71].

يسعي لك يا ابن آدم أن تعرف نفسك، وأن تحصم عدوك بالمصادرة إلى الرضى والتسليم والقيام بحق العودية في الدئل ولحصوع لتعير الحكيم، ألا نرى أنه سبحانه وتعالى - خلق ملائكته وجعل مدارلهم متذوتة وأعمالهم متدنية، وكنهم له عابدون وصاحدون (ص 139) يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وكذلك الأسياء عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 2].

فأهل المعرفة بالله المحصوصين بطاعته لا يروا أنفسهم أهلاً لما أعطاهم فكيف يطمعون ما لم يعطهم، فهم واقفون في موقف الشكر على ما أعطاهم راعون إليه في المزيد من فضله والثبات على طاعته، بل الواجب عليك أيها العبد أن تشعل قلبك بعرفة نفسك، وأن تعقد حطاب الله الوارد عليك في أوامره ونواهيه، وفيما سلف من دنت، وفي شكر نعمة الله عليك، وفيما

فرصت فيه مدة عمرك من التوبة (ص 140) الراحة عيث: يد لعه أن يكون قد اقترب أحلك، واسأل الله - عز وجل - أن يسمعنا وإياك ممّا لا يرصاه من العمل والقول بيده القوة والحول.

حدّث المقرئ الرهد أبو محمد القاسم بن داود الصديقي في رحلته بسنده من شيوخه أنه قدم رحل بين يدي دي النون المصري، فقال له: يا ذ النون، أخبرني عن لتوحيد ما هو. قل: هو أن نعم أن قدرة الله في الأشياء بلا مراح، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعنة كل شيء صنعه ولا عنة لصنعه وليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى مُدر غير الله - عز وجل - وكل ما تصور في وهمك والله بحلاف ذلك.

قال لصديقي (ص 141) وأنشد الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي لبعضهم:

الله أكبر أن تكون لداته	كيفية كدوات محسوفاته
أو أن تقاس صفاتها في كل ما	تبدية من أفعالها بصفاته
تبا لذي سمه يقول بانه	حسم وأن سماتها كسماته
لبديع صنعه عليه شواهد	تبدو على صفحات مصنوعاته
درا الأسماء بقدرة أربابه	وإرادة فليسهم لتقديراته
ورمى بعين العلم ما تأتي به	لغات أعينهم وما لم تأت به

ومن فوائد (لا إله إلا الله) ما حكه ابن عميرة في كتابه «نغية لمنتمس في تريح علماء الأندلس»، وذكره العلامة أبو القاسم بن يعيش في فهرسته واللفظ له، قل: روي عن الأستاذ أبي الحسن نحة الرعيبي أنه قال: حصرث الجمعة (ص 142) يوماً في جامع العدس بوشيلية والحطيب إد ذلك به

الأستاذ أبو الحسن شريع، فصحة وقد حان الرواح إلى الجمعة، مرض مرضاً منعه من الخروج، وارتقب وصوله فلم يكر. وصاق الوقت فتقدم الناس إلى القاضي أبي بكر بن العربي وطلبوه البينة عن الحطيب فصعد القاضي أبو بكر المنبر من غير استعداد للخطبة، فلما سكنت المؤذن استوى قائماً فقال: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله، فلما قالوها قال:

روينا عن النبي ﷺ أنه قال: إذا قل العبد لا إله إلا الله اهتر عمود من نور أوله تحت العرش وأخره تحت الأرض الساعة، فيقول الله عز وجل - له: اسكن، فيقول: يا رب كيف أسكن وأنتم لم تعمر لقننها، (ص 143) فيقول الحليل حل حللته: أشهدكم يا ملائكتي وحملة عرشي أبي قد عمرت لقننها، فقال رسول الله ﷺ: «أكثروا من ذلك العمود».

ثم قال القاضي أبو بكر: أن أحسن ما لفظ به لافظ، وأبلغ ما وعظ به واعظ، كتاب الله العزيز الدي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْغُطُلُ مِنْ مَينَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تَرْبِيعٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿أَصْلَتْ 42﴾ قَالَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴿قَدْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِأَسْمَاءِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: 98]

ثم تلا آية الكرسي إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾. ثم قال: روي عن عكرمة بن عمار رضي الله عنه أنه قال العروة الوثقى: لا إله إلا الله. ثم جلس الحصة الفاصلة بين الحطتين، ثم قام إلى الحطة الثانية فقرأ الفاتحة، وسورة (ص 144) فاطر. ثم صلى على النبي ﷺ، وسلم على آله وصحبه بما تيسر. ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ رَبِّتِي دِي الْقُرْآنِ وَيَتَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَيْتَى يَعِظُكُمْ لَعَنَكُمْ تَذَكُّرُونَ﴾ [النحل: 90].

ثم برر فصول الناس على أن نقاضي أبا بكر هو الخطيب المصنف - رحمه الله ورضي عنه - .

وكان سيدي محمد محولاً على الكرم والإيثار، معروفاً بسخاوة النفس فحث في الحدود، وأما السباط فكان لا يدارقه، قل في الثياب ولابد للسباط للخالس ومن يمشي، وذكر في منظومته أنه كان إذا تم به نظم تأليف أو أمر ديني جعل بذلك سباط من الطعام، إما باللحم أو العاكهة (ص 145)، ويسمى ذلك الباروك، ولا ريب أن الكرم هو أساس الصوف وبه قوامه.

وفي الحديث عن النبي ﷺ «السحابة شجرة في الجنة أعصابها متدنية إلى الأرض، فمن بعثت بعض من أعصابها أدخلته الجنة»
وعنه ﷺ «صانع المعروف تقي مصارع السوء»

وحدث الأستاذ أبو نفاسة عن علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال «سادة الناس في الدنيا الأسحباء وفي الآخرة الأنقياء»

وكان من شأن أوليائه الصادقين، وحرية نفس أن يتحرروا من صفة العناء أن تدخل عندهم فلا يمكن أن (ص 146) ثبت يقصد عندهم فقرهم كما يتحرى الأعناء من صفة الفقر أن تدخل عندهم، فهم لا يسمحون بم في أيديهم من عرص العناء حذراً أن يدخل عندهم الفقر، فيفسد عندهم عبادهم.

فهذا الشيخ رحمه الله كان ممسكاً بصفة الفقر متحققاً بمصله مؤثراً له على العناء، فقد كانت الصدقات والدور ترد عليه من جميع البلاد ويهوي بها إليه المسافرين من جميع الأقطار السعيدة، فيصرف ذلك لوقته ولا يحص نفسه شيء منه، حدثني جماعة من الثقات، أنه قال قل أن يرد على وهران حص فيه جماعة من المسلمين إلا وفيه عدة أو صلة لسيدي محمد، وكانوا يصمرون ذلك في بياتهم عند تحركهم في سفرهم من بلادهم فيحدون (ص 147)

بركة ذلك.

وربما أخبر سيدي محمد أصحابه وأهل مجلسه برورود ذلك عليهم قبل وصوله، فيكون كما قال، فكان - رحمه الله - يتصدق بكل ما يرد عليه ويفقه على الفقراء إيثاراً لصفة الفقر، وطمعاً أن يهوز غداً ثواب السبقية إلى دار العناء.

ففي الحديث عنه ﷺ: «يدخل فقراء أمني الحجة قبل الأغنياء بصف يوم»، وهو خمسمائة عام، ومعلوم أن الكرم في الصفات المحمودة الجامعة لخير الدنيا والآخرة.

ومن حديث عائشة رضي الله عنها - ، عن النبي ﷺ أنه قال: «السحي قريب من الله قريب من الناس، بعيد من البار، والبخيل بعيد عن الله، بعيد عن الناس، بعيد من الجنة».

(ص 148) وفي الحديث عنه ﷺ: «إن الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة». وكان علي بن أبي طالب يقول: «إذا أقبلت عيث الدي فامق منها فإنها لا تقى، وإذا أدبرت عيك فامق منها فإنها لا تقى»، وقد نظم هذا الكلام بعض المجيدين من الشعراء فقال:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس يقصها التذير بالشرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا أدبرت بالخلف
وأكرم الكرماء نيا محمد ﷺ لأنه كانت تحيى إليه أحمال الفضة والذهب
فيحود بذلك كله على المساكين حتى لا يبقى بيده منه درهم واحد،
(ص 149) ومات ﷺ ودرعه مرهونة في قوت أهله، ومما روينا من إثاره ﷺ
حديث الثمانية دراهم.

حدث صاحب الذخائر والأعلاق وغيره من أهل الأخبار، أن النبي ﷺ

حرج إلى السوق ومعه ثمانية دراهم، فإذا بحارية على الطريق تنكي، فقال لها: «ما يكيك؟» قالت: بعثني أهلي بدرهمين لأشتري بهما حاجة فوقها لي، فأعطاهما درهمين، ومضى ستة دراهم، واشترى منها قميصاً بأربعة دراهم، ولبسه وانصرف، وإذا بشيخ من المسلمين عارياً وهو ينادي: من كسائي كساه الله من خضر الجنة، فتحرد ﷺ من القميص وأعطاه إياه، ثم رجع إلى السوق (ص 150) فاشترى قميصاً لبناً بدرهمين فلبسه، وأقبل ﷺ ينادي أهله فإذا هو بالحارية حيث تركها وهي تنكي فقال: «ما يكيك؟» فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طالبت غيتي عن أهلي وأخشي عقوبتهم، فقال لها: «تقدمي لأهلك، وأب عنك إترك»، وحمل ﷺ ينمها حتى أنت بعض دور الأنصار وليس فيها إلا النساء، فقال: «السلام عليكم ورحمة الله، فسمع النساء صوته فعرفه فسكن ولم يحسن رجاء أن يعيد السي ﷺ عليهن من السلام ما يحصل لهن الخير والبركة، فلما لم يسمع السي ﷺ محبت أعداد عليهن السلام ثانية، ثم ثلثة رافقاً صوته فأحبه النساء بأجمعهن السلام عليك (ص 151) يا رسول الله ورحمة الله وبركته، بمديك يأتينا وأمهاتنا يا رسول الله، فقال لهن ﷺ «ما سمعتم ابتداء سلامي أولاً؟» فقلن: بلى، ولكنا أحسنا أن نكثر لأفئتنا وذريتنا من بركة تسليمك، فقال لهن ﷺ: «إن جاريتكن هذه قد أعطت عنكم وحشيت لعقوبة فهو إلى عقوبتها»، فقال النساء قد قلنا شفاعتك يا رسول الله، وقد اعتقبنا لممثلك معها، فهي حرة لوجه الله العظيم، وانصرف رسول الله ﷺ وهو يقول: «ما رأيت دراهم أعظم بركة من هذه الثمانية، دراهم أمن الله بها حائف، وكساها عارياً، وأعتق بها رقبة، وما من مسلم يكسو مسلماً إلا كان في حفظ الله ما دامت عليه منه رقعة». (ص 152)

يبقى الثناء وتنفيذ الأموال ولكل دهر دولة ورجال

ما نال محمداً الرجال وشكرهم إلا الجواد بماله المصـال

وكان سيدي محمد رحمه الله نحب الشرفاء لكرام ويعظمهم ويدكر
حقوقهم، فمن قوله في تبصرة المسائل:

من هو فصيح عربي من آل فاطما ويقدموا على من سبق لو التقدا

من هو شريف هو سيدي وعظما مطلب كبير عدي من جهلوا عما

حدثني جماعة من أهل الخير أنه كان معظم لأهل بيت النبي ﷺ يعترف لهم
بالعبودية، وإذ قدم عليه أحد من الشرفاء قام له من محبته، ووقف كالخديعة (ص
153)، بين يديه، وأكرم بره، وأذن لنحضرين قصه، فرد انصرف عنه روده بما
يجده في الوقت من دراهم أو ثياب.

ولما عرف عنه عبودته والشرف والكرامه لهم صار المظنون منهم
بقصدونه ذلك وينسبون على الشرفاء صمداً فيما عهد من كرمه وبواله،
فيكرمهم ويؤوه بهم، فيقول له أصحابه في ذلك، فيقول: نحن عرف من عديم
إن كان من ادعى شرف منهم صادق فذلك، وإلا فقد نعت النسبة والحمد لله،
وهذا الذي كان عليه هذا الشيخ رحمه الله من حب الشرفاء الكرام هو من
فرائض الدين ومعتقدات أهل السنة، لأن حب أهل البيت وسببته بني حبه ﷺ،
وبما حصص الشيخ رحمه الله آل وطمة - رضي الله عنها - ، لأنها أصل
لهذا الشرف الكريم، وولدها الحسن والحسين وأولادهم ومن كان عفيفاً هم
المختصون بالإجلال والتعظيم.

ول سيدي محمد في بعض منظومته: ونشرف من وطمة لا من علي
بإطلاق الشرف على غير أولاد الحسن والحسين، إنما هو بحسب اسم،
ويحب إكرام الجميع لأنهم أهل البيت (ص 154)، الذين وصى بهم النبي ﷺ،
فهي لصحيح عنه ﷺ، «أذكركم الله في أهل بيتي»

قال أئمتنا: معناه أحذركم الله في شأن أهل بيتي، وأقول لكم: اتقوا الله ولا تؤدوهم واحفظوهم، وفي الحديث عنه عليه السلام أنه أحد كساء وجمعه كلجباء، ثم أدخل فيه الحسن والحسين ووصمة وعثيا رصي الله عنهم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» [الأحزاب: 33]. اللهم هؤلاء أهل بيتي، ولذكر نرحمة محتصرة لكل واحد من هؤلاء السادة تكميلاً للإفادة.

أما سيدنا عبي أمير المؤمنين رصي الله عنه - فهويع بالحلقة ستة حمس وثلاثين من الهجرة، وله من المحر (ص 155) بقراثة من رسوله عليه السلام، وسقيته إلى دار الإسلام، وبالصهر المحقد له عبي فاطمة سيدة نساء أهل الجنة رصي الله عنها، وبكوبة من السي عليه السلام بمررة هارون من موسى ما لم يكن غيره، وفي كتاب للعمدة عن أبي بكر الصديق في كتبه بسده المتصل إلى أبي در قال قال رسول الله عليه السلام «مثل عبي فيكم» أو قال في هذه الأمة، كمثل لكعة لمستورة النظر إليها عذرة، والنحج إليها فريضة.

وأسد الخطيب أبو بكر عن حارس عند الله رصي الله عنه - قال: قال رسول الله عليه السلام «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أبو رسول الله قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي عام» (ص 156) ومن شعره مشيراً لذلك:

محمد السي أخى وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
وحفص السدي يمى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكي وعربي	موط خمها بدمي ولحمي
وسبط أحمد ولداي مها	فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طراً صغيراً ما بدعت أوان حلمي
 وصليت الصلاة وكنت رداءً فمن ذا يدعي يوماً كيومي
 وكان عبي - رحمه الله - مشهوراً بالعلم والشجاعة تميز عن سائر الصحابة
 بالفة في الدين، وقتل صديد المشركين. وكان من أهل زمانه في الخبر الصحيح
 عنه - رضي الله عنه - ، أنه نظر إلى المال محمود في بيت (ص 157) مل
 المسلمين فقال: يا صفراء ويا صفاء عري غيري، ثم فزق ذلك كله لوفته عبي
 المسلمين وصلى في مكة، وروى عنه أنه قال: «طلقت دينكم ثلاثاً لا رجعة لي
 فيها»، نظم هذا الكلام بعض الشعراء في أبيات حاطب فيها حمدته وقد أدبرت
 عنهم الدنيا فقال:

عنت علي الدنيا وقلت إلى متى أرى عمرات منها ليس يحلي
 أكل كريم من علي بجاره حرام عليه الولد غير محمل
 فقال نعم يا ابن الوصي لآسي عصبت عليكم حين طلقني علي

ولبعضهم فيما يقرب من هذا المعنى:

عنت علي الدنيا لتقدم جاهل وتأخير دي الفصل فقلت خذ العدا
 دوو الجهل أبائي وكل فصيلة فأبأوها أبناء صرتي الأخر

(ص 158) وكانت وفاة سيدنا علي رضي الله عنه سنة أربعين للهجرة، فله
 عدو الله عبد الرحمن بن ملجم الحارثي عند قيامه لصلاة الصبح في المسجد.
 ورثه الناس بأشعار كثيرة فمن متحير ذلك قول بعض سائه:

ألا قل للخواارج حيث كانوا فلا قرت عيون الشاميا
 ألي شهر الصيام فجعلتموها بخير الناس طراً أجمعين
 قتلتم خير من ركب المطايا وذللتها ومن ركب السهيا

ومن لبس العال ومن حذاها ومن قرأ المثنائي والمينا
وكل مناقب الخيرات فيه وحب رسول رب العالمينا
وما أحسن قول الفاضل يحيى بن حميد الحببي كبير الشعراء في المائة السابعة
ببلاد الشام أشده (ص 159) اس شداد الحببي رحمه الله تعالى :

حسب علي شرف لمن به يستحق
ومعضه السفاق والكهر الذي يقتصر
مير محبيه فهم إذا الأسام انكشفوا
جواهر خالصة وما سواهم صدف

وأشد العماد الأصمعي في كتابه الحريدة لبعض أمراء بني مرید -
رحمهم الله تعالى - :

حب علي بن أبي طالب للناس مقياس ومقيار
يخرج ما في أصلهم مثل ما يخرج عيش الذهب بالنار

وأما سيدتنا وطمة الرهراء رصي الله عنها - فأما حديجة، وكان
يحبها (ص 160) حباً كثيراً، وكانت إذا دحت عليه قدم إليها فقصدها ورحب بها
ويقول لها: «يا طمة أنت سيدة نساء العالمين».

وفي كتاب الأربعين السائين. عن ابن مسعود في كتابه «يصحح البيان» أن كفار
قريش لما سألوا عن النبي ﷺ أن يريهم اشفاق القمر وأراهم ذلك، ولما رجع إلى
بيته قالت له حديجة، يا رسول الله قد رأيت القمر وقد انحط إليك وأنت على
حبل أبي قيس، ولقد رأيت يا رسول الله معجزة أعظم من اشفاق القمر، والله لقد
خاطبني هذا الحنين الذي في بطني فقال لي وهو في طمة الأحشاء: «يا أمه

أتحشين على رسول الله ﷺ ومعه رب المشارق (ص 161) والمعارف، فتبسم النبي ﷺ من كلام خديجة. وقال لها: «إن الله ما أعطى لشيء معجزة إلا وحصي بمثلها». وقد كان عيسى كرم من ضمة الأحشاء والذي يكتمه يود الله هي فاطمة قدسها لله، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «فاطمة سيدة نساء الجنة».

تنبيه:

إنما قيل لفاطمة الزهراء لأنها كانت تعرب النساء لحسن إشرافها وطهارتها أعرفها وطيب أخلاقها، والراهر في كلام العرب هو المشرق النور من النساء والرجال، وفي الحديث عن أس عباس قال: إذا استقر أهل الجنة في الجنة سرفت درفة من النور، قال أهل الجنة عن ذلك فتقول (ص 162) لهم الملائكة: أن عذب، داوكة وطمعة، وتسمت مطع نور ثيها فمعه ذلك النور.

وكتب ودفنها رضي الله عنها - سنة إحدى عشر من الهجرة، وهي ست ثلاثين فيها وس أسها ﷺ في الوفا سنة أشهر، وطمعة رضي الله عنها - قليلة الحديث تكوينا مانت في صدر الإسلام كما تقدم

ومن حديثها ما أخرجه صاحب الهداية، قال: روي عن فاطمة رضي الله عنها أنه قال أبوها ﷺ: «يخسر الناس يوم القيامة خفة عرفة، قالت يا رسول الله، وإسوأه بظن بعضنا إلى بعض، فقال ﷺ: «بإني أرى أن المؤمنين (ص 163) فيحشرون في ستر الله تعالى، وتحدد لهم أكنافهم، وأما الكفار فتبدو عوراتهم».

فراحت في دارج بغداد نخطيب أبي بكر فيما أسنده عن رحله، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عذمة، عن عبد الله بن مسعود قال أصاب فاطمة ست رسول الله ﷺ صبيحة العرس رعدة، فقال لها رسول الله ﷺ «يا فاطمة إني قد روجتك ميذا في الدنيا، ويزه في الآخرة لمن الصالحين، يا

وطمة إني لم أردت أن أروحك من علي أمر الله سبحانه جبريل بأبي قد زوحتك من عبي، ثم أمر شجر (ص 164) الحبان فحملت الحلي والحلل، ثم أمرها فشرته عسى الملائكة، فمن أحد منهم يومئذ أكثر ممّا أحد صاحبه أو أحسن افتخر به إلى يوم القيامة».

حدث راوي لحر أن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها كبت تقول: فقد كبت وطمة تفنخر على غيرها من النساء بأن أول من حطت عندها حريل - عليه السلام - .

وأما سيدنا الحسن - رضي الله عنه - فكنته أبو محمد، ولد سنة ثلاث من الهجرة، وعن عبي رضي الله عنه لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ، فقال «أروني ما سميتوه»، فبنا: حرب، قال: بل هو حسن، وفي البخاري، ومسلم، أنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ

وكان الحسن رضي (ص 165) الله عنه من أعدد أهل زمانه كثير للصلاة، والصيام، وهذا محث للمفراء، وتواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال في الحسن «أن هذا سيد، وعسى الله أن يبقيه حتى يصلح به بين فتيين عظيمين من المسلمين»، فأمل هذا الفصل العظيم الذي حص الله به سيدنا الحسن فإنه لا أعظم قدراً ممّا صفه النبي ﷺ سيداً

وكان من أرهد أهل زمانه وأورعهم وأفصدهم، وبيان ذلك أنه لما قتل أبوه رحمه الله - ديعه أكثر من أربعين ألف مقاتل على الموت، وأقام حديفة بالعراق نحو نصف سنة تحي، إليه الأعواء فعلب عليه ما هو سيله من الرهد وأورع (ص 166) فترك المنث ولحلافة رعة فيما عند الله، ثم قام فحطت في الناس بحضرة معاوية وقال في خطبته:

الحمد لله الذي هداكم بأولنا وحفر دمكم بأحر، ألا إن أكيس الكيس

التقوى، وأعجز المعجز الفحور، وأن هذا الأمر الذي احتلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون هو أحق به مي، وإما أن يكون حقي فقد تركته لله، وإصلاح أمة محمد ﷺ، ثم التفت إلى معاوية وقال: «وَلَا أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكَ وَمَنْعٌ لِّكَ جَيْنٌ» [الأنبياء: 111]. وكانت وفاته سنة تسع وأربعين مسموماً رحمه الله ورضي عنه - .

ومن مرويات الحسن في كتاب الترمذي، وأبي داود، عن أبي الحوراء قال: قال الحسن بن علي - عليه السلام - (ص 167) «علمني رسول الله كلمات أقولهن في القنوت، اللهم اهدي فيمن هديت، وعاف في فيمن عافيت، ونولي فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضي عديك، وإنه لا يبدل من واليت، ولا يعر من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت».

وأما سيدنا الحسين رضي الله عنه - فكيفه أبو عبد الله ولد في السنة الرابعة من الهجرة، قال أبو عمر: كان الحسين من أهل الدين والمصل كثير الصوم والصلاة، ومن عظيم عبادته أنه حج خمس وعشرين حجة ماشياً على قدمه، وحيله تفاد معه، وكان السي رحمه كثيرًا ويرفعه على عنقه ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه».

وفي (ص 168) جامع الترمذي، عن علي بن مرة قال رسول الله ﷺ «حسين مي وأب من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط».

وفي كتاب ابن أبي السعادات، عن ابن عمر - رضي الله عنه قال: «كان علي الحسن والحسين - رضي الله عنهم - تعويذتان خشوهم من رعب جناح جبريل - عليه السلام -».

قلت: التعويذ الذي يجعل على الصبيان إذا خافوا عليهم من العين، فإذا
كبروا نحيب عنهم، وكانت وفاته يوم عاشوراء، من سنة إحدى وستين سنة،
قته أصحاب زياد بن معاوية لا (ص 169) رحم الله زياداً ولا أصحابه، ورثاه
جماعة من الشعراء والعلماء، ومن أحسن ما وقعت عليه في هذا الوقت ما
أشده الأستاذ العلامة أبو القاسم بن علي بن يعيش الأندلسي في فهرسته
لراهد الأندلس أبي بكر بن قسوم رحمه الله تعالى :

أسفي لابن علي أسفي	ما اعتدار الدمع إن لم يكف
لو أذنت الجسم دمعاً كله	وفؤادي بعد ذا لم أنصف
كم أثار كربلاء من كرب	لقتيل ما له من حلف
فاترك الأجفان تنهمل دمعاً	لشهاد ثم باللطف طف
حرره الماء ظلمنا بينا	وسقوه بظلمة المشرف
لو دماء عبد شمس كلها	قد أريق في حسين لم تف
يا غواة الدين ما غركم	إذ بطشتم بالأنوف الأنف
(ص 170) وجهوتم في ابنه خير الوري	أرسول الله يا قوم جف
لو طباق الأرض حزت أسفا	لم توف حق بعض الأسف
أحقها يا شقيقاً كدته	بسنان وحبسام مبرهف
إن بسدا وحنينا هيجا	منك حقاً كان في القلب خف
ثارت النفس فأمضت ثارها	سوف تلقيك بمهوى التلف
شاه منك الوجه عن مستهلك	لم يراع ما له من سلف
لمت شعري ما الذي تصنعه	يوم تلقى جده في الموقف

يوم تلقاه ذليلاً صاعراً ناكس الرأس شديد الأسف
لا يغرنك الذي حولته من نعيم هو حظ المرف
سوف تسدري يا يريد في عد لمس الجاه وعر الشرف
يوم تلقى باكياً في سفر وحسين ضاحك في العرف

(ص 171) ومن رواية سيدنا الحسين عن حمزة عليه السلام ما حدث به الرهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «مَنْ حُشِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

ومن حديثه المسند بسريّة يوم الحميس قال: رأيت عتياً يقلم أظفاره يوم الحميس، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقلم أظفاره يوم الحميس، ثم قال ب عني قص الظفر، وتنق الإبط، وحنق العدة يوم الحميس، والنعل، والطيب، واللباس يوم الجمعة.

ومن حديث أس بن ميثاق رضي الله عنه قال: وقف بي في قصر الشارب، وتنق الإبط، وحنق العدة، وتقليم الأظفار، أن لا يترك ذلك أكثر (ص 172) من أربعين يوماً.

ومن محاسن أخبار سيدنا حسين رضي الله عنه ما ذكره الصدقي في رحله بسند متصل إلى الأصمعي قال: عرّضت على أمير المؤمنين معاهدة حربية نسمع فأعجته فقال عن ثمنها، فقبل له: مائة ألف درهم وباعها، وبطّر إلى عمرو بن العاص فقال ثمن تصيح هذه تحاربة؟ فقال: لأمر المؤمنين، ثم استمهم غيره من أهل محبته، فقال له كدث، فقال ما أصتم، فقبل له فممن ي أمير المؤمنين، قال: للحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وبه نحق بها لماله من الشرف ونفصل، ثم أمر من يقوم عيها ويحفظها إلى أن مصت أربعون يوماً فأهداه له مع أموال عظيمة وكسوة، وأساب، وكتب إليه:

إن أمير المؤمنين اشترى حارية وأعنته فبعث بها إليّ، وأترك بها قلماً دخلت على الحسين أعنته حماتها، فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: هوى، فقال: أنت هوى كما سميت هل تحسبن شيئاً؟ قالت: نعم، أقرأ القرآن، وأشد الأشعار، قال: اتل عليّ شيئاً من القرآن، قالت: ﴿وَعِدَّةٌ مَعَاتٍ الْمَيِّتِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعام: 59].

قال: أشدبي بعض ما بعثت من الشعر، قالت: عليّ الأمان، قال: نعم، فأنشدت تقول:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإسمان
فكفى الحسب، ثم قال: أنت حرة، ومما بعثت به معاوية من المال صدقة عليك، ثم قال لها: هل قلت في معاوية شيئاً، فأنشدت تقول (ص 174)
رايت الفتى يمضي ويجمع حبه وحساء الغسا والوارثون قعود
وما للفتى لا يصيب من العفلى إذا فارق الدنيا عليه يعود
ثم أمر لها بألف دينار من ماله وبصرفت؛ فبنت حرجت عنه، قال: رايت أمير المؤمنين كثيراً ما ينشد:

ومن يطلب الدنيا لحال تسره فسوف لعمرى من قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء فينة وإن أقبلت كانت قليلاً أدوامها
ثم بكى وقام إلى صلاته - رحمه الله - .

وفصائل ساداتنا أهل البيت كثيرة ومفاهيم شهيرة. وكما هم من المحرمين رويناه من الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الحسن والحسين هما ريحائتي من الدنيا، من أحبهم فقد أحسنني. ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهما (ص 175) فقد أبغضني. ومن أبغضني فقد أبغض الله، اللهم إني

أحبهما فأحب من يُحبهما».

وأحرج المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَخْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23]. قوله عليه السلام: «من مات على حب آل محمد، مات شهيدًا، ألا ومن مات على حب آل محمد معفوزًا له، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالحبة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره له دسب في قبره إلى الحبة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مرآة لثلاثكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة».

ومن فوائد أبي بكر النجار، عن شيوخه، عن محمد، حديث في فصل أهل البيت يأتي إن شاء الله في ترجمتي لسيد إبراهيم التاري، ونسبتي (ص 176)، أحمد بن الحسن، ورحم الله الفاضل المحيد أبو عبد الله التلمساني بسري مؤلف العمدة حيث قل من قصيد طوبل في قتل سيدنا الحسين بموضع يقار له: «الطف» من أرض العراق، ويتوسل فيه لأهل البيت، ويستشعر بهم إلى الله تعالى:

يا سادتي يا أهل بيت المصطفى	ذكر يوم الطف قد أفجعي
قتل المسبط حسين بكم	فيه فاشتد علي دا حزبي
ومحسوكم معي قد حاربوا	فلماذا أحروا دموع الأعين
ذاك يوم نيل فيه منكم	ليتي لو كنت فيه لستني
كنت ألي في رضاكم مهنتي	فار عبد في رضاكم قد في
أن يكن لم يقض داكم ربا	ومما يمسكنكم لم يكن
ها أنا يا سادتي أنصركم	بمقابل ما خلا من لس

(ص 177) فاشفّعوا لي يوم حشري تؤجروا

واجعلوني معكم في المـامن

ليس لي غيركم من شافع انتم اهل الوقف والمن

وهي كتاب ابن العسال، عن عامر الشعبي أنه قال: صلى ريد بن ثابت على أمه لما ماتت، وكان من علماء الصحابة، فلما ذهب ليركب دابة قام إليه عبد الله بن عباس، وكان في خجلة من شهد دفنها، فأخذ ركب الدابة، فقال ريد بن ثابت: لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أمر أن يفعل بعدائنا، فقال ريد: أربي يدك فأخرج ابن عباس يده، فأحده ريد فقلها، ثم قال: هكذا أمر أن يفعل بأهل بيت سب ﷺ.

* حكايات بغاء الكبير:

(ص 178) ومن الحكايات المروعة في حب أهل البيت عليهم السلام ما حدث به صاحب الين المشرق في أحبار المشرق، وقال في أحبار سنة ثمان وأربعين ومائتين، من ترحمة أبي العباس أحمد المستعين بالله، وفي هذه السنة مات بعاء الكبير التركي، وقد بيف على التسعين سنة، وكان قد باشر من الحروب ما لم يباشره أحد من أهل عصره، فما أصابته حراقة قط، وما لسن قط لامة حديد فليل له في ذلك، فقال: رأيت النبي ﷺ، ومعه جماعة من أصحابه، فقال لي يا بعاء أحسنت إلى رجل من أهل بني، فدعائك بدعوت استحب له فيك، قال: فقلت: يا رسول الله، ومن ذلك الرجل، فقال: الذي حبسته من الساع، قلت: يا رسول الله، (ص 179) سل ربك أن يطيل عمري فرفع يده نحو السماء، وقال: اللهم أطل عمره. فقلت: يا رسول الله، خمس وتسعون سنة، قال: خمس وتسعون سنة، فقال رجل كان بين يديه، ويحفظ من الآفات، فقال: ويحفظ من الآفات، فقلت للرجل: من أنت؟ قال: أنا عبي من بني طالب، فكان بعاء لأجل ذلك كثير الر والإكرام لذرية فاطمة

عليها السلام ، قال: وكان بعاء هذا أحد كبراء دولة المعتصم بن هرون الرشيد، قاد حيوش المسلمين. وفتحت على يده البلاد وكان فيه من الدين وكمال العقل وكرم النفس وشجاعة القلب ما أوجب تقديمه على غيره.

ومن تمام الحكاية أنه قبل لبعاء، مما حر ذلك الرجل الذي خلصت من الساع، قال: (ص 180) كنت مع المعتصم ليلة، فقال لي في السحن رجل من درية علي بن أبي طالب، وقد أهمل أمره فحده وألقه إلى الساع كي يستريح منه. فاحترحت الرجل، وأتيت به إلى بيت الساع لألقه إليها، وأنا معتط عليه فسمعت يقول: اللهم إني أعلم أبي ما تكلمت إليك، ولا نصرت إلا دينك، ولم أرد بذلك غيرك أفتسلمني.

قال: فارتعدت منه ومن قلبي رعياً، فحاورت به بين الساع، وأتيت به إلى بني، وأحسنته منه. ولما فحنت الأسواب قلت له: يا سيدي أنت تعلم أبي قد تترك على نفسي، فاحهد ألا تظهر في أدم هذا الحليفة، وبصرف راشد، قال: أفعل إن شاء الله.

وأحد هذا الولي سيدي محمد الهواري - رحمه الله (ص 181) في أقواله. وأفعاله وكراماته، ومتعلقت أحواله أكثر من أن يأخذها العد والإحصاء، أو يأتي عليها الأمد الأقصى، وما زال مدد أظهره الله إلى أن توفاه عاكفاً على طلب العلم حريصاً على تعلمه وتعليمه، داعياً هذا الحق إلى عبادة الملك الحق لا إله إلا هو، مثبِّتاً على ذلك صانراً على مهاج من تقدمه من أكابر الأولياء الذين أظهرهم الله دعاء إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، والأوصاف المنحسنة، فنفا بأنقال تحمل الدعوة إلى الله، وقد ملأ الله اقلوب من محته وحلته سرداء مهاتته إلى أن رفع الله بين أولياء زمانه درجته وأبان فضله وكرامته.

فجعلله قدوة في الحبر نعتدى بهديه (ص 182) وفعله ويصرب المثل بكرم أحواله، إمام بمتقير وفرة عن نعباده الصالحين، وكان ملوك لوقت وأرباب الدين يعظمون قدره ويهدونه لما كنت مشيخة لوف، وأكبر العلماء يعترفون له بالصدقية، فكان كبير الأولياء وشيخ الشيوخ سيدي الحسن أركان إذا ذكر عنه سيدي محمد الهواري بضاطاً رأسه ويدلج في إنشاء عليه.

بلعي عنه أنه راره مرة لوهري عنى قدميه حافياً، ولما دخل عليه في راووته قال له: أتعت بسك في مشيت بالحفا، وكان سيدي محمد يحب سيدي الحسن ويذكره بالصلاح والعمه، وقد نشر إليه في بعض مطوماته، فقال:

وإياك لا تحقر الناس من يكون أسمر

(ص 183) المسك بالربحاً وقديشه العر

وكان شيخ سيدي أحمد - رحمه الله - بضيل الشاء على سيدي محمد ويعده من مشيحه، ويقول كان سيدي محمد الهواري ممن أعصبي الحكم والنصرف في الولاية والعرج وميت، وسمعتة يقول يوم، وقد جرى لكلام في شأن الماء الذي أدمه سيدي إبراهيم النري لوهرا، وكان في بيت الشيخ سيدي أحمد جماعة فيهم الفقيه البركة سيدي عبد الرحمن حميد سيدي محمد لوهاري، فقال له الشيخ بحاطبه في كلام طويل: لو أراد حدك أن يأتي بالماء من تاسالا لوهرا لفعل.

وما تقدم من أحواله كنه كرامات، لقد طلعت كثيرًا من مقامات الأولياء الأكابر، وتعرفت أحوالهم (ص 184) ووراثتهم، بمقام سيدي محمد، وما أكرمه الله به فوحدته جامعاً لذلك كنه بل يريد عيهم، فمن ضالع حمدة كلامه من مطوماته حصل له العلم القطعي بأنه خاتمة الشيوخ بالبلاد المعربية كما قال الشيخ إبراهيم التازي، وأنه أول من نزل لوهرا من أكبر العلماء الأعيان، وأفضل

من حل بها من أولياء الله ذوي المقامات والعرفان، وما أراه إلا أحد أولياء الله الذين أحفى الله أحوالهم وكراماتهم عن أهل زمانه، وذخر له ذلك ليحده غذا في ميزانه.

وله من حوارق العادات وعظم الكرامات وإحاة الدعوات ما لم يكن لغيره من أولياء الله في وقته، فمن كراماته المتواترة المستطاة دعوته (ص 185) المستحاة في عثمان بن موسى بن المسعود العامري، وكان عثمان من طعة العرب المفسدين وظلمتهم المرفين، حدثوا عنه أنه أحد مالأ لرحل من أصحاب سيدي محمد فبعث إليه محمد أحد حدامه تأكيداً في الاعتناء بحق الرجل الذي أحد ماله فنما وصل إليه الحديم أعلط في القول، فأمر عثمان بتقيف حديم الشيخ وتقيده فاستعظم الناس ذلك منه وحذروه من سطوة الشيخ سيدي محمد فلم يقل منهم، ودم على طعيته، فلما وصل الخبر سيدي محمد دعا على عثمان فأجاب الله دعاءه فيه، وعثر به فرسه في ذلك اليوم الذي دعا عليه فيه سيدي محمد فأتوه فوجدوه ميتاً، فأطلق أهله حديم الشيخ (ص 186) وردوا عليه المال.

وحدثني شمساً أبو عبد الله السوسي بزيادة في هذه الحكاية عمن شق به، عن سيدي إبراهيم أنه قال: كان الشيخ سيدي محمد حالنا في معتاد حلوسه، فحماه الحبر أن حديمه أحده عثمان وكسبه، فعصب الشيخ عصب شديداً حتى اسود وجهه، ثم قام على الفور ودخل حلوته، فسمعه يقول: مصرطح، مصرطح، قال سيدي إبراهيم: وتفق أنه كان في ذلك اليوم عرس مصحة من الرجال والنساء رأوا شخصاً أبيض أحد عثمان عن فرسه وصرب به الأرض، وأقربوا إليه فوجدوه مصرطحاً. وقد دخل رأسه في حوفه، فقامت أمه في الوقت وأطلقت خديم الشيخ (ص 187)، وردت عليه المال، ثم أقبلت على ولده

تكيه، ونقول له في كلامها: كنت أحذرك من شوكة الشيخ أن تُصيبك فم
تقل، فتأمل سطوة سيدنا الشيخ - رحمه الله - بهذا الطالب، وكيف يستقيم الله
منه في الوقت أراح منه البلاد والعباد.

وبهذا جرت عادة الله تعالى فيمن يتعرض لهضم راويته وإضافة الحنة
اللاندين بحرمه، فقد شاهدنا كثيراً من ولاية وهران وعمالها الذين مسقت لهم
الشفاعة فحمتهم النفس الأمانة بالسوء على الهاون بحرم الراوية وإخراج من
استحار بحرمها فيستقيم الله من فعل ذلك في الوقت ويأخذه من الحانب الذي
يطمئن إليه، ويظهر عليه أثر عصب الله في نفسه، (ص 188) وماله، وولده حتى
لا يستقيم له حال، لا في الوقت ولا في الاستقبال، يعود بالله من التعرض
لأذية أوليته ومعادة أصفياته، وكانت المصيبة بوفاته على ما قرأته بحط سيدي
إبراهيم صبيحة يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثاني من سنة ثلاث وأربعين
وثمانمائة¹.

واسف الناس لفقد مكانه واسترحموا لما أصابهم من حلاء أركانه، وفي
الحديث عنه ﷺ أنه قال: «موت العالم مصيبة لا تحزن وصوء بحم طمس»².
ولموت قبيلة أيسر من موت عالم، فكنت مدة عمره على ما فهمته من
كلامه في منظوماته اثنتي عشرة وتسعين سنة، لأنه ذكر أنه كان يظم لكتاب السهو
(ص 189) سنة ست وتسعين وسبعمائة، وأنه بلغ من السنين في ذلك الوقت
خمساً وعشرين سنة - رحمه الله ورضي عنه - وبمعا بحبه وبركه، وجرى
الله خير مولانا أمير المسلمين في إثارته بهذا المجموع فيه ما حركي له إلا
نيته الصالحة وهمته الكريمة.

(1) الموافق (21) ستمبر (1439م).

بارك الله للمسلمين في ولايته، وأنقى عليهم ما عهدوه من بركة خلافة،
ونفعه بقصده لحميم، ونبهه من محنته في أولياته عنة لتأميل بعبه وكرمه.

هنيئاً ما نال من نور ربه به يهتدى في المشكلات ويبصر

قد أنحله طور الهيام فجسمه مزكى بعبه والقلب منه مطهر

بيت يتاجي ربه وهو راغب إليه وفي آياته يفكر

(ص 190) فكى من رحال الرهد واصلت طريقه فسالكه بالفوز لا بد يظفر

وأنفذ بعزم ما تهم بفعله من الخير قبل الفوت فالعمر أقصر

أوصى هذا نفسي وأهلي ومعشري وكل ولي أو أخ لي معشر

وفي الموت للإنسان وعظ وعبرة لو اعظ الإنسان أو كان يشعر

فلله حمدي خالصاً وهو أهله والني عليه ما حيت وأشكر

اللهم انقعا بركة أوليائك، واحشوا في زمرة أصفياك، وصل وسلم على
محمد سيد أسياك...

....

ثانيًا: الشيخ الحسن أبركان

ثم يتنوه ثنيهم في مقامات دوي العرفان، وصدرهم الشهير الذكر في ذلك الزمان سيدي الحسن أبركان (ص 191).

هو: الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد بن سعيد الحريشي، الراشدي سيدي الحسن أبركان رحمه الله . الولي العظيم الشأن كبير مشيخة الأولياء في وقته بتلمسان.

حدثني بسسه وبالكثير من فوائد أحسنه وكتب لي حصة مدني شيحا العالم الراشد بركة الوقت سيدي محمد السوسي، كان هذا الولي سيدي الحسن رحمه الله صدرًا من صدور العظماء الأعيان، وممن جمع الله له علم الشريعة وحقق أهل العرفان، وهو أحد من أظهره الله لحليته، وألهمه حبل كرامته وحلته برداء ولايته، فنع الله به العباد، وقصده الروار من جميع (ص 192) الأفاق وعيوا له الصدقات لما عاينوه من الكرامات، وكان آياؤه وأحداؤه أهل صلاح وولاية، معروفين بالكرامات

فأما سعد فحدثوا عنه أنه كان من أصحاب الخطوة، وممن تطوى له الأرض، وعن سيدي لحسن قل: كنت أعب مع الصبيان فرموا أقبت الثوب عني وأبقى عريًا، فهذا مررت وأنا عريان بقبر حدي سعد أسمع من القبر كلامه بالرجز عن التعري، وإنيكار ذلك بقوة وعصب

وأما والده مخوف فكان من الأولياء الأحباء، وكان سيدي الحسن يذكر له جملة كرامات، منها: أن روضة كان لا يقدر أحد أن يسرق منه شيئًا، فكان إذا دخله بعض الحوثة قدم له ثعبان عظيم لا تستطع (ص 193) مدافعته، فيهرب الحائش، ويسحو نفسه، ثم يحفى ذلك الثعبان فلا يظهر لأحد ممن

يدخل الروض إلا إن كان خائفاً.

وكان الشيخ سيدي الحسن بموضع سكنى أسلافه، وحيث قبور أجداده من الموضع المعروف بالجمعة وهي القرية الكائنة على وادي يسر، وكانت كثيرة العمران، وقد استولى عليها الحراب في هذه الأزمان، فشا الشيخ هالك على طريقة سلفه الصالح إلى أن توفي والده مخلوف، فارتحل للبلاد المشرقية وأحد بها على أعلام الصوفية، وأقام هالك مدة طويلة وحدث بالحرم الشريف خمسة أعوام، ثم قدم من المشرق فسكن مع أمه تلمسان، وكانت من صالحات المؤمنين، سيدي الحسن رحمه الله ممن (ص 194) وأخته من الله العلية وورث عن أبيه سر الولاية وظهرت عليه في حال صباه آثار الصلاح والهداية، وأحد تلمسان عن أكثر علماء وأفاضل أوليائها كالشيخ سيدي إبراهيم المصمودي، والشيخ سيدي أبي يحيى المظفري، وكان من الفقهاء المرربين وصدور المدرسين، انتفع الناس بتدريسه في قراءة كتب الفقه وخصوص رسالة ابن أبي زيد، وحامع الأمهات لاس الحاح، وكان مشيخة الوقت من الفقهاء الأعيان، وصدور ذلك الزمان يحضرون محالسه ويعترفون له بالإمامة في العلوم، والتقدم في مدارك الفهم.

حدثني سيدي محمد السوسي قال: حدثني أخي (ص 195) سيدي علي أن شيخ الإمام العالم العلامة المحقق سيدي محمد بن العباس، حضر يوماً مجلس الشيخ سيدي الحسن فلما رأى تقديره لمسائل الفقه، وتحقيقه في ذلك قال لتلامذته: أن هذا الشيخ آية من آيات الله، وقد أسعدكم الله به لأنه قد جمع حصال الكمال، إن شاء عالم أدهس له وقبل يده لأجل علمه وفصل ولايته، وإن شاء أهل العبادة والصلاح أقروا بمصده وشهدوا بتقديمه في العبادة ومقامات التوحيد والعرفان، وإن شاء المنوك وأرباب الدنيا وحدوا عنده من

مهابة العلم وعر الولاية وعداية الرهد ما يحتقرون به أنفسهم، ويتسخطمون به ما لأولياء الله من تقدم العز الشامع وكرم المجد الراسخ.

(ص 196) قال: وكنت يومًا أقرأ على الشيخ سيدي محمد بن العباس بحامع سيدي الطيار، وإذا بحماعة من أصحاب سيدي الحسن أنوه يسألونه عن مسألة من الحوائج، فقال لهم سيدي محمد بن العباس: كيف تسألون عن مثل هذا وسيدي الحسن في الوجود، ونحن منه نتعلم وبه نتفع، قال: فرحم الله الشيخ سيدي محمد بن العباس، ما أكثر إصافه وأحمل أوصافه.

وحدثني شيخنا الإمام خاتمة الحفاظ سيدي محمد النسي، قال: كنت أحضر محاليس الشيخ سيدي الحسن في تدريسه لفروع ابن الحاجب، ويأتي في أثناء تقريره بالعجائب مما لا أشاهده عند غيره من علماء الوقت، قال: وكان إذا أحد في البحث والمعارضة بين المسائل (ص 197) أحجل بالي إليه، وأكف عن الكلام لأحصل ما يحريه الله على لسانه من العلوم والفوائد، فيرد وجهه إلي ويقول لي: ما لك سكت عبدًا، أعما عبدًا، قال: ويكرر ذلك علي فأحد معه في الكلام ويذكر له ما وقف عليه من كلام أهل العلم في المسألة فتستريح بذلك ويشرح له صدره ويدعو إلي بما أرحو بركته.

وعينما كتبه لي سيدي محمد السوسي قال رأيت لسيدي الحسن تقييدًا مقيدًا على مرائض الحوفي أوضح فيه العمل عداية الإيصاح بحيث لا يوجد دلت في غيره من الشراح، بلغ فيه إلى مسائل الوصية بالصبي، قال: ومن فوائد استنساظات سيدي الحسن ومآخذه النضيقة، أن بعض شيوخ العوام (ص 198) من ذوي ليات الصالحة كان يخدم الشيخ وينصرف له في حوائجه، فإذا لقيه أحد وسأله عن حاله قال له بحير الله يسأل عنت، وكثر هذا منه مع الفقهاء والعامة.

قال: فأكرر بعض الفقهاء قوله. الله يسأل عبك؛ لأنه قد أضاف السؤال إلى الله تعالى، وذلك يستلزم الجهل بحال المسئول عنه، والله تعالى مره عن ذلك، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى، فبمع كلام هذا الفقيه لسيدى الحسن، وقد كان يسمع الحديم يقول ذلك بمحصره ولا يكره عليه، فتحدث الشيخ يوماً من إكباره فقال لهم الشيخ: ليس فيه ما يكره ويحمل على أنه دعاء للمحاطب (ص 199)، بأن يكون أهل العبدية في أوقنتها لما ورد في حديث الملائكة الذين يتعاقبون فيما بالبين والنهار، وفيه: «فسألهم الله - تبارك وتعالى - وهو أعلم، فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقول الملائكة: يا ربنا أيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصومون»، قال: فاقصى الحديث أن العباد الذين يسأل الله تعالى عنهم الملائكة إنما هم عبده المخلصون المحافظون على الصلاة في أوقنتها، لأنهم قد أضافهم إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم.

قال: فكان الداعي بقوله: «الله يسأل عبك»، دعاء لمحاطبه بأن يكون من أولئك العباد المسئول عنهم سؤال إظهار إنعام وإكرام، لا سؤال استفادة واستعلام.

قال: وكان سيدى الحسن - رحمه الله - (ص 200) عظيم المهابة حدو ولم أر قط هيته على ولى شديد الكتمان لأحواله على عليه القصر لم ير صاحك قط، وإنما عبة أمره لسمه اليسير، وكان يكتم أمر حجه مع ظهور قرنه عليه عند إفراته باب الحجج من كتب الفقه فيصف بث الأماكن لشريعة وصف من عنيها، وكان على عليه الرهد، وانقطع إلى عبادة الله وتحلى عن الدنيا وأهلها.

حدثني سيدى محمد السنوسى قال: وحسب من رهد أنه بقي سنين كثيرة في تلمسان لا يفتات إلا بما ينقطه من الطعام الذي يتسقط بالطرقت،

ويجعل في أثقب الحيطر، قل وكان مدمًا على الصوم كثير الوصال،
حدثني ثقت أصدق له فصلاء الدين (ص 201)، كانوا يشارون ضعمه أنه كان
في اسداء أمره، لا يفطر إلا من الجمعة إلى الجمعة، فإذا كان شهر رمضان
واصله كنه، وسمعت من أثق به أنه صام شهر رمضان لا يأكل في كل ليلة منه
إلا أنجاسة واحدة.

قل: ومن المشهور في وصاله عند جمع أصحبه أنه وصل أربعين يومًا لم
يدق فيها شيئًا ليلاً ونهارًا، ولا كنم أحدًا حتى أثر دنت فيه، قال: وحدثونا عنه أنه كان
في هذه المدة مستحب على ظهره، وقد حصر وقت الصلاة بهن إلبا وصلاه على
الكمال والعدم، فإذا فرغ من صلاته رجع إلى مستقانه على ظهره شبه العثب عن
النس، ولما أكمل أربعين يومًا كنم أصحابه، ورجع إلى معناد أحواله، قل: وأما
وصاله من (ص 202)، اثلاثة الأيام فهذا قد شوهد منه آخر عمره كثيرًا وسه إذ
ذاك تقرب من المائة سنة.

وحدثني والدي قال: كان سدي الحسن رحمه الله - رفيقًا بالمؤمنين
كثير الشفقة عليهم، مبالغًا في إثارةهم ماذرًا لإعانة مهووفهم صددًا بلحق
عبورًا على الدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، بكنت ملث الوقت وأرباب
الدولة، وشيوخ العرب في قضاء حوائج المسلمين لا يفتر عن دنت ولا يسأم منه،
آية من آيات الله في عمارة أوقاته بالعبادة وأنواع الطاعات، لا يفتر طرفه عين عن
عمل صالح، أو إقراء أو معاونة صدقة، أو إصلاح بين الناس، أو إعانة ملهوف تارة
برسوله، وتارة بكتابه.

قل (ص 203) وكانت له مسحة لا تفارقه في غالب أحواله، لأنه كان لا
يفتر عن ذكر الله طرفه عين، قل لي: وألقى الله عليه من المحبة والقبول والهيئة
من لا عهد به لعبيره من صدور الأولياء، حتى كان أحب إلى الناس من أنفسهم

وآبائهم.

قال: وكان من أتاه منهم في أمر تداهمه مع والده أو أهله، أو صديقه فتح الله عليه ببركته وتحول له الشر حيزاً، ثم جمعهم وذكرهم وأصلح ذات بينهم، وأبأن لهم الحق وإن كان مراً، قال لي: فمن شاهد أحوال سيدي الحسن وما أقامه الله فيه من عمارة جميع أوقاته بأنواع الطاعات وتماديه على الاستقامة في لحركات والسكات علم أن ذلك من أحل الكرامات وأوضح العلامات. (ص 204) قال: وكان الساس يقصدونه بالصدقات والدور من بلاد السودان وغيرها، وينتهي ذلك في بعض الأوقات إلى عدة المئين من الذهب فلا يدحر من ذلك شيئاً، بل يفرقه لوقته في المساكين وطلاب العلم.

قال: وكان محب في صلة العلم، مؤثراً لهم مرفعاً لقدرهم، مسهياً على حقوقهم، وحدثني والدي، وكتب لي معناه سيدي محمد السوسي قال: كان سيدي الحسن عظيم الهبة محموقاً بالوفور، والتحنة قد ألسه الله حلل المهبة، ووسط له رداء كرامته، وبشر القول في قلوب حليفته.

وكانت الحلفاء وأكابر الوقت من العلماء والورراء يقصدونه في بيته ويتمسكون صالِح دعوته، قال: وربما وقفوا (ص 205) سبب بويته مدة يتصرفون لإذن منه ويمسحهم بذلك طيبة مستهجة، لأنه كان على حالة حميلة من الية لصالحة، والأحلاق الحسنة والسباسة المستحسنة، قال: وقد أخرى الله على يده كثيراً من رد العصوبات وكف الضمات وقت العدة، وفتح سرخته أمور من لمسائل المهمات، وكان أمراء الوقت وعمالهم يقبلون شفاعة ويسارعون لقضاء حوائجه، ومن المعلوم أن من توفقت منهم عن قضاء حاجته، أو أهل كريم شفاعة عاد ذلك عليه بسوء في نفسه وأهله وماله، قال: وقد حرب ذلك في أشياء عديدة وشهدت به مواطن كثيرة رحمه الله .

قال شيخنا أبو عبد الله (ص 206): وكان من عاداته إحياء ما بين المغرب والعشاء بالصلاة على الدوام، ووقت إبطاره في أيام فطره بعد العشاء الآخرة، وكان محنا في ذكر الله وفي قراءة القرآن على الخصوص، ومن محنته في قراءة القرآن أنه كان يحتم القرآن في النوح كل سنة إلى أن مات. قال: ولما ضعف عن الكتب بيده في أحريات عمره كان يبعث اللوح لوالدي في سيدي يوسف، فيكتبه له كل يوم، فأمل هذا الاجتهاد العظيم مع كبر السن وكثرة وطائف الخلق عليه، فتشارك المولى الكريم الذي يحسن بقصه من شاء سبحانه لا إله إلا هو.

وقرأت بخط الفقيه الإمام الكاتب سيدي محمد (ص 207) من يوسف الحريري، وكان من أهل الصدق والأمانة معروفًا بالصلاح والديانة، قال: كان المولى الرفيع القدر والشان، سيدي الحسن من محنوف المعروف بأركان كثيرًا ما يرى في مسامه سر الوجود، صاحب المقام المحمود والشفاعة في اليوم المشهود، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله أهل الكرم والحدود مشيًا في رؤيته دكرًا لأوصافه الكريمة وحلاه، فيحده على صورته الكريمة العلوية وأوصافه السامية العلوية، ومحنته المصطفوية السورية ويحاصه بداهة اشريفه القدسية، ويحاويه سيدي الحسن في كثير من مرآته المسية، فعلى لله وسلم على المحروس في يومه ويقطته (ص 208) لمعصوم أن يتمثل لشخص لرايه في صورته، وعلى جميع له وأصحابه الأعلام صلاة وسلامًا ينصلان النبلي والآباء

وحدثني كثير من أحوال سيدي الحسن ومقاماته في العلم والدين شجع الحركة الناصح عبد الله بن المصور، إلا أنه لا يريد كثرة النقل نورًا ورهًا، حراه الله عن نفسه خير، وما حدثني به قال سمعت سيدي الحسن يقول في قوله ﷺ: «أبى المؤمن حبر من عمه»، قال: في كونه يحب أن يكون مؤمنًا أن

يموت على ذلك. قلت: وهذا أحد محتملات الحديث، قال صاحب كتاب اليقين أبو الحكم عبد السلام بن أبي الرحل. معني (ص 209) قوله عليه السلام: «أية المؤمن خير من عمده»: أن المؤمن يعتقد بيته على أنه لو أنقذه ربه حيث أمد الأبدس ما رجع عن هديته، ولا كفر به. قال: ومفهومه أن الكافر شر من عمله، لأن الكافر يعتقد بيته أنه لو أنقذه ربه حيث أمد الأبدس ما رجع عن عيه ولا اهتدى إلى رشده. قال: ولأجل هذا كان مصير الفريقين إلى ما اعتقدت عليه بيته، فالمؤمن إلى حنة لا موت فيها، ولا انقطاع لعيمها، والكافر إلى نار لا موت فيها، ولا انقطاع لنؤسها. سأل الله عافية الحساب، ويستعبد به من عذاب النيران.

وذكر صاحب الهداية: عن ثابت الساسي، أنه كان يقول: «أية المؤمن (ص 210) خير من عمله في أن المؤمن يروي أن يقوم ويصوم النهار، ويخرج من ماله صدقة، فلا تنبعه نفسه على ذلك، فينه خير من عمده».

قال ابن العسال: «والية ههنا في انعقاد العزم على فعل الطاعة، وإن لم يفعلها مثل أن يبست الصبم بالليل، ثم يقطعه عنه قاطع، قال: واعلم أن الية دطنة في القلب داحلة في دقيق الأشياء وحليها من الأعمال والأقوال، والله - عر وحل - مشيب على حسنها معاقب على سيئها، فالواحد على العبد أن يستعمل في جميع حالاته بية يرحو بركتها وثواب الله عليها، فإن الرجل قد يعمل عملاً ليس من أعمال الر المأمون بها شية صالحة (ص 211) فيؤجر عليها.

روي عن السي عليه السلام: «من تطيب لله عر وحل - جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لعبر الله جاء يوم القيامة وريحه أثن من الحيفة». قال: فالطيب ليس من أعمال الر المفرطة، ولا تركه من المعاصي

المهي عنها، فمن تطيب بحسن نية اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ وإظهاراً للنعمة الله عنده، ومطيباً لرائحته عند الحفظة الكرام، ومن معه من الملائكة وجلسائه ليلاً تكون من رائحة تؤذيهم جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، قال: وإنما طابت رائحته لطيب نيته.

قال: ومن استعمل الطيب على سبيل الترفه والتريس به عند (ص 212) أهل الدنيا جاء يوم القيامة وريحه أثن من الحبيمة، قال: وإذا كان الثواب والعقاب هكذا لفساد الية وصلاحها في غير الأعمال المفترضة فكيف يكون في الأعمال المفترضة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، وألوانكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، فمن ألواحت على العبد أن يرجع إلى الله - عز وجل - في صلاح قلبه وتسديده وثباته على الإيمان واليقين في كل وقت وحين، وقد كان السيد الكامل رسول الله ﷺ يكثر من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما من قلب إلا وهو بين أصعين من أصابع الرحمن إن شاء (ص 213) أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يريغه أراغه، فبذلك كان رسول الله ﷺ يدعو في ثبات قلبه ويحاف عليه، وقلبه أظهر القلوب وأنقاها وأرسحها في اليقين وأصفاه، وهو المفسول من الأدناس والمعصوم من الريب والالتباس فكيف يسعى أن يكون دعاء غيره في هذا المعنى؟

قال: وإذا نظر الله - عز وجل - إلى قلب عنده فوحده نقيًا ارتصاه لولايته وراده من كرم عديته، روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «إن الله - عز وجل - يصر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فأصطفاه لنفسه، واحتصه برسله، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، (ص 214)

فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فحفظهم وررأ سيده، وحناء ديه فكانت نياتهم حسنة، وأعمالهم حائصة»

وحدثنا شيخنا عن السيد الوالي جعفر بن محمد الصادق، عن والده محمد الباقر، عن والده رس العائدين عني بن الحسين، عن والده الشهيد أبي عبد الله الحسين بن عني، عن والده أمير المؤمنين أبي الحسن عني بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، ولا قولاً وعملاً إلا بنية، ولا قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة».

قالوا: وة كان بعض الأكبر من السلف الصالح يقول: تعلموا البية فإنها أدفع من العمل وعن سفيان الثوري (ص 215) أما عالجت شيئاً أشد من بيتي: لأنها تعبت علي».

وعن يوسف بن أسباط قال: «تجنبوا البية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد». قال ابن العسال: «ولسبت من أعظم أعمال الساطر وأقواها، وأحصها بالقلوب وأركها بد لا يقوم شيء من العمل إلا بها، ولا يصلح للعبد شيء بيه وبين ربه دونها: ولهذا رغب رسول الله ﷺ في عمل السر من أجل ما يدخل على عمل العلية من فساد، فقال ﷺ: «خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي».

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْأُوا الصَّدَقَاتِ فِيمَا هِيَ وَلَنْ تُغْفُوهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 271] وروي (ص 216) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: «يا عمر بن الخطاب، قل اللهم اجعل سريري خيراً من علاني، واجعل علاني صالحة».

وكان العلماء الأتقياء من السلف الصالح يتواصون بينهم بثلاث ويكتب بعضهم لبعض: من عمل لأخوته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصبح سريره

أصلح الله علانيته. ومن أصلح بيته ومن بين الله. أصلح الله ما بينه وبين الناس؛ فالنية الصادقة بها يكمل العمل. ويتم الأجر؛ لأن للعبد ما نوى وإن لم يفعله. وإذا عمل العبد طاعة بحسن نية كان مطيعًا، وإن عمل بسوء نية كان عاصيًا وبطلت طاعته وأثم في سوء نيته.

(ص 217) وحكى صاحب امرأة الرمان، عن ولي الله الحيد أنه قال: «من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله له سبعين بابًا من التوفيق. ومن فتح على نفسه باب نية سيئة، فتح الله له سبعين بابًا من الهدال من حيث لا يعلم». قال عمادون: «ومن مذهب أهل السنة أن كل من مات على نية فدية معوث عبيها» لقول الله - عز وجل: «سَوَاءٌ نَجَّيَاهُمْ وَمَتَّعْنَاهُمْ» [الحاثية: 21].

قال محمد في تفسيره: «يموت المؤمن على إيمانه ويبعث على قوة إيمانه، ويموت الكافر على كفره ويبعث على كفره». ولحديث حابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «نُبعث كل عبد على ما مات عليه».

(ص 218) ومما يدل على هذا أيضًا حديث لأعرابي، عن أس بن مالك قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها»، فقال: والذي نفسي بيده ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام، ولكي أحث الله ورسوله، قال: «أأنت مع من أحست؟» قال أس: «فكان يعجبهم حديث الأعرابي».

قال أس العسال: في هذا الحديث من المعنى معدة كثيرة، منها وحيب الاستعداد ليوم القيامة؛ لأن لأعرابي سأل النبي ﷺ عن وقت الساعة وهذا أمر لا يعلمه إلا الله فسيه لسي ﷺ على أن يشعل بما يعيه وبما هو لواحد (ص 219) عليه من أحد الرد ولأهل يوم المعاد، وأن ذلك يعني عن معرفة الوقت.

ومنها أن النبي ﷺ صدقه في دعواه محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، من أجل أن المحبة من أعدل القلوب فوكله إلى باطنه.

ومنها أنه ﷺ حمل من أحب قوماً منهم، وإن كان مقصراً عن فعلهم في السوافل فإنه معهم بما يطر من محبته، وإن لم يظهر له كثير عمل وألحق الله المحبين لله ورسوله، ولمس لم يظهر لهم كثير عمل بأهل الله وأوليائه المحمديين في العمل تفضلاً من الله عليهم وإحساناً منه إليهم، فسأله سبحانه أن يتوفانا على الإيمان.

وعنى لتمسك بحب الشئ والقرآن (ص 220)، وأن يوفقنا للتوبة عند موافقه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وأحرسي الفقيه الحطيب العلامة سيدي يحيى بن عبد الله، عن أبي المركات فيما كتب به، لي قال: حدثني بعض الحجة الثقة الملامين لمجالس العلم قال: حدثني الفقيه الصالح سيدي يحيى بن حميد صاحب الشيخ سيدي الحسن أن شمع الإسلام سيدي قاسم العقاسي رار يوماً الشيخ سيدي الحسن فأدخله ندره، وقدم له طعام عليه لحم، ثم تدوصا الكلام في مسألة وضع اللحم على الطعام وفي أيهما يبدأ به في الأكل، قال فقال له سيدي الحسن: كنت يوماً مع أخي شقيق سيدي منصور في بيت فأوتيت طعام (ص 221) عليه لحم، ففعد معاً صبي وتناول قطعة لحم، فوداه قد صرع فصاح سيدي منصور بالحان، وقال له تفعل هذا بحضرتنا فكلمه الحان وقال له يا سيدي والله ما فعلتُ له هذا، إلا أنه أساء الأدب في تقدمه عليكم، وكونه لم يسم الله عز وجل، وكونه تناول اللحم قبل الطعام، قال: ثم أوق الصبي ولم يبق به ألم، ثم قال له سيدي الحسن: ومما وقع لي أيضاً مع أخي سيدي منصور

أنني كنت معه مرة فقدمت له امرأة طعام فنهيات للأكل. فقال لي أحي: لا تأكل يا الحسن. فقلت له. ولم؟ فقال لي. أما رأيت الحان يحتظفون هذا الطعام، فقلت: لا، فقال لي. رأيت اثنين وسبعين حان دائرين عليه، لأنه طعام سوء.

(ص 222) ومن كرامات سيدي الحسن رحمه الله - ، ما حدثني به سيدي محمد المسوسي قال: ومعا وقع له من حوارق العدة، أنه لما قدم من المشرق ووجد قرية الجمعة قد حُرقت وهي كانت سكنى أسلافه فرل تمسك، ثم تردد حاصره في الرجوع لقرية الجمعة ليحدها ما دثر من العمران، قال سيدي الحسن: فحُرقت إنيها يوقا، وحسنت معسرا في آثارها كيف أحدها الحراب واسولى على أهلها الحلاء. وإذا بكلب قد أقبل، وحلن بالقرب مني وحاله في الكسار الحاطر، وتعبير الظاهر كحالي، ثم قلت في نفسي: هل نعود هذه القرية إلى ما كانت عليه من العمارة أم لا؟ فرفع اليك عند ذلك رأسه إلي. وقال بلسان فصيح إني يوم بعثون أي لا تعود (ص 223) العمارة فيها كما كانت، قال فم سمعت بطقه إني بدلت رجعت تمسك وعلمت أن ذلك إنهاء من الرحيم الرحيم. وكان سيدي الحسن يكله على الحواطر ويكشف محبات السرائر.

حدثني سيدي عبد الله بن منصور، قال كان لي ورد من الصلاة من المغرب والعشاء في المسجد، ثم انفق أن كان جمع من المغرب والعشاء، فأتيت أسرون وأردت قصء وردي فحيل إلي أنه قد قبل سمع ذلك الصلاة إثر الجمع.

فحدثت نفسي أن أسأل سيدي الحسن عن ذلك فمن العد قصده في مجلس أقره، فوحدته بقرأ في محل بعيد عن المسألة، ثم به نظر إلي وقال:

رحل جمع بين المغرب والعشاء في المسجد مع الناس، ثم انصرف إلى منزله
يجوز له أن ينتقل.

(ص 224) وحدثني سيدي عبد الله قال: كان بعض أصحابنا من الطلبة
يكثّر الحضور في محاسن سيدي الحسن، وكنت لا أفعل ذلك لما أعلمه من
نفسه وأستحضر فديري، بل أحضر عند غيره من علماء الوقت فأتاني هذا
الطالب يوماً وأحسبني أنه بات المراحة في عرس مع المعني على العواد، ولما
أصبح قصد مجلس الشيخ على عادته، ثم أخذ الطالب في نقل كلام بعض
الشرائع على عادته فلم يقل منه الشيخ، وصار الشيخ يتكلم مع غيره من
الطلبة، قال: فأحدث في البحث مع الشيخ وهو لا يلتفت إليّ، ثم عودته وإذا
به نظر إليّ نظرة معصب وقضب وجهه، وقال لي: اسكت فما هذا المجلس
على العواد، قال (ص 225) فسقط في يدي وعلمت أن الله قد كشفه بحالي،
قال شيخنا أبو عبد الله: ومثلاً وقع لي من مكاشفته أبي كتب أسدء قراءتي
رسالة الشيخ أبي زيد على أخي سيدي علي بين العشائين، فقرأنا ليده: فصل
الرعاف منها فوقع البحث في صحة إسناد الرعاف إلى إرادة الله تعالى نظراً
لعموم إردنه لجميع الكائنات، أو مع ذلك نظراً إلى ما يجب من الأدب مع
جلال الحق سبحانه، فبه تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿جَزَاءُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهُمْ
غَيْرُ الْمَقْصُوبِ عَنْهُمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الماتحة: 7] فأسند السعة إلى الله ولم
يسند إليه العصب والضلّال.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمْسُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشَدًا﴾ [الحج: 10]، (ص 226) فأسند الرشيد إلى الله دون الشر، قال: وكان
في المسجد مع جماعة من العوام فلما أصبحنا من بعد ذهب لمجلس الشيخ
على العادة فابتدأ الشيخ تدريسه، وأحد في تقرير المسألة التي كان يقرأها وفتح

باب الكلام في مسألة الرعاف التي وقع الكلام فيها، وذكر فيها ما يليق من الأحوة، ثم أحد الشيخ يحذر ويهوى عن الحوص في مثل هذه المسائل بحضرة العوام، وهو ينظر إلي وإلى أخي سيدي علي دون غير من أهل المجلس فتيقنا أنه قد كاشفنا - رحمه الله - .

ومن كرامات سيدي الحسن ما حدثني به سيدي محمود (ص 227) فيما كتب به إلي قال: حدثني العلامة سيدي سعيد بن عبد الحميد العنصوي بمصر له من واشتريس، وكان من أفاضل أصحاب الشيخ القدماء قال: دخلت يومًا في حار وقت الروال على الشيخ سيدي الحسن، فوجدته في تعب عظيم، والعرق يسيل عليه، فقال لي: أتدري مما هذا التعب الذي أنا فيه؟ قلت لا يا سيدي، فقال لي: كنت أنا حائت بهذا الموضع فدخل عني الشيطان في صورته التي هو عليها، فقممت إليه فهرب أمامي فتعبته وأنا أذكر كلمات الأدان، فما زل يهرب بين يدي، وله ضراط كما ذكر في الحديث، إلى أن دخل في القادوس الذي بحرح منه الماء في رأس القصارين، وعاد عني والآن رجعت من أتباعه (ص 228).

قلت: الحديث الذي أشار إليه الشيخ الحسن رحمه الله هو قوله ﷺ: «إذا نودي للصلاة أدير الشيطان، وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، وإذا انقضى النداء أقبل فوسوس حتى إذا ثوب بالصلاة أدير حتى قصي الثوب أقل حتى يحظر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يصل الرجل لا يدري كم صلى».

قوله ﷺ: «أدير الشيطان وله ضراط»، قال القاضي عياض: «يمكن حمله على ظهره؛ لأنه جسم متعدد فيصح منه خروج الروايح».

وقال غيره: إنما ذلك كناية عن شدة هرويه وتباعده عن سماعه الأدان،

حتى قيل إنه يصل في تبعده إلى الأرواح، ويسمى وبين المدينة (ص 229) مسافة ثلاثين ميلاً، وحديث سيدي الحسن طاهر في الحمل على الحقيقة، والله أعلم.

وهذه الكرامة دالة على فصل كمات الأذن، وعلى فصل المؤذنين، وفي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «لا يسمع مدى صوت المؤذن حن ولا إسن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» وفي الحسن عنه عليه السلام: «من أدن سمع مسير محتسب لله عروحل . كتب الله له براءة من النار»

وروي عنه عليه السلام أنه قال: «ثلاثة على كنان لمست يوم القيامة عند أذى حق الله وحق مولاه، ورحل ثم قوما وهم له راصون، ورحل بادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة».

وقرأت في كتاب (ص 230) «طيفات المسك» لأبي سعيد بن الأعرجي قال حدث أبو القاسم بسنده، عن محمد بن عيسى بن حماد قال حدثني أبو اسحاق شيبان كان بالحصرة حفر القصور أكثر من ستين سنة، قال حفر أب وشركائي فردت يوم، وكان يوم شديد الحر والريح رابدة فعدت في ظل القصر، وقعد أصحبي في قبة من قباب القصور، فمضت بحائط قصر من القصور بأصمعي، فافتح لي حجر صغير عن كوة حرجت منها رائحة طيبة ثم أرفقت أطيب منها، ولا أبرد ولا أهدأ، فضئت أن أبوءا فدعيت فطرت فبدأ أن يرحل في القصر كاللثم وكفاهه صحيح (ص 231) وبده صحيح لم يذهب منه شيء، وعلى بطنه شيء أبصر مثل القطر المندوف، فدحلت يدي فأخذته منه، وأحرجته إلى الضوء فبدأ هو باسمين طري فحرجت به إلى أصحبي وجعلوا يشمونه ويعجبون منه، فسألت عن صاحب القصر فوجدته من المؤذنين، أقام على الأذان بمصر خمسين سنة.

قال المؤلف: فإن قيل ما الحكمة في كون الشيطان يهرب عند سماع الأذان والإقامة، ولا يهرب عند سماع القرآن والذكر والصلاة، والجواب عن ذلك من وجوه، أحسنها وأولها بالصواب: أنه إنما هرب من سماع الأذان حسداً لأن آدم ألا يشهد له بكلمات الأذان يوم القيامة، فإنه قد روي عنه عليه السلام (ص 232) أنه قال: «لا يسمع من أصوات المؤذن إس ولا حس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة».

وقوله في الحديث: «فردا قصي التوب أفل حتى يحطر بين المرء ونفسه» معناه: أن المؤذن إذا فرغ من الأذان والإقامة، ثم تنفس بالصلاة فإن الشيطان يقل عليه بالوسوسة حتى يحول بينه وبين قلبه، ويفسد عليه ما يريد من الإخلاص في صلاته؛ لأن هذا العدو يبس لا يحسد ابن آدم على شيء كما يحسده على الصلاة، ولا يهتم بفساد شيء من أعمال الطاعة كما يهتم بفساد الصلاة، لأنها مشتملة على السجود الذي كان مستأثراً في طرده عن رحمة الله، ولأن الله تعالى جعل هذه الطاعة واحة الدين ورأس أعمال المؤمنين.

(ص 233) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نكل شيء واحة، واحة هذا الدين الصلاة». ول في الهداية: «وقد كان المتقدمون والسلف الصالح أجمعون يجهدون في تحليصها بأسواع لإخلاص وهم مع ذلك لا يشقون منها بالإخلاص، بل كانت قلوبهم مملوءة من الخوف ولوحل مع كثرة اجتهادهم في إخلاص العمل فتفرغ القلب من شوائب الدنيا وهمومها لمن أقبل على الصلاة واجب متأكد».

قال أنمنا. وهو المراد بقوله تعالى لَا يَحْطِطُونَ عَلَى الْمَكْنُوتِ [القرة. 238]. لأن الشيطان يذكر ابن آدم شهواته الدنيوية ويقرئ له آمله الكدنة، وقد جاء في تفسير قوله تعالى مخزاً عن قوله اللعين: لَا أَقْدَرُ لَهُمْ مِزْطَاكَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿الأعراف: 16﴾. (ص 234) إن الصراط المستقيم هو الصلاة.

قال أنعمنا: ومن حقوق الله على عبده إذا قام إلى الصلاة أن يقبل على مولاه ولا يعرض عنه إلى غيره؛ لأنه إن أعرض عن إحلاص المساجد أعرض الله عنه، وتمكن منه عدوه إبليس. وعن أبي در قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله مقللاً على عبده في صلاته ما لم يلتفت إلى ذكر دياه، فإذا صرف قلبه عن مساحة مولاه والتفت إلى شهورته ومناه صرف الله عنه وجهه».

ولقد كان يسعى للمصلي لو عقل ما هو فيه وعلم قدر من ياحيه أن يسي نفسه وهواه، وأن لا يذكر شيئاً من أمر دياه (ص 235) ما دام في مساحة مولاه الذي يعلم سره وبحواه ويسمعه ويراه، فنقد كان كثير من العلماء يقولون، افتقدوا مقامكم عند الله في الصلاة، فإن وحدتم للقراءة والذكر خلاوة في أنفسكم وعلوموا أن الله قد تقل منكم صلواتكم، وإن لم تحذو خلاوة وعلوموا أن الله قد أعلق بانه دونكم، وسلط عدوه عليكم.

وفي حديث عبي رضى الله عنه قال يا رسول الله ﷺ، أحرمي بأفصل الصلوات؟ فقال يا علي أفصل الصلوات ما حضرت فيها لملوب ودرت فيها العيون، وحنصت فيها اليت، وحصت فيها العدرت.

قال في الهداية (ص 236) واعلم أن التثاؤب في الصلاة من أدوات الشيطان وعلامات العصة من مساحة الرحمن، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال «إن تثاؤب أحدكم في صلاته فيكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل يده في فيه».

وعنه ﷺ أنه قال، «الصفاق والمحاص والمعاس في الصلاة من الشيطان» ولهذا كان الأئمة من السلف الصالح كالإمام مجاهد وإبراهيم النخعي وغيرهما إذا أصابهم التثاؤب في الصلاة، أمسكوا عن القراءة وعلوموا أن

الشيطان قد حصر معهم وأخذوا منه حذرهم بالتذكرة عن منه وبالتبصرة (ص 237) عند وسوسته واعتصموا به بحول الله وقوته، وتأيدته ومعونه، أعادنا الله منه برحمته ويسر لنا أسباب عصمته.

قال: وكل من داوم على محاربة عدوه فإن الله - تبارك وتعالى - سيعينه عليه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

قال: واعلم أن عمل الصلاة أفضل الأعمال، وأرفعها عند ذي الحلال والكبير المنع، فمن أتعب حوارحه الظاهرة وأراح قلبه وحوارحه الباطنة من عمل الإخلاص ويقيم المراقبة فقد حاز الأمانة التي تحملها وصنيع حقوقها وأهمها، وقد أمر الله عز وجل بأداء (ص 238) الأمانة إلى أهلها، والله عز وجل - أحق من أدبت إليه الأمانة على ما توحىه الديانة

لا تحمي عليه حريات الأمور يعلم حائنة الأعين وما تخفي الصدور فأئد بقصص عمل الحوارح الظاهرة في الصلاة فهو سرقة.

روى عنه عليه السلام أنه قال: أعظم الناس سرقة الرجل يسرق صلاته، قدوا وكيف يسرق صلاته يا رسول الله؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها».

وروينا عنه عليه السلام أنه قال: «الاصلاة لا مروتى لم يتم الركوع السجود»، قال: فمن لم يوف أركان الصلاة حقها فصلاته فاسدة عند أكثر أهل العلم عالمنا (ص 239) كان أو جاهلاً، وعليه إعادتها وشهادته ساقطة ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وروينا عن العالم العبد عند الرحمن بن زيد، أنه قال: أجمع علم العلماء على أنه ليس لرجل من صلاته إلا ما عقل منها، وفقها الله وإياكم لمرصاته وأعانتنا على القيام بحقوق صلاته.

وكان سيدي الحسن - رحمه الله - معروفا بإحبابه الدعاء مقصودا لتفريح الكرب والسواء؛ له في ذلك أحبار ماثورة وحكايات مذكورة وكثيرا ما حدثني شيخنا سيدي محمد النسي. وقال لي: ما حلت على لأركة الأشياخ ولا نعمني الله بدعائه الصالح (ص 240)، وخصوصا سيدي أبركان فإنه كان يحصي بالدعاء، وقد تعرفت إحابة دعوته وصدق بيته في وفي غيري، وهذا لدي أن فيه من وراثتي مجلس الأشياخ بالمدرسة البعقوبية واعتائني بتفسير الكتاب العربي كنت أؤمله وأقطع بوصولي إليه سرقة دعاء سيدي الحسن، وغيره من أهل الله.

وحدثت عن سيدي الحسن أنه كان إذا رأى شيخا سيدي محمد السوسي يسم له، وفتحته بالكلام. ثم يقول في دعائه له: جعلت الله من أئمة المتقين، فقد أحاب الله دعوته، وحقق فيه فرسته فشجنا أبو عبد الله اليوم من أئمة العلم والدين (ص 241)، وأوصل أوليائه المتقين بمع الله بعبودته لعدد، وأن بركته معلوم الرشاد، وحسنت بما نه عبد الله من عبادة وأطهره عليه من أسرار الولاية رهنه في هذه الدار وعده اتحدده فيها حائط أو ماء حدارا، ثم دعاؤه التحن إلى طريق المئتك الحق لا إله إلا هو، فكم له من عقيدة كفيه فريت امدارك وموعظة شفة سلب العسالك، فهم والحمد لله سرقة سيدي الحسن من رحمه الله التمهيدات ونعمه المصداق أنقاهم الله عنه بهدي بمنارها ووفقا لاتباع كريم آثارهما.

وحدثني ولدي قال: كنت كثير الخدمة لسيدي (ص 242) الحسن محب في قصه حوائج أصحابه والمتعلقين به، وكان يدعو سي محير، ويقول في دعائه الله يرفع درجتك ويسارك لك في مائك وودك، فأنما وجدت إلا بركة دعائه وإني لأرحو بركته ودعوته لصالحة في الدار الآخرة بفصل الله ورحمته

قمت: وقد رفعت لهذا الشيخ فدخلت بويته وقمت يده، ودعا لي بمأرحو فبوله، وكان شديد السمرة وربما طر به من لا علم له بنفسه الصريح أنه من الموالبي، وقد حدثني سيدي محمد السوسي فيما كتب به إلي، قال: حدثني سيدي علي، عن سيدي الحسن قال: بسا حد صريح له بسوق فيه رق، وقد تنفيت (ص 243) ذلك عن بعض أكر الأولياء، وقال أنه تنقى من اللوح المحفوظ.

* وفاة الشيخ الحسن أبركان:

وكانت وفاته رحمه الله أواخر شوال من سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وكانت حداثته من الأيام المعدودة والمحاصر المشهودة آحدة في نهاية الاحتيال حصرها الحلقة - رحمه الله - وملاّت السكت والشوارع من حصرها من النساء والرجال، فعلم الله سيئاتهم وأعد عيب من سركتهم، شاهدت يومئذ على الحبيبة المعتصم بالله رحمه الله دسرا رصاصيا وقتلاً راسموي إصهاراً للكنة والحر، وتراحم الناس على نعشه منركن به (ص 244) دكين لعمده وانعوا نساء حسنا وذكرنا حميلاً. ولقد شاهدت كثيراً من الناس يرومون الوصول إلى ستلام النعش فيعلمهم الرحم عنه:

لم أسس يوم نهادت نعشه أسفا أيدي الوري وترايبها على الكه
كرهرة تنهادها الأكف فلا نقيم في راحة إلا على طعن
فرحم الله سيدي الحسن ورصي عنه ونعم سركته وأمثاله من عباده

(1) الموافق لشهر ماي (1454 م).

(2) يقصد بالخليفة أمير تلمسان الزياني.

الصالحين وأوليائه المتقين الزاهدين المصلحين بمنه وكرمه (ص 245).

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه المصطفى، وعلى آله وأصحابه
 وذرياته أهل الصدق والوفاء وحسبنا الله وكفى.

• • • •

ثالثًا: الشيخ إبراهيم التازي

ثم يتلو ثلثهم المعظم وصدرهم المقدم أثير جمعهم، ومؤثر ما تقدم من شفيعهم سيدي إبراهيم التازي رحمه الله تعالى ورصي عنه ونفع به .

(ص 246) هو: إبراهيم بن محمد بن علي التازي أبو إسحاق رحمه الله تعالى، ورصي الله عنه - ، نزيل مدينة وهران، وسلطان أولياء ذلك الزمان، وبدره العظيم الشأن الشهير الذكر في حياته الباقية أقواله وأفعاله بعد مماته.

كان سيدي إبراهيم رحمه الله - من أولياء الله السراةدين وعباده المحنصين لصاحبين، إمام في علوم القرآن مقدّم في علم اللسان، حافظًا للحديث مستحدث في حفظ الفقه وأصوله، عاكفًا على خدمته معروفًا بجودة القيام على دواوينه.

(ص 247) حدثني شيخنا الركة سيدي يوسف المصمودي أنه وقع بيده حين إقامته بمدينة تارا كتاب بخط سيدي إبراهيم لبعض الأكار من أهل تارا يعرفه ببعض حاله، وفيه:

اعلم أن محكم إبراهيم يقرئ مختصر حليل من غير مطالعة شرح، وليس هذا بعيد في الأنوار الهوارية، وهذا يدل على أن سيدي إبراهيم كان أحد خفاة مذهب مالك معروفًا بحودة النظر والفهم الثاقب، وكان رحمه الله - جامفًا لمحسن العلماء ممتغا بأداب الأولياء حاريا على طريقة السلف الصالح، لا نظير له في كمال العقل، ومثانة الحلم، والتمكن في المعارف ونبوغ الدرحة العليا في محاسن الأخلاق وجميل العشرة والمعرفة بأقدار الناس.

(ص 284) والقيام بحقوقهم في صحبتهم وعلاقتهم، حتى إنه كان لهم

بمسئلة الأح الشقيق أو الطبيب الرفيق، والمعالج الصديق الصبر بالدواء
 العارف بمحل الداء، وم عسى أن أذكر من حميل توصله فهو أحل قدرًا
 وأشهر ذكرًا، وحسب من حالته وسعدته أن لمثل ضرب بعقه وحلمه،
 واشتهر في الأفق ذكر قصته وعلمه حتى إن المتحدث من أهل زمانه الآن، إذا
 بالغ في وصف رجل قال: كأنه سيدي إبراهيم التازي، وإذا امتلأ أحد منهم
 عيظًا قال: لو كنت في مسئلة سيدي إبراهيم ما صرت، هذا مع ما كان يتحممه
 من إداة الحلق والصبر على المكاره، وصطع المعروف (ص 249)، لكسر
 والصغير، وفداراته لتجسس والحفر، ومما سمته لكوفة الساس على قدر
 أخلاقهم وكان سيدي إبراهيم أحد من ظهره الله هادب لحقيقته وأقامه داعيًا
 لسلط كرامته، محذراً برداء المحنة والمهانة مؤزراً لنشر القول في قلوب
 الحاضرة والعمدة ودعا الحق إلى الله بالصبر الوصحة الأنوار وأرشدتهم
 لعودته بعقائد التوحيد، ووظائف الأذكار، وكان من أحسن الساس صوت
 وأنداهم قراءة آية من آيات الله في فصحة الساس، وبحود تلاوه القرآن، يقف
 سامعه لطيب نغمه ونحو قلوب تحودة قراءه

(ص 250) حدثت عنه أنه كتب التحري، أو غيره من كتب الحديث أبيه
 محاورته بالحرم الشريف، يحضر الساس إليه، وتوفر جمعهم عليه لحسن قراءته
 وحودة إنشائه، وقدمه في مشحة الحرم الشريف لصلاه لإشباع في رمضان،
 وتقوا على أنه أحسن قراء تلاوة، وأريهم صلاوة وحلاوة، وامتهم معرفة
 وديانة ومن إشارات سيدي محمد بذلك قوله في نسيه رحمه الله
 ويقون أعلى من رد سمع من بعض حديث

* أصل الشيخ إبراهيم التازي:

وأصل سيدي إبراهيم من بني لست فبينة من قبائل البربر الكاثين بوطن

تازا، وشهر بالتري (ص 251) لولادته ونشأته به، وقراءته القرآن على أستاذه الشيخ الصالح المقرئ الراحل النوي العارف أبي زكرياء يحيى الوارء، وكان هذا الشيخ سيدي يحيى يظهر الاعتناء بسيدي إبراهيم على صغر سنه، ويشيد بذكوره، ويقول للأولاد في المسجد هذا سيدكم وصالحكم، كانت وفاة والده بمدينة تازا.

حدثني شيخنا الأستاذ الفقيه الزكة سيدي يوسف بن الحسن المصمودي عن حدثه من أهل الخير بمدينة تازا قال: رأى بعض الصالحين والد سيدي إبراهيم في المنام على حالة حسنة، وقد كان من المحلصين في بيعه وشرائه أيام حياته، فقال له: من أين لك هذا الخير (ص 252) يا محمد؟ فقال له: من ولدي إبراهيم، قلت: بشهد لهذا ما رويته في الحديث لمسد، عن أبي قتادة، أسد الحافظ بن الطيلاس عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله ليرفع للعبد الدرجة فيقول: يا رب، من أين لي هذه الدرجة؟ فيقول له: من سعتك إليك.

* رحيل شيخ إبراهيم إلى مصر والحجاز.

وما زال سيدي إبراهيم على حالة الحسنة ونشأة الصالحة والهدى القويم إلى أن ارتحل من البلاد المغربية قاصداً أدء فرصة الحج، فشر الله له القبول التام في قلوب الحاض والنعم، وفاء له أولياء مشرق وعمماؤه على ساق وعرفت صدقيه في البلاد المصرية (ص 253) والحجازية، واشتهر ذكره في الأفاق ورافقه في وجهه هذه البلاد مشرقية نظيره في لعم والدب لولي الراحل الناصح العابد سيدي أحمد الماحري، وشاركه في كثير مما من الله به عليه هالك من القراء والمعارف والأسرار والمصنف

حدثني ثقة من سادات أصحابه عنه أنه قال: لما وصلنا مصر وحدا ركب

الحجاز قد فاتنا بالطلوع، وأسمعت لذلك، ثم قصدنا مرارة الفرافة للتوسل بأوليائها أن يسهل الله أمرنا في تكيف سفرنا، فوجدنا بها شدة دون لجة بحيف الجسم، وأثار الولاية عليه ظاهرة فسلمنا عليه فكان من رده علينا بطريقة المكاشفة الوقتية (ص 254) قوله: وعليكم السلام ورحمة الله عالم العيب، فلا يظهر على عيبه أحدا. ﴿قُلْ لَا يَقْلُزُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأنعام: 65]. ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]. تسافرون في البحر إن شاء الله، ثم سكنت عما، قال سيدي إبراهيم: ففانحته الكلام وسأله الدعاء فسكنت عما ولم يرد به إليي.

ق. فمرحبا بقوله: تسافرون، وانصرفنا عنه، قال: بعد أيام فبينة وصل موكب لمرسى مصر المسمى بولاق فسافروا فيه فوصلت حدة في أسرع وقت وعسى أمصل حال سرقة ذلك الولي لله الحمد والممة، ثم شد سيدي إبراهيم الرحال للحرمين الشريفين، وهما لك لقي أعلام (ص 255) ارحل: فأخذ بمكة المشرفة على علامة علمائها، وكبير محدثيها قاضي قصبة المالكية السيد الشريف تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسن الفاسي الأصل، المكي الدار، قرأ عليه سيدي إبراهيم كثيرا من كتب الحديث والرفائق، واعتنى به هذا السيد الشريف وكتب له في إجارته ما نصه:

* إجازة الشيخ تقي الدين الفاسي لشيخ التازي.

الحمد لله الذي جعلنا من سكان الحرم، والصلاة والسلام على سيد محمد المبعوث لجميع الأمم، ورصي الله عن أصحابه أولي الفضل والكرم، وبعد: فإن ممن أسست محالسته وانتفعت بذاكرته وأرغب في صلاح أديته، الفقيه الأكمل الأفاضل الخير المبارك أبو إسحاق إبراهيم بن (ص 256) محمد بن علي الشتي التازي المغربي المالكية أمده الله بحضته، ومتع بحبته لم جاور بمكة

المشرفة سنة ثلاثين وثمانمائة، وقد قرأ على أبو إسحاق بلفظه جميع كتب الشفا للقاصي أبي الفصل عياض، وجميع الأئمة لحمل الدين أبي عبد الله بن مالك وغير ذلك قراءة حسنة زاده الله من فضله، لما سمع علي بقراءة غيره كثيراً من كتب الحديث لموطأ مالك أبي عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وجميع السنن لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب السائي، وجميع رسالة القشيري، وكان الفراغ من قراءته لشهد في الموفى ثلاثين لذي قعدة الحرام من سنة ثلاثين وثمان (ص 257) مائة - لمسجد الحرام، وقد أحررت الفقيه أنا إسحاق إبراهيم جميع روياتي ومؤلفاتي، وأرعت في دعائه فيبعم به مثناً متفصلاً، قال ذلك: محمد بن أحمد الحسيني حمد الله أحواله، وبلغه آماله، محمد سيد المرسلين وآله والصفوة الأكرمين.

* رحيل الشيخ التزي إلى المدينة المنورة:

ثم لما حلّ سيدي إبراهيم بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، أحد بها عن جماعة من العلماء الأعلام منهم إمام الأئمة وحمل علماء الأمة سيدي أبو المتح محمد بن أبي بكر القرشي الشافعي، قرأ عليه سيدي إبراهيم علوماً كثيرة، ولارمه مدة طويلة، وكتب له سيدي أبو المتح بخطه عدة إحازات، وقد حدثني بذلك كنه عنه (ص 258) شيخاي الشامحان: حماد الحفاظ سيدي محمد بن عبد الله النسي، والعلامة الراهد سيدي محمد بن يوسف السوسي، ويذكر بعض هذه المكاتب تبركاً بمن اشتملت عليه من أولياء الله الصالحين.

* حديث الضيافة:

مها حديث الضيافة، حدثني شيخنا أبو عبد الله السوسني فيما كتب لي بخطه، قال: حدثني العالم الرباني أبو إسحاق التري، وأصافني تمرًا وماء، قال: حدثني شيخنا العالم العامل أبو الفتح بقلت:

الحمد لله وحده أصمت سيدي الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البستي، وسيدي محمد الماحري بالمدينة (ص 259) المصورة تمرًا وماء في يوم الخميس ثلثي شهر الله المحرم سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وقرأت عليهما، أحمرًا الحافظ بمس النبي سليمان بن إبراهيم العدوي اليمني بقراءتي عليه جميع حديث الضيافة بسنده المعروف عن شيوخه إلى السيد جعفر بن محمد الصادق، قال جعفر أصافنا أبي محمد بن عبيد الباقر على الأسودين التمر (ص 260) والماء، قال أصاف رسول الله ﷺ، من أصاف مؤمنًا فكأنما أصاف آدم، ومن أصاف مؤمنين فكأنما أصاف آدم وحواء، ومن أصاف ثلاثة فكأنما أصاف حننيل وميكائيل وإسرافيل، ومن أصاف أربعة فكأنما أصاف التوراة والإنجيل والفرقان، ومن أصاف خمسة فكأنما صلى الصلوات الخمس في الجماعة من أول يوم القيامة، ومن أصاف ستة فربما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، ومن أصاف سبعة أعفت عنه سعة أبواب جهنم، ومن أصاف ثمانية فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، ومن أصاف تسعة كتب (ص 261) له حسابات تعدد من عصاه من أول يوم خلق الله إلى يوم القيامة، ومن أصاف عشرة كتب الله له أحر من صام وحج واعمر إلى يوم القيامة، وكتبه أبو الفتح بن أبي بكر وفقه الله تعالى.

من أشيد سيدي إبراهيم - رحمه الله - في ذكر الصيف عن شيوخه
بالسيد المتصل للحافظ أبي الحسن عبي النكرم نعتسي
إذا قدم الصيف اعتمت قدومه ولم أك عنه يوماً بالعادل اللاهي
وذلك أن الله يسرقاً مغنا وإن دعاء الشيف من نعم الله
حدث أبي رشيد في رحنته عن شيخ أبي اسركات شعبان الصوفي بسده
عن الأصمعي، (ص 262) قال: خرجت حافاً إلى بيت الله الحرام، فسمعت
أعراباً متعطفاً بأسند الكعبة يقول: اللهم إني مصيف من ورد عبيث وأب
صيفك، اللهم وإني راجع إلى أهلي وهم سائرون بمد أصغني، اللهم وإني
محبهم أنك قد أقربني الحنة وأحرمني من الدبار، وفعل أنت بعدد دأ ما
شئت

* عودة لشيخ إبراهيم التازي إلى مصر وتونس:

ولمّا فعل سيدي إبراهيم من وجهته الحجازية وشرل مصرًا وغيرها من
البلاد تذكر مصارفته للحرمين الشريفين، وتشوق لما كان عليه من الحبر
والعبادة بتلك المعاهد المعظمة (ص 263) والمشاهد المكنة بظم قصيدته
لحمالية التي لاح فيها برهان صدقه، وشهدت بتقدمه في درجة المعروف
وسبقه ومطلعها:

ما حال من فارق ذاك الحمال وداق طعم المحر بعد الوصال

وكلام سيدي إبراهيم في منظوماته على الطريقة التصوفية والإشارات
لعرفية والأمداح السوية لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته، وانسعت في
علوم الفسان مادته، وعلت في درجة الولاية رتبه، وداق من طعم الحب
والشوق ما بهرت به ولايته.

قال المؤلف - وفقه الله - : وكان سيدي إبراهيم - رحمه الله - وقف إلى أبيات

الخطيب الراهد أبي عبد الله بن بوطلة المرسى، وقد ضمن أوائلها اسمه أحد ❦
أنشد له أبو عبد (ص 264) الله بن رشد في رحلته ومن حظه نقلت:

أرى العمر يقنى والرحاء طويل وليس إلى قرب الحبيب سبيل
حباه إله الخلق أحسن ميرة فما الصبر عن ذاك الجمال جميل
مئى يشتفى قلبي بلثم ترابه ويسمع دهر لا يزال بهيل

ولما وصل سيدي إبراهيم في قموله مدينة نوس أحد عن أكثر علمائها
وأفاضل أوليائها، وكتبوا له خطوطهم بالشهادة، وحفظوا على صغر منه
بأوصاف السيادة، فكان من حملة من كتب له شيخ الإسلام الحافظ العلامة
الشهير سيدي عبد الله العدوسي، قرأت محطه في فهرسه (ص 265) سيدي
إبراهيم ما نصه: الحمد لله تعالى وحده دائماً، يقول كتبه عبد الله بن محمد بن
موسى العدوسي: صافحت الفقيه الأح في الله تعالى سيدي إبراهيم بن محمد
النري. أحد الله بيده، وكان له منه وشددت بيدي على يده، وقلت له: المراد
بهذا الشد الاشتداد في الله، وتأکید الصحة وحدثه بها عن شيوخنا الأستاذ أبي
عبد الله محمد بن حابر الغساني. عن الإمام الراسي أبي عبد الله محمد بن عبي
المصمودي المراكشي، وشهرته باسم عديوات عن أبي عبد الله الصوفي، عن
الإمام العالم أحمد بن السأ عن ولي (ص 266) الله تعالى أبي عبد الله
الهرمري، عن أبي العباس الحصر، عن سيد ومولانا محمد ❦، وعلى
صحبه، وكل من بسب صحيح إلى يوم القيامة وسلم تسليماً كثيراً، وذلك في
رمضان عام اثنين وثلاثين وثمانمائة⁽¹⁾.

(1) الموافق (4 جوان - 23 جويلية 1429م).

* عودته من تونس إلى تلمسان:

ثم قفل سيدي إبراهيم من تونس فنزل بتلمسان للقاء من بها من أكاره العلماء، وصدور أهل الهدى، فأخذ بها عن علامة وقته وخاتمة العلماء شيخ شيوخنا سيدي محمد بن مرزوق، وكتب له في ربيع القاسي من عام اثنين وثلاثين وثمانمائة⁽¹⁾.

* انتقاله من تلمسان إلى وهران:

(ص 267) ثم قصد مدينة وهران لزيارة شيخ المشايخ لسان الحق، حديد أقرانه، وحكيم زمانه، سيدي محمد الهواري ونيته أن يعاود الرحلة للحرمين الشريفين يرسم الإقامة هناك، والاستيطان مع أصحابه الذين أكرمهم الله بحواره وحصلهم بمشاهدة أنواره. فقد روي في الحديث عنه رحمه الله من مات في أحد الحرمين بعثه الله في الأمين يوم القيمة.

وروي في الموطأ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - كان يقول: «اللهم ارقني شهادة في سبيلك، ووفاء بلد سبيلك»

وعند اجتماعه بسيدي محمد الهواري ومحاضته معه تفرس فيه سيدي محمد محابيل النخبة، ورأه الآخر (ص 268) بالوراثة والعصاة، فأكرم برله ورفع مقامه، وقال له في حكمة طويلة: يا إبراهيم أنت مقيم على السر والكرامة.

حدثني شيخنا أبو عبد الله السوسني أن السيد إبراهيم حصل له المنع العام بصحة سيدي محمد، وطعم منه ندحائر من الحكم الربانية، ووصل بسببه إلى الرسوخ في المقدمات العرفانية والتمكن في رتبة الأولياء، ودرجة

(1) الموافق (8 جاني - 5 هجري 1429م).

أهل البصرى، قال: فمن شاهده فهم ذلك من سائر حاله واستقامة أفعاله،
ومرآل سيدي محمد بسوءه ويرفع من شأنه ويشير لأصحابه بملازمته
ويخصهم على خدمته ويصبرهم بكماله واتساع معرفته، وعظيم فضل الله عليه.
(ص 269) وإذا قدم عليه أحد من الواردين بلريارة يعرفه بمكانه ويقول له:
سلمه على الشيخ سيدي إبراهيم، فهذا قصي الزائر عرصه من الربرة وأنى
لوداع الشيخ سيدي محمد سهه أيضا على وداع سيدي إبراهيم، فأومع عنده
على ذلك نحو العشرة أعوام معروف المكنة محصوف بالتحفة والكرامة، وهو
في أثناء ذلك يسخ كلام سيدي محمد الهوارى بحظه ويجمعه في دفاتر
وقفت على كثير منها.

والى فعله ذلك أشار سيدي محمد الهوارى في البيانة الطويلة:

ويرحم ربي قد شفا ويعطيه درجا عالية

ومن سلف يعطاه ما سلف في الأيام الحالية

* استقلال الشيخ التازي بزويته الخاصة:

بعد زمان انتقل سيدي إبراهيم عن راوية سيدي محمد، وأخذ في إظهار
ما أقامه الله فيه (ص 270) وأرشده إليه من دعوة الحق وهدايتهم لطريق
المسك الحق، لا إله إلا هو، فأقام سوق الأفكار موهرا وأسان بها معالم
الإسلام والإيمان، ورتب المواسم الشرعية، وثنى على الآداب الدينية
والدنيوية، ونقل أهلها عن كبراه عليه من الشدي إلى الحضارة وقنمعت فيها
وعظمت العمارة، وارتحل إليها كثير من أهل الحريرة، ولما اعتصموا لركته
سكانها، واعترفوا بمصلحتها على من سواها، وصرف الروار أعنة الردق إلى
مشواها وقصده الواردون من جميع الأفاق وعلى قصه وولايته الأصفاف، وإلى
ذلك أشار سيدي محمد الهوارى في مقدمة الشبيه فقال:

التسبيح إذا يقرأه من هويّا صبي طبقاً (ص 271) والناس إليه تحي من عوناً وشرقاً، وكان سيدي إبراهيم في أثناء ذلك كله يستمتع محالاً بإقرانه بقراءة كتب الشيخ سيدي محمد الهواري يقرأها بلفظه فيمسر مجملها ويفتح مقلها، ويشير في حال قراءته لمقدمات الشيخ وعمومه ويطلب أثناء الحميل عليه، ويطلب الدعاء له ويقول ما علي إلا لبركة الأشياخ وخصوصاً سيدي محمد الهواري عملاً بالأحاديث المرغنة في شكر من أسدى إليك بذاً، أو ساق إليك حيزاً.

روينا (ص 272) بسنده عن العمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس، لم يشكر الله، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير»، والتحدث نعم الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب.

قال الرئيس العرفي. ومث روياه مسنداً. عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله ﷺ: يا عائشة، إذا حشر الله الحلائق يوم القيامة، قل لعمد من عباده كان اصطع إليه عمد من عباده معروفاً، وهل شكرته، فيقول: أي ربي علمت أن ذلك منك فشكرتك عليه، فيقول تعالى: لم نشكرهم، إذا لم تشكر من أجريت ذلك على يديه».

واستند الحافظ أبو نعيم عن كعب الأحبار أنه قال: (ص 273) ما أعم الله على عبد من نعمه فشكرها لله وتواضع بها لله دلاً أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أعم الله على عبده من نعمة في الدنيا فشكرها، ولم يتواضع لها لله إلا معه الله نعمها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النار في قبره يُعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه.

وباب الشكر لمن أعم الله عليه من الصفات الحميلة والمقدمات الحليلة، وهو من صفات أهل الحنة، قال نح الدين أبو المصل بن عطاء في كتبه

البصائف: ومن بعض العارفين لو علم الشيطان أن طريقاً توصل إلى الله أفصل من الشكر لوقف فيهما، ألا تراه قال: ﴿ثُمَّ لَا يَبْتَهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَخَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف 17]. تأمل كيف لم يقل: ولا نجد (ص 274) أكثرهم صابرين، ولا حائمين ولا راجين، قال اس عطاء الله، ولما اجتمعت بالسلطان قد قرون دولتكم بالرخاء فاشرحت قلوب الرعايا بكم، والرخاء أمر لا تستطيع المملوك تكسبه، ولا استحلالة كما يكتسبون العدل والجود والعطاء، فقال لي: ما هو الشكر؟ قلت له: الشكر على ثلاثة أقسام:

شكر اللسان، وشكر الحوارح الظاهرة، وشكر القلب، فأما شكر اللسان فهو النحدث بحم الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الصحي: 11]. وأما شكر الحوارح الظاهرة فلعمل بطاعة الله.

(ص 275) قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَالاً دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [اسم: 13].

وأما شكر القلب فهو أن تعتقد وتعرف بأن كل نعمة بك أو بأحد ممن العباد هي من الله تعالى، قال - حل حلاله - : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [الحل: 53]. فقال لي المصنف: وما الذي يصير به العبد شاكرًا؟

فقلت له: أما المملوك فبإظهار العدل في الرعية، ودفع المصرة عنهم، والأنكد اللاحقة، فإذا عدل الملك في رعيته وطر لها بالأصلح فقد اتصف لها بالشكر وحصل له ثواب الشاكرين، وأما العلماء فتبليغ العلم للناس وإرشادهم لطاعة الله. وأما التجار وذوو الأموال فالصدقة والإيثار والنفع لعباد الله.

(ص 276) روي في رقائق اس المبارك، عن بعض السلف الصالح قال: إن

حقوق الله عز وجل أعظم من أن يقوم بها العباد، وأن نعمة الله أكثر من أن تُحصى، ولكن أصبحوا تائبين، ومن مرويات سيدي إبراهيم في كتاب المجالس للربيع العراقي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «حصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً، من نظر في دية إلى من هو فوقه وقتدى به، ومن نظر في دية إلى من هو دونه فحمد الله - عز وجل - على ما قصده به عليه، كتبه الله عز وجل - شاكراً صابراً، ومن نظر في دية إلى من هو دونه، ونظر في دية إلى من هو فوقه، فأسف على (ص 277) ما فاتته منه لم يكتبه الله عز وجل - شاكراً ولا صابراً».

أنشد شيخنا عبد الله التسي، قال شيخنا أبو إسحاق الديري قال: أنشد شيخنا أبو الفتح قال: أنشد شيخنا أبو الفضل العراقي قال: أنشد الإمام قاضي القضاة عر الدين عبد العزيز من جماعة لمحمود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة	علي له في مثلها يجب الشكر
وكيف بلوغ الشكر بهضه	وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسرء عم سرورها	وإن مس بالصرء أعقبه الأجر
وما منهما إلا له فيه نعمة	تصيق بها الأوهام والبر والبحر

ومن أعظم الدلائل على ولايته الدهرة، وكرامته الطاهرة ما أحراه الحق سبحانه على يده (ص 278) من سماء الزاوية السيهة المتعددة الأسواب والمساحد في المحامدة والاحتفال، ومدارسها المشتملة على الميضة الأليقة الدارة والحمام الذي ما شوهد مثله في الملاد، والخرائن المملوءة بالكتب العلمية وآلات الجهد، والسطح المظلل بعريش من شجر اليسعين العبري الرائحة لا نظير لها ولا مثال.

ورحم الله سيدي محمد الهواري فقد صدقت فراسته فيه حيث قال في
التنبيه مشيرًا له على عادته:

عقلك ربته يسرى	كانوا في البحور يغيب
تتعجب فيك أجب	وأذيب من بي وطيب
وقد تشبه البنا	وبنيك علمي ترتيب

* قصة إدخاله الماء لوهرا:

(ص 279) وأما الماء الذي أدخله لوهرا فهو من عرر الدهر، وحسات
ارمان، وأعظم بها صدقة حرية منها بعد لنعاد، وآية من آيات ولايته باقية
بمحمد الله إلى يوم التداد، وقد رآه قديمًا من نزل وهران من الملوك وأهل
جنانة الأموال فلم يهتدوا إليه وأنعورهم سبيله وأخر الله ذلك إلى رمدته لتقل
به كمة ميزانه.

الحمد لله حمدًا لا تقبسه، هذا الرمان الذي كس مؤمنه وكيفية وضعه،
وابتداء صمعه من بحار فيه أهل النظر والاعتبار ويصيق عن عدية إبداعه ذوقوا
الأيدي والأنصار، فيا هيئ لوهرا (ص 280) أن رويت سره هذا الشيخ
حولها الصادية، وبشرى لراوته السعيدة أن جعلها الله مشرع روي لبريحة
والعادية، فمن لم يشاهد سطره سيدي إبراهيم المعمورة بذكر الله وطعته،
وتصرفات تلك المياه المعينة على عادته، وحروح الخطايا مع آخر قطرة منه
كاف في فضيلته، وسماطة المعد لأهل الوظيفة المصورة وصدقاته الجارية،
وكل ذلك بقى كما رثه بل زائد على ما كان عليه في حياته لم تتغير أشكاله،
ولا تبدلت أحواله إلى احتلال، نعم أن ذلك من أعظم كراماته وأقوى الدلائل
على صدق ولايته، وأن هذه المنة التي دحرها الله له مما يحتج به (ص 281)
المفاحر ويرد به قول من قال: ما ترك الأول للأخير.

آثاره تبك عن أحباره حتى كأنك بالعيان تراه
حدثني لمشيخة من أهل وهران سروراً ما أدركوه قط لأبهم كانوا في
مشقة كبيرة من قلة الماء ومكيدة السبب من العيون من الصباح إلى المساء،
فوقهم لمشاق الصعنة، وسقاهم الماء الذي جعه حبة نكل دي كدرطه.

* صنائع المعروف:

وقد روت في الحديث الصحيح: عن علي رضي الله عنه . عن
الرسول ﷺ، عن الروح الأيمن حسبل عليه السلام . عن الثرت المالث
الحق مولانا عروحل قال: ب محمد، (ص 282)، أكثر من صنائع
المعروف، وبها بقي مصرح السوء، وما عمل العبد بعد أداء الفرائض عملاً أحث
إلى الله عروحل من إدخال السرور على المؤمن .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ من
أدخل عني مؤمن سروراً فقد سربني، ومن سربني فقد اتحد عني عهداً. ومن
اتخذ عني عهداً فلن تمسه النار أبداً.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ: «أهل المعروف
في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل
المنكر في الآخرة».

وحرج الحطيب أبو بكر في تاريخه عن صالح بن بيان أحد أصحاب
الإمام سميان الثوري قال: حدث سميان، عملي بن أبي (ص 283) عبيد، عن
أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «من سقى الناس في موضع يقدر على الماء فيه،
فقه بكل ثمرة يشربها السر أو الفاجر عشر حسنات تكتب له، وعشر درحات
ترفع له، وعشر سيئات تحط عنه، ومن سقى الماء في موضع لا يدر على الماء
فيه فكأنما أحيا الناس حميماً»، قلت: وما الناس حميماً؟ قال: «اليس إذا

أحييت نفساً فتوابك الجنة، وكذا من أحيأ الناس جميعاً فتوابه الجنة».

* إيثار الشيخ التازي للعلماء:

وكان سيدي إبراهيم يُحب العلماء ويكرمهم ويوسع لهم في مجلسه ويقدمهم، وربما كان في متفقهة الوقت من يكر عليه أحواله، ويزهد الناس الوصول إليه فإذا بلغ ذلك سيدي إبراهيم تسم وقال: أمرن وأمره إلى الله، وكان يقول: الفقيه من يفقه عن الله، ويرعب فيما عند الله ويزهد فيما (ص 284) عند الناس، أما من يطلب العلم لينتهي به العلماء أو ليصرف به وحوه الناس إليه، وليحطى بالمنزلة عند الأمراء فذلك ساقط عند الله، إذ ليس من أهل الحشية لحلال الله يحيب الناس بما فيه، ويرى الفصل له عليهم ويدعيه، وفيما حدث به أبو الفرج الحوري عن أبي عبيدة الساجي قال: سمعت الحسن البصري يقول: يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس عيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك، ومهما أصلحت عيب من نفسك، وحدثت عينا آخر لم تصلحها، فعليك بعبوب نفسك فربك لست على العباد برفيق، وأقدي شيئا أبو عبد الله التسي أبياتا حسنة لأبي داود سليمان بن معبد من رواية الأصمعي أشدها له الحطيط أبو بكر قال: (ص 285)

يسأ أمر الناس بالمعروف مجتهدا	وإن رأى عسافاً بالمكر اتهره
أبدأ بنفسك قل الناس كلهم	فأوصها واتل ما في سورة البقره
أتأمرون الناس بسر تاركين له	ناسين ذلك فعل الخيب الحسره
وإن أمرت ثم كنت على	خلافه لم تكن إلا من المحره
من كان بالعرف أمارة وتاركه	فليس يسبق منه سيلة مظره

وفي كتاب الرقائق، قيل للحسن البصري في بعض المسائل: ما سمع أحدًا من الفقهاء يقول هذا، فقال: وهل رأيت فقيهاً قط إنما الفقيه الراهد في الدنيا الراغب في الآخرة المحب في الآخرة، قل: وما رأيت فقيهاً قط لا يداري ولا يماري، إنما الفقيه من يشر ما عبده من حكمة الله، فإن قبلت حمد الله - عز وجل - ، وإن ردت حمد الله - عز وجل - .

(ص 286) ومن كلام سيدي محمد الهواري - رحمه الله تعالى :

من لا يعرف الله لا تعرفوا واحذر منه واتقي
مع شيخ عارف والعلم من أهل الدين يستقي
وحدث ابن المبارك، عن سفيان الثوري قال: «تعودوا بالله من فتنه العابد
الحامل، وفتنة العالم الحائر، فإن فتنهما فتنة لكل فتون».

وأشد أبو عبد الله بن رشيد بسده، عن الحسن بن علي الدامغاني قال:
سمعتُ الوالي الراهد يحيى بن معاذ يقول مخاطباً لبعض علماء الدين علب
عليهم التنافس والرياء وحب هذه العانية:

عانقت دنياك سروراً بريتها وقد معت التقى والزاهد والورعا
فكيف يسمع من العلم حامعه ولا يراك بهذا العلم متعها

(ص 287) وكان سيدي إبراهيم - رحمه الله - إذا حصر في محالٍ الذكر
أو لقن كلمة، لإحلاص أحدًا من الخواص، عبثه هيئة الوقار، وفعلت فيه
لطائف الأسرار، وكشفت له عن لفنوحات الإلهية التي اكتسبها في حيواته،
واستفادها من مساحته فيرداد في الله - عز وجل - محبة ومه حشية.

حدثني عميد أصحابه ووصيه علي راويته بوصيته به إنه، الشيخ سيدي
محمد بن موسى بن تيف، أئد ما قل. كان سيدي إبراهيم إذا أراد أن يبدس
أحدًا الحرفة المباركة أو يلقبه الذكر الكريم يعبث إلي لا حصر ذلك، فكش

أرى عليه حينئذ من القصص الندم، وتعبير النور ما لا أعهدده منه (ص 288) في غير ذلك الوقت، فإذا قال: لا إله إلا الله، وكررها في حانة التنقيب الصغر وجهه، وتعبير وصار كأنه يرف منه الدم. فلما علمت سر ذلك وفائدته إلا بعد موته وتقديمه إتياني سادراً على رويته ونسبت أهلاً لذلك، فأشددته حينئذ قول القائل:

لي سادة من عرهم أقدامهم فوق الحياة
إن لم أكن منهم فلي في حبسهم عمر وحياه

وكان الشيخ سيدي محمد الهواري قد أشار بتقديم سيدي إبراهيم، قال: أتيت مرة وأنا شاب لوداع سيدي محمد الهواري، وطلب الدعاء منه، إرادة السفر، فقال لي: اس من؟ والفرص أنه (ص 289) يعرفني ويعرف أمي من قبلي معرفة حقيقية، قال: فمما قال لي: أين من أنت بحضرة جماعة من الناس أدركني الحجل والحباء ما أوجب السكوت، فمما أرى ما بي من الحشمة قل لي: أنت اس إبراهيم. فردني قوله ذلك حجة إلى حجة وانصرفت مفكراً في قوله معتمداً منه، فلما كان بعد زمان طويل تعلقت بخدمة سيدي إبراهيم وذكرت له يوماً قول سيدي محمد الهواري: أنت اس إبراهيم، فقال: إنما أشار بذلك إلي، فحمدت الله تعالى وشكرته وسألته - سبحانه وتعالى - أن ينفعني بحبه وخدمته في الأخرى كما ينفعني به في الأولى، وكان سيدي إبراهيم - رحمه الله - محب في المفقراء والمساكين مؤثراً لهم بإعانة ملهوفهم، والقيام بشئونهم دؤوباً على فعل الخيرات، وأنواع الصاعات حريصاً على إيصال الخير لعباد الله يحب لكفة (ص 290) الحلق ما يحب لنفسه، وبشر الله له القول في قنوب عبده، فكانت الخاصة والعامة على عية من حبه وإحلاله يقدمونه على أنفسهم وآبائهم ويستهجون بأقواله وأفعاله، وكانت الصدقات والدور ترد عليه

من الأفق، فلا يدحر شيئاً منها بل يصرف ذلك في وجهه، ويعود به على المحدث.

حدثني شيخنا أبو عبد الله التسي قال: كان شيخنا أبو إسحاق محملاً على الكرم والإيثار لا يدحر شيئاً، ولا ينوي على سب، قال: ومضى أشداه في الجملة قول الراشد العارف أبي العباس بن العريف:

تعالمني في الجود والجود شمتي	وما لي بتبديل الطباع زعيم
ولم أر مثل الجود أما حديثه	فحلوا وأما حبه قدم
(ص 291) ولا خير فمن لا يمش بعشه	ولو أنه فوق السماك مقيم
ذريتي لسان البخل عار بأهله	وما ضر مثلي أن يقال عدم
أرى كل طلق كان خلق حميمه	وليس لمقبوض الدين حميم
وكيف يخاف الفقر أو يحرم الغنا	كريم ورب العالمين كريم

وكان إذا شرع في بناء شيء من الأماكن المعدة لمساكن المسلمين ومراقبتهم المعينة لهم على عمادة ربهم استدان ديوناً كثيرة، لذلك فتنحير أرباب الأموال في كيفية خلاص ذلك الدين ويتعجرون من قوة يقين الشيخ وكريم أحواله، فما تمر عليهم أيام قتيبة حتى يفتح الله في خلاصه والمخرج منه من حيث لا يحتسب أحد.

وكان من عادته إذا كمل الموضع بالنساء عجل بالشهادة عليه أنه حسن على الراوية حتى إنه لم يترك (ص 292) لورثه من الأرض شراً، ولا دحر به فضة ولا تبراً.

وكان رفيع الهمة عن ملث الوقت وولاة الأمر مع رغبتهم في قضاء حوائجهم وتطارحهم عليه بالكتب فيتعاضل عنهم ولا يحييهم عن كتبهم؛ لأنه

كان قليل الكتب لا يكتب إلا لبعض الناس، ومع ذلك فكانوا له على الحالة المرضية من الإحلال والتعظيم يقبلون شفاعته، ويعظمون وسيلته، وكان يقول لأصحابه إنما تكون السلامة في الدين بترك لطمع في المحذوقين:

هي القساعة لا تبقي بها بدلاً فيها العيم وفيها راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطر والكفر

ورويانا في أحبار الولي الراشد بشر الحافي أنه قال: رأيت (ص 293) أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فقلت له: عطي يا أمير المؤمنين، فقال لي: «ما أحسن عطف الأعياء على الفقراء طناً لثواب، وأحسن من ذلك تبه الفقراء على الأعياء ثقة بالله».

قال المؤلف: قوله: «ما أحسن تو صاع الأعياء للفقراء» عكسه «ما أقبح

تواضع الفقراء للأعياء»، والأصل فيه قوله **ثلاث**: «من تو صاع لعلي لأجل غناه

ذهب ثلثا دينه»، قال الأستاذ أبو القاسم: سمعتُ أبا علي الدقاق يقول: إنما

قال عليه السلام - : «ذهب ثلثا دينه»، ولم يقل: «ذهب دينه» لأن للمرء

ثلاثة أشياء: نفسه، ولسانه، ودينه، فإذا تواضع الفقير بلسانه ودينه للعلي من

أجل غناه فقد ذهب ثلثا (ص 294) دينه.

قال: «هو اعتقد الفقير التواضع بقوله للعلي، كما ظهر ذلك على لسانه

ودينه، وهذه حالة تعدد من المؤمن، ونعود بالله ممن كنت هذه صفته، وقد

أنشد بعض العارفين:

حرام على من وحد الله ربه وأفرده أن يجتدي أحداً رفداً

ويا صاحبي قف لي مع الحق وقفة أموت بها وجداً وأحيا بها وجداً

وقل لملوك الأرض تجهد جهدها فدا الملك منك لا يباع ولا يهدى

وفي شرح الأسماء للأستاذ أبي القاسم قال: روي أن بعض الأمرء قال لبعض الصالحين: سلمي حاجة، قال: أو لي تقول هذا، وقد كان لي عداان قهوتهما ومكنتهما وهما لأن سيدك. قال: ومن هما؟ قال: الحررض والهوى، فطال من عنتهما وقد عبك. ومكنتهما وقد منكك.

* إجلال الشيخ التازي لشرقاء:

وكان سيدي إبراهيم (ص 295) رحمه الله على حالة عظيمة ورتبة كريمة من إحلال الشرء المنسبن لأهل البيت. وانتويه بقدرهم والتسيه على رفعة مكبهم، ويقول لأصحابه. تعظيم أهل بيت النبي ﷺ من تعظيمه؛ لأن حرمة ﷺ ميتا كحرمة حيًا.

حدثني لفقته الكاتب العلامة أبو عبد الله ابن الشيخ الصالح سيدي عيسى بن عبد السلام، أن مولانا المتوكل أمير المسلمين طيب الله ثراه وحدد عليه رحمه، بعثه في أمر مهم نشاور فيه الشيخ سيدي إبراهيم فحرى بينهما من الكلام إلى أن قال له سيدي والله إني لأحب هذا الملك وأؤثره لكونه جمع حصلاً من الحر اندالة على كمال العقل. ومذقت من لسؤدد لم تنوفر في غيره وكفه (ص 296) فصلاً وسؤدداً أشد من لحباب العلي أهل بيت الرسالة ومقر السيادة والحلالة عبيهم الصلاة والسلام.

قال لي الفقيه أبو عبد الله. فنفذ سمعت هذا من سيدي إبراهيم بهجت به سروراً واسترودته تشنأ، فقال لي لئما قصت من بلاد الشرق ونزلت تونس، قصدت شيخنا الإمام سيدي عبد الله العدوسي، وذكرت له ما عرمت عليه من التوجه لتلمسنا، فقال لي سيدي عبد الله إن منوكها من الشرء الحسيني انتهى المقصود من هذه الحكاية باختصار.

ولئما نسي سيدي إبراهيم راويته الكريمة جعل في مدرستها المعدة لطبة

العلم غرفة مرتفعة، وعيها لولدين من أهل البيت ورتب لهم ما يحب من حق الضيافة (ص 297).

وما زال هذا الرسم لهم إلى الآن، والبيت الآن يُعرف بيت الشرفاء، ودرج على ذلك وصيه على راويته القائم بحقوقها على ما كان عليه في بدنه، وإعدته، الشيخ مبارك الصادق النهج سيدي أبو عبد الله محمد موسى، حصرت يوماً بوهن وقد قدم الراوية شاب من أولاد الشرفاء يرسم التجارة فتقدم إليه سيدي محمد بن موسى ليرله بمحل كرامتهم من المدرسة، فقال له السيد الشريف: أو مثلي يرون في المدرسة محتلطاً مع الناس، فقال له: يا سيدي الشريف، هذا الممرل هو أفضل ممرل في الروية، وفيه كان يسزلكم سيدي إبراهيم، فرد عليه الشريف بمحش من القول وهوحر من الكلام لدي لا يصدر عن سلااة (ص 298) الرسالة، فنسم سيدي محمد بن موسى وقد له قولاً لينا، وتمادي الشريف على سبه وسب الروية فقام أبو عبد الله محمد بن موسى عن المحش وتركه، ورأينا ذلك ماق له عدد من كرامات الشيخ رحمه الله - .

ومن الأحاديث المروية عنه عليه السلام في حب أهل البيت: أسد أبو عبد الله بن رشد فيما قرأته بحظه، عن أبي عبدس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أحبوا الله لما يعرفوكم به من نعمة، وأحبواي بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي.

وأخرج الثعني في تفسيره بسنده، ورواه الرمحشري في كشافه، عن حابر بن عبد الله (ص 299) قال: قال رسول الله ﷺ من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم مكر وبكير، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له في قبره نابين إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد

جعل الله قبره مرار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بعض آل محمد مات كافراً، ألا من مات على بعض آل محمد مات لم يشم رائحة الجنة»

وروي في كتاب المعجم لأبي القاسم الطبراني، عن ابن عباس، أنه قال: لما برز قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أُخْرَ إِلَّا أَمُودَةً فِي الْفُتُورِ﴾ [الشورى: 23]، (ص 300) قيل: يا رسول الله، من قرأه هؤلاء الذين وحيت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما».

وحدث الخطيب ابن ثابت في ترجمة عثمان بن محمد بن أبي شيبة بسنده عن وصمة بنت الحسن، عن وصمة الكري، قالت: قال رسول الله ﷺ: كل بني أم ينتمون إلى عصمتهم، لا ولد وطمه، فبني آل أبيهم وأنا عصمتهم، والأحاديث في هذا الباب كثيرة سيذكر بعضها إن شاء الله في ترجمة شيخنا أبي عبد الله السبي. قال: أشدني شيخنا رأس العارفين أبو إسحاق إبراهيم الناري لنفسه في فوائد حب أهل البيت والاستحارة بهم: (ص 301)

أنا عبد عبد محبيكم	يا آل بيت المصطفى
وبحسبكم وصل الأولى	محوه من أهل الصفا
هو والذي برا البرا	إكسير أرباب الهوى
وعليه حصص المهتدي	هم داهم والمفتدي
وعسى يحفظني منه أن	أحظي بيل المشتبي
واخص بالسر الذي	يلغى الرجال به المني
يا سادتي يا عترة الهادي الشفيع المحتني
رحمكم لمتهم	لعبت به أيدي الهوى

فَعَسَاكُمْ أَنْ تَسْتَحْفُوهُ بِدَعْوَةِ تَشْفِي الضُّعْفِ
وَتَسِيلُهُ مِنْ حَسْبِكُمْ أَقْصَى مَنَالٍ يَتَغَيَّرُ
لَا زَالَ شَامِخٍ مَجْدِكُمْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى

(ص 302) وكان سيدي إبراهيم - رحمه الله - ممن شهر في زمانه بين أولياء الله بمقام المحبة، صرح بذلك في كثير من قصائده التي أودعها طرفاً من أسرار معرفته ولطائف حبه ومباحاته. فمن ذلك قوله:

وَحَسْبَ اللَّهِ مَمْزُوجٍ بِكُلِّهِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَهَابِ الْمَضَائِلِ
وقوله:

جَمَالَ اللَّهُ أَكْمَلَ كُلِّ حَسَنٍ فَلِلَّهِ الْكَمَالُ وَلَا مَنَارَ
وَحَسْبَ اللَّهِ أَشْرَفَ كُلِّ أَسَى فَلَا تَنْسِ السَّحْلُقَ بِالْوَقَارِ
وَذَكَرَ اللَّهُ مَرَّهً كُلَّ جَرَحٍ وَأَمْسَحَ مِنْ زَلَالِ الْأَوَارِ
وَلَا مَوْجُودَ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا فَدَعْ عَنكَ التَّعَلُّقَ بِالْفُشَارِ

تأمل جزالة هذا الكلام ووجازته مع حلاوة اللفظ واشتماله على المعاني الكثيرة، ولهذه التي تحددها عدد (ص 303) ذكر لكلامه أو سمعته إياه، فقل أن تحد ذلك في كلام غيره من أهل الطريق، وعن ذي النون المصري: «حقيقة المحبة أن تحب ما أحب الله سبحانه، وتبغض ما أبغضه، وأن لا تخاف في الله لومة لائم».

وذكر الإمام أبو المعالي شيد له في كتابه المؤلف في المحبة قال: «روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إني بلغ إبراهيم منزلة الخلعة؛ لأنه لم يحب أحداً مثل محبته لله، فمن أصبح وفي قلبه غير الله فليس من الله».

وفي بعض الأخبار: أن الله سبحانه أوحى إلى داود عليه السلام - ، يا

داود إن كنت تزعم أنك تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك، فإن حبي وحبيها لا يجتمعان، في قلب واحد.

وفي تاريخ الخطيب (ص 304): عن أبي شعيب صالح بن العباس الصوفي، قال: سمعت دا الون يقول: من دلائل أهل المحبة لله أن يأسوا بسوى الله، ولا يستوحشوا مع الله، لأن حب الله إذا سكر القلب أس بالله لأن الله أجل في صدورهم من أن يحبوه لغيره.

ولسيدي إبراهيم - رحمه الله - كثير من الكرامات المشهورة، وحوارق العادات المذكورة المأثورة، منها ما حدثني به شيخنا أبو عبد الله السوسى فيما كتب لي بخطه قال:

كما مرة عند سيدي إبراهيم مع جماعة من الفقراء الذين حرت عادتهم زيارته في الموسم السوي على مشرقه الصلاة والسلام، قل: وكان ذلك في زمن الشتاء، وكثرة الأمطار، ولما قصيا الحق مع الريرة، وأردنا السفر لتلمسنا (ص 305) استأدنه في ذلك بعض أصحابه اعسافاً لما ظهر في تلك الأيام من الصحو، فلم يأذن لهم وكرروا عليه طلب الإذن فلم يحبهم إليه، فأقمنا مستطيرين منه الإذن مكرين في حال الطريق، لأنها كانت محوفة، قال: فليسا نحن في يوم ثقل فيه السحاب وأظلم الجو وهطلت الأمطار، بحيث لا يتوهم السفر فيه، وإذا بالشيخ قد بعث لجماعة الفقراء أن اعزموا السفر، قال: فأتينا وقدونا غير طيبة بالسفر في ذلك اليوم، إلا أنه لا تسع مخالفته لما حزننا من بركته ويمن نقيته، فودعناه وخرجنا مكرهين في مطر وابل وعيم كثيف، فلم نحاوز الأحة إلا والمطر ارتفع وتلاء السحاب (ص 306) فانقشع وظهرت الشمس أحسن ظهور ولا ربح فيها ولا شهة غيم، وكان ذلك اليوم الأول من أيام الربيع فاشرحنا القلوب واتراحت عنا الكروب، وسرنا في

أنعم الله تعالى، حتى أحسن النساء في الحلاء، وما وجدنا ألم يبرد في تلك ليلة ولا أصاب روع، والله الفصل والمنة، وأصبحنا من العبد سافرين على أفصل حال وأنعم الله، كنا في زمن ربيع أو صيف فبينا نحن في أثناء الطريق، وإذا بجماعة من فرسان العرب المعروفين بقطع الطريق فما تعرضوا لنا ولا التفتوا إلينا، ولما وصلنا بدمسان تعيمت السماء وترادفت الأمطار، وكثر الشج، وشتد لبرد، ودام ذلك علينا مدة طويلة، فتذكرنا بركة الشج وعظيم كرمته (ص 307) وما أحراه الحق من البركة على يده، والله الحمد والشكر.

ومنها ما حدثني به ولدي قال أبيت سيدي إبراهيم في بعض قدماتي على وهران برسم ودعه وضرب الدعاء منه، فما ردت الانصراف أمر من أخرج شيتا من الدلاء وقال لي: يا أحمد ارفع هذا الدلاء للشج والدك قد فتحت من ذلك وقت في نفسي. وأي حاجة لوادي بالدلاء، ثم دفعه على بهيمة وثبت تمسكنا، فلما دخلت الدار وسدعت على والدي وحسب بين يديه. وإذا بي من قنبر الحديقة المعتصم مولاي أحمد رحمه الله - قد دخل على فقال له: يقول لك السلطان، انك لا عن شيء من الدلاء لمرض عيبي، وقد طال بحث عنه فما وجدناه، فقال له والدي: (ص 308) وأبى أحده وليس هذا وقته؟ قال: فقلت لو لذي: الحاجة هي وقد بحث بها إليك سيدي إبراهيم نعم الله به، وقمت معها وأخرجت منه الدلاء ودفعناه للفتى وطال تعجب من مكشنة الشج سيدي إبراهيم رحمه الله ورضي عنه - .

ثم لما وصل الفتى بلحيفة وعرفه بالقصة فرح كثيرا وأرداد في الشج بقبائنا نفعا الله ببركته.

ومنها ما حدثني به جماعة من مشيخة راويته: أنه حين كان ساكناً بمصرية
الحلفاوين أتاه بعض المقراء من معارفه التربين وأقدم عنده مدة، ثم أتته يوماً
لوداعه في وقت قنلة، فقال له سيدي إبراهيم: ولعلك تمكث عندنا أياماً كي
يفتح (ص 309) الله لك في ررق ترفعه لأولادك، فقال له: يا سيدي إن مثل
هذه الرفقة مأمونة وبحشي أن نفوتني ويعر وحوودها في هذا الوقت.

فبينما هو مع الشيخ يتكلم والشيخ قد اهتم به، وإذا بحاجب الخليفة في
وهران حبش السطون المولى أبو يحيى واقف على الباب مع الخليفة أبي
يحيى يستأذن على الشيخ في وقت ليس من عاداته الخروج عن قصره فيه،
فدخل السطون على الشيخ ومعه قرطاس من ذهب بيد الحاجب، فقال له: يا
سيدي إنه قد تحرك في خاطري الوقوف عبيث في هذا الوقت فأنتك بهذه
الشفقة لستعير به على ما أنت عليه من سبل الخير، واصطع لمعروف،
فتسم سيدي إبراهيم وقال له: (ص 310) ادعهم بهذا العشر فقصره منه
الفقير، وودع الشيخ وانصرف كما أحب مع الرفقة التي نهياً للخروج معها،
وذلك من بركة الشيخ والله الحمد والمنة.

ومنها أنه وقع اجتماع بوهران مع تلميذه شيخ الفقهاء وعميدهم
وصدورهم المقدم في ملازمة الأذكار، وأثرهم سيدي الرعيم فسألته عن
صحته لسيدي إبراهيم وأحواله، فحدثني بكثير من ذلك، ومن كنته عنه قال:
أثبتته في بعض موسم مولد أبي علي عادتني فيسما أن عنده، وإذا بأحد
أصحابه يستأذنه في إيواء دين من أهل تمنان لحضور الموسم السوي، قال:
فأذن لهم لشيخ ودخلوا، فبعد فراعهم من التسليم (ص 311) قال له أحدهم:
يا سيدي جاء معنا من تمنان رجل من الفقهاء سمع أبو القاسم بن محمد
القسطيني، بقصد ريارتك وهو واقف بباب الراوية يتنظر الإذن الخاص منكم،

قال: فتبسم سيدي إبراهيم وقال ادخل على بركة الله، فوقعت كدمته في أذن الفقير والعرض أن باب الراوية بعيدة من عرفة الشيخ التي كان معهم فيها، وإذا بالفقير أبي القاسم قد دخل عليها، فلما وقع بصره على الشيخ حثا على ركبيه وتغير لونه وتقدم بين يدي الشيخ كذلك فسلم عليه سلام رجل متأدب عارف بمقامات الأشياخ، وحلّس معاً قال: يا سيدي نريد أن نسمع شيئاً من كلامكم على لسان هذا القول، قال: وأشار لمتولي ذلك بين يدي الشيخ (ص 312)، وهو الشهاب المرحوم قال: فأذن الشيخ للرحامي، فأشد قول الشيخ في قصيدته المملوءة ذكرها سيدي لرعيهم إلا أبي سيئها، فقال له الفقير أبو القاسم: غيرها فذكر الرحامي القصيدة الواوية وحذوها بعد افتتاحه بقوله.

أبت مهحتي إلا الولوع بمن تهوى فدع علك لومي فالهوس وما تهوى

صاح افسطبي العفر وتواحد ثم أشار للقول بأن قل، فقال:

هوان الهوى عز وعدب أحاحه وعلقمه أحلي من المزن والسلوى

قال: فعبت عليه الوحل وأدرك والحدصرين بعض الوحل، ثم فرغ بربوسه الذي كان عليه فأعطاه (ص 313) للقول فقصد يسأل.

وتعذيبه للصب عين بعيمه وسعي اللواحي في السلو من العدوى

ومن لم يحد بالنفس في حب حبه فلوغته إفك وصبوته دعوى

قال: فرغ إحرامه وجبة كنت عليه من ملف أحصر، ودفع ذلك للقول وقد علت عليه الشوق ولطرب والتواحد، فقال الرحامي:

وليس بحر من بعيد الهوى للهو الدنيا فاخر لنفسك ما تهوى

فما الحب إلا حب دي الطول والفا وأملاكه الأبياء وأولي التقوى

قال: فعشي عليه وصار منقياً بين أيدينا وطال تعجبنا منه، فبينما نحن

كذلك ولم يخرج أحد من ذلك الجمع، وإذا برحس يدق الباب ففتح له، فدخل على الشيخ أحد أعيان (ص 314) العدول بوهري، ومعه جنة ملف حصراء رفيعة القدر، وإحرام وثوب فقتل يد الشيخ وقال: هذه هدية لهذا الرجل الفقير الوارد عليكم.

قال: فاشتد تعجبنا من ذلك كثيراً كيف حركة الحاطر والمرص أنه لم يخرج أحد من أهل المجلس فتسم سيدي إبراهيم وأذن للمقبر في قبول الهدية. قال: ثم قال الشيخ - أو بعض الحاضرين - : بقي اليربوس، فما تم الكلام إلا ورحل آخر من أعيان وهران قد دخل على الشيخ ومعه قصبة ونصف من الملف الأكحل الرفيع القدر، فقبل يد الشيخ وقال له: يا سيدي تقبل مني هذه الكاة، فقال له سيدي إبراهيم: ادفعها لهذا المقبر، قال لي سيدي الرعيم: هذا مجلس (ص 315) واحد وقعت فيه حملة كرامات لسيدي إبراهيم حدث عن البحر ولا حرج.

وكان - رحمه الله - يقبل الهدية ويثب عليها بالدعاء الصالح، فإذا أهدي له شيء قليل تنفاه بالشاشة والقبول، وقد أبى هذا الباب كثيرون من الأولياء ممن صبق عليهم الورع، لكن سيدي إبراهيم لما من الله عليه باتساع باب المعرفة كشف له بالصائر الميرة ما غطى عن أهل الورع، فلا يمد يده للطعام إلا وقد علم حبه وسلامته من الشهية عملاً بما شاهده به بصيرته الوقادة، وحرره في ذلك واعتاده، قرأت بحظه دعاء كان يدعو به ويكثر استعماله، نصه:

الحمد لله، اللهم صلي على محمد، وعلى آل محمد. وهب لي من رزقك الحلال الطيب (ص 316) الواسع المبارك ما تصور به وجهي عن التعرض لي أحد من خلقك، واجعل الهم لي طريفاً سهلاً من غير نصب ولا تعب ولا منة، وجنبنا اللهم الحرام حيث كان وأين كان من كان، وحل بيننا وبين

أهله ورفض عما أيديهم واصرّف عما قلوبهم حتى لا تنقلب إلا فيما يرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلا على ما نحب يا أرحم الراحمين.

فالواقف على هذا الدعاء يتيقن ولا يشك أن الله تعالى قد أحاط فيه دعوته، وأعطاه أميته وأن ما كان على الشيخ من هدايا العمل وصلاتهم إنما هو رزق مافى الله إليه من وجه حلال، وجعله بواسطة العمدة ليكثر القول (ص 317) في الشيخ - رحمه الله - ويعظم ثوابه عند الله، ومن استدّت عليه مسالك الطرق والتأويل في هذا الباب، وقد جعل لعصمه سبيلاً إلى الطهر على أولياء الله وخاصته من حقه فيدع الله أن يوفقه ويريل عن قلبه حجاب العمة وفقاً لله لذلك ويسرّ لسلوك أحسن المسالك.

وكان سيدي إبراهيم رحمه الله حافظاً للحديث والأخبار، ذكر للأدب وحكايات أولياء الله الأحبار، حدثني بالكثير من علومه وأخباره وفوائده وأشعره شيعته الإمام حافظ الزمان راية الإحسان، سيدي أبو عبد الله السبي، فمن حديث سيدي إبراهيم عن شيوخه من طريق أبي الظاهر (ص 318) السلفي، عن شيوخه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«لما يوم أنها الناس إنما أسم حلف ماصين وبقية متقدمين كانوا أكثر منكم سطوة، وأعظم سطوة، أو عحووا عنها أسكن ما كانوا إليها، وعدوت بهم أوثق ما كانوا بها، فمما نعت عنهم قوله كثيرة، ولا قبل منهم بدل فدية، فادروا لأنفسكم براد مبيع قبل أن تؤحدوا على فحاة، وقد عفتكم عن الاستعداد ولا يتفع الندم، وقد جف القلم».

ومن حديثه عن طريق البرار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب إلا ومكان (ص 319) ينادي: سبحان الملك القدوس، ومكان ينادي: اللهم اعط ممتقاً حقاً، واعط ممسكاً نقياً، ومكان موكلان

بالصور حتى يؤمران فيصحان، وملكان ياديان، يا دعي الحير هلم، ويد دعي
الشرا أقصر، وملكان ياديان: ويد لمرجل من النساء، ويد للنساء من
الرجال».

ومن أنشده المروية بالسند المتصل إلى محمد أبي العتاهية قال: قال
لحيفة هارون الرشيد لأبي العتاهية. عطي، قال: أحامك، قال أنت امر.
فأنشد:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس إذا تسمتت بالحناب والخرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدرع منها ومختبر
ترجو الحياة ولم تملك مالكها إن السهية لا تجري على بيس

(ص 320) قال فيكي الرشيد حتى بل ثوبه

ومن حكاياته عن شيوخه سيدي أبي الفتح عن شيوخه، عن القشيري في
كناه شرح لأسماء، قال: روي أن موسى عليه السلام سأل الحق
سبحانه أن يريه السمك الذي عليه جميع العالم، فأوحى الله إليه أن يأتي
شاطئ البحر فتراه فيه هو كذلك، وإذا سمك قد أخرج رأسه من البحر
كالجمل العظيم، فأخذ يصعد في الجو نحو السماء رأسه في الجو وبقية في
البحر وهو يصعد متصل الصعود مدة من ثلاثة أيام، فما رأى موسى - عليه
السلام - عظيم قدرة الله تعالى في امتداد هذا الحوت، وأنه لم يستوف
الصعود في هذه المدة قال: إلهي أهو مثل (ص 321) هذا السمك، فأوحى الله
إليه يا موسى إن السمك الذي عليه العالم يأكل كل يوم ألف سمك أمثل هذا
السمك، فقال موسى: إلهي حلت قدرتك لا إله إلا أنت

قرأت بخط سيدي إبراهيم قال، حدثني سيدي أبو الفتح شرف الدين،
قال: حدثني والدي ريس الدين قصي القصاة أبو المصقب أبو بكر بسنده

العالي، عن رجاله، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم صيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل حيزاً أو ليسكت».

ومن خطه قال حدثني سيدي أبو المنح، عن والده، عن رجاله، عن الراهد (ص 322) يوسف بن الحسين قال: قام رجل بين يدي دي السور المصري رضي الله عنه ، فقال: أحبرني عن التوحيد ما هو؟ فقال: هو أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا مراح، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه لا علة لصنعه، وليس في السموات كل العلي، ولا في الأرض السلفي مدبر غير الله عز وجل - ، وكل ما تصور في وهمك فالله عز وجل بخلاف ذلك. ومن روايته بسند متصل عن الخطيب ابن رشيد بسنده عن زهرات الساتين، عن بريدة الأسدي قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد آدم الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريحان أهل الجنة القاعنة»، قال ابن رشيد الفاغية هي الحنار.

* حديث الترحس:

(ص 323) ومن مرويات سيدي إبراهيم - رحمه الله - حديث الترحس المسند عن القصة الحلة بسوع من التلسل، حدث به ابن الخطيب عن القاضي عبد المعظم بن الفرس بسنده القاصي عن القاضي محمد بن سدة صاحب مالك، قال: حدث الإمام مالك بن أنس، وهو قاضي القصة فقيه الفقهاء، قال القاضي ربيعة، قال القاضي شريح، قال عبي بن أبي طاب - رضي الله عنه ، وهو أفضل القصة، قال: قال رسول الله ﷺ: «شموا الترحس ولو في اليوم مرة، ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة، ولو في الدهر مرة، فإن في القلب حنة من الحنون، والجدام والسرص لا يقطعها إلا الترحس».

وفيه من مسندات سيدي إبراهيم أن (ص 324) عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أصابه مرض فراره الحنيفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان فقال له: ما تشتكي، فقال: الطبيب أمرضي، قال ألا أمر لك بعطاء، قال لا حاجة لي فيه، قال: تتركه لسانك، قال: يا أمير المؤمنين، لا أحشى على ساني المقر، فإني أمرت ساني أن يقرأ كل ليلة سورة الواقعة، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قرأ سورة الواقعة لم تنصه دقة أبداً،

ومن مروياته في كتابه «المحافل المكية» عن الرهد منصور بن عمار، عن بعض أشباحه قال: بيا مسلمة بن عبد الملك بن مروان في المسجد الحرام، إذ أسي بحجر مكتوب بالخط القديم، فقال لحاجته: هل هذا (ص 325) ترحمان، فإني بوءت من منه فقل له: يا أبا عبد الله قرأ ما على الحجر، فهذا عليه مكتوب ما اس آدم لو رأيت يسير ما بقي من أحلت لرهدت في طول ما ترحوه من أمك، وفصرت في حرصك وحيلك، واسعت اريادة في عملك، وإني تنفى الندم لو قد رل بك القدم وأسلمت الأهل والنحشم، وانصرف عنت الحبيب وأسلمت القريب، فلا أنت إني أهلك عند، ولا في عميت رائد، فاعمل ليوم القيمة، يوم الحسرة والندامة

ومن مروياته في «المحافل لمكة»، عن أس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من شات شبة في سبيل الله، كسب له نوراً يوم القيامة، ومن رمى سهم في (ص 326) سبيل الله بلع أو لم يبلع، فهو كعتق رقب مؤمنة، ومن أعتق رقبة مؤمنة كانت فداؤه من النار.

قال ابن حمص، روي من حديث مائث بن دينار، عن أس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحزني جبريل - عليه السلام -، عن الله عز وجل أنه قال: وعزتي وحلاشي ووحداني وكريائي وارتفاع مكاني،

واستوائتي على عرشي أبي لأستحي من عدي وأمتي يشيان في الإسلام ثم
أعدهم»، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يكي عند ذلك، فقلت: يا رسول الله، ما
يكيك؟ قال: «يكي لمن يستحي الله - عز وجل - منه، ولا يستحي هو من
الله - عز وجل -».

وأنشد أبو حفص (ص 327):

نزل المشيب فأين تذهب بعده وقد ارعويت وحان ملك رحيل
كان الشباب خفيفة أيامه والشيب محمله عليك ثقل
ليس العطاء من الفصول سماحة حتى تجود وإذا لديك قليل

وحدث أبو حفص بسنده عن أحمد بن حنبل عن المحيي، وكان من خيار
عبد الله، قال: رأيت يحيى بن أكرم في الماء فقلت: يا يحيى، ما فعل الله بك؟
قال: أوقسي بين يديه حل حلاله، فقال لي: يا شيخ السوء لولا شيبك
لأحرقك بأسار، قال فسقطت بين يدي ربي - عز وجل -، وبرز بي ما يبرز
بالعد بين يدي مولاه، ثم أفتت (328)، فقال لي: يا شيخ السوء، لولا شيبك
لأحرقك بالبر، قال فقلت: يا سيدي وب مولاي ما هكذا أحبرت عمت،
فقال: يا يحيى سماد، أحرب عبي فقال حدثني عبد الرزاق بن همام، عن
معمر، عن الزهري، عن أنس بن مالك، عن سبت بن جابر، عن حريش صواب الله
عليه، عمت ندركت وتعاليت، أنك قنت وقولت الحق، ووعدك الصدق لا
يشيت لي عد في الإسلام شية ثم أحرقه بالبر، فقال - عز وجل - صدق
عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق سبت،
وصدق حريش، اظنوا به إلى الحمة وعنى ذكر الشيب فقد أشد شحاً أبو
عبد الله التنسي، قال: أنشدني شيخنا أبو إسحاق التولي قال: (ص 329) أنشدني
المشبيحة للإمام الفاضل أبي بكر محمد بن عبد الصمد ابن زهر الطيب -

رحمه الله تعالى - :

إني نظرت إلى المرأة إذ جلست فأنكرت مقلتي كلما رأنا
رأيت فيها شيئاً لست أعرفه وكنت أعهد من قبل ذاك فتنا
لقلت: أين الذي بالأمس كان هدياً متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة أنى الذي أنكرته مقلتك أنا
كانت سلمي تنادي يا أخي وقد صارت مليماً تنادي اليوم يا أختا

ويطر لهذه الأبيات ما أشده لشيخ الإمام أبو عبد الله بن رشد لأمر
المؤمنين المستنجد بالله العباسي وقد أحاد فيما أراد.

عيرتني بالثيب وهو وفار ليتها عيت بما هو عار
(ص 330) إن أكن شابت الزواجب مني فالليالي تزينها الأقمار

وأشد لبعض أهل البيت من أهل تونس

قالوا أتذكر وقع ثيب أصبحت روضات رأسك منه ذات أزاهر
الصبح ثيب اشتربت أنواره أين الظلام من الصباح الظاهر
حسنتم قبح المشيب جهالة أذكاء تحفى عن عيان الناظر
لو لم يكن للثيب إلا أنه عذر الملول وحجة للغادر

وأشدي شيئاً أبو عبد الله بن العباس للإمام أبي المنح بن ديق العبد

رحمه الله تعالى - :

تعتيت أن الثيب عاجل لحيتي وقرب مني في صباي مزاره
لأخذ من عصر الشباب نشاطه وأخذ من عصر المشيب وقاره

(ص 331) ومما يستلبي الحسن بن رشيق.

لا تعجب لرأسي كيف شاب أسي واعجب لإنسان عيي كيف لم يشب
 البحر للروم لا تجري السفن به إلا على غرر والسر للعرب
 ومن مروياته في كتاب «الأمثال الحديثة» للفصلي أبي محمد عبد الله بن
 خلاد، عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على
 حصير، وقد أثر الشريط في حبه، فقلت: لو نمت يا رسول الله على ما هو أليين
 من هذا؟ فقال: «ما لي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا، كمثل راجل مر بأرض
 فلاة فرأى شجرة فاستظل تحتها، ثم راح وتركها»، قال أبو محمد: هذا مثل في
 سرعة انقطاع الدنيا بصاحبها، وأن الكائن واقع (ص 322)، وأشد لعدوي
 رحمه الله تعالى - :

يا أيها الذي قد عره الأمل ودون ما نامل التغيص والأحل
 ألا ترى إنما الدنيا وريتها كمزول الركب داراً تمت ارتحل
 حقوقها رصد وكسرها بكر وعيشها كدر وملكها دول
 ومن مروياته عن سيدي أبي الفتح كتاب «المجالس العراقية» عن مؤلفه
 حاتمة الحفاظ زين الدين أبي الفصّل عبد الرحيم بن العراقي، حدثني به في
 الحملة شيخنا أبو عبد الله التسي، عن سيدي إبراهيم، ورويه بأعلى من هذا
 السند، حدثني به شيخنا أبو عبد الله بن العباس، عن الإمام أبي عبد الله بن
 مروق، عن مؤلفه الرئيس العراقي، أخرج فيه بسند صحيح عن أبي هريرة أن
 رسول الله ﷺ قال: «من أوسع عياله يوم عاشوراء، أوسع الله عليه سائر
 سنته».

قال سيدي إبراهيم: أشدني شيخنا أبو الفتح قال: أشدني شيخنا أبو
 الفضل العراقي لنفسه:

استفتح العام بالصيام لله في شهرك الحرام
وعاشر الشهر صم يكفر عنك ذنوباً مصت لعام
ووسع العيش فيه مما يحسن من طيب الطعام
واعتصم العمر فهو ضيف لا تطعمن منه بالمقام
يمر عام من بعد عام وأنت في اللهو والتعامي
فارجع إلى الله من قريب فقد دنت صرعة الحمام
وخف بياتاً على اغترار واحذر صاخاً لذي انتقام
ولا تكن باليساً قنوطاً فاعفوا من شمية الكرام
(ص 334) فاضرع إليه بصدق وقصد فإن الله غافر الظلام
واسأله عفواً لما تقضى وحفظ صون على الدوام

وفيما رويته عن شيوخنا أن الإمام عبد الله بن حبيب العقيلي كتب للمعلمة بالأندلس عبد الرحمن بن الحكم في ليلة عاشوراء يذكره بهذه الأناشيد:

لا تنسى لا ينسك الرحمن عاشوراء واذكره لا زلت في الأخبار مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشرله قولاً وجسدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليلة عاشوراء ذا سعة يكن بعيشه الحول مجبوراً

فبعث إليه المعلمة خريطة من الذهب وأتحت من الثياب، رحم الله جميعهم، وقد أشد في هذا المعنى الحطيط أبو عبد الله بن رشيد، أشد فيه (ص 335) شيخنا أبو عبد الله بن العباس رحمه الله -

صيام عاشوراء أتى نديه في سنة محكمة قاضية
قال السنبي المصطفى أنه تكفير ذنب لسنة ماضية

ومن يوسع يومه لم يزل في عامه في عيشة راضية
ومن مروياته حديث أنس في محاطة الحق سبحانه للذهب والفضة. أسد
السمعي، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لما
أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض حرم عليه كل شيء
حاوره إلا الذهب والفضة، فأوحى الله - عز وجل - ، حاوركما بعبد من
عسدي، ثم أهبطه من حواركما فحرم كل شيء حاوره (ص 3369) إلا أنما،
فقالا: إلهنا وسيدنا أنت تعلم أنك حاورنا به، وهو لك مطيع، فدنا لك فيه
ثم تحب أن نحرم عليه، فأوحى الله عز وجل إليهما كذا وقد وصى
بكما في قبة حركما عليه، وعزني وحلالي لأعركما ولأرفع من قدركما
حتى لا ينال أحد من أولاده شيئاً إلا بكم.

وقرأت في كتاب «الحلقة» لأبي يعين، عن معوية بن عبد الله الحميري،
عن كعب الأحبار، أنه قال: أول من صرت الدينار والدرهم، آدم عليه
السلام - ، وقال: لا يصح المعيشة إلا بهما، ورحم الله القائل:

الدار آخرة دينار بطلقت به واللسم آخرة هذا الدرهم الحار

والمرء بينهما ما لم يكن ورعاً مقلب القلب بين الهم والدار

(ص 337) ومن شعر الإمام الأستاذ أبي عثمان بن ليون قوله:

ما صديق الإنسان في كل حال يا أخي غير درهم يقتنيه

لا تعول على سواه فتعدو حاسن القصد دون ما تبغيه

وحدث شيخنا أبو عبد الله التسي، عن سيدي إبراهيم فيما حدث به إحارة
عن شيوخه، عن القاضي أبي الفضل عياض، عن شيوخه، عن الأصمعي قال:
بيننا أنا في الطواف إذ رأيت حارية متعفة بأستر الكعبة، وهي تقول: إلهي

وسيدي إن ظالمتي بحمصك صانتك بمصوك. وإن أهدتني بدوسي أتيتك
بتوحيدك، وإن أهدتني السر مع أعدت. أعمنهم بمحتي لك، فأتك فعت:
أحست والله يا حارية، فأشدت تقول (ص 338)

أفيت عمرك والذب تريد والرب يحصي والرقب شهيد
حتى متى لا ترعوي عن لدة وحسابها يوم العقاب شديد
فكأنني بك قد أتيت مية لا شك أن سيلها موردود
قال: ثم شهقت فماتت.

قصة ابن الخراز الوهراني

وحدثنا عن سيدي إبراهيم إحداه قرا: حدث عن الخطيب أبي بكر قال.
قال سهل بن عبد الله التستري: لذب كنه موت إلا العلم، والعلم كنه حجة
إلا العمل، والعمل كنه هاء إلا الإحلاص، والإحلاص له خطر عظيم حتى
يحتم.

وقرات فيما أسنده سيدي إبراهيم عن شيوخه إحارة عن الفصي أبي
الفصل عياض، عن أبي العباس العذري قال: سمعتُ الرجل الصالح الفاضل
العالم أبا الفاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ص 339) الوهراني يقول: كنت مرة
في بغداد وقد انصرفت من مجلس سماع الحديث، فسأ أن ذاهب في الطريق
ومحترتي معققة في يدي، وإذا بحجور قد سفسسي فأنكرت ربي وهياتني،
وقالت لي: بالله من أين أنت؟ فقلت لها: من المغرب، فقالت: إن هذا لعجب
فما الذي أقدمك من هذه البلاد؟ قلت: أقدمي طلب العلم، فقالت: غير هذا؟
قلت: نعم، فأخرجت من كمها رداء لها ومدته بالأرض وقالت: سألتك بالله
ألا مشيت عليه مقبلاً ومديراً قال: ففعلت، وقلت لها: ما غرضك في هذا؟
قالت: لو يكن هذا الرداء كفي بما فيه من عار قدمك، إذ قد حثت من أقصى

المعرب إلى المشرق تطلب العلم، فأنت من أهل الجنة؛ لأنه قد روي عن السي رحمه الله (ص 340) أنه قال: «من أعبرت قدمه في سبيل الله وحببت له علي الجنة». انتهى

قال المؤلف وفقه الله. هذا الشيخ الوهراسي المذكور في هذه الحكاية عرف به أبو القاسم بن بشكوال في كتابه المؤلف في رحاب الأندلس فقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراسي، ويعرب بالن خوارز، يكسب أبا القاسم، وكان رجلاً صالحاً مقتصاً عن الناس، حدثوا عنه أنه قال: لما رويت الجامع الصحيح بحراسان ذكر لي عن رجل من أهل الحديث اسمه علي بن محمد الترابي فقصدت إليه فوجدته يقرأ القرآن في المصحف، فقلت له: مثلك يقرأ في المصحف، فقال لي: ليس في أصحاب الحديث أحفظ مني للقرآن، وأب إمام قومي أصلي بهم الأشعاع (ص 341) في كل عام، وكثيراً ما كنت أقرأ في المصحف فلما كرسني وضعف بصري تركت القراءة في المصحف، وكان ابن أخي يقودني إلى المسجد أصلي بالن الفريضة فسمت ذات ليلة رأيته السي رحمه الله فقال لي: أبا علي لم تركت القراءة في المصحف؟ فقلت: يا رسول الله، ذهب بصري، فقال لي: ارجع إلى القراءة في المصحف يرد الله عيبك بصرك»، فلما أصبحت صليت بقومي الفريضة، ثم انصرفت إلى منزلي، فقلت لهم: اعطوني المصحف ففتحته وأحدث في القراءة من حفظي، وأب أفتح ورقة، فمطلع النهار إلا وقد بدت لي حروفه أجمع فتبادت في القراءة فيه، فلم يأت الظهر إلا وقد عاد إلي بصري كله كما كان والحمد لله، فأنا من يومئذ لا أفر عن (ص 342) القراءة في المصحف. انتهى

وروي عن أبي القاسم الوهراسي هذا جماعة من أكابر العلماء منهم الحافظ أبو عمر بن عبد الله، وأمثله، وكانت وفاته بالمدينة سنة إحدى عشرة

وأربعمئة وهو ابن تسع وثمانين سنة⁽¹⁾.

قلت: وكانت وهران في القديم دار علم حرح منها جماعة من العلماء ففي تريح ابن خلكان في المحمدين، أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب بكر الدين، قدم الدير المصرية أيام السلطان صلاح الدين بن أيوب فولي الخطابة بظاهر دمشق رمناً طويلاً ونقل في البلاد كثيراً، ومات - رحمه الله - في سنة سبع وخمسين وخمسمائة⁽²⁾.

قال: والوهراني بفتح الواو وسكون الهاء (ص 343) وفتح الراء، وبعد الألف نون، نسبة إلى وهران مدينة كبيرة من أرض المغرب بينها وبين تلمسان مسيرة يومين وهي على البحر، حرح منها جماعة من العلماء وغيرهم، انتهى كلام ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان».

وفي كتاب أعوان الدراية المؤلف في علماء بحاية ومهم الشيخ الفقيه العبد الصالح المبارك المنعصف المذكر أبو تميم الواعظ من أهل وهران سكن بحاية واشتغل بها بعلم التذكير واستدعاء الخلق لئلا الله تعالى، وكان له مجلس يروى الحاضرين ويسر الدطرين رحمه الله ورضي عنه -

وهوائد أبحار سيدي إبراهيم رحمه الله - كثيرة فسقتصر على هذا الطرف وفيه حملة كفية (ص 344) وغيبة شافية، وكان سيدي إبراهيم قد بلغ الرتبة العليا ودرجة النهاية في مقام الحلم والتجاوز عن تعرض لأذيته، ما ندعا عنه قط أنه انتصر لنفسه أو نسب في انتقام ذوي الإذية، حدثني الثقة أن سيدي إبراهيم كان يدعو لأهل إذيته وأنه ما عبي بقوله في العقيدة وأسمح وأعمر لأصحابي إلا من كان يتعرض له أو لأصحابه بالإذية.

(1) الموافق (27 أبريل 1020م - 16 أبريل 1021م).

(2) الموافق (21 ديسمبر 1162 - 9 ديسمبر 1163م).

وهذا عند أرباب الحقائق من اتساع المعرفة بالله وكمال لإيمان، لأنه إذا
رحمك من ظلمك فقد نعت درجة الصديقين الرحماء، وقد كان بمدينة
وهزل جماعة من الجهة العصام المشتهرين في فهم ورياستهم سنة العوم،
يستقدون عليه أحواله في لباسه ومأكله (ص 345) ويحتجون عليه محضه
لصداق الشيخ سيدي محمد الهواري في ذلك، وهم يعلمون أنه كان على
تلك الصفة في حبه سيدي محمد وعلى نظره رسول لهم الشيطان الكر
والحسد والبغس، وقديماً قبل عوام الناس عدو لخواصهم، فكوا ينكرون
كرمة الله لعودعة عند سيدي إبراهيم، ويتعرضون بالقول والفعل لأصحابه،
فردا بعه ذلك تسم وحمل أصحابه على الحسم والتجاوز، ويعدهم بأن
العاقبة لهم ويقول لهم: ليس ما من انتصر لنفسه، وإنما يتصر الله لما فيه
العالم الذي لا يعلب والنهار الذي لا يعجزه شيء، فكأنه يشير لقوله تعالى:
﴿وَرِيدُ أَنْ تَمُوتَ عَلَى الدِّينِ أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ وَتَحْمِلُهُمْ آيَةُ
وَتَحْمِلُهُمْ لَوَارِثُكُمْ﴾ [الفصص: 5، 6]. (ص 346)
ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُرِيدُونَ غُلُوكَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا مَسَاداً وَتَعْلِفَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الفصص: 83].

ومما أشده الإمام تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله -

خالق الناس بأحلاق الرضى	تلك الأحرار من غير ثمن
لا تقل في العلم ذل فلكم	ساد أهل العلم في كل زمن
إن للصبر عليه مسلكاً	ليس يرقى فيه إلا من ومن

وهذا الذي كان عليه سيدي إبراهيم هو من كرامات سيدي محمد
الهواري وفراسته الصادقة بعد موته؛ لأنه قال في كتابه التنبيه مشيراً لسيدي

إبراهيم:

تلميذي بحب يكون يا صبي شـيـه اـطـمـيـب
(ص 347) وقلبو يكون ابيض كلبـا يـكـون اـحـلـب

فلما كان سيدي إبراهيم وفق أمية الشيخ سيدي محمد الهواري وعلى
العدة المرسية من حقيقة الصديق وإحلاص المراقبة مع الله، وعلم أنه بعين
مولاه وأسلم نفسه إليه، وأنقذها بين يديه، وترك الانتصار لنفسه، لا حرم أن
كفه الله أمر أولئك الحسدة على ما حرت به سبيل الله وشريعته في المحاربين
لأوليائه أن يتولى الحق سبحانه وتعالى - محاربة من حاربهم ومعالجة
المستهزئين بهم فكان كما قال.

ولقد شاهد جماعة منهم عوقبوا بأنواع العقوبات منهم من طل سجنه،
ومهم من عرب عن بلده الرمن الطويل، ومهم من صار (ص 348) عوناً
للظلمة يستعملونه في سخرية انحشم، ومهم من بكس على عقبه وطع الله
على قلبه، فكان يرد وجهه لقبة وينهات على حكمها لخدمة الغاية إلى أن
بلغ أردل العمر ومات على حالة سيئة، وجعل الله ماله بهمة للولادة، ومهم من
عاقبه الله بالعمى، ومهم من أقامه الله في إذابة عبده وجعله كئيباً عقوراً لأحياه
وأصفيائه، ثم سبط عليه من قتله بالحديد وأدافه العذاب الشديد، ﴿وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَثَقَ﴾ [طه: 127] وما أحسن قول القائل: لحوم الأولياء
مسمومة، وعدة الله فيمن تنقصهم وأداهم مقرر معلومة.

تنبيه:

عادة الله وسنة في أسبائه (ص 349) وخاصة من أوليائه أن يجعل العباد
لهم على قسمين: قسم يعتقدهم ويصدق بعنومهم وأسرارهم، وذلك من

سقت له السعادة، واصطفاه الحق سبحانه لدار الحسنی والريادة، وقسم يستقد عليهم ويكذبهم فيما أحبروا به حسداً وبغياً وكراهية أن يكون لأحد عليهم شغوف في منزلة، واحتصاص بمه، ودلت من سقت له الشقاوة وغلب عليه الجهل واستولت عليه الغباوة.

فتحد العموم يستعدون كرامة الأولياء، وتستعرب عقولهم بعم الله عندهم، ثم يحملهم ذلك الحسد على إداية أوليائه والتسلط عليهم وعلى من تعلق من أحبابه وأصفيائه، فيمد الحق سبحانه ذوي الولاية العرفانية والعبادة الربانية (ص 350) بالصبر لترتفع أقدارهم وتزهر أنوارهم.

قل أئمتنا: وفائدة ذلك وسر حكمته أن يحنض الله قلب وليه من إحسان الخلق، ويتعلق بظرفه بالملك الحق لا إله إلا هو إذ لو كان الخلق كهم مصدقين للولي لفاته ثواب الصبر على تكذيب المكذبين منهم، ولو كانوا كلهم مكذبين له لفاته الشكر على نعمة تصديق المصدقين له، فالولي قائم بحق عبودية مولاه فيمن صدقه بالشكر، وفيمن كذبه بالصبر.

تنبيه ثاني:

لما طمع الله على قلب هؤلاء الجهة المعدين عن رحمة الله المحبوبين عن إدراك نور الله في أوليائه، أنكروا حال سيدي إبراهيم، وقالوا: أنه لم يكن زاهداً في لباسه ومطعمه.

وما علم (ص 351) هؤلاء الجهلة أن الزهد في الدنيا هو اعتقاد حقارتها وملازمة هوانها، وعدم ركون النفس إلى لذاتها، أما فراغ اليد منها وتركها في الظاهر مع تعلق القلب بها في الباطن فليس ذلك من الزهد في شيء، وكف يتوهم على سيدي إبراهيم أنه كان ممن يحب الدنيا وهو الفاتل في قصيدته:

دنياك دار عرور حبها سفه رأس الخطايا بمن يغرم بها بعدا

ومن مذاهب أئمة الصوفية أن الله تعالى جعل لأوليائه حجتاً تحجبهم عن الجحمة المعدية عن رحمته، وعدّوا من جملة المحجب التربين بري أهل الدنيا في لباسهم ومطعمهم.

كان سيدي إبراهيم - رحمه الله - إذا أتته أحد من هؤلاء المكربين عليه يرفق به، ويأس إليه، ويلين في القول لهم (ص 352) ويدعو بانحير لجماعتهم عملاً بالحديث الصحيح الوارد عنه ﷺ، روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أئدال أمني لم يدخلوا الجنة بأعمالهم، ولكن دخلوها برحمة الله وسحاوة الأئس، وسلامة الصدور، ورحمة المسلمين».

قال أئس: قوله في الحديث «لم يدخلوا الجنة بأعمالهم» يعني: بالحركات الطاهرة من الصلاة والصيام والصدقة، إذ قد يحوز أن يكون في عصرهم من هو أكثر عملاً منهم لكن دخلوا الجنة بسحاوة الأئس وسلامة الصدور ورحمة المسلمين، وهذه الحاصل هي من أعمال القلوب التي تفرّدوا بها عن غيرهم ووصلوا بها إلى محبوبهم.

وقد (ص 353) قال ﷺ في أبي بكر الصديق، «أنه لم يصلكم بكثرة صلاة وصيام، ولكنه فصلكم بشيء رفر في صدره»، قالوا: ومعنى سحاوة الأئس هو عدم الركون إلى شيء مما يشعل عن ذكر الله وعبادته، وسلامة الصدور هو من باب الرضى بقضاء الله وقدره، وهو أعلى درجات الصديقين؛ لأن المؤمن إذا قوي بقبه في باب الرضى والسليم وعلم أن مصدر الأمور كلها عند الله سلم صدره عن عوائل الحقد والحسد، ومعنى رحمة المسلمين الشفقة على خلق الله في تحمل أقوالهم وصحبتهم والتودد لهم، ومن رحمة المسلمين أن يصرف وحوه الحلق إلى الله ويرعيتهم في طاعته ويذكرهم (ص 354) بجنه، وأن يردهم في طلب الحوائج إليه، وهذه كانت حانة سيدي إبراهيم - رحمه

الله - على ما خبرناه من أوصافه الحميلة، ونقل إلينا نقل تواتر، ومن قوله مشيرًا لحاله وحال حمده الطاعين عليه ما ذكره في قصيدته ذات الوصايا والحكم، حدثنا به شيخنا أبو عبد الله التسي بقول فيها:

سلامة الصدر من خير الخلاص	أتى بقلب سليم ربه سعدا
والحق قد طبع ذميمة وعد	بالله رب العالمين من شر من قدا
وجنب الحمد المدموم صاحبه	ما رأى قط حسود ساد أو مجدا
نعوذ بالله من شر الحسود فما	يمسي ويصبح إلا ساحطًا كمدًا
عادي مواهب دي الفصل العظيم	فعاداه السرور فمهموم يرى أبدا

(ص 355) ومن تأمل حال سيدي إبراهيم رحمه الله على أن الله أقدمه في درجة العبي الشاكر واحتلف امتنا أيهم أفضل - العبي الشاكر، أو الفقير الصابر، والجمهور على أن درجة العبي الشاكر أفضل من درجة الفقير الصابر. حدثت عنه أنه كان يأتيه كل يوم من ملاد الطعام ومختار المواكه من يتعجب الحاصرون منه فيقدمه للمفقرات والصوفية من الواردين عليه، وتنقبت من اللحم العفير من أهل وهران أن الطعام الذي كان يأتي لراوية سيدي إبراهيم لم يكن له وقت معلوم على ما حرت به العادة في الدور، وإنما كان يسيل على الدوام من طسوع الشمس إلى صلاة العشاء، (ص 356) ثم يبعث الله له من جعل له فيه رفق من الروار والمحاييح، وحدثني كثير منهم أنه من حين مات سيدي إبراهيم قل أكنهم لملاد الأطعمة في دورهم، فلو: لما كان سيدي إبراهيم بقيد الحياة كما على أفضل حال في رغد العيش، وكثرة الأرباح في التجارة، وكان له من الشافس في اتحاد الأطعمة الفاحرة والاعشاء مما يرفعه لواحد ما لراوية سيدي إبراهيم من ذلك لا عهد له به اليوم.

وكان يأكل ما يفصل عياله منه في دور و يرى له من البركة في اليسير وسهولة ذلك على الخدم أهل نداء ما فقد منه بعد وفاته.

وهذا (ص 357) من كرامات سيدي إبراهيم المشهورة ومما حرم ماله الماثورة المذكورة، وكان سيدي إبراهيم - رحمه الله - يحب الحيوان والعسل والموكة ويسعمل ذلك أثر لطعمه ويقدمه لواردين عيه كثيراً.

روى من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "حب المؤمن حيوان الحب الحلوة، وأسد الحبيب أبو بكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب من يحب النمر".

وحدث الرشدي في كتابه قال: كان أبو عبد الله الحسن بن خالد الأدي مؤلف كتاب التامع في أحوال الفقهاء من أفصل وفاته كريم لطبع مبيع الدعاء، وكان مولف في طعمه بالحناء، وكان أصحابه قد عمدوا ذلك فمتى (ص 358) حصر عندهم قدموا إليه في آخر أطعمتهم الحناء فأعمل في بعض الأحيان، فلما أخذوا في الانصراف قال الأدي أقصر عندكم لصانمون، وأكل طعامكم الأسرار. وصفت عليكم نصف الملائكة، فقبل له: إنما هو صلت عليكم الملائكة، فقال: بقي النصف الثاني مع الحيوان، وكانت وفاته هذا الفصل الأدي سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة¹. ونقص على هذه الحملة من أخبار سيدي إبراهيم وفوائده ومروياته، وكانت وفاته سيدي إبراهيم رحمه الله يوم الاثنين تاسع شعبان من سنة ست وستين وثمان مائة².

قال المؤلف وفقه الله: وإن فاني بركة لقائه، فلم يقني صالح دعائه بفصل الله، كان يكتب لوالدي ويسلم علي ويدعو (ص 359) لي بما أرحو قوله

(1) الموافق (19 ديسمبر 1031 - 6 ديسمبر 1032م).

(2) الموافق (9 ماي 1462م).

بفصل الله ورحمته، وكان في صدر مكتوبه لوالدي:

الحمد لله، اللهم صلي صلاة كاملة وسلم سلاماً تاماً على سيّ تسجل به
العقد، وتفرح به الكرب، وتقضي به الحوائج، وتسال به الرغائب، ويستسقى
العمام بوجهه، وعلى آله وصحبه، رحم الله سيدي إبراهيم ونفعنا ببركة
أسرارهِ، وأفص علينا من فصائل أنوارهِ، وعظيم مقداره بفصل الله ورحمته.

رابعًا: الشيخ أحمد الغماري

ثم يتلو رابع القوم حنيف القيام والصيام، حمال هذه العصاة وحاتم أوصافها المستطبة: أحمد (ص 360) بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى الرياحي، شيخنا وسيدنا ومولانا وبركتنا.

أبو العباس سيدي أحمد بن العماري، تربل بلد تلمسان، قال لي لما أعلی علي بسنه: نحن من عرب رباح وإنما قيل له: العماري، لأنه كان سكن بطبوة وبلاد عمارة في صحته لحنمة أولياء الله بالبلاد المغربية سيدي الحاج موسى البطوي مدة طويلة، فصارت لعنه كلعتهم.

(ص 361) وأهل بلاد يمسون صاحب تلك النعمة لعمارة، وأمه من الشرفاء الحسنيين. حدثني بذلك عنه عميد أصحابه ووارث مقامه شيخ الحركة الولي العابد سيدي عبد الله بن منصور، كان سيدي أحمد رحمه الله ورصي عنه رأس الزهاد في زمانه، وبرنامج المحاسن بين أقرانه، مما في علوم القرآن مقدم في المفاهيم والعارفون، حافظ للحدث وسير النبي ﷺ، بصيرًا بالحق، ذاكرًا (ص 362) لكثير من استفسير، وكان وصافًا بلخير موصفًا به، سالم الصدر عظيم القدر، أحد عن جماعة من أعلام الأولياء وأكابر مشايخ الوقت بالبلاد المغربية أودعوه مكنون سرارهم. فلاحته عليه بركات أوارهم كالشيخ لإمام الولي الشهير سيدي الحاج موسى بن يعقوب البطوي، والشيخ العلامة العظيم الشار سيدي أحمد المراسي، وعليه كان عنده في علوم القرآن وحقائق أهل العرفان (ص 363)، والشيخ الصالح الولي الناصح سيدي محمد بن يحيى، والشيخ الإمام حكيم زمانه وحيد أقرانه، سيدي محمد بن عمر الهواري، وكان سيدي أحمد أحد أولياء الله لدين أظهرهم الله لتعداد،

داعياً إلى طريق التوفيق والسدد، مؤيداً بما أئسسه الله من حلال كرامته، مؤزراً بما وضع له من القبول في قلوب خليفته.

وأف درحة الرهد ورتة لورع، فقد سمع فيهما العبة وحوار النهاية (ص 364) وكان ناصحاً للمسلمين، مشفقاً عليهم يسره ما يسرهم ويسوؤه ما ساءهم، قنن بحقوقهم محضاً بأعماله كماله لله عز وجل، يحب لكافة المسلمين ما يحب لنفسه، وكان مسارعاً إلى الصلح بين ذوي القربى ساقاً إلى أعمال البر والتقوى، طویل الصمت ليل الحزن، سريره أفصل من علابته، متحملاً لأذى الخلق على كثرة خطيئتهم، وعلى الحملة فقد كنت الولاية عليه ظاهرة، وشواهد (ص 365) عليه دهره، وحالاته كلها في لاسه الحش، وكلامه اللين وحوافه الس. مما يذكر بالدار الأخرة، ويهدي للأنس بالله.

وكان من أرباب المحامرات، وأهل الأحوال والمقامات ملازم للأوراد من قراءة، وأدكر، وصلاة ليل، وصوم نهار، لا يقتر عن ذلك ولا يسام به، حتى أنه كنه العباد وأضعفت فواه وأحلت جسمه، وعبرت وجهه، وملأت بالقد، عيه - رحمه الله - ، وكان آية من آيات الله في إحلاص (ص 366) الإيثار، وعدم الادحار ونكهل الله بأجراء حاله فكانت تحيي إليه ثمرات كل شيء، ويقصده الس بالصدقات والدور، ورب حاء من الذهب المائة والمائتان فلا يدحر ذلك ولا يتنع في حاصة نفسه شيء منه، وإنما يفرقه في الفقراء، والمحاييح من أهل السر والعرف، يتولى ذلك بنفسه وكثيراً ما كان يتولى خدمة المرضى من الفقراء بنفسه، ويستقي لهم الماء بنفسه ويحمل لهم الماء في يد وأنطعم في يد إلى منازلهم ويفتقد (ص 367) أحوالهم ويؤس غربتهم، شاهداً منه ذلك كثيراً نفعه الله بحميل قصده، وإنما كان - رحمه الله

- آيا للفقراء وأعمالهم، ما رأينا أشد حث للمساكين مه رعة في الثواب، روي
من حديث عطاء بن أبي رباح، عن أبي سعيد الخدري قال: «أحبوا المساكين
فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: اللهم أحيني مسكيناً، وأمني
مسكيناً، واحشني في رمة المساكين». وكان أكله وناسه (ص 368) من عمل
يده يمثل الدوم اليس، ويحعل منه حرماً يسارع الناس لشراؤه فيعود ببعض
ذلك على نفسه ويتصدق بأكثره؛ لأنه كان على عاية من الرهد والورع
ولتقشف في لاسه وطعامه وفراشه، وكان ذلك كله من عمل يده، عملاً بقوله
ﷺ: «أحل ما أكل العبد من كسب يده».

له في ذلك كنه أخبار مأثورة مذكورة، وكان يحسن بعد طلوع الشمس
لمن يقصده من قراءة القرآن وأهل الخير (ص 369) والصلاح، ودوي
الحاجات من أصناف الناس عمومًا على اختلاف طبقاتهم فيسمع من قارئهم
قراءته، ويحيي من سائه من الصلحاء وطلاب العلم، ثم ينصرف بكلية لدوي
الحاجات فيصرفهم ويؤسهم ويعيث منهمهم، ويكاتب ملك الوقت وأرباب
الدولة فيقضي الله على يده كثيرًا من رد الضمات، وفك العبات.

هذا كان حاله الذي أدركه عليه، وم زال كذلك مهتمًا بقضاء حوائج
(ص 370) المسلمين حريض على إيصال الخير لهم، راعيًا لما في ذلك من
ثواب، روي من حديث أهل البيت الكريم عليهم من الله أفضل الصلاة وأكمل
التسليم، عن سيدنا الحسن بن علي عن أبيه، عن حده ﷺ أنه قال «من أحرى
الله على يده فرحًا لمسلم فرح الله عنه كرب الدي والحررة». وعن ابن عباس
قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عداً يرعب الناس إليهم لحوائجهم، ويدخال
السروور عليهم، أولئك الآمون من عذاب الله يوم القيامة».

(ص 371) وعن حابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له

وسيلة إلى سلطان فدفع بها معرماً. أو جز بها معصفاً. ثبت الله قدميه يوم تدحض الأقدام».

وعن ريس العبددين علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن حده علي كرم الله وجهه أنه قال: «إن الله عز وجل خلق خلقاً من خلقه فجعلهم لبس وجوهاً ولمعروف أهلاً، يفرع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الأمنون يوم القيامة».

وشرح الحطيب أبو بكر عن علي أنه قال: «إن الحجة لتتناق إلى من سعى لأحبه (ص 372) المؤمن في قضاء حوائجه ليصلح شأنه على يديه، ويستقوا النعم بذلك فإن الله الكريم يسأل الرجل عن حاجه فيما بذله. كما يسأله عن ماله فيما أنفق».

ومن مرويات القاضي الإمام أبي صالح نصر بن الشيخ الإمام أبي محمد عبد الرزاق بن شيع الشيوخ سيدي عبد القادر الجيلي في كتاب «قصاء حوائج الإحوان»، بسنده المتصل إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الحطاب قال سالم: حدثني أبي عبد الله بن عمر قال: لقيني علي بن أبي طالب عليه السلام - ، وهو مصروف من مسجد القنطين فقال لي: يا ابن عمر ألا أحدثك حديثاً (ص 373) حدثني به رسول الله ﷺ. عن حريز عليه السلام - ، عن ربه - عز وجل - أنه قال: «ما من قوم يكونون في عرة إلا تتبعها عرة وكل نعيم زائل، إلا نعيم أهل الجنة، وكل هم منقطع إلا هم أهل النار، فإذا عملت سيئة فاتبها حسنة تمحها محواً سريعاً، وأكثر صنائع المعروف فإن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وما من عمل بعد أداء الفرائض أحب إلى الله عز وجل - من إدخال السرور على المؤمن». ثم قال: «دوكتهم يا ابن عمر، قال سالم: فشرح الله بهم (ص 374) صدري. ورويت أن الحليفة المأمون قال

في زمن صباه لمؤدبه يحيى بن خالد: يا يحيى اعتم قصه حوائج الناس فإن الملك أدور، ولدهر أحور من أن يترك لأحد حالاً أو يبقى لأحد نعمة، وفيما قرأته بخط أحد فضلاء العرفين. أشد وكع قال أنشدني محمد بن الحهم قال: أنشدني الفراء - رحمه الله تعالى - :

اقص الحوائج ما استطعت وكس هم أحبك فارج
فلخير أيام الفسنى يوم قصى فيه الحوائج
وأنشد أيضاً:

إذا لم يكن للمرء فصل ولم يكن (ص 375)

يحلبي علي إخوانه لم يسود

وكيف يسود القوم من هو منهم

بلا مئة منه عليهم ولا يد

وعلى الحمدة فقد كان شيخنا سيدي أحمد - رحمه الله - إمام أدب في وقته، ومن أجمع الناس لحصال الكمال، ومن اتفقت الأمة على ولايته، وكان المسمون كنهم عنده كرحل واحد، وكان لهم كالأب الشفيق على أولاده، وكان - رحمه الله - شديد الرعة في بدل الصدقات وقت الأسارى، وعشق الرقاب، وباء ما حرب من المساحد محب في الصغفاء والمساكين، مؤثراً (ص 376) نهم بالسؤال عن حالهم ولصدقة سزا عيهم يسبون إليه من كل حذب فلا يرد أحداً منهم حائثاً، ويعطيهم حتى كساءه التي تكون عليه وبرسه الذي يعطيه، وكان على حالة عظيمة من التواضع وكرم لأخلاق يقل على حمائه بالأخلاق الحسنة، والمواظط المستحسنة ويذكرهم بالدار الآخرة.

قد صاغه الله من مسك ومن ذهب

وصاغ راحته من عارض هطل

وكان مشايخ الوقت يعظمونه ويقصدون مرله ويتداكرون فيما بينهم أن مجلسه من كوز (ص 377) الرحمة ومعادن البركة، وكنت الخاصة والعامة تحت طعنه لا بالثرام أمر، ولا لمخالفة شر، وإنما كان أهل زمانه كنهم يحسونه كحسهم لأنانهم وأمنانهم، ويطلعونه على حفي أسرارهم فيحدون بركة في ذلك، وكثيرا ما وصل الله بسسه أرحمًا كنت مقطوعة، وأصلح على يده أحوالاً عظيمة لا يأتي صلاحها إلا على يد أوليائه، وخاصة أصفيائه.

وكان إذا كتب لأحد من ولاية الأمر أو بعث إليه رسولاً في شيء من حوائج الناس وتعذر قضاء تلك الحاجة ربما تكلم أهل مجلسه في ذلك ولا موار (ص 378) المكتوب إليه فيقول لهم الشيخ - رحمه الله - : كان بعض من مضى إذا تكلم في حاجة يقول من قصي لنا حاجة حمدنا الله وشكرناه، وإلا حمدنا الله وعذرناه، قلت: كأنه - رحمه الله - يشير لمسألة الإمام المحدث القاضي العدل الشهير أبي عبد الله سوار بن عبد الله قاضي بغداد سنة اثنين وأربعين ومائتين⁽¹⁾.

حدث القاضي إسماعيل قل: دخل سوار بن عبد الله القاضي على الوزير محمد بن عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير إني حثت في حاجة رفعتها إلى الله قبل رفعها إليك، فإن قصبتها حمدنا الله وشكرنا، وإن (ص 379) لم تقضها حمدنا الله وعذرناك. قال فقضى جميع حوائجه، وكان ربما مشى بهمه في دفع مظنة أو رفع وظيف، فكان بعض أصحابه يقول له: يا سيدي

(1) الموافق (10 ماي 856 - 29 أبريل 857م).

تتكف المشي على قدميك فهلا بعثت بكيت أو برسولك فينسم رحمه الله - ويقول لعل هذا أنفع لنا ولهم، وكأني والله أعلم يشير لحديث ابن عباس.

روى في كتاب «قصص حوائج الإخوان» عن ميمون بن صهران، عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك قال: أنفعهم للناس، وإن من أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور (ص 380) تدخيه على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تسد عنه خوف، وإن أمشي مع أحبي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف شهرين في المسجد الحرام.

وروى عن الحسن بن عبي أنه كان يطوف بالكعبة فقام إليه رجل، فقال: يا أبا محمد، تريد أن تذهب معي إلى فلان لحاجة لي عنده، فترك الحسن الطواف وذهب معه، فقضيت حاجة الرجل، فلما رجع الحسن قام إليه رجل فقال: يا أبا محمد تركت الطواف، وذهبت في حاجة رجل، فقال له الحسن: وكيف لا أفعل ورسول الله ﷺ يقول «من ذهب في (ص 381) حاجة أخيه المسلم فقضيت كتب الله له حجة وعمره».

فقد اكتسب حجة وعمره ورجعت إلى طوافي. وقد كان سيدي أبو الحسن الشاذلي عني حلافة قدره يقول لأصحابه: قوموا به بشمع في هذا المسكين فيصل أبواب الأمراء ويقف عندها لقضاء حوائج عباد الله.

حدث المعصوم بأحد هذا نوني السيد الشريف أبي الحسن، أنه إذا أراد المشي لزيارة بعض الشعاعات، وكان العتب عليه أنه لا يأتيهم نفسه إلا في مصالح المسلمين العامة، فعند تهيئته للمشي يقول «اللهم اجعل (ص 382) مشي إبيه تواضعاً لوحيث وانعاء لقصتك ورصواتك، وبصرة لك ولرسولك، ورأيي برية الفراء، المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتبعون فضلاً

من الله ورضواناً، ويصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون، واعمر لنا وإخواننا الدين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم».

وحدث التاج في كتبه: أن سيدي أبا الحسن أنه بعض الطلبة يستشفع به لبعض ولاية الأحاس في أن يراد له في مرتبه شيء، قال: فذهب سيدي أبو الحسن معه لناظر (ص 383) الحسن وكلمه في أن يريد لطالب في مرتبه عشرة دراهم، فقال له الناظر: يا سيدي إن هذا الطالب صاحب مرتبت عديدة له في المكان القلاسي كذا، وفي المكان القلاسي كذا، وصار بعدد له الوطنف التي بيده، فقال له سيدي أبو الحسن: يا هذا لا تسكنر عني مؤمن عشرة دراهم تريده إياها، فإن الله تعالى لم يفتح بالحة حراء لمؤمن حتى راده فيها الطر إلى وجهه الكريم.

وكان ساس سيدي أحمد رحمه الله قاء من صوف، وهو المسمى في الرممن بالشامير، وكساء وبرك وعمامة كان حشة لا يمدت سوى (ص 384) ما عليه من ذلك ليكون من السانفس المحسن، ذكر الشيخ أبو طالب قال: حدثت عن بعض العارفين قال: رأيت في النوم كأن القيامة قامت، وكان الناس يأتون رمرة رمرة إلى الجنة على طبقات، قال: فطرت إلى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلاهم مرتقى، وأسرعهم سقفاً، ففتت، هذه أفضهم أكون فيهم فدهت لأحطوا إليهم وأدخل معهم في طريقهم، وإذا بملائكة حولهم قد معوني معهم، وقالوا لي: فف مكنت حتى يحيى أصحابك فدخل معهم، فإن هؤلاء السانفس لهم طريق لا يسلكه إلا من لم يكن له إلا قميص واحد، ومن كل شيء واحد (ص 385) وأنت لك قميصان، ومن كل شيء ثوب، فانسيت ماكب حريفاً، وجمعت على نفسي ألا أمدك من كل شيء إلا واحداً، قلت: ولما من الصوف هو من شعر الصالحين وأكبر الصحابة والسلف الصالح من التابعين،

حضر عليه النبي ﷺ، ووعد بالثبوت عليه.

قرأت في كتاب «المجالس المكية» عن أبي بكر الخطيب بن ثابت، عن
رحاله، عن إمامه رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بلباس
الصوف تحدون حلاوة الإيمان في قلوبكم، وعليكم بلباس الصوف
(ص 386) تحدون قلة الأكل، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة،
وعليكم بلباس لصوف تحدون قلة الأكل، فإنه يورث في القلب الفكر،
والتمكر يورث الحكمة، والحكمة تحري في الجوف محرى الدم، فمن كثر
تفكره قل طعامه وكل لسانه، ومن كثر طعامه عظم بذه وقسا فيه، ولقلب
القاسي بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة قريب من النار».

* سفره إلى الشرق:

وكان طلوع سيدي أحمد رحمه الله - للملاد المشرقية سنة أداء فريضة
الحج أوائل لعشرة الرابعة من هذه المنة¹، سأله عن ذلك فقال لي: لما
طعنا في ركب الحجاز حراً تنمسان فوجدنا محصورة (ص 387) من قل
مدت لموحدين²، قال لي وحسرت نوس محسن الشيخ الإمام علامة
الزمان وأعجوبة وقته في الحفظ والإتقان سيدي أبي لقاسم العدوسي، فسأله
عن الولي الشهر الكرامات أحمد بن عروس، فقال لي ثقبته يوم بعض أرفقة
نوس ومعه قعة من عرف محلاة وهي ممدوءة بالأحجار يرفعها على ظهره
ويشوق بها أرفقة نوس داهباً أو راحف فإذا عنته طرحها بالأرض طلب الراحة،
فإذا أراد أحد من أهل نوس معونته في حملها أتى من ذلك، قال: فلما لقيته
وحدثته قد طرح القعة عنه (ص 388) وحسناً بالأرض مستريحاً، فوقفت أنظر

(أ) يقصد المائة الثامنة من الهجرة.

(ب) يبدو أن خطأ لأن لدي ذات على حصار تلمسان هم مولد سي مري.

إليه وأردت أن أسأله في حميم عنه فخشيت أن يعتنع من ذلك حريراً على عودته، قال ثم به صوب النظر إليّ وعمت أنه قد كشمي فيما حدثت به نفسي، فقلت له: يا سيدي أأذن لي في حمل هذه القمعة في ذلك فحملتها عنه مسافة قليلة ثم أخذها وانصرف عني.

قال ثم توجّهت للحرمين الشريفين في ركب عظيم ومعا فيه الولي الراحل العابد سيدي سعيد بربل وادي رير، قال: وكانت لسيدي سعيد في هذا الركب حسنات كثيرة، ومقامات شهيرة.

* عودته إلى عذبة ثم عودته إلى الحجاز.

(ص 389) ولما فصب فريضة الحج قمداً مع الركب إلى أن وصلنا بونة وهي بلد العباد، فلقيت بعض أصحاب القادمين من المغرب فسأله عن أهلي وإخواني فذكر لي أن أحد حوسي قد توجّه لنوس فأصدا أداء الفريضة ولا اجتماع لي، قال: فرجعت من بونة لنوس ومعني هذا الرجل الذي أحرمي عن أحي فمررتا بخانوت شواء ببيع شواء، فقلت في نفسي لو كان عندي درهم لأحدث به شواء لهذا الرجل الذي معي، قال فما تمت الحظرة الذي حطرت لي إلا وسيدي أحمد (ص 390) من عروس قد التصق بي وأخرج لي رعايف وشواء ورمى به إليّ فدفعته للرجل، وتبعته فما وجدت له أثراً، قال فبحثت عن أحي في نوس فلم أجد، وقبل به قد سافر مع ركب الحجاز فتبعته وما رلت أحد حرمه في كل بلد إلى أن وصلت الحرم الشريف وجمعت به هناك.

وحدثني شيخنا الشريفة سيدي عبد الله بن منصور، قال حدثني سيدي أحمد أنه كان معهم في ركب الحجاز امرأة فقيرة لا نعلم شيئاً سوى مقلات لها تجمعها على ظهرها، ثم تنمط الحطط في أثناء مشيها على رجليها، فودا برن الركب أوقدت النار وطبخت في تلك المقلات حمز حبرائها من أهل

الركب ويعطونها كسرة من كل خبزة (ص 391) نتفوت بها. قال: وما زالت على هذه الحالة بمقلانها على ظهرها إلى أن قصت حاجتها وأدت فريضة الحج، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

* عودته إلى تلمسان:

ولم فقل سيدي أحمد من وجهته الحجازية برل تلمسان فكان لها الفصل به على غيرها من السدان، وأحد نفسه بطلب الحلال فكان يحرج للجبال والأراضي التي لا ملك لأحد عليها، ويحمل حرمة من الحطب على ظهره ويأتي بها لسوق الحطب ويبيعها هناك، فكان يحدث رحمه الله ويقول: ما رحل أعرفه كان يشترط علي إذا بعته حرمة الحطب أن أوصلها لداره فأفعل ذلك.

وطب الحلال هو أصل هذه الطريقة وعليه مداره (ص 392) عند علماء الشريعة والحقيقة، به استقامت أحوالهم وصنحت قلوبهم وأفعالهم، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحل ما كثر العدد من كسب يده، وكل بيع مبرور وروياً عنه ﷺ أنه قال: لعمري عشرة أحرار، تسعة منها في طب الحلال».

ودكر صاحب الهدية قال روي أن جماعة من أولياء الله لزموا تذكروا أي الأعمال أشد، فقال بعضهم: الجهد، لأن فيه إنلاف النفس، وللمال، وقال بعضهم: صلاة الليل، لأنها لا تصوم إلا لمن وجد حلاوة المسحاة، وقال بعضهم: انصام (ص 393)، لأنه من أعمال القلب وأسرار الرب، ثم وقع إجماعهم على أن أفضل الأعمال هو طب الحلال.

وعن وهب بن مسبه قال: أوحى الله عز وجل - إلى داود عليه السلام: «قل لسي إسرائيل: إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا إلى صيامكم، ولكي أنظر إلى من طب الحلال، فإذا شئت في شيء تركه من أحلي، ذلك

الذي أؤيده بصري وأهـي به ملائكتي».

وكان سيدي أحمد في ابتداء أمره ليس له منزل يأوي إليه، ولا مكان يعول عليه، وكان كثير الحضور بمجلس الإمام ختام العلماء الأعلام سيدي محمد بن مرزوق حين تدرسه بمسجده القريب (ص 394) من داره، فكان الشيخ سيدي محمد ممن عرف بمقام سيدي أحمد في الولاية، وكوشف له ما له عند الله من حفيـل العناية فأل فصـح عنه من أين يكتسب فقيل له: من بيع الخطب، فكلمه في أن يكون طعامه من داره ومنع من ذلك، وكان أكثر ميته إذ ذاك بالجامع الأعظم وفيه كان يقوم الليل.

وحدثني - رحمه الله - عمر بن مرة قال لما دخلت هذه البلد أدركت بها جماعة من أهل الخبر يقومون الليل بالجامع الأعظم، ويعين مهم المقيه الإمام فحرر الكتاب ورس أهل الأدب سيدي محمد بن يوسف الحريري، وكان هذا الفاصل الحريري من (ص 395) أعين العلماء وأوصل الكبراء تولى حطة الكبة والعلامة بالحصرة العبية في دول متعددة تريد على الأربعين سنة فما رده ذلك إلا تواضع، فكان يأتي القصر على قدمه ما علم قط أنه أتاه راكنا - رحمه الله ورصي عنه - ، وكانت وفاته في عشرة السنين وثمناثة .

وفي قيام الليل أشد الخطيب بن رشيد في رحته، قال: وجدت بخط شيخنا عبد الله بن صالح البجائي:

يا رجال الليل	حدوا	رب صوت لا يـرد
لا يراعي الليل	إلا	من له عزم وجد
ليس شيء كالصلاة		اليسيل للقـر يُعد

(ص 396) وفي الحقائق سمعت أبا محمد عبد الواحد المحاصي يقول:
رويت بالسند الصحيح أن عبدا رابعا بعض الشعور مدة فكان كذا طبع الصحر
يسمع صوتا دون أن يرى شخصا يقول:

لسولا رحال هم ورد بقومونا وأحرون هم صرد يصومونا
لرلرت أركم من تحكم سحرا لأنكم قوم سوء لا تبالونا
وكان سيدي أحمد رحمه الله نية من آيات الله في لأحلاق لحسة
والمعاشرة المستحسنة.

ويدا أنه أحد كتب صحر من أمر برن به يرفو به (ص 397) ثم يحصه عنى
الصبر والحق بالأحلاق الحميدة، ويقول في كثير من كلامه: أحسن الحق أفع
من المال، أو كلام هذا معناه: وكأنه والله أعلم ينشر ما روي في بعض الأحاديث
عن الأصمعي قال: سمعت أبا إبراهيم بن أدهم كان يقول: إن الرجل يدرك حقيقته
ما لا يدرك بمانه، لأن المال عنه به حقوقي من ركه وصنعه أرحامه، والحق ليس
عليه فيه شيء من ذلك.

قلت: كلام إبراهيم بن أدهم نصه في حديث أبي هريرة، روي عنه أنه قال:
قال رسول الله ﷺ: «إني سمعوا ناسا يأمر بكم فسعوه بأحلافكم» وفي
رواية: «فسعوه بسط» (ص 398) الوجه وحسن الحق.

وكان بعض أئمتنا من السلف لصالح يقول: «لو ورت كنمه رسول الله ﷺ
هذه بأحسن كلام الناس لرحلت عنى ذلك» لأن أحد في بعض الرجال
أوصاف حسنة من كرم العهد، وكثرة الصدق والمصارعة إني أفتن الحير لم
بظمن ذلك كنه سوء حقيقته، فعنى ترى تحيره شاكر ولا لكثرة معروفة داكرا.
قال وفي الحديث: «مسند عن أهل البيت ما يدل على ذلك»، روي من طريق
جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه عبيد بن العباس، عن أبيه

الحسين السبط الشهيد، عن أبيه عني أمير المؤمنين، أن رسول الله ﷺ (ص 399) قال: إن الحق حين يفسد العمل كما يفسد الرجل الرجل إذا

قال بعض أهل العلم: معنى فساد العمل هو إحباط الأجر، لأن الرجل إذا فعل الخير، ثم قرره سوء الحق فكأنه فسد عمله وأحبط أجره، كالصديق إذا أبع صدقه بامن ولا أدى، وكالصانع إذا ساءت حلقه مع أهله، وكالمجاهد إذا لم يحسن صحته وفدته وأساء إليهم، فإن إساءة حق هؤلاء تحبط أعمالهم، سأل الله أن يحسن أخلاقه، وأن يتقبل أعماله، فإن بحسن الحق من لا يستطيع العبد تكسبه إلا بفضل الله ورحمته.

وفي حديث عائشة (ص 400) رضي الله عنها: فقلت فإن رسول الله ﷺ (ص 400) إن هذه الأخلاق مديح من الله عز وجل، وقد أحب عبد منحه حنقا حسنا، وإذا أبغض عبدا منحه حنقا سيئا، وعنه ﷺ: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أروافكم، وإن الله يعطي النيب من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب.

وقد حصر السيوطي في الأخلاق السبعة، روى من حديث عائشة رضي الله عنها: قلت فإن رسول الله ﷺ (ص 401) شؤم سوء الحق، وأشد بعضهم: (ص 401)

وما هذه الأخلاق إلا طابع فمن محمود ومنها مذموم
فليس يستطيع الدهر تغير حلقه لئيم وليس يستطيعه متكبر
وقرأت في روضة السورين قول: روي عن سفيان الثوري أنه قال حدثني مالك بن أنس، وأطعمني وسفياني، قال: حدثني رافع وأطعمني وسفياني، قال: حدثني عبد الله بن عمرو وأطعمني وسفياني، قال: كنت عند النبي ﷺ في دار عائشة - رضي الله عنها -، فأتاه رجل من الأنصار بتصيرات أكلتها معه وأقل

فقال: وما (ص 405) هي" فقال إن رمن السور والمهرجان قريب من،
ولس سعثون فيه هدمهم إلبث ويتمرون ملك بالتحف، ولو ناديت في البلد
أني لا أمل من أحد هدية إلا مع حرة من عمل فلا تسع ذلك كتمن لحكمي،
قال: فأجبه التمثك لبعته، وأمر أن يسدي في السد بما قال، وتسامع الساس
بأساء، وأقبلوا عليه يشتررون منه الخبز فكان يسع كل حرة دينار، وكان
لتمتك ورير من أساء ورس سيني الحق فبحث على أجرة بوحهه مع هديته
تسقط، فقال له: إن هدم الرحل لا يسع الحرة إلا دينار، فقال ادفعوا له
درهمين، فقال له: لا أفعل، ثم أعدد عليه لرسون في اليوم الثاني (ص 406)
وأمره بدفع الدسار في الحرة، فقال له: لا أسعها إلا سائة دينار، وعطى الورير
لذلك، فما كان اليوم الثالث ورحل وقت بعس لهدية بعث إليه سائة دينار
في الحرة ومنع من قصصها وقال لا أسعها إلا سائف دينار، فردد عيط الورير
ومنع من شراء الحرة بألف، وما كان بعد وهو يوم المهرجان وفيه بعث
الهدايا سنون الساس هدية الورير، لأن العادة حرت أن هديته يسبق سائر
الهدايا، ولس يسع له في ذلك، فأخذ ألف دينار وبعث بها إلى الرحل المحار
في الحرة ومنع من بيعها له، وقال لا أعطيتك الحرة إلا بشرط أن تحملني
على طهرتك والحرة بيدي (ص 407) ونذهب سي إلى محسن الحبيفة، فبن
فبعث ذلك فبليت منك هديتك، ولا ردت عليك ووقعت في محاولة أمر
الحبيفة فأجبه الورير لذلك وحمله على كتفه لسياط الحبيفة، ولم رآه
الحبيفة أنكر حاسه تبت فما أحمره المحار بالمسألة قال له أحسنت في
عقوبته وعرف الورير وروى الرحل مكانه وتحدث لاس بخبرهما مدة طويلة

وكان سيدي أحمد رحمه الله ملازم بتحويل القرآن يردحم عليه
اقراء لعظم مركته واتقان معرفته بتطريفتي الرسم الأداء، مرشدا للطريق لخير

يسه في محالسه على التمسك بسنة النبي ﷺ عملاً محدث (ص 408) أبي هريرة، أخرج أبو الظاهر السلفي في الأربعين حديث التي أخرجها عن أربعين شيخاً بأربعين مديحة مسنداً من حديثه، أن النبي ﷺ قال له، يا أبا هريرة عدم أساس القرآن وتعلمه، فإنك إن مت وأنت كدث رارب الملائكة قرك كما ير ر البيت العتيق، وعدم الدس مسي وإن كرهوا ذلك، وإن أحبب ألا توقف على الصراط طرفه عس حتى مدخل الحنة فلا نحدث في دس لله حدث رأيك، قنت فقد جمع الله ذلك كله في شيخ سبدي أحمد - رحمه الله - ، فكان يقرئ كتابه العرير، ويعلمه سنة رسونه ﷺ، ويأمر بالمعروف (ص 409)، ويهني عن المنكر، ويذكر بأحذار السلف الصالح، أحب للناس أم كرهوا، وعصمه الله من حدث رأي الصادر عن الهوى، فكان لا يتشاور شيئاً من هذه الفتية، وينعم السلف الصالح في أقواله وأفعاله وأخلاقه.

ورحم الله ر هد الأندلس أن الحسن محمد بن أحمد بن حنر الأندلسي حيث قال:

فما أحدث الناس أموراً ولا تقول بها إبي امرؤ ناصح

فما جماع الخير إلا الذي كان عليه السلف الصالح

وكان يعمر أكثر أوقته في لمقار وحصوف (ص 410)، روضة سدي أبي سعيد خارج باب امر مديس، فيه كان كثير الجلامه به مفرداً بعدده ربه مفكر في أمر آخره، وفي حدث عد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بربره نصور، فيها ترهد في الذب، وتذكر بالأخرة»

وأجمع المنصوفة وأرباب لقلوب أنه ليس شيء يقع لقب اس دم من ربرته لنصور وذكر هادم لندات المهور لجماعات، فإن أثر لملقار بدا دخلها سبة التفكير والاعبر والتذكر لأحوال من مات فيه من المموتك ولأحبار

الدين سقوه لجمع الأموال وتنفسوا في سوع الأمان (ص 411) كيف انقطع
بهم آمالهم ولم تكن عندهم أموالهم قد ذهبت بينه وتفكره إلى لرهق في دينه
والإقذار على طاعة مولاه، ولأن نفسه فزع وذهب عنه لحرص والطمع ورحم
الله القائل:

هي القساعة لا تبغى بها بدلاً فيها العيب وفيها راحة البدن

انظر لمن منك الدنيا بأجمعها هل راح منها غير القطر والكفن

أسد الخطيب أبو بكر بن ثابت في بعض كتبه، عن عائشة - رضي الله
عنها - قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «ذهبت ثريرة فمر أُمِّي (ص 412) أمه،
فسألت الله أن يحبها وأحبها، فأمست بي ثم ردها الله - عز وجل - إلى
قبرها».

قال الإمام أبو حمزة عمر بن شاهين، وهذا الحديث باسوخ لغيره من
الأحاديث الدالة على عدم إيمان والديه ﷺ، فإنها أخبار مقدمة وهذا الخبر
كان في حجة الوداع على ما روت عائشة رضي الله عنها، فهذا الحديث
مما يحب الإيمان به في صحة إيمان والديه ﷺ.

وكان سيدي أحمد - رحمه الله - قبل الكلام هذا لا يتكلم مع جلسائه
إلا بما يفهمهم من طريق الأجرة، أو يرشدهم للعمل الصالح حتى ولو قال: أن
صاحب الشمال ما (ص 413) كان يكتب عليه شيئاً ما أبعده، وما أراه، لا أحد
أولياء الله الذين كانوا يحاسبون أنفسهم، فقد روي عن الحسن البصري أنه كان
يقول: «إن المؤمن فوام على نفسه، يحاسب نفسه الله - عز وجل -».

وروي عن طريق ابن المبارك، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه
قال: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن أهلكوا لحسابكم، وزبو أنفسكم
قبل أن توربوا وتحجروا لغيركم الأكر». «يَوْمَ يُنْفَخُ النَّفْثُونَ لَا تَحْفَى مِنْكَ حَافِيَةٌ»

الحاقة. 18||. وعن وهب بن مسه قال في حكمة آل دود: احق على العاقل ألا يعصر عن أربع ساعات: ساعة يدحي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه (ص 414)، وساعة يجتمع فيها إلى إخوانه الذين يحسروه بعيوب نفسه، ويدكروه بانذار الآخرة، وساعة يحلّي بن نفسه وبين لذاتها فيما يخل ويحمل، وحق على العاقل أن يعرف أهل زمانه ويملك فصول نفسه، ويقل على شأنه».

وكان سيدي أحمد يحضر كثيراً على الصمت، ولكف عن لغو الحديث وكثرة الكلام، ويقول لا أصر على هذا الخلق في دينهم وديارهم من فصول الكلام، وهذا ندي كان الشيخ رحمه الله يوصي به من فرائض الدين ومعتقدات أهل السنة وأعمال السلف الصالح

فمن المرحل إذا كان محتهد في عبادته راضياً بقره (ص 415) فبقه بقطه ربه، فإن صلاته وصيامه وعمه كنه لا يسمع شيء منه، وإن احتهد في بقاه وأحكامه إذا كان لا يحفظ قلبه ونسائه، لأن في القلب حصنتين عظيمتين يجتمع فيهما الشر كله وهو الغل والحسد، كما أن في اللسان حصنتين عظيمتين من الشر يجتمع فيهما حصال الشر كله وهما: العيبة والكذب.

تحفظ من لسانك ليس شيء أحق بطول السج من لسان وكس للصمت ملتزماً إذا ما أردت سلامة في ذا الزمان وقد روي عن جماعة من الصحابة والتابعين (ص 416) كأي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعطاء أن العيبة تنقض لوصوء وتمطر الصائم، قال مجاهد: وتخط العمل.

وروي عنه أنه قال: «نظرت في النار ليلة أسري بي، فإذا قوم يأكلون الحيف، فقلت: ما هذا يا حنبل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس».

وعن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، إن أحببت أن يمشي الله لك الشئ المحسن في الناس، فكف لسانيك عن عيبة المسلمين، وسأل رجل النبي ﷺ عن العيبة فقال: تلك تذكر (ص 417) من المرء ما يكره أن يسمع.

قال: يا رسول الله، وإن كان حقاً؟ فقال له ﷺ: إذا قلت باطلاً فذلك البهتان، فسمى رسول الله ﷺ الكذب بهتاناً، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَئِمَّتُهُمْ بِمَا كَانُوا يُفْعَلُونَ﴾. [الأحزاب: 58].

وحدث الخطيب في تريحته عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قلّ ماله وكثر عباده، وحسنت صلاته، ولم يعتب لمسلمين جاء يوم القيامة وهو معي كهاتين».

وعن ابن عباس أنه قال: «أذكر أحداً إذا تورى عنه مثل الذي تحب أن يذكر بك به إذا (ص 418) تواريت عنه».

وعن وهب بن مسه قال: قال رجل في بني إسرائيل: اللهم ليس لي مال فأصدق به، فأبى مسلم أحد من عرصي فهو عليه صدقة، وأوحى الله عز وجل - إلى نبي زمانه أنه قد غفر له.

وعن أنس بن عاص قال: ثلاث يهر من العمل ويقصرون الصائم، وينقضن الوضوء: الغيبة، والنميمة، والكذب.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «شراكم أيها الناس المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة».

قال صاحب الهداية: «والمرق من العيبة والنميمة أن العيبة هي أن تقول في المعصية ما فيه على سبيل التفصيص له (ص 419)، ولتحمل عليها الكفر

والاستهزاء بعباد الله، ولنظر إليهم بعين الاستحقاق. قال وأنميمة هي السعانة بأحيث إلى من يقدر عمل الأصرار به، وربما أدى صرره إلى اغفل، أنك إذا سمعت بأحيث؛ أي نقلت عنه حديث حقاً أو باطلاً في سر فقد قصدت إداسته وإفساد دات بيه، وكل حديث مقلول في حفاء على جهة الإفساد فهو نميمة وهي أعظم بلاء من العينة، ورحم الله محمود الوراق حيث قال

تجنب من الطرق أوساطها وعد عن الموضع المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن البطق به

فإنك عند استماع الحفا شريك لقائله فاتبه

(ص 420) وروى عن لسي ؓ أنه قال: «من كُف عن أعراض المسلمين

لسانه أقال الله عشرته يوم القيامة».

وعنه ؓ «من ألقى حديث الحياء عن وجهه فلا عينة فيه».

قال أنمت. أراد ؓ أن من صرح عن نفسه ثوب لحياء ولم يسبح من الله

عز وجل ولا من الدس في إظهار مساويه، والفتاح التي يرتكها من

معاصيه، فلا عية فيه لأنها لا تؤديه ولا تؤممه، وبما حرمت العينة من أهل

الإدانة اللاحقة للمرء الذي يكره أن يطلع الدس على عيوبه الخفية (ص 421)

وأسراره الدطية، فمن أظهر مساويه وعين بانبك الكاش فيه فلا حرمة ولا

دس على من اعتبه على وجه التعريف به ولتحدير منه، وقبل لمحمد:

الرحل يكون ودعاً في الدس فقع عيه، أنه عيب نداعة في اغنيابه" قال. لا

قلت: فمن ذا الذي تحرم عيته؟ قال. رجل خفيف الظهر من دماء المسنمين،

خفيف البطن من أموالهم. أحرس لسان عن أعراضهم فهذا هو الذي تحرم

عيته، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ولا عية فيه.

وحدثوا عن صفيد الثوري أنه مر بجماعة قد وقعوا في شحص فقال لهم:

لو كان معهم من (ص 422) يرفع حديثكم لتسبوا أكنتم تنكلمون شيء، قالوا: لا.

قال: فمن معكم من يرفع حديثكم هذا إلى سلطان السموات والأرض، أراد سفيان - والله أعلم - قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْا بِهِ، فَسُوءَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَنَبِّئِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدًا ١٧ مَا يَلْعَلُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ ١٨﴾ [١٨ - ١٦].

فقد أحسر الله تعالى أنه قد وكل بكل إنسان منكم بحفظه عليه كل شيء، يسلط به، ويرفعه إلى سلطان الدنيا والآخرة، والله عز وجل - الذي لا يحول بينه وبين مطلوبه شيء (ص 423)، ولا يموت شيء، ولا يعجزه شيء، وأما سلطان الدنيا فقد يريد أمراً ثم لا يكون ولا يقدر عليه، وقد يكون ما لا يريد أن يكون، والله تبارك وتعالى - لا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يموت شيء مما يريد، سبحانه لا إله إلا هو المثل وإليه ترجعون واحفظوا الدين أشار إليهما في الآية، حدث عن عبد الله بن المبارك عن ابن حريج قال: الملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنة، والآخر عن يساره يكتب السيئة، وصاحب الحسنة يكتب بغير شهادة من صاحبه وصاحب السيئة لا يكتب إلا شهادة من صاحبه أن فعل المكلف.

فأحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وأن من مشى فأحدهما أمامه والآخر (ص 424) خلفه وأن قدر فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، وفي جامع العتبية عن عيسى بن دينار، عن أبي وهب أن رجلاً كان يسوق حملاً، فعثر فقال له: تعست، فقال صاحب اليمين: ما هي الحسنة فأكتبها، وقال صاحب الشمال: ما هي السيئة فأكتبها، فودى صاحب الشمال أن يكتب كل ما ترك صاحب اليمين، قال ابن رشد: يظهر من هذا أن صاحب اليمين هو

لقاصي على صاحب الشمال فما يقول أنه سيئة. ولأحنه يودي أن يكتب ما تركه صاحب اليمين، لأنه لا يكتب إلا الحيات والدعاء على الحمار بالنعس وهو السقوط سيئة، والله أعلم.

ورأيت في ص 425، كتاب الهداية، عن ابن المبارك، أن من ادم وكل الله به خمسة أملاك، منكك بالنهار ومنكك بالليل بحيثن ويدهن، والحامس لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً.

وكان سيدي أحمد - رحمه الله - على عتبة عظيمة ورثة كريمة من رفع الهم عن أساء الدنيا معرضاً عن الانتفات إليهم سالك سبيل أهل الإرادة متأدناً بأدب أهل الحقائق في صدق انشقه بمولاهم وصيانه النفس عن تدبيس شعار أهل الإيمان بالميل إلى الأكوار، ولنظر نعيم الملك الحق الممان الذي لا إله إلا هو، وفي مسند حديث عمران بن حصيب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة (ص 426)، ورفقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى نديب وكنه الله به.

وكان قد تخلق بأخلاق السلف الصالح في عباده للملك الحق، ومعامله بالمعروف لكافة الخلق، قد بدل نفسه وأدبها في مرصاة ربه وعلم وسع رحمه الله - لعباده فعامل بالرحمة جميع الخلق معتنلاً في ذلك قول رسول الله ﷺ على ما حدث به شيخنا الإمام سيدي محمد بن العباس فيما قرأه عليه وأحاربه، قال: حدثني شيخنا الإمام سيدي محمد بن مرروق، وقال: حدثني شيخنا أبو الفضل العراقي بحديث الرحمة المسبب بالأولوية بسده المتصل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص (ص 427)، أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن - تارك وتعالى - . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

وأنشد أبو عبد الله بن عباس قال: أشدني أبو عبد الله بن مروق، قال:
أشدني أبو الفضل العراقي لنفسه:

إن كنت لا ترحم المسكين أن عدما ولا الفقير إذا يشكو لك العدما

فكيف ترحو من الرحمن رحمة وإما يرحم الرحمن من رحما

وقد سقه إلى هذا محدث لشام أبو الفاسم بن عساكر أشده له أن يعيش
في فهرسته قوله: (ص 428)

بادر إلى الخير يا ذا اللب معتما ولا تكس من قليل العرف محتثما

واشكر لمولاك ما أولاك من نعم فالشكر يستحب الإفضال والعما

وارحم بقلبك خلق الله وارعمهم وإما يرحم الرحمن من رحما

وكان سيدي أحمد كثير الشفقة على المسلمين يسودد إليهم، ويتحمل
أثقالهم ويصرف وجوههم نطاعة الله عملاً بالحديث الذي رواه أس قن قن
رسول الله ﷺ: رأس العقل بعد الإيمان بالله اتودد إلى الناس، (ص 429) قال
علماء: معنى التودد إلى الناس هو الإتيان بالأفعال الحميدة والأقوال
السديدة التي يودك الناس عليها وبحسب من أحبها كما قال عنه الصلاة
والسلام: لآبي هريرة: يا أبا هريرة، ارهد فم في أيدي الناس يحسب
الناس.

فشيح سيدي أحمد رحمه الله قد رهد فم في أيدي الناس، وبذل
بهم ما عنده وتحمل أثقالهم، ولم يكنهم أثقال نفسه وتحسب إليهم برعة
ملهوفهم وقضاء حوائجهم ودفع المكروه عنهم

ولما تحقق بهذه الأوصاف لحمية وكنت أفعاله لوجه الله تعالى أودع
الله حبه قلوب عباده المؤمنين، وأوصع له القبول التام (ص 430) حبه تعالى

له، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْدِينَكَ أَمْنٌ وَعَمَلُكَ الصَّالِحَاتُ سَيَعْقِلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ دُونَهُ﴾ [مريم 96]. جاء في التفسير: في قلوب أوليائه وخاصة عباده.

وأشد أبو عبد الله بن رشيد في رحمة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فإن رسول الله ﷺ أعم الله على عبد نعمة إلا كثرت مؤونة الناس عنه، فإن لم يحمل مؤونتهم فقد عرضت النعمة لروالها، وأشد لأبي العباس المبرد:

إذا شئت أن تبقى من الله نعمة عليك فسارع في حوائج خلقه
ولا تعص الله ما كنت ثروة فيحصر عنت الله واسع رزقه

(ص 431) وقرئ بعد حديثي به شيخنا أبو عبد الله بن العباس، عن شيخه الإمام أبي عبد الله بن مبرورق، عن شيوخه عن قاضي الجماعة أبي القاسم أحمد بن محمد بن بقي، فيما كتب به لأحد أولاده قال: لتعلم يا ولدي أن الناس تنقسم إلى رجل واحد، وامرأه واحدة، أنت واحد منهم فتحب لهم من الخير، وإن أحببت مدتهم، ومنهم، مثل ما يسعى أن تحب لإخوانك أشد، فمن أحببت فيه منهم أنه على هدى فرحت له بذلك ونهجت حبه وعظمه فيه، ومن أحببت فيه منهم أنه على ضلالة رحمته ودعوت الله له وبصحة إن أمكنت بصلحه، ومن أحببت له على (ص 432) سيئة سترتها عليه ولا تعرض لأحد منهم بمكرهه، لا حيث أوجب عليك الشرع ذلك، ولا تنكر على كبير منهم، ولا صغير بزيادة ردتها عليه في دين أو علم أو حبه أو مال، لأن ذلك الريادة لا تحلو من أن تكون نعمة أعم الله بها عبيك أو بولي ابتلاك بها، فإن كانت نعمة فالعم يحب شكر الله عليها، والكفر ليس من شكر الله في شيء، وإن كنت بنية فما لئمتني وأنكر، فإن إذن أن الكرياء لا ينبغي إلا لله

وحدده، ولدت ورد في الحديث عنه تعالى أنه قال: فمن راعي واحدا منهما فصمته، يعني العظمة والكرباء، وأريدك يا ولدي أن تمكث لا يحد منكرك إلا بعض الناس ومفتنهم لا غير، فتتودد بوسدي (ص 433) إليه بكل ما يمكنك التودد به مما ليس محظور ولا مكروه في الشرع فربما تسحب بذلك محبتهم ولا تحيى بذلك سرا، وقد قال رسول الله ﷺ: «التودد نصف العقل»، ولا تستعمل يا ولدي عدوا وحدا ولا تمكث ألف صديق، ولا تمازح أشرارهم وكن من خيارهم على حذر.

وكان سيدي أحمد رحمه الله يحب الفقراء ويستطعمهم ويؤنسهم ويسأل عن حاجتهم، ويقول لهم: إذا صرتم فاشربوا فيكم يعني الله، وكذا يشير في ذلك للأثر المروي عن عبد الله بن مسعود، فقد روي عنه أنه قال: «الأيدي عند الفقراء قبل أن تأتي دوسهم فيه إذا كان يوم تعبهم فيه». (ص 434) أين الفقراء لرصون بغير في الدنيا فيعذر الله عز وجل إليهم فيقول عبادي لم أروا الدب عنكم لهما لكم عني، ونظروا في الصقوف فمن أطعمكم في يوم أو كساكم في يوم، أو أعطاكم درهما فحدوا بيده وشفعوا له أشفعكم فيه، وكان يحصل الناس كثير عني عمل الفلاحه من رراعه وعراسه، ويقولون: أهل المغرب أقوى وأحرص على عمل الفلاحه من أهل الشمال، فإذا عذر به الحاصرون يقول لهم: لو علمتم ما في ذلك من الفضل والثواب ما وسعكم هذا العذر.

وإشارته في ذلك للأثر المروي عن عبد الله بن مسعود (ص 435)

رحمه الله لتلك الأحاديث الواردة بفصل العراسة والرراعه منها

حديث أسس روي عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ررع ررعا أو عرس

عرسا، فأكل منه إسان أو بهيمة فهو له صدقة».

وروي في كتاب التوكل، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه

قال لقوم: "إياها المتوكل الذي ينقي حنة في الأرض ويتوكل على الله، قالوا: ولأن العاص على صاحب هذا العمل أنه يبعد عن حصة الناس التي هي محل كل أمة من عيبة وحسد، وبميمة، وغير ذلك من المفسد التي يبعد وحودها في أهل الصلاحية الممردين (ص 436) بأعمانهم. وفي أمثالهم ورد حديث الربير بن النعواء عن النبي ﷺ أنه قال: «من استضع منك أن يكون له حرء من عمل صالح فليفعل».

وقرأت في كتاب الرثا طي حديث أسنده عن حارث بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: من عرس عرس يوم الأربعاء، ففان، سبحانه لله الساعث الوارث، أطعمه الله من ثمره».

ومن حميل أخلاق سيدي أحمد ومحاسن أثره أنه كان إذا أنه أحد من لبحر وسأله لاستجاره في سفر معين أو تكسب بقرص ويحويه سألته عن فائده ذلك وكيف حال والوقت فيه ونسبه وأوصاه بحسن المعاملة، (ص 437) ولا يحمل الناس على الخنوس وترك التكسب والأحد في طريق الرهد من كان يسه على فصل التكسب ويحرص على عمل الفلاحه، ويقول: كان كثير من السيف لصالح يحترفون بنجارة ويعتفون بالأسباب المعينة لهم على التفرع لعبادة الله، وهذا الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله في الحديث عن النبي ﷺ: «لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويستعني به عن الناس».

ورويانا عن سعيد بن المسيب، وكان سيد أهل زمانه وفصل أقرانه أنه قال: لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي به دينه، ويصل به رحمه، (ص 438)، ويكف به وجهه عن الناس، فقيل له، ويترك دبير، فقال: اللهم إني أعلم أبي لم أجمع هذا المال إلا لأصون به حسي وديني».

ورويانا عن أبي الرباد عن عبد الله بن ذكوان، وكان أفصل أهل المدينة بعد

سعيد بن المسيب، أنه قيل له: يا أبا الرود، أتحب الدراهم وهي تديك من الدنيا، فقال، هي وإن أدتني من الدنيا فقد حسني عنها، وعن الراشد العابد حذيفة الهمداني قال: سمعتُ إماماً ومعلماً سفيهاً بن سعيد الثوري يقول لأن أحلف عشرة آلاف درهم بحاسبي لله عنها، أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس، حدثوا عنه أنه مات وله بصاعة يحرر بها مائة وحمسون ديناراً قالوا: (ص 439) وكان سفيهاً يقول: لعل في هذا ثمران سلاح المؤمنين، وعن المؤمن.

وروي عن سفيان بن عيينة أنه كان يقول: من كان به من فيصنعه، وأنكم من رمان من أحتاج فيه إلى الناس كأنما يبيع دمه، وحدث سفيان الثوري عن لأعمش، عن يزيد اليربوعي، عن أسد، أن النبي صلى الله عليه وآله أعطاه المؤمنين أحراراً الذي يهتم بأمر دنياه وآخرته.

وعن الراشد الفاضل الربيع بن حبيب قال: ما أعلم أحداً أشد حرصاً في الدنيا من المؤمن شاركت أهل الدنيا في أهل المعاش، وسرد عنهم بأخرته .
وشيخ سيدي أحمد بن زاهر، تكرامات وظهر العلامات الحارفة لحيات العادات ما لا يقوم (ص 440) به ديوان ولا يجمعه يسأل، وسذكر طرف من ذلك نستدل به على ما هناك، وإنما شرعت في تلمذ هذا المجموع سألت شيخنا الشيخ سيدي عبد الله بن منصور أن يقيد لي شيئاً من أخبار سيدي أحمد، وكرهتم أخوله، لأنه كان كثير الملازمة له، وكان سيدي أحمد يسقط معه في الحديث ويديه ونحوه في حلواته كثير، ويسقطه ومنع سيدي عبد الله من ذلك وقال لي: لا أرى نفساً أهلاً لأن يقف علي، وهذا من عادة أهل الفضل جزاء الله عن نفسه خيراً.

ثم حدثني سيدي عبد الله قال: حدثني سيدي أحمد قال: كنت مرة (ص

(441) بعض سواحل المغرب حليسا، وإذا برحلتين من المصادمة جدسا إلي مقدمهما من لمشرق، ومع أحدهما مريود من عقيق، ومع الآخر شكيرة لا أدري ما فيها، فيسما بحر حلوس وإذا بجماعة من لقطاع طهروا هالك فدولي صاحب الشكيرة شكيرته، جعلها معي، وبقي لأخر بمروده، وانصرها فتلاحق بها لقطاع وأحدوا لصاحب المزود مروده، وسنوا ثياب الرحلين، وما تعرض لي أحد منهم، ولا سألي عن شيء، فن، ثم إن صاحب المروود قل: قلب محاطبا لمدرس الذي أخذ منه المروود: اللهم لا تقني لي فيه حما، قل: فعد بمرسه في الوقت فوق عه، وتشت راحه بالركب، والمرس تعدو به والأحدر (ص 442) بصر رأسه إلي أن خرجت روجه في الوقت، وحقق لله إجابة دعوة دنت الرحل وبحر سطر إليه

وحدثني شيخ سيدي محمد السوسي فيما كتب به إلي قال، حدثني جماعة من الصالحين أن سيدي أحمد كان يتردد في ابتداء أمره لند بدرومة وسواحلها كثيرا، فإذا كان يوم الخميس وهو يوم اجتماع القبائل لسوق بدرومة يحارحها أحد إبريقا له وجعل يدور به على أهل السوق يسقيهم الماء منه، ودنت في زمن الحر ولا ير ل كدنت بتعرض لهم بإبريقه من أول السوق إلى آخره، وهم في الكثرة بحيث لا يحصيه إلا حائقيهم، من غير أن يحدد ماء غير الذي فيه، قال: ولما كثر دنت منه في أسواق عديدة انته لدنت (ص 443) أهل السوق، فحتر بعضهم الإبريق حين يسوله لشرب منه فأوا الماء يسع في قعر الإبريق كالعين فنحدثوا بدنت وشاع حره إلي أن وصل لولي الصالح الركة سيدي الحسن الصدراني فتشوف لدنت وأراد الوقوف على هذه الكرامة على م لصاحبها عند الله من عظيم العداية، فأتى سوق بدرومة وحلس بين الناس محتقيا، فلما مر به سيدي أحمد وهو يدور على الناس بإبريقه يسقيهم

الماء على عادته أخذ الإبريق من يده وحمل يصرب منه، ويطر لقعهر فرأى عينا من الماء تسع هناك، فتيقن لوقته ولأية سيدي أحمد، وأنه من رجال الكمال ذوي المقدمات والأحوال. قال شيخنا أبو عبد الله. حدثني بهذه القصة (ص 444) من التقى به من الفقهاء والصالحين. وقال سمعتها بأدني من سيدي الحسن الصدراوي.

ومما شهدت من كرامات سيدي أحمد أسي كنت عنده ذات الظهر في أوائل شهر ربيع الثاني من سنة ست وستين وثمانمائة، وإذا شخص قد أخذ بحقيقة باب دويرته وهرها واستعدت به ففتحت الباب ووحدت الحرس قد حموه فسألته عن الرجل، فقيل لي: إنه من سي ورئيد طولت بما عليه من العرامة، فهرب من أبواب الطلعة، وجاء لحرم الشيخ ليستجير به على ما حرت عدة المظنومين، ومن تعدى عليه أو اكتسب خطيئة من أهل الحرم والحجاء اللاندين بحرمه، فبعث إليه ولد قائد الحل إذ ذلك أناصر من ربيب الخلافة المعصمية (ص 445) من أحرجه من حرم الشيخ كره واستعظم الناس ذلك فدحت إليه وعرفه المعصية، فقال لي: هذا حرم لله ولا بد لهم أن يحتجوا إليه، وتعلق خاطره بالرحيل فجاء في الوقت من رد عليه أنه لا بأس عليه، وأنه نمشي حله بحير فسر بذلك، وما زال يكرر كلامه ويقول هذا الحرم حرم الله، فمن صيحه لا بد له من الانتحاء إليه فمات الشهر حتى برز البلد لحليفة بحق محبي رسم المملكة بعد عهده أمير المؤمنين مولانا المنوكل على الله أبو عبد الله محمد، وكان برونه يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر، فحاصره بقية يومه ويوم الأحد، وفي يوم الاثنين الموافق ثلاثين كان دحوبه البلد

واستولى على ملكها من (ص 446) عبر مصرّة أحد، ولما دخل مولانا - رحمه الله - البلد واستقر ملكه عليها هرب الريب وأولاده، وجميع عمال الخليفة المخلوع وأكابر دولته لدورة الشيخ سيدي أحمد وأراهم الله قدرته في الالتجاء إليه ولاستحارة بحرمه، فما كان عند أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين حين دخوله البلد أهم من زيارة الشيخ سيدي أحمد والانداء بالسلام عليه، فلما وصل إليه وجلس عنده هأ سيدي أحمد بالخليفة ودعا له بحبر، ثم قال سيدي أحمد: إن الله قد أحسن إليك فأحسن لعبيده، وعف عن هؤلاء الولاة وعف عن أجمعهم مولانا المتوكل - رحمه الله - وتحقق حيث بد كرامته عند الله في قوله هذا الحرم (ص 447) حرم الله فمن صيحه لابد من الالتجاء إليه.

وحدثني سيدي عبد الله بن منصور قال لما من الله عني بمعرفة سيدي أحمد بن الحسين دارعني نفسي مرة أن أذهب إلى موضع حال بعيد من العمر، وأقيم فيه أيام، ثم تردد عني الحال في القوت هل أحمل معي الكعبة من الحجر، فممت فرأيت إسماعيل دولي رفعة مكتوبة وفي آخرها: اقتد بأبي الحسن الشاذلي، فأثبت الشيخ سيدي أحمد، وقلت له: رأيت إسماعيل عظمي رفعة مكتوبة وفي آخرها: اقتد بأبي الحسن الشاذلي، ولم أذكر له ما كان يقدم هذه الرؤية فنسب - رحمه الله - وقال لي: كان سيدي أبو الحسن إذا ارتحل لبعض المواضع سافر إليه على قدم التوكل (ص 448)، والتحريد لا يحمل معه ردا، قال: فقلت له يا سيدي، ومن أين يأكل؟ قال: كان إذا احتاج إلى القوت وجده في وقت الحاجة إليه.

وحدثني سيدي محمد السوسي ومن خطه نقلت قال: ذكر لي بعض من التقى به أنه كان بنمساان علاء شديد ومجاعة كبيرة، تعطلت الصلاة بسبب

ذلك في كثير من المساحد، وربطت أبوابها بالحرم، قال. ودخلت جامع
 الحنفويين فوجدت فيه سيدي أحمد بن الحسن، فقال لي أخي: إذا خرجت
 فأعلق عني تلك الباب فربي أريد أن أدم هذا شيئاً، قال. فخرجت وعلقت عليه
 الباب كما أراد، قال ثم إن الناس أهتموا تلك المساحد لاشتغالهم بأمر
 المجاعة التي علت عليهم، قال (ص 449) صاحب الحكاية. فلما كان بعد
 مدة طويلة، وقد فرح الله على الناس مما كانوا عليه من الجوع، مررت بجامع
 الحنفويين فذهبت إليه فوجدته معنوقاً كما تركته، ففتحت ودخلت فوجدت
 الشيخ سيدي أحمد نائماً على ما كنت تركته فيه، فاستفاق عند دخولي عليه
 وصر أنه قد دام ساعة واحدة، فقام وخرج قال فذكرت لرمي الذي كنت فيه،
 وأمرني بعلق الباب عليه، فعلمت أنه ما زال في يومه ينت إلى أن أيقظته، وأن
 الله تعالى عيبه عن فتنه الجوع لصفه وكرامة كما فعل سبحانه بأهل الكهف، قال
 شيخنا أبو عبد الله وهذا من الحوارق العظم

قال المؤلف حدثني والدي أن هذه المجاعة (ص 450) أتت سنة اثنين وأربعين
 وثمانمائة. وأن سوم القمح انتهى إلى صاع ونصف دينار.

ومن كرمته المأثورة أبي كنت عنده يوماً فأتاه منتظماً يسعيث به في فكك
 ولده من أبواب بعض العمال فبعث سيد أحمد رسوله إلى ذلك العامل، فلم
 يستطع الوصول إليه وغاب ساعة. ثم رجع وقال له يا سيدي أحمد هذا
 العامل قد أمر بعلق بابه عن الناس كلهم خشية أن يشمعه له أحد في هذا الولد،
 فقال سيدي أحمد هذا من ضعف إيماننا فهو كان الناس يقصدون بحوائجهم
 مولاهم ما أعلق أبوابه دونهم، فيسما نحن جنوس عنه وإذا برحل يدق الباب

ففتح له، فدخل ابن الرجل فسر به أبوه وقال له بعض الحاضرين (ص 451).
 ما سبب إطلاقك، فقال له: خرجت في حملة من أهل السحر أمر بإطلاقهم
 فما تعرض لي أحد، فعلمت أن ذلك بهمة الشيخ واعتناؤه وصدق بيته في قوله:
 ولو كان الناس يقصدون بحوائجهم مولاهم، رحمة الله على نوح الدين ابن
 عطاء الله حيث قال:

شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله	عجز أقام بحامله على الشفا
فاسترق الله الذي إحسانه	عم البرية منه وتعظما
والجأ إليه تحده فيما ترتجي	لا تعد عن أبوابه متحرفا

(ص 452) قلت وهذا بطر لقول الرهد أي بكر بن قسوم:

طلب الررق من مليث كرم	يسمع الصوت إن شكوت إليه
لا ويرى له يصدق عنه	لا ولا حاجب فيوشى عنه
سره النفس عن سواه وصفا	إنما الأمر كله بيديه

وحدث السمعاني في ترجمته سعد الله بن محمد الرار، عن عطاء قال لي
 صوس ب عطاء، لا سرى حاجتك من أعينك دونك أبوابه، وجعل عليها
 حده، ولكن أرسلها من بابه مفتوح، أي يوم القيامة، أمرك أن تدعوه وصم
 لك الإجابة.

ومن مرويات القاضي أبي نصر حميد سيدي عبد القادر عن شيوخه، عن
 السيّد أنه قال: «من ولاه الله من أمر (ص 453) المسلمين شيئاً، فاحتجب
 عنه حاجتهم وحجتهم ووفقتهم، احتجب الله عن رجل - دون حاجته وحلته
 وفاقته».

تنبيه:

قول الشيخ رحمه الله : «لو كان الناس يفسدون بحوائجهم مولاهم ما أعلق أبوه دوابهم بطنير إليه قول بعض الأكرار في شرح قوله ﷺ يسروا ولا تعسروا» قال يعني والله أعلم - اصرفوا وحوائج الناس إلى الله عز وجل في الرعي إليه، وردوهم في طلب الحوائج منه ودوابهم في كل أحوالهم عنده، فمن اليسر كله عند الله. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَتُخَّرَ﴾ [البقرة: 185].

قال ومعنى قوله عليه السلام «ولا تعسروا» أي لا تردوهم إلى الناس في طلب ما يحتاجون إليه، فبهم في الحاجة كأنهم (ص 454) فبهم ينحدرون شيئاً منهم كان يريد نفسه. ومن كرامته أن الروار كانوا يأبونه من الأفاق حتى من بلاد العجم، شاهد رجل من العجم أنه وكانوا لا يرحلون من الجامع الأعظم ولا يأبون الشيخ بهراً، وإنما كانوا يجتمعون معه والله أعلم في الليل حين دحرجت الشمس فبهم الليل الجامع الأعظم، فبهم كان من عادته إذا هدأت العيون خرج من بيته ودخل - أنه من الجامع فلا يزال وثق به إلى طلوع الفجر، وكان بعض من أتاه من هؤلاء الأعاجم يكثر من ذكر لا إله إلا الله بصوت مرتفع وكان ذا صوت جهير، فكان بعض المصنفين يكره ذلك عنده، ويأمر من بعده (ص 455) به فلا يلبث إليهم لرحل العجمي، فكانت مرة عند الشيخ بين المغرب والعشاء، وكثيراً ما كنت أفضده في ذلك الوقت فسمعت صيحة في الجامع الأعظم فخرجت لأخبر عنه ذلك فوجدت جماعة من العوام قد وقفوا على الرحل العجمي يكمونه في أن يحفظ صوته بذكره، ولا يرفعه وهو على حاله غير مكترث بهم، ولا رافع رأسه إليهم، وقد دخل فبهم بعد الإنكار عنده إلا أنني لم أحسر على ما حسر عليه أولئك، فرجعت إلى الشيخ

وأحبرته الحر وضي أنه يصوب فعلهم به، وإدائه قال لي بقوة: عصب الماء إذا كان فيه العلق لا يشب منه، فحيث عذمت أن ذلك الرجل من أهل الله، وإما أن له هذا كنه بعد (ص 456) وفاة الشيخ وانقطاع الواردين من العجم وغيرهم.

ترجمة الشيخ العبدوسي

وكان سيدي أحمد يذكر كثيراً من محاسن أشياحه ويطيل الثناء عليهم والدعاء لهم، وكان يقول: ما رأيت أحفظ من الشيخ سيدي أبي القاسم العبدوسي، ولا أعظم هبة من مجلسه، ولا أرفع من وعظه.

قال: وسمعت جماعة من الأعلام الذين لقينهم بتونس وغيره من البلاد الشرقية يقولون: ما رأيت أحفظ من سيدي أبي القاسم العبدوسي.

قلت: وهذا السيد العبدوسي كان من أكثر الأولياء وأعيان الزهاد في وقته، ممن جمع الله له العلم والعمل، وصرت بكمال مؤدده المثل، ولم أقف له في هذا (ص 457) الوقت على ما تكمل به ترجمته، فأفرده بالذكر، وإساق وقع التي طرق من أحباره التي ينشرف هذا المجموع بذكره، ونهتر أخص الأفاضل إليها.

قرأت بحضرة من أثق به أنه كان يدعى بخادم منه رسول الله، قال: وكان حافظاً لسيرته ﷺ ومعاريه وأيامه، يذكر ذلك في كثير من محاضراته، ثم يسمعه بذكره وررانه وأرواحه، وأولاده، وسرارته، ومؤدبيه، وأمرته، وموايه وحراسه. ثم يستطرد الكلام إلى ذكر حبه وإسائه، وسلاحه وبعاله، وحمارة وثيابه وهراشه، ورايته (ص 458) وأوابه، وجميع أحواله ﷺ. قال: ولا يترك شيئاً من صفته وكرمه وأخلاقه وخصائصه ويسرد ذلك في محاضراته كأنه يسميه من كتاب، ثم يختم ذلك بدعاء يقول في بعضه: اللهم لا تجمع عيب حرمان النظر إلى وجهه ﷺ في الدنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين.

ورأيت القل عن الشيخ سيدي محمد بن مرروق أنه كان يقول سيدي أبو القاسم حافظ المغرب في وقته، وإمام الديار لأن الله تعالى قد أحرق عادته في علماء الإسلام أن يشارك لأحدهم في قراءته ولاخر في إلقائه وتفهمه، ولاخر في نسخه وجمعه وعبادته.

(ص 459) وحدثوا عن سيدي عمر الرحراحي وكان من أساتيد وقته وحافظ زمانه أنه قيل له: كيف تحضر مجلس العدوسي، وهو ولد صغير وأنت أنت. فقال لهم: إن الله تعالى قد جعل معه بركة فما أطر أنا في شهر، أسمع من العدوسي في مجلس واحد.

وحدث بعض من قيد عنه قال: سمعت عنه، قال سمعت أبا القاسم يقول: قرأت السحاري في حصار فاس الحديد في يوم واحد ابتدأه بعد اذان الفجر، وحنتمه بعد العنمة بقليل، قلت: كان سيدي أبو القاسم ممن فتح عليه في حفظ السحاري والقيام عليه نسخاً وفهم وقراءة

رأيت في بعض النقايد أنه نسخ منه ثمان نسخ (ص 460) وربما جعل أكثرها في سفر واحد، ونسخ أيضاً من مسلم سبع نسخ، وأما غيره من كتب الحديث والفقه فسبح من ذلك ما لا يأتي عليه العد والإحصاء، وخصوصاً شمائل النبي ﷺ، وكتاب الشفيع لغيره، فإنه نسخ منها كثيراً، وهذا من أعظم الكرامات

ومن كراماته: ما حدثني والدي عن بعض الشيوخ، قال: لما ارتحل سيدي أبو القاسم العدوسي من مدينة فاس، ونزل مدينة تونس وأقام في سوق الوعظ والتذكير وأظهر معالم التفسير وشرح الحديث، أقل الله روحه عباده إليه فكانت الصدقات والندور ترد عليه، ويغرق ذلك على المحايير وأهل العلم، فكثرت القول فيه وتحدث الناس بعرائب أحواله.

وكان مثل الوقت أمير المؤمنين مولاي أبو فارس يعني به ويفصله على (ص 461) علماء حضرته ويسارع لقضاء حاجته، وقول شفاعته، ثم إن بعض الحسدة المارقين من الدين الطاعين على أولياء الله الراشدين دس للحيفة أن سيدي أبي القاسم يستعمل الكيمياء وحقق عنده دث واستدل عليه بكثرة ما يحرج مريده من الصدقات، والصلاة لطلاب العلم وغيرهم، فيمسي سيدي أبو القاسم يوماً في داره إذا بحاحب الحيفة يدق عليه أن قم لأمر المؤمنين فقام إليه وأدخله وليس معه سوى حاحيه، فقال له سيدي أبي القاسم: ما جاءك في هذا الوقت؟ فقال له: بلعسي أنت وصلت لحقيقة علم الكيمياء وأنت تستعملها فنريد معرفتها، فقال له: نعم.

ثم قم فتوصاً (ص 462) ونس أحسن ثيابه ونظف وأحد كتاب البحاري وجعل يقرأ بسكينة ووقر، فيمسيهم كذلك وإذا برجل يدق الباب فادخله فدخل فأعصى للشيخ صرة من الذهب وانصرف، ثم رجع الشيخ لقراءته وإذا برجل كذلك معه صرة من الذهب أو فضة، وثالث ورابع إلى أن اجتمع من ذلك عدة صرر، ثم حتم الشيخ القراءة وصلى على النبي ﷺ، ودعا ثم أقبل على الحليفة، فقال له: هذه الكيمياء التي عند محكم، فكى السطون، فقال له: برك الله فيك، فيما أتاك وأطال عمرك وأثرك وحرك عن الإسلام حيزاً وانصرف عنه على حالة عظيمة من الاعتباط والتعظيم له رحم الله جميعهم.

(ص 463) فسوا: كان سيدي أبو القاسم يحص كثيراً على الصدقة، ويحرص عليها، ويذكر نفوذها قول التوبة، قال: روي أنه كان رجل فيمن كان قبلنا قتل تسع وتسعين نفساً، ثم أراد أن يتوب، فكان لأعلم أهل زمانه: هل لي من توبة؟ فقال لا توبة لك، وقطعه من رحمة الله. ففته، ثم بدم وقصد عالف آخر، فقال له: هل يقبل الله التوبة مني؟ فقال له لا أدري، ولكن العلامة

على قول توبتك هذه العصا، وكان له دهر طويل من حين قطعت ويست،
 حين احضرت هذه العصا، وأورقت في يدك فقد قبل الله توبتك، وكان هذا
 استبعاد من العالم في قول توبته، فأخذ الرجل العكر في يده وبصره، فلما
 كان (ص 464) في وقت عند الأصحى حرج الرجل ليشتري أصحيته فاشترى
 كبشاً، وأتى به فلما كان بعصر أرفق المدينة انفلت الكش من يده، ودخل دار
 امرأة لا روح لها ولها أولاد أيتام فقراء، وكان الأولاد يقولون لأمههم: أين
 كبشنا، حين جيرانا قد أدخلوا كبشاً، فبصرهم ونقول لهم: الساعة يحيى،
 فيبصروهم كذلك، وإذا بالكش قد دخل عليهم، فقاموا إليه وفرحوا به، وداروا
 عليه، ثم قام الرجل صاحب الكش بصرب على الباب، فوفقت إليه المرأة،
 فقال لها: كبشني هذا، قالت: نعم، ولكن هذا أولاد أيتام وقد أحذقوا به، وقالوا:
 هذا كبشنا، فبصره في هذا الوقت حتى ينام الصية، وأمكنك منه.

ففر لها، (ص 465) لا أفعل، فقلت له. وأنا لا أكسر قلوبهم، ودخل
 واحمل ماث، قل: قد دخل وترك العكر على باب الدار فوجد الأولاد دائرين
 بالكش فرحهم، ثم قال للمرأة: احلفي لي أن أبهم ما ترك لهم شيئاً،
 فحلفت له، قال: فأحد دراهم كنت معه أعطاها لهم، وترك الكش صدقة
 لوحه الله وخرج فوجد عكاره قد احصر، فعلم أن الله تعالى قد قبل توبته،
 وأنا له وحمته.

قال صاحب التفسير: فإذا وصل سيدي أبو القاسم لأخر هذه الحكاية بكى
 وسأل الله التوبة، فيقع في أهل محله من الكاء والصرع والانكسار والتواحد
 ما يعلمه الله، قال وكان سيدي أبو القاسم يسد في محله عن شيوخه بالسد
 المتصل عن النبي ﷺ (ص 466) أنه قال: «أنا مدينة ليقين، وأبو بكر بابها، وأن
 مدينة الشجاعة وعمر بابها، وأنا مدينة الحياء وعثمان بابها، وأنا مدينة لعلوم

وعلي بابها».

قال وكان يقول أرحم آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿بِذُنِّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَ﴾⁽¹⁾
 بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿أَلَيْسَ حَقُّكَ فَسْوَكُ فَعْدَلُكَ﴾⁽²⁾ فِي نَفْسٍ صَوْرَةٍ مَا شَاءَ رَكَّتْ ﴿
 [الانقطاع: 6 - 8].

وكان سيدي أبو القاسم معروفاً بكثرة الصلاة على النبي ﷺ في مجلس
 إقرائه مواظب عليها متحفظ بمواظبه، فمما توفي في ذي الحجة عام سبعة
 وثلاثين وثمانمائة⁽³⁾، رثيت له مرثي حسنة تدل على فضل الصلاة على
 النبي ﷺ.

حدثوا (ص 467) عن الفاضل سيدي الشرف العشاري قال: حدثني
 الحيرة العبد عانته لصوفية، قالت: رأيت الشيخ العدوسي في المنام بعد
 وفاته، فكان معي قال لي: يا عانته، من لهم بكثرون من الصلاة على سيدي
 مولانا محمد ﷺ.

أما مشيت، قال المعفيد. حدثني بعض الصالحين، قال: رأيت سيدي أبا
 القاسم بعد وفاته فقمت له: كيف أنت يا سيدي. وما لمبت⁽⁴⁾ قال: حيزاً لما
 وضعتوني في قفري وسويتني علي لحدي وأبصرتم عني، خاءني رسول الله
 وعديقي، وقال لي: مرحنا بمن (ص 468) كان يصلي على صلاة لم يصليها
 علي غيره.

(1) الموافق لـ 9 جويلية - 6 أوت 1434هـ.

ترجمة الحاج موسى

وكان سيدي أحمد رحمه الله يمحرم بخدمته لسيدي موسى الطبطوي وأخذته عنه، ويحدثنا عنه بمحائب الكرامات ويقول: كان سيدي موسى محاب الدعوة، وإذا غضب انتقم الله له في الوقت، وإذا أحب أمرا يسره الله له كما يحب، وقال لنا: كان سيدي الحاج موسى يواصل ويدع في وصاله إلى أربعين يوما، ثم رجع عن ذلك إلى عادة أهل مريه، فقال له بعض أصحابنا: يا سيدي موسى هلا دمت على الوصال فيها حالة شريفة، قال: فقال له سيدي موسى: هذا المقام رسول الله ﷺ أولى به.

قلت يشرح لك هذا ما حدث (ص 469) به الأستاذ أبو الفاسم في كنه الرسالة، عن أبي بريد السطامي، قال: لقد هممت أن أسأل الله أن يكفيني مؤونة الأكل، ومؤونة النساء، ثم بدا لي فقلت: كيف يحور لي أن أسأل الله هذا، ولم يسأله رسول الله ﷺ فتركته سؤال ذلك، ثم أن الله سبحانه كفاني مؤونة النساء، حتى لا أدلي أن استقبلني امرأة أو حدار.

ومما حدث به سيدي أحمد من كرامات سيدي الحاج موسى رحمه الله قال: أن طبطوه وطه كان ينولي عمالتهما رجال من سي مريه، وكان مسرفا على نفسه منهون بمطالم الحق، فسحر يوما رجلا من أصحاب سيدي الحاج موسى أو من ذوي رحمه، فلما وصل حرم سجنه لسيدي الحاج موسى أمر أصحابه (ص 470) أن يذهبوا إلى السحر ويحرقوا جميع من كان فيه فأبى الحمر ليمرسي لعامل فركب في جماعة من أصحابه وأتى لمرل الشيخ وهو بحال غضب شديد، فلما وقعت عليه عنى الشيخ ول له، إما أب وثم من النعيم، وكان بيته وبين الشيخ أصل شجرة من الدور، فقد له الشيخ، يا إبليس من إبليس تلك المودة بيني وبينك، فلما قرب منها عدا به فرسه فعرضه

أصل الليرة فندق المرس وسقط المربي إلى الأرض، وصار الفرس يتحيط به إلى أن ماتا معاً، وفرح الله عن أهل بطيرة مما كانوا فيه بركه.

...

ترجمة الشيخ السماواسي

وسألت سيدي أحمد عن شيعه أحمد السماواسي، فقال لي ما معاه: كان سيدي أحمد السماواسي من أكابر أولياء الله المقطعين (ص 471) لخدمته الصادقين في عبادته، قال: حضرت درسه للعربية وعلوم القرآن، والفقه، والحديث وغير ذلك من العلوم.

قال: وحالته في حلوانه كثير، واستعدت منه ونعمي الله بصحته، وما رأيت منذ عقلت أروع منه ولا أزهد.

قال: ولما توفي والده الفقيه القاضي الصدر الكبير خرج ولده سيدي أحمد فإرا نفسه مفارق لوطه وأهل مسما بحوته في جميع ما تركه والده، وحدثني عنه بكثير من الكرامات منها: أن الطعام المشته إذا أكله لا يفر بعده، بل يردّه لوقت، ويخرج لليرة عبر متعر

ومنها: أنه سرّ محل موصفاً محروق طالما برئه العدو، وأسر فيه المسلمين وصار من الشعور (ص 472) محروفاً، فلما سرّ به سيدي أحمد السماواسي وسهر به سكه بية حراسة المسلمين حفظ الله ذلك الموضع من العدو، وقصعهم عنه بركه وصار الموضع مقصوداً بالأمن والبركة مذكور.

وقد كان قبل ذلك محروفاً مهجوراً، قال لي: ومن كراماته أبي كنت عنده في بعض المحاضرات فاحتج أهل داره للموت، وشد بهم أثم الجوع والطعام قليل لا يوحد، فسأل الله تعالى قائلاً: «يا رب أب أرصني بفعلك مستطيع لما قدرت به وأردنه بفضلك وحوذك، وهؤلاء الأصفال لا يطيقون ذلك، فقد

مسهم الضر وأنت أرحم الراحمين».

قال: فلم تمض ساعة حتى أتته رجل من معارفه يحمل من القمح وحملين (ص 473) من الحطب فان وكنت عنده وقد شتدت المصاعدة وفرغت محارن الطعام من كل الجهات وطر السوء عن الأولاد من شدة الجوع، فلما كان قرب نصف الليل سمعت وقع حافر دابة وحركة عديد الدواب، فقال لي: قم وأدخل هذا الرزق الذي ساقه الله لك بركة هؤلاء الأولاد، قال: فصحت الدابة فوجدت نيس قمح فطرت بميت وشمالا للدابة وصاحبها فم رأيت أحدا، وليس بقرب مكان ينظر فيه القمح، فأدخلت التليس وأنا أتعجب من ذلك، ولم يكن عند شيخنا رحمه الله كتاب عدم ينظر فيه ولا يطالعه، وكان إذا توقف في شيء من الآيات لقرآنية بحث إلي (ص 474) أو لعيري فيأنيه بتفسير ابن عطية، ويقرأ عليه المحلل منه، فإذن وجد شيء في المسألة افتصر عليه، ولا أشار لتفسير الرمحيثري، وما كان عندك كان عنده سوى مصحف كامل من القرآن لا أدري هل كان ينظر فيه في حيوانه أم لا، وحدثنا مشايخنا أن النظر في المصحف مما يقوي البصر، أشد الحطب أبو عبد الله بن رشيد في رحلته للأستاذ أبي بكر سحون:

أربعة تريد في نور البصر إذا رما فيها وتابع النظر

المصحف المتلو بالآي الكر والماء والوجه الجميل والخصر

ورأيت في بعض كتب التعريف: أن مما حارب في بقوة البصر، قال: حدثني أحد الفضلاء ممن أحدث عنه قال: ممن (ص 475) سمع المؤذن لنداء الجمعة، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحر يده على عينه اليمنى وتشهد، وقال: حبيبي نور عيني محمد بن عبد الله، فإذا قال المؤذن أشهد أن محمد رسول الله، قال كقوله، وحر يده على عينه اليسرى، وقال: حبيبي نور عيني

محمد بن عبد الله قوي بصره. وبورك له فيه. قال: ولقد كنت أرى الشيخ يستعمل هذه الحالة في الجماعات فمتع بصره لوفاته.

ومن حميل مناقب سيدي أحمد رحمه الله ، وكريم أثره، أنه كان ينزل الناس منازلهم، ويميز بين أقدارهم فإذا أتته بعض أهل العلم والصلاح وأحد من أولاد الخلفاء أقبل عليه ونسب له وفاته بالكلام (ص 476)، وأذن قدره وقدم له محضراً من الطعام عملاً بما في الحديث عنه ﷺ أنه لم يحد على رسول الله ﷺ حرير من عند الله المحلي أكرمه وبسط له رداءه، وعممه بيده، وقال: «إذا أتاكم عزيز قوم فاكرموه».

وعن عائشة رضي الله عنها - ، قالت قال رسول الله ﷺ: «أرلوا الناس منازلهم».

وكان إذا أتته مولانا السلطان أبيه الله وأعلى يده ببسط معه في القول، ويسهح به سروراً ويظهر الاعتناء به، والنحوي بشأنه، فإذا قصي حاجته من الريارة وخرج من الريارة يقول سيدي أحمد لمن حصر مثل هذا العقل الذي حص الله به هذا الشب المبارك بصلح (ص 477) لخلافة وكلام هذا معاه، سمعته منه وسعني عنه مرات عديدة. وكأنه كوشف بولايته خلافة الأمة وإقامه قسطاً من العدل في الرعية أدام الله للإسلام دولته وأيد بصره وأعلى كلمته.

وأما الشرفاء من أهل البيت الكريم على مشرفهم وعليهم أفضل الصلاة وأكمل التسليم، فقد كان معروف بمحتهم مظهرًا لتعظيمهم، مبالغاً في إحلالهم وتكريمهم، منها على ما لهم من مزية تقديم، وإذا أتته أحد من الشرفاء أقبل عليه، وهش له وأبان منزلته، وقدم على سائر حاجته، وأرشد الحاضرين عنده من أصفاء الناس لما لأهل بيت الرسالة من الحق الواجب

(ص 478) لمتأكد على كفة المسلمين، وبصرت لذلك أمثالا على قدر العقول ويقول من تعطيحه عليه السلام وتوقيره تعظيم أهل بيته؛ لأن حرمة ﷺ ميتا كحرمة حيا، ثم ينو قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. حصرت عده بوف وأنه رحل يشتكي بأحد الشرفاء حاف له على مرتبه في الحسن، فقل له الشيخ: أحمله في حل ومنع الرحل عن ذلك وقال له: يا سيدي كيف أترك مرني، وأما بحاجة إليه والله لا أتركه له ولا أحمله في حل منه أبدا. فقل له: أما ما قلت لك إلا ما يملك، كيف لا نحميه في حل ونحن غدا إذا وقف بين يدي الله ما نرحو وسية عند الله سوى شفاعة حده (ص 479) - عليه السلام - .

فإذا كنتم ممن يرحو شفاعته حده فكيف يسوع لك أن تطالب من ينسب إليه، أما إن كنت فأت أعرف أي إن كنت ممن لا يرحون شفاعته، وسكت الشيخ عنه وظهر في وجهه العصب وانصرف الرحل غير راض بكلام الشيخ، ثم أداه التناقص وعدم الانقياد للحق إلى أن صار له بعض الطعن على الشيخ وأصحابه يعود بالله من ذلك، وقد اتلي به في ديه، ثم في حسده باللبا ظاهرة وخفية، نسأل الله العافية.

ورحم الله شيخنا سيدي أحمد ما كان أقواه بالحق وأصحه للأمة. روي في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الدين النصيحة، لله، ولكتبه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

(ص 480) قال أئمتنا، النصيحة لعامة المسلمين هي إرادة الخير لهم، ومن إرادة الخير لهم إرشادهم إلى معرفة ما يحب عليهم من تعظيم النبي ﷺ وتوقيره. فإحلال أهل بيته وإكرامهم بإحلال له ﷺ، لأن حرمة ﷺ ميتا كحرمة حيا.

قال الماصي أبو الفصل في كتبه الشفاء. ومن توقيره رحمه الله وسره وسر آله
وفريته وأزواجه أمهات المؤمنين.

وأسد عن ريد بن أرقم قال رسول الله ﷺ «أشدكم الله في أهل بيتي..
ثلاثاً». قال روي الحديث: قل لريد: من أهل بيته ﷺ؟ قال آل علي وآل
جعفر، وآل العباس رضي الله عنهم جميعهم.

(ص 481) كنت عند الشيخ رحمه الله - يوماً وقد أتته جماعة من
الشرقاء الكائن بسوطن معراوة من بلاد الشلف يشكون حور عامل وطهم،
وأنه نقصهم وأهاليهم وسواهم على غيرهم من الرعية فشد عصب الشيخ
لدلك، ثم بعث للحليفة مولانا أمير المؤمنين المرحوم بمصل رب العالمين
قدس الله ترته، وأسمى في الدار الأحرى رتته، وطلب منه في أن يكتب
بعميل تأكيد عن الشرفاء، فلما وصده رسول الشيخ سمع مقالته، قال له: قل
لسيدي أحمد إني قد عزلت هذا العامل عقوبة له على إهائه لشرقاء،
وسأقدم لمن يلي هذا العمل تأكيد الوصية عديهم في تعظيمهم واحترامهم
فسر الشيخ بذلك كثيراً ودعا لمولانا بالرحمة لما يفعه الله به.

ثم (ص 482) إن الشيخ رحمه الله أمر من أنه سمر من المرحشري
في تسميره قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، وبعد الفراغ من القراءة أمر
بجعل الشار في ذلك المحل. وبعث سمر لمولانا رحمه الله - ليقف على
ما أعد الله من ثواب لمن أكرم آل النبي ﷺ، فإن مولانا رحمه الله كان من
دوي الصائر في محبة النبي ﷺ، وحب الصلاة عليه والاعناء بأهل بيته
الكريم. له في ذلك أحبار ماثورة ومقامات مشهورة أورثت له الذكر الحميل
بيته الصالحة، وستكون في ميراثه مصل الله من الحسنات الراححة، وما
أحسن قول القائل: (ص 483)

يا أهل رسول الله حاكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المحر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولذكر طرفاً من تلك الأحاديث رعة في الثواب وتتميماً لفوائد الكتاب؛
لأنه في أخبار الصالحين الذين تزل عد ذكرهم الركات، وآل البيت الكريم
من أصل طيبتهم ابتدئ الصلاح، ويهديهم القويم عرف طريق الملاح، قل
الرمحشري: روي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ قيل: يا
رسول الله، من قرأتك الدين وحيت عيب محنتهم؟ قال: علي، ووطمة،
وابناهما.

هذا الحديث رواه أبو القاسم الطبراني في معجمه بسند صحيح (ص 484)،
وأخرجه الواقدي في تصديره، قل: ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه -
قال: اشكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي. فقال: أما نرعى أن نكون رابع
أربعة. أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأرواحنا عن أيما
وشمائنا، وفزيتنا خلف أزواجنا.

وعن السي ﷺ: «حرمت الجنة على من ضم أهل بيبي وأداسي في عترتي،
ومن اصطح صبيحة إلى أحد من ولد عبد المطلب، ولم يحضره عليها فانا
أجازيه عليها إذا لقيني يوم القيامة».

ومن الحديث المروي في فضائل أهل البيت ما أخرجه صاحب فوائد
الأحبار عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ (ص 485): «معرفة آل
محمد براءة من النار، وحب آل محمد حوار على الصراط، والولاية لآل
محمد أمان من العذاب». وفي كتاب الأمثال المروية عن السي ﷺ أنه قال:
«بما مثل أهل بيبي كمثل سفينة نوح، من دخلها نجا، ومن تحلف عليها
غرق».

وأسد أبو يعيم عن رحله في ترحمة كل الأحبار فإن أحد كعب بيد
العاس من عند المظب وفل له ي عاس أحرني شعاة عندك تشفع لي بها
يوم القيامة. فمات له العاس. وهل لي من شعاة ي كعب؟ قال. نعم ي أب
الفصل. فيه ليس أحد من أهل بيت سي إلا كنت له شعاة يوم القيامة.

ونشد القاضي العلامة سيدي أبو عبد (ص 486) الله المقري فيما قرأته
بخطه، للولي الزاهد أبي الحسن الحراني:

مثل لآل المصطفى مشطوف بير معطلة وقصر مشرف
فلقصر محمد الذي لا يرتقي والير علمهم الذي لا يرف

تنبيه:

وعلى الأفاضل الشرفاء لسان الناس حقوق يحب عندهم الوفاء بها،
والنحو بأدائها منها أن يعاشر الناس بالمعروف ويتحملوا إذابة الحق،
ويحودوا عنهم بمصل أمواتهم، ويتوصعوا لهم، ولا يحملهم بسهم الشريف
على المحب والكريم والاستطاة وفي الحديث عنه كذا. (ص 487) من أظا
به عمله لم يسرع به نسبه.

قال أئمتنا معناه أن من لم يتصف بالعمل الصالح والأخلاق الحسنة
فسيه لا يرفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَقَاتُ﴾ [الحجرات: 13].
أشدي شيخ أبو عبد الله من العاس، وقرأته في طققت:

لعمرك ما الإنسان إلا بديه فلا تترك القوى اتكالا على الحب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وصع الشرك الشريف أبا لب

* ذكر وفاة سيدي أحمد - رحمه الله - :

كانت وفاته بعد رمضان في ثالث عشر شوال من سنة أربع وسبعين وثمانمائة . حدث أبو نعيم بسنده عن (ص 488) أبي مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة». ومن وافق موته عند انقضاء صدقة دخل الجنة».

ومن كراماته على الحق سبحانه وتعالى - أن جمع له أحر شهيد من الشهداء الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة . لأنه مات غريباً عن أهله ووطئه، وفي الحديث عنه ﷺ: «موت العريب شهادة». حرقه الدرقطي عن طريق ابن عباس، وروى أبو بكر الحرائطي من حديث أس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات غريباً مات شهيداً».

وكان مرضه (ص 489) الذي لارمه إلى أن مات الررب وهو لإسهال، أقام به مدة أيام. وفي كتاب السير لأبي عبد الله السنائي، عن حار قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهادة سعة سوى الثميل في سبل الله، المطعون وهو الذي يموت في رمس الطاعون، والمضطون وهو الذي يموت من عنة الطن، إم بالإسهال كمرض الشيخ رحمه الله ، وإم بالإسقاء المتولد عن داء الطن، والحرق وهو الذي أصابته نار وحترق فمات من ذلك، والعريق يعني في بحر أو غيره، وصاحب دت نجس والذي يموت تحت لهدم والمرأة تموت من النجس سواء ألفت ونده ومانس. أو ماتت وهو في بطنها».

وكان يوم وفاته من الأيام المشهورة (ص 490) ومفجر الفقراء المعهودة حصرها مولانا السلطان في ذكر دولته، وأسف نفقه واشى عنه حراً، وقال

ما رأيت مثل سيدي أحمد، وأما أهل البلد فما تحذف منهم أحد كانه مات
أبوهم الشفيق عليهم الرفيق بهم رحمه الله ورصي عنه وبما يحبه
وصالح دعاءه.

وكان مع ما به من ضعف وشدة المرض يحدد التوبة ويكثر الاستعمار
ويدعوا له ولأصحاب الحاصرة بما أرحو قوله، وفي الحديث «من لم ياب
التوبة قُتِلَ منه، ومن أكثر من الاستعمار عُقِرَ له».

وحدث الحولاني عن أبي هريرة رصي الله عنه أنه قال «من ورق سناً
لم يحرم:

من ورق اشكر. ثم يحرم الرعدة. قال (ص 491) الله تعالى ﴿لَيْسَ
شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

ومن ورق الصر لم يحرم الثواب قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤِثِّرُونَ أَغْرَهُمْ
بِعَمَلِهِمْ جِثَابٍ﴾.

ومن ورق التوبة لم يحرم القول، قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي تَقُولُ التَّوْبَةُ عَنْ
عِبَادِهِ﴾ [الشورى: 25].

ومن ورق الاستعمار لم يحرم المعصية، قال الله تعالى ﴿فَقُلْتُ مُتَّعِمُوا
رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ غَدَّارُونَ﴾ [يوسف: 10].

ومن ورق الدعاء لم يحرم الإحسان، وقال رَبُّكُمْ أَدْعُوايَ أَسْجَدَ لَكُمْ ﴿
[غافر: 60].

ومن ورق النسيئة لم يحرم الحذف، قال الله تعالى ﴿وَمَا أَفْقَرُ مِنْ شَيْءٍ
فَهُوَ يَحْفَظُهُ﴾ وَهُوَ حَكِيمٌ مُّزِينٌ ﴿ [سج: 39].

ولو رأيت يوم دونه تراحه الناس على بعثه بمسحوره بأثوبهم ويلمسونه
بأكفهم نعطب حل أولياء (ص 492) الله، وعلمت ما لهم من لمكة عند الله.
وفي مثله أشد بعض الفصلاء - رحمه الله تعالى -

إن بان منزله وشط مزاره	قامت مقام عيانه أخباره
هذا عميد المسلمين ومن جرى	مثلاً شروذاً زهده ووقاره
قصده عادية الزمان فأضدت	نبذاً لأبت من أن تقال عثاره
يا كافل الأيتام يدفع عنهم	بنداه جور الدهر أم أضاراه
يا مجزل الصدقات في جنح الدجى	والليل قد سولت له أستاره
يا من يوحى إليه في خلواته	ضياء الدجى وتأرجت أسحاره
تهكي عليك معاهد الدين الذي	بكا صاح حي على الفلاح مناره

وأما محل دس سيدي أحمد - رحمه الله - فقد حرب الناس فيه إجابة
الدعاء وتعرفوا بركة ربه في الشدة والرخاء فروصته (ص 493) فل أن تحلو
من رائر يتلو القرآن ويهدي له الثواب، أو يذكر ويدعو ويستظر منه بلان
الحال الحواب كأنه شاهد لسحواه، أو من يسمع شكواه ثم لا يصرف عنه إلا
قوي الرجاء في إجابة دعائه، وكشف بلائه.

وفي الحديث أن ملائكة السماء تنكي على العبد المؤمن إذا مات، أسد
ابن المارك، عن أبي عبيد صاحب سليمان قال: إن العبد المؤمن إذا مات
تبادت بقاع الأرض: عبد الله المؤمن مات، قل: تنكي عليه السماء والأرض،
فيقول الرحمن - عز وجل - : «ما بككما على عدي، فيقولان: يا رسا، إنه
لم يمش على باحبة من الأرض قط إلا وهو يدركك حل حلالك، وتعالى
ملكك وشأنك».

(ص 494) وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «إذا فُتيت أيام الدنيا عن هذا العبد المؤمن بعث الله عز وجل - إلى نفسه من يتوفاه من ملائكته، قال. فيقول صاحبه الكاتبان بدان كان يحفظان عبيه عمده إن هذا العبد كان لنا أخاً وصاحباً، وقد حان منه اليوم فراق فدعونا شيء على أخيه، فيقولان: حراك لله عدا حيزاً ورصي عليك وعمر لك، وأدخلك الجنة، فعمم الأخ كنت، ولقد كنت يسير المؤونة حميل (ص 495) المعونة، وما كنت حظيك تمتع أن تصعد إلى ربنا بعاني فمسح بحمده، وبقدس له وسجد لعظمته، قال: ثم يقول الملك الذي يتولى قصص روحه، اخرج أيها الروح الطيب إلى خير يوم مر عليك نعم ما قدمت لنفسك، اخرج إلى الروح ولريحان، وحدث العليم وربي عليك غير غضبان»، ول بعضهم:

لو أمكن الأموات أن يطقوا فيسمعوك عظة الناصح

(ص 496) لقال كل منهم معلناً تروودوا من عمل صالح

وفقنا الله وإياكم لطاعته، وجعل في الدارين من أهل ولايته، وأمتع اللهم بحب هؤلاء الأولياء الدين، صطبتهم بالمعرفة وخصصتهم بالكرامة، واجعل من المنعين لأثرهم لمفسدين من أنوارهم.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا ومولانا محمد سيّ الرحمة، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يدحرهما شدة ليل الحسرة والندامة ووسيلة (ص 497) ⁽¹⁾.

....

بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع

- [illegible]

- [illegible]

سيرة الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز في سطور

ولد الأستاذ يحيى بوعزيز يوم 27 ماي 1929م، بقرية ود نره الجعفرية، من ولاية سرج بوعزيز، وحفظ القرآن الكريم وبعده مبادئ اللغة العربية، وفروص الدببة على والده الشيخ الحاج عبد الرحيم بوعزيز، وشارك تعليم وبحميط أساء القرية بقرن الكريم، وفي عام (1947)، التحق بزاوية الشيخ الحاج حسن الطرابلسي بعبدة، ودرس محصف العلوم العربية، الفقهية، واللغوية، والأدبية، وفي عام (1949)، التحق بالجامعة التونسية في تونس، وحصل على شهادة التحصيل (الدكتوريا) عام (1956)،

وفي حريف (1957)، التحق بكلية أدب في جامعة القاهرة، وحصل على شهادة بيساس في التاريخ عام (1962)، وعندها عاد إلى الوطن عام (1962)، حصل على الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الجزائر عام (1976)، واشتغل خلال إقامته بتونس في ميدان الصحافة في إطار جبهة التحرير الوطني، ونشر عشرات المقالات في الصحف والمجلات التونسية والعربية ونشر كتاب عن جهاد الأمير عبد القادر عام (1957م)، وكان عضواً في الاتحاد العام لطلبة المسلمين الجزائريين، ورئيس اللجنة الثقافية في تونس والقاهرة.

وفي مصر شرب في دعه حصص من دعه صوت العرب، عن كفاج شعب المتحدة، ورئيس لجنة ثقافية، وتحرير مجلة أنباء الجزائريين التي كانت تصدرها الاتحاد في القاهرة، وعندها عاد إلى الوطن عام (1962م)، شغل في التدريس، وعن عضواً في لجنة تأليف المذكرات المؤرخة عام (1963)، بمصاحبه وكلف عام (1969)، بألف كتاب مدرسي في التاريخ الحديث والمعاصر بنسبه الأولى ثانوي وألحقه مع زملائه آخرين.

وألف كتاب الموحدين في تاريخ الجزائر الذي صدر عام (1969م)، ونشر بعد ذلك منه مقال موثق وثمانيه وعشرين كتاب عن تاريخ وكفاج وحصاره الجزائر، وله عشرة كتب محصوطة وشغل أسبداً لتاريخ الحديث والمعاصر في جامعة بسطة بوهرة، حتى تقاعد آخر عام (1996م)، وهو عضو مؤسس لاتحاد كتاب الجزائريين، واتحاد مؤرخين الجزائريين، وشارك في معصم منقبات ففكر الإسلام بالجزائر، وفي منقبات أخرى خارج الجزائر من ضمنها وليس كلها:

1- معصم المستشرقين لأحاب الواحد والعشرين في برس العربية أو حر شهر أبريل (1980م).

2، المنقش لدولي شالي لتاريخ معرب وحضره في تونس أو حره بومسر (1980م).

3، منقش رد فعل تونس من لاحتلال الفرنسي لها عام (1881م) أو حر شهر ماي (1981م) بتونس.

4، منقش تاريخ الشجرة عبر الصحراء بمدينة هرايس البسة ما بين 1 و4 أكتوبر (1979م).

5، منقش صده حيرة حرة، ما بين 7، 11 أبريل 1982 بحيرة

6، منقش تاريخ لملات لمة التركية بطر تونس حرة ما بين (13، 18 ديسمبر 1982م).

7 المنقش لدولي شالي تاريخ معرب وحضره بومسر في قري (1992م)

8، منقش دور المرأة بحرة في حركة الإصلاح بسنة بحرة، بمدينة مدين في ماي (1992م) بتونس.

9، منقش لث و صده بحرة في حوية (1984م)

10 منقش الحركة صده بحرة بحرة بحرة 1850 - 1950، في ديسمبر (1984م).

1. منقش لدولي شالي ثورة الحرة في الحرة وحر بومسر (1984م) بالجزائر.

هذا إلى جانب عشرات منقشات وندوات التي تعقد على مستوى كل ولايات الجزائر لعدة يوم حر عام 2002م ومثلت لملات وسجلات التي نشرها في الجزائر والمجلات بحرة بومسر وحر بومسر نشرها حتى هذه الساعة حر عام (2002م)

• • •

من كتب المؤلف الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز

(أ) الكتب المطبوعة

- 1 - الأمير عبد القادر رند الكفاح الجزائري، ط3 (تونس 1983)، (366 ص)، ط4 (2002م).
- 2 - سحر في تاريخ الجزائر، (سحر المطبوعات الوطنية 1965)، (220 ص) ط2، (الجزائر د.م. ح 1999)، 2 أجزاء.
- 3 - تاريخ العالم الحديث من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الثانية، (الناشر: مع زميل أحمد بن الطاهر، وتعدت معاج، الجزائر 1969)، (245 ص).
- 4 - ثورة (1871)، (دور عائلي عملي والحداد)، (الجزائر 1978)، (471 ص).
- 5 - ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين (الجزائر فسطاطيه 1980)، (550 ص)، ط2 (1996م) 2 أجزاء.
- 6 - من سلاطين الأمة عبد القادر مع مساهمة وحكمته لتسوية الجزائر فسطاطيه 1982، (120 ص)، ط2 (د.م. ح 1986م).
- 7 - علاقات الجزائر الخارجية (1500 - 1830)، (الجزائر د.م. ح 1985)، (159 ص).
- 8 - السيرة الاستعمارية والحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954، (الجزائر 1985م) (149 ص).
- 9 - وهران عند التوزيع (الجزائر 1985)، (189 ص)، ط2 (د.م. ح 2002م).
- 10 - السيرة العامة لعماد الدولة (الجزائر 1985)، (92 ص).
- 11 - الأدب والسياسة في الحركة الوطنية الجزائرية (1920 - 1954)، (178 ص).
- 12 - كفاح الجزائر من خلال الوثائق (الجزائر د.م. ح 1986)، (388 ص).
- 13 - الاستعمار الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات (الجزائر د.م. ح 1986)، (135 ص).
- 14 - مع تاريخ الجزائر في مختلف نواحيها والندوة (الجزائر د.م. ح 1991)، (422 ص)، ط2، (د.م. ح 1999م).
- 15 - فريدة مسنة أو تاريخ فسطاط (الجزائر د.م. ح 1991)، (186 ص).
- 16 - وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عويش (الجزائر د.م. ح 1989).

- (198 ص).
 17 - طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود، (بيروت دار الغرب الإسلامي 1990) 2 أجزاء، للمزاري (تحقيق).
 18 - الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية (الجزائر، د.م.ج، 1991) (142 ص).
 19 - المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدير (1780 - 1798)، (الجزائر د.م.ج 1993) (162 ص).
 20 - مواقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا محمد المقراني وثورته (1871)، (الجزائر م.و.ك 1993) (162 ص).
 21 - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحرومة (بيروت - دار الغرب الإسلامي - 1995) 2 أجزاء.
 22 - سيرة الأمير عبد القادر وجهاده لمصطفى بن التهامي (تحقيق)، (بيروت، دار الغرب الإسلامي 1995) (408 ص).
 23 - السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، (الجزائر د.م.ج 1995) (326 ص).
 24 - الاتهامات المتبادلة بين مصالي حاج واللجنة الجزائرية وجبهة التحرير الوطني، (الجزائر - دار هومة 2001م) (205 ص).
 25 - تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 11 إلى مطلع القرن 20م، (الجزائر - دار هومة 2001م) (427 ص).
 26 - المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، (الجزائر - عين مليلة 2001م) (146 ص).
 27 - دائرة الجغرافة تاريخ وحضارة وجهاد، (الجزائر - دار هومة 200م) (455 ص).
 28 - موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، (الجزائر - دار هومة - عين مليلة 2002م) 3 أجزاء.

فهرس الموضوعات

3	مقدمة وتمهيد في التعريف بالمخطوط
5	تحية المودة والتقدير... وبعد
8	التعريف بالشيخ ابن سعد التلمساني
11	التعريف بالشيخ محمد بن عمر الهواري
15	حول مدفن الشيخ الهواري
19	التعريف بالشيخ الحسن أركان
21	التعريف بالشيخ إبراهيم التازي
26	قصيدة المرادية للشيخ إبراهيم التازي
30	التعريف بالشيخ أحمد الغماري
33	نص المخطوط
35	أولاً: الشيخ محمد بن عمر الهواري المفاوي
36	*والد الشيخ الهواري
36	*نشأة الشيخ الهواري وتعلمه
37	*رحيل الشيخ الهواري إلى كلميتو
37	*رحلات الشيخ الهواري في البلاد
38	*حكاية سيدنا موسى
40	*رحيل الشيخ الهواري إلى مدينة بجاية
40	*سفر الشيخ الهواري إلى فاس
42	*انتقاله إلى الحجاز لأداء فريضة الحج
43	*سفره إلى بيت المقدس
43	*رجوعه لمدينة وهران واستقراره بها
109	*حكايات بقاء الكبير
115	ثانياً: الشيخ الحسن أركان
135	*وفاة الشيخ الحسن أركان
137	ثالثاً: الشيخ إبراهيم التازي
138	*أصل الشيخ إبراهيم التازي
139	*رحيل الشيخ إبراهيم إلى مصر والحجاز
140	*إجازة الشيخ تقي الدين الفاسي للشيخ التازي
141	*رحيل الشيخ التازي إلى المدينة المنورة
142	*حديث الضيافة

- * عودة الشيخ إبراهيم التازي إلى مصر وتونس 143
- * عودته من تونس إلى تلمسان 145
- * انتقاله من تلمسان إلى وهران 145
- * استقلال الشيخ التازي بزاويته الخاصة 146
- * قصة إدخاله الماء لوهران 150
- * صنائع المعروف 151
- * إيثار الشيخ التازي للعلماء 152
- * إجلال الشيخ التازي للشرقاء 157
- * حديث النرجس 168
- * قصة ابن الخراز الوهراني 175
- * رابعا: الشيخ أحمد الغماري 185
- * سفره إلى الشرق 193
- * عودته إلى عنابة ثم عودته إلى الحجاز 194
- * عودته إلى تلمسان 195
- * ترجمة الشيخ العبدوسي 219
- * ترجمة الحاج موسى 224
- * ترجمة الشيخ الماوسي 225
- * ذكر وفاة سيدي أحمد - رحمه الله - 232
- * بعض المراجع ذات الصلة بالموضوع 236
- * سيرة الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز في سطور 239
- * من كتب المؤلف الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز 241
- * فهرس الموضوعات 243

